

مكتبة ياسين

# دمبلين DUMPLIN'

اضرب بقوة  
أو عُذِّبْنَا

رواية



چولي ميرفي  
ترجمة: نورهان البدوي



NETFLIX

يعرض الآن  
على نتفليكس

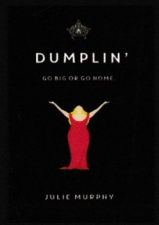
# دمبلين

تحت سماء تكساس المضيئة بالنجوم، برفقة طوى المصاصة الحمراء، وأغنيات دولي بارتون، أراهنك على أنك ستقع في غرام "دمبلين".

ويلودين ديكسون، الفتاة البدينة التي دائماً ما تميل إلى العُزلة تُعلن عن نفسها. أطلقت عليها والدتها ملكة الجمال السابقة لقب «دمبلين: زلاية»، هل تدور أفكارها حول امتلاك الجسد المثالي لثوب السباحة؟ أجل، وهكذا قررت ارتداء ثوب السباحة. كان كل شيء يسير دوماً على ما يُرام، بمساعدة إيلين، صديقتها المقرّبة ذات الجمال الأمريكي الأنا... حتى تسلمت ويل وظيفة لدى هاريز، مطعم الوجبات السريعة. وهناك التقت طالب المدرسة الخاصة الوسيم بوو لارسون، الرياضي السابق. لا تدهش ويل حين تخالجه مشاعر الإعجاب ببوو، ولكنها تدهش حقاً حين يُبادلها تلك المشاعر.

وفضلاً عن إيجاد سُبل جديدة للشعور بالثقة بالنفس خلال علاقتها ببوو، تعتمل المزيد من الشكوك في صدر ويل. وهكذا تُقرر اكتساب ثقتها بنفسها مُجدداً، حين تُقدم على فعل أشد الأمور ترويقاً في رأيها: المشاركة في مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوونيت -إلى جانب عددٍ من المشاركات غير المتوقعات أيضاً- تُظهر ويل للعالم بأكمله

أنها تستحق المشاركة في شيء كهذا كأى فتاة أخرى. وخلال رحلتها في المسابقة، ستثير الرعب والمفاجأة في صدور سكان مدينة كلوفر سيتي بأكملها، وربما ستثير الرعب في نفسها أولاً من بين الجميع.



مكتبة ياسمين



www.aseeralkotb.com  
contact@aseeralkotb.com  
aseeralkotb  
aseeralkotb  
aseeralkotb

t.me/yasmeenbook

# دمبلیں

## مکتبہ یاسین

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

يسعدنا انضمامكم إلى قناة  
مکتبہ یاسین  
معكم نكبر ونستمر بكل جديد

اضغط هنا .. اتبع اللينک





مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

● ترجمة: نورهان البدوي

● تحرير: أحمد حسين

● تدقيق لغوي: نهال جمال

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: يناير / 2024م

● رقم الإيداع: 4382 / 2023م

● الترميم الدولي: 6-225-992-977-978

● العنوان الأصلي: 'Dumplin'

● العنوان العربي: دمبلين

● طبع بواسطة:

Balzer + Bray is an imprint of  
HarperCollins Publishers

● حقوق النشر:

Copyright © 2015 by Julie Murphy

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب



مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

دُمبَلِين

DUMPLIN'

اضرب بقوة  
أو عُذْ جباناً

رواية



چولي ميرفي  
ترجمة: نورهان البدوي

إلى جميع الفتيات ذوات الأرواف البدينة.



«استكشف ذاتك، وافعل ذلك عن عمد».

دوللي بارتون



# مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

## الفصل الأول

بدأت أفضل الأحداث في حياتي بأسرها منذ اللحظة التي استمعتُ فيها إلى أغنية دوللي بارتون، وأهمها تلك الصداقة الوطيدة التي جمعتني بإيلين درايفر.

تلك الأغنية التي أشعلت الشرارة الأولى لعلاقتنا هي «Dumb Blonde الشقراء السمينة» التي صدرت ضمن ألبومها الأول عام 1967: «مرحبًا، أنا دوللي».. في أثناء انعطلة الصيفية التي تسبق الصيف الأول، كانت علاقة صداقة قد ربطت بين خالتي لوسي والسيدة درايفر بسبب شغفهما المشترك بالمغنية دوللي بارتون. وبينما كانتا تحتسيان الشاي المُحلى في غرفة الطعام، كنتُ وإيلين نجلس على الأريكة نشاهد أفلام الرسوم المتحركة، ولم نكن ندري حينئذٍ ماذا يمكن لإحدانا أن تطلق على علاقتها بالأخرى. ولكن بعد ظهر أحد الأيام، وصلت إلى مسامعنا كلمات تلك الأغنية التي انطلقت من مذياع السيدة درايفر. فنقرت إيلين برؤوس أصابع قدميها في اللحظة التي أطلقتُ فيها العنان لشفتيّ تهمهمان بألحانها، وقبل أن تبدأ دوللي «حتى في النطق بالكلمات، كنا ندور حول أنفسنا في دوائر ونغني بملء رئتيننا. ولحسن الحظ، كان حبنا المتبادل وشغفنا المشترك بدوللي بارتون قد صار أعمق من أن تربطه أغنية واحدة.



وقفتُ أنتظر إيلين أمام سيارة حبيبها من طراز الجيب، وكانت الشمس الساطعة في هذا الوقت تدفع بساقيّ إلى الأسفلت الساخن لساحة انتظار

السيارات الملحقة بالمدرسة. وفي محاولة لإخفاء شعوري بالحرَج، تطلعتُ إلى إيلين وهي تشق طريقها عبر باب الخروج، تتمايل يمينًا ويسارًا بين الزحام الذي يعقب انتهاء اليوم الدراسي.

إيل هي كل شيء لا أتصف أنا به. فهي طويلة القامة، شقراء الشعر، مع هذه المفارقة المستحيلة من الغموض والإثارة، التي لا تجدها سوى في الأفلام الرومانسية الكوميدية. كانت دائمًا تشعر بالراحة والرضا عن جسدها ومظهرها.

عجزتُ عن رؤية تيم، حبيبها، برفقتها، لكن لم يساورني الشك بأنه على بُعد خطوات قليلة خلفها وقد التصق أنفه بهاتفه الخليوي إذ يتابع أخبار جميع المباريات التي قد فاتته في أثناء اليوم الدراسي.

كان أول شيء ألاحظه في تيم هو الفرق بين قامته وقامة إيلين، فقد كانت إيلين أطول منه بخمسة سنتيمترات على الأقل، لكنها لم تُلقِ بالًا للأمر قط. وعندما أشرتُ إليها بهذا الفارق الطولي، علت وجهها ابتسامة خلابة زادت من حُمرَة وجنتيها حتى امتدت إلى رقبتها، ثم قالت: «أراه أمرًا لطيفًا، ألا تعتقدين ذلك؟».

انزلقت إيل واقفةً أمامي تلهث وهي تقول: «ستعملين الليلة، أليس كذلك؟». تنحنحتُ قبل أن أجيب قائلة: «بلى».

- ويل، لم يفت الأوان بعد لتجدي وظيفة صيفية في المركز التجاري. أسندت إيل ظهرها إلى سيارة الجيب، وهي تلتكز كتفي بكتفها، قبل أن تتابع: «برفقتي».

هزرتُ رأسي نافيةً وأجبت: «لكني أحب العمل لدى هاربيز». على الجانب الآخر كانت شاحنة ضخمة تقف على أحد المرتفعات، وإذا فجأة ازدادت سرعتها عابرةً جادة الطريق من أمامنا نحو مخرج السيارات.

- تيم!

صاحت إيلين.

شُلَّت حركة تيم تمامًا في منتصف الطريق قبل أن يُلوِّح إلينا، وقد كانت الشاحنة تندفع بجواره مباشرةً، لا يفصلها عن دهبه ومساواته بالأسفلت سوى بضعة سنتيمترات.

قالت إيل بنبرة عالية قد سمحت لي بالتقاط كلماتها: «بحق الله! هل تمزح؟».

وفي تلك اللحظة أدركتُ أنهما قد خُلقا لبعضهما.  
- شكرًا لك على التنبيه.

جاءت تلك العبارة على لسان تيم. الحقيقة هي أننا قد نكون في خضم غزو فضائيٍّ، ولن تزيد ردة فعل تيم على «رائع!».

بعدما قطع المسافة عبر ساحة انتظار السيارات، أودع هاتفه في جيب سرواله الخلفي وطبع قُبلة على شفتي إيلين. لم تكن قُبلة من هذا النوع البذيء الذي تنفرج فيه الشفتان قبل أن تبتلع إحداهما الأخرى، بل كانت أشبه بقُبلة رقيقة تعني «مرحبًا، لقد اشتقتُ إليك كثيرًا، ما زال جمالك طاغيًا مثلما كان عليه في موعدنا الأول».

انفلتت تنهيدة ملولة من بين شفتي. لو أنني أستطيع غض بصري عن كل الأحبة الذين يتبادلون القُبلة إلى الأبد، فأنا واثقة من أنني سأصير أكثر رضا عن حياتي وقبولًا لها بنسبة اثنين بالمئة على الأقل.

لا يعني هذا -بالطبع- أنني أشعر بالغيرة مما يحظى به إيلين وتيم، ولا يعني أيضًا أن تيم قد اختطف إيلين وأحال انتباهها عني، ولا يعني رغبتني في أن أوثر تيم لنفسه. لكنني أرغب فيما يمتلكانه. أرغب في شخصٍ يطبع على شفتي قُبلة ترحيب.

حوَلْتُ عيني عنهما إلى مضمار السباق الذي يحيط بملعب كرة القدم. وبذهنٍ شارد، سألتُ: «ما الذي تفعله هؤلاء الفتيات هناك؟».

كانت مجموعة من الفتيات تهرول راكضةً حول مضمار السباق في سراويل وردية قصيرة وسُترات ممائلة بلا أكمام.

أجابت إيلين: «إنه مخيم تدريب لأجل مسابقة الجمال، وسيستمر طوال الصيف. إحدى الفتيات في العمل قد التحقت به».

لم أحاول حتى أن أمنع عينيَّ اللتين دارتا في محجريهما. الحقيقة هي أن كلوفر سيتي لم تكن تشتهر بالكثير. فكل بضعة أعوام نحظى بفريق كرة قدم جيد بما يكفي حتى نفوز بالمباريات النهائية، وبين حينٍ وآخر يستطيع واحدٌ منا مغادرة المدينة ليصنع شيئًا يستحق الشهرة والتقدير. أما الأمر

الوحيد الذي يجعل بلدتنا الصغيرة تظهر على الخريطة هو أننا المنشأ الأول لأقدم مسابقة جمال في ولاية تكساس، حيث يعود تاريخ بدء مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت<sup>(1)</sup> إلى ثلاثينيات القرن العشرين، وازداد انتشارها عامًا بعد عام مثلما ازدادت سخافتها أيضًا. حريّ بي أن أعلم الكثير عن تلك المسابقة، لأن أُمي هي مَنْ ترأست لجنة التخطيط للمسابقة طوال الأعوام الخمسة عشر الماضية.

استلّت إيلين مفاتيح سيارة تيم من الجيب الأمامي لسرواله القصير قبل أن تجذبني لعناقٍ جانبيٍّ: «أتمنى لك يومًا جيدًا في العمل. ولا تدعي الزيوت والشحم تتناثر عليك أو تفعل بك أي شيءٍ آخر».

تحركت إيلين لتفتح باب كرسي السائق وصاحت إلى تيم على الجانب الآخر: «تيم، تمنّ لويل يومًا سعيدًا».

رفع تيم رأسه هنيهة وقد رأيتُ تلك الابتسامة التي تعشقها إيلين كثيرًا. ربما يلصق تيم وجهه بالهاتف معظم الوقت، لكنه عندما يبدأ في الحديث، حسنًا، يمكننا القول إن مثل هذه الابتسامة هي ما تجعل فنياتٍ مثل إيل يتمسكن بالبقاء برفقته.

- ويل، أتمنى أن تحظي بيومٍ سعيد.

وانحنى في احترامٍ حتى وصل رأسه إلى الخصر.

قلّبت إيل عينيها وهي تتطلع إلى المشهد من وراء عجلة القيادة، وتلوك قطعة من العلكة قد فذفتها إلى فمها حديثًا.

لوَحْتُ إليهما بالوداع، وكنتُ في منتصف الطريق إلى سيارتي حينما اندفعت سيارة الجيب بجانبي، وقد صاحت إيلين مجددًا بعبارات الوداع... إذ تصدح أغنية دوللي بارتون: «لماذا تأتي إلى هنا وأنت على تلك الحالة»<sup>(2)</sup> من مكبرات الصوت في السيارة.

(1) اسم المسابقة باللغة الإنجليزية هو: The Miss Teen Bluebonnet Pageant وهي مسابقة جمال حقيقية. (المترجمة)

(2) عنوان الأغنية: Why'd You come in Here Lookin' Like That. (المترجمة)



كان جوابي مصحوبًا بابتسامة فحسب. لم أكن في الواقع قد فكرتُ فيما يمكنني أن أقوله عندما تصل إلى هنا واقفةً أمامي، إلا أنني استعدتُ رباطة جأشي وقلتُ: «أهنتُك على حصولك على رخصة القيادة».

- يا إلهي، شكرًا لك. هذا لطفٌ منك حقًا.

وابتسمت مجددًا.

كنتُ أتابع باتريك توماس من خلف كتفها بينما كان يدفع بأصابعه نحو أرنبه أنفه فيجعلها تبدو مثل خَطْم خنزير.

استمعتُ إلى ميلي بينما كانت تحكي كل شيء عن تغييرها للإعدادات السابقة التي أجرتها والدتها لمذيع السيارة وتزويد السيارة بالوقود لأول مرة. لكن باتريك كان يلقي بجل اهتمامه عليّ. وقد كان من هذا النوع من الشباب الذي يجعلك تتمنى لو أنه لم يلحظ وجودك قط، ولكن لا فائدة تُرجى من محاولاتي حتى أكون غير مرئية بالنسبة إليه، فلا يمكنك إخفاء فيل.

ظلت ميلي تتحدث لبضع دقائق أخرى قبل أن يستسلم باتريك وأصدقائه أخيرًا وينفضوا مبتعدين عن سيارتها. وإذا كانت تسرد بقية الحكايات ظلت تُلوّح بيديها هنا وهناك مشيرةً إلى الشاحنة المائلة خلفها.

- أعني أنهم لا يُعلّمونك كيف تزودين السيارة بالوقود في أكاديمية تعليم القيادة، وبالتأكيد...

فقاطعتها: «أعذر منك للغاية، ولكنني سأتأخر عن العمل».

أومأت ميلي في تفهّم فأضفتُ: «ولكن مبارك لك مجددًا».

تابعتها بينما كانت تسير نحو سيارتها. وقبل أن تُخرج السيارة من موقف الانتظار الخاص بها، أعادت تهيئة جميع المرايا، في وسط ساحة الانتظار شبه الخالية.

\*\*\*

صففتُ سيارتي خلف مطعم هاريز بيرجرز & دوجز، متجاوزة نافذة البيع الخارجية لخدمة طلبات السيارات، ودققتُ جرس الباب الخلفي. لم أتلقَ جوابًا في المرة الأولى، فأعدتُ طرق الباب ثانيةً بينما كانت شمس تكساس الحامية تلهب مقدمة رأسي.

وقفتُ منتظرةً وأنا أطلع إلى الرجل غريب المظهر بقبعة الصيد المقززة خاصته، وسُترته الداخلية المتسخة، بينما كان يتجاوز نافذة البيع ويُملي طلبه المحدد بكل تفاصيله حتى يصل إلى عدد حبات المخمل التي يود تناولها في شطيرة اللحم خاصته. أتى صوتٌ بشريٌّ من مكبر الصوت بإجمالي فاتورته. وفي تلك الأثناء، وقعت عيناه على آخر شخص يود أن يكون مرثياً... أزاح نظاراته الشمسية ذات الظلال البرتقالية إلى أرنبة أنفه، وبمنظرة مأكرة قال: «مرحباً يا ذات الأرداف الجميلة».

استدرتُ بسرعة للجهة الأخرى وأحكمتُ قبضتي على أطراف فستاني حول فخذي بينما ألكم جرس الباب أربع مراتٍ متتالية. فقد كانت معدتي تُصدر صيحات الاستغاثة والغثيان.

لستُ مضطرة إلى ارتداء الفساتين في العمل. لذلك دائماً ما يكون خيار السراويل متاحاً أيضاً. ولكن الخصر المرن للسراويل المطاطية الضيقة ليس مرناً بما يكفي ليناسب فخذي مهما يكن القياس. ولذلك أميل إلى إلقاء اللوم على السراويل. لا أود أن أعتقد بأن فخذي مصدر إزعاج، بل أراهما ملكية ذات منفعة. لنرى، لو كنا في العام 1642<sup>(1)</sup> مثلاً، لكانت فخذي العريضان جديرتين بالفوز بقطيع من البقر أو شيء كهذا.

انفتح الباب أخيراً وكل ما سمعته هو صوت بوو وهو يقول: «لقد سمعتكِ في المرات الثلاث الأولى».

كان الخدر ينخر عظامي. وعجزتُ عن رؤية بوو إلا بعدما انفتح الباب أكثر فأكثر ليسمح بمروري خلاله. لامس وجهه ضوء النهار فتشربَّ بالحُمرة، وقد تناثرت شعيرات خفيفة على ذقنه ووجنتيه، شعار الحرية كما يقولون. ففي وقتٍ مبكر من هذا الأسبوع، قررت مدرسة بوو الكاثوليكية الفاخرة ذات قواعد الملبس الصارمة أن تلفظه خارجها.

وفي اللحظة التي انفجرت فيها مكابح السيارة من خلفي أمام نافذة البيع للانطلاق، اندفعتُ أنا مسرعةً إلى الداخل. استغرقت عيناى بضع ثوانٍ حتى تعتادا الضوء الخافت. ثم قلتُ: «أعتذر عن التأخير، بوو».

---

(1) في هذا العام قامت الحرب الأهلية الأولى في أمريكا، وتقصد الراوية أن ضخامة جسدها لتكون نعمة في ذلك الوقت نظراً لموت الكثيرين بسبب الحرب مما تطلب نساءً قويات البنية للمشاركة في الحرب. (المترجمة).

«بوو»، تلك الكلمة ذات المقطع الواحد يتردد صداها في صدري وأنا أحب ما تتركه من ترانيم بداخلي. أحب نهايات الأسماء القصيرة، هذا النوع من الأسماء الذي يصرخ إليك مُعَبِّرًا عن نفسه: «أجل، أنا واثقٌ بنفسِي».

اشتعل لهيبٌ بداخلي إذ فجأةً، وشق طريقه منتشرًا في أنحاء جسدي حتى تشرَّبت وجنتاي بالحُمرة. رفعتُ إحدى يديَّ أتَحسس خط الفك حين شعرتُ بقدميَّ تذوبان في الأرض الخرسانية مثلما تغوصان في الرمال الناعمة.

أما الحقيقة فهي: لطالما كنتُ أشعر بهذا الانجذاب الغشيم نحو بوو منذ الوهلة الأولى التي التقينا فيها. كان شعره البُنِّي غير المُهْنَم قد تبعثر في فوضى مثالية فوق رأسه. وبدا سخيْف المظهر في ثوبه الأحمر والأبيض... مثل دُبٍّ في إزار قصير، والأكمام الضيقة من قماش البولستر المرن التي تنسدل مغلفةً ذراعيه. أعتقد أنه ربما كان هناك الكثير من الأمور المشتركة بين عضلات ذراعه وفخذيَّ. باستثناء القدرة على رفع الأثقال التي يتفوق بها بوو. ومن أسفل ياقة قميصه التحتيَّ تظهر سلسلة فضية رقيقة قد عانقت رقبتَه، وهناك تلك الحُمرة الصناعية التي تغطي شفثيه بفضل مؤنثته اللانهائية من حلولى المصاصات الحمراء.

مدَّ بوو إحدى ذراعيه تجاهي، بإيماءة بدت كما لو أنه سيعانقني. فأخذتُ نفسًا عميقًا حتى تهدأ ضربات قلبي المتلاحقة. ثم أطلقت العنان لأنفاسي في روية وهدوء، بينما كان جسده يتمدد بجواري ليدير القفل في باب التسليم. ثم قال: «إن رون مريض اليوم، لذلك لا يوجد اليوم عدا أنا وأنتِ وماركوس وليديا. وأعتقد أنها قد تورطت في أعمالٍ ضعف أعمالها اليوم، لذلك كما تعلمين، احذري مزاجها اليوم».

- شكرًا لك. أعتقد أن عامك الدراسي قد انتهى، صحيح؟

- أجل، لا مزيد من الصفوف الدراسية.

- يعجبني أنك تقول الصفوف الدراسية بدلًا من المدرسة. كما لو أنك طالبٌ جامعيٌّ، تذهب للدراسة مرتين يوميًا في الفترة التي تتخلل أوقات الكسل والنوم على الأريكة و...

حينها تداركتُ نفسي واكتفيتُ بجملة سريعة: «سأذهب لتوضيب أغراضي». أطبق شفثيه معًا وقد ظهر عليهما شبحُ ابتسامة، حين أجاب: «بالتأكيد». شققتُ طريقَي نحو غرفة الاستراحة ووضعتُ حقيبتَي في خزانتي الصغيرة.

ما حدث بيني وبين بوو من حديث قصير لا يعني أبدًا أنني لا أستطيع التحدث بلباقة أو شيئًا كهذا، كل ما في الأمر أن ما يخرج من فمي أمام بوو لارسون لا يرتقي حتى إلى مرتبة الإسهال الكلامي. بل أقرب ما يكون للسيلان الكلامي، وهو أشد الأمرين سوءًا. ففي المرة الأولى التي التقينا فيها عندما كان موظفًا جديدًا بعد، مددتُ يدي إليه قائلة: «أنا ويلودين، أمينة الخزينة، مُحبة لدوللي بارتون، وفتاة المكان البدينة».

انتظرتُ جوابه، لكنني لم أتلَقَ شيئًا، فتابعْتُ في حرج: «أعني، أن هذه أمور من بين جملة أمورٍ أخرى. ولكن...».

- بوو.

كان صوته قاتمًا، لكن شفثيه تكورتا في ابتسامة لطيفة قبل أن يتابع: «اسمي هو بوو».

والتقط يدي الممتدة مصافحًا إياي، فانفجر شريطٌ من الذكريات التي لم أصنعها قط أمام عيني. أنا وبوو مُتشابكا الأصابع نُشاهد فيلمًا في قاعة السينما، أو نتجول في الشارع بلا هدى، أو نقود السيارة في نزهة. ثم أفلت يدي.

في تلك الليلة عندما استرجعتُ مشهد تعارفنا مرة وراء مرة، أدركتُ أنه لم يجفل أو يتراجع عندما أطلقتُ على نفسي لفظة بدينة. وقد أعجبتني ردة فعله.

كلمة بدينة تصيب الناس بالإزعاج. ولكن عندما تراني، فإن أول ما ستلاحظه هو جسدي. لأنني أمتلك جسدًا بدينيًا، تمامًا مثلما ألحظ أن بعض الفتيات يملكن نهودًا مملوءة أو شعرًا لامعًا أو رُكبةً عقدية بارزة. بالتأكيد هذه أشياء لا تشعر بالانزعاج عندما تُقال. ولكن كلمة بدينة -أفضل الكلمات التي يمكن لأحدهم أن يصفني بها- تجعل الأفواه تفتق ابتسامتها وتُحيل حُمره الوجه إلى شحوب.

ولكن في النهاية هذا ما أنا عليه، أنا بدينة، ولا أراها كلمة نابية. لا أراها سُبَّةً في حقي. على الأقل لا تكون كذلك حينما أنطق أنا بها. ولذلك أتساءل دائمًا لماذا لا أقولها وأُنهي الحرج؟

\*\*\*

## الفصل الثاني

انهمكتُ في تنظيف الطاولات حين اقتحم المكان شابان برفقتهما فتاة. كانت وتيرة العمل هادئة حتى كنتُ على وشك إزالة الطلاء وتجديده بفعل الملل. ولذلك عندما دخل الشباب الثلاثة، سألتُ دون التطلع إليهم: «ماذا أحضر لكم جميعاً؟».

- بوو! مركز الدفاع المحوري لفريق هولي كروس بولدوجز! هكذا صاح الشاب على الجانب الأيمن بصوت مُعلّق المباريات وقد تكورت راحتا يديه أمام فمه لتكبير الصوت. وعندما تأخر بوو في الظهور إلى الساحة، هتف كلا الشابين باسمه الأول مرارًا وتكرارًا: «بوو! بوو! بوو!».

أما الفتاة التي وقفت بينهما فكانت تُقلّب ناظريها يمينًا ويسارًا. وفي تلك اللحظة، صاح ماركوس: «بوو! اخرج إلى هنا حتى يصمت أصدقاؤك». استدار بوو حول الزاوية بينما كان يحشر مؤزره في جيب سرواله الخلفي. ووقف أمام أصدقائه عاقدا ذراعيه أمام صدره المنتشي، ثم قال: «مرحبًا، كولين».

وأوماً إلى الفتاة، ثم تابع: «أمبر! روري!». استند بظهره إلى الطاولة خلفنا، وقد اتسعت المسافة بينه وبين أصدقائه عن ذي قبل. ثم قال: «ما الذي تفعلونه في هذه المنطقة من المدينة؟». أجاب كولين: «رحلة ميدانية».

نظّف بوو حلقه، لكنه لم ينطق شيئًا. فقد كان التوتر بينه وبين أصدقائه يتصاعد في كل ثانية تمضي.

وبحركة ديناميكية، فحص الشاب الآخر روري -على ما أعتقد- قائمة الطعام على الطاولة. ثم وجّه حديثه إليّ: «هل لي بشطيرتي نقانق؟ مع المُستردة والتوابل فقط».

- أجل، بالتأكيد.

ضربتُ على أزرار الحاسوب لإدخال الطلب، وقد حاولتُ جاهدةً ألا أدع عينيَّ تجوبان هنا وهناك.

- لقد مضى وقتٌ طويل.

هكذا علّقت آمبر.

ولكن أيعقل هذا؟ هناك أكثر من ثلاثين طالبًا في كل صف من صفوف التخرج في مدرسة هولي كروس.

اتكأ كولين بذراعه على كتف آمبر، وقال: «لقد افتقدناك في الصالة الرياضية. أين كنت طوال هذا الوقت؟».

أجاب بوو، وكان جوابًا مقتضبًا: «في الأرجاء».

حينها قررتُ التدخل في الحوار من صعيد آخر، فسألتُ: «هل تريد مشروبًا إلى جانب الطلب؟».

أجاب روري: «أجل».

ودفع بورقة نقدية بقيمة خمسين دولارًا على الطاولة. فأوضحتُ: «لا يمكنني منحك فكة لأي مبلغ يزيد على عشرين دولارًا».

وأشرتُ إلى اللافتة ذات الخط الصغير الملصقة أمام مكتب الخزينة. فقال كولين: «بوو، كل ما أملكه هو بطاقتي الائتمانية. هل يمكنك أن تُسدي معروفًا لروري وتوفّر له بعض النقود الفكة؟».

لوهلة بدت وكأن الزمن معها يطول، كان الصمت القاتل قد خيم على الأرجاء. غير أن بوو قد قطعه بتعليق أثار حفيظة التوتر القائم بين الجميع: «لا أحمل محفظتي معي الآن».

ابتسم كولين في تكلف. أما آمبر -تلك الفتاة المذهلة ذات العينين النضرتين اللتين تتجولان هنا وهناك- فقد مدت يدها إلى جيب سروالها، وأخرجت ورقة نقدية من فئة عشرة دولارات وألقت بها على مكتب الخزينة.

أجريتُ الحساب، وقدمتُ إليهم المبلغ المتبقي، ثم قلتُ موجهةً الحديث إلى روري: «سيكون طلبك جاهزاً في الحال».

مال كولين برأسه نحوي. ثم سأل: «وأنتِ ما اسمكِ؟».

«تحتُ شفتيّ المطبقتين لأجيب، ولكن...

- ويلودين. اسمها هو ويلودين.

خرجت تلك الكلمات من فم بوو، ثم تابع: «عليّ العودة إلى العمل».

واتجه نحو المطبخ، ولم يتكلف حتى عناء الالتفات إلى أصدقائه عندما تعالى صياحهم وندائهم باسمه لكي يعود إليهم مجدداً.

قالت أمبر: «يعجبني مظهر اللحية على وجهك. إنها تناسبك».

لكن بوو كان قد رحل فلم تصل كلماتها إلى مسامعه.

صرتُ وحدي برفقة الأصدقاء الثلاثة وحينها عكفت أمبر على التحديق إليّ من رأسي حتى أخمص قدمي، فاندحسرت ككتفاي في رجة.



حين وصلتُ إلى المنزل بعد الدوام، تجولتُ حوله حتى وصلتُ إلى باحته الخلفية ودلفتُ البيت من الباب الزجاجي الزجاجي. كان قفل الباب الأمامي عالقاً منذ سنوات. وكانت أُمّي تقول دائماً إننا بحاجة إلى إحضار الفني لإصلاحه، لكن خالتي لوسي كانت دائماً ما تجيب أن الباب العالق هو عذرٌ مثاليٌّ مقبول حتى لا نُضطر إلى إجابة الطارق ورنين الجرس. أما أنا فقد تحيزتُ إلى الاتفاق مع خالتي.

عندما دخلت البيت، كانت أُمّي تجلس إلى طاولة المطبخ تتناول العشاء، وهي لا تزال مرتديةً زي التمريض، وقد ارتكز شعرها الأشقر معقوصاً فوق رأسها، تشاهد الأخبار على جهاز تلفازها المحمول. لفترة طويلة بقدر ما أتذكر، اعتادت أُمّي دائماً أن تشاهد برامجها المفضلة هنا في المطبخ لأن خالتي لوسي كانت دائماً تجلس على الأريكة في غرفة المعيشة. أما الآن وقد مضى ستة أشهر على جنازة لوسي، لا تزال أُمّي تشاهد برامجها المفضلة هنا في المطبخ أمام تلفازها المحمول.

كانت تهز رأسها في حزنٍ أمام مذيعي النشرة الإخبارية، حينما قالت:  
«مرحبًا، دمبلين<sup>(1)</sup>! العشاء في الثلاثة».

ألقيتُ بحقيبتَي على الطاولة، وأحضرتُ الطبق المُغلف بالبلاستيك من  
المُبرّد. أعلنتُ الأيام الدراسية الأخيرة عن بدء موسم الاستعدادات لمسابقة  
الجمال، مما يعني أن والدتي تتبع الآن حمية غذائية. وعندما تتبع أُمي حمية  
غذائية، فهذا يعني أن جميع من في المنزل سيَتبعون الحمية نفسها. مما يعني  
أن العشاء هو سُلطة خضراء إلى جانب قِطع من صدور الدجاج المشوي. كان  
لخطط العشاء أن تكون أسوأ من هذا حتمًا، فقد كانت أسوأ من ذلك قبلاً.  
أصدرت أُمي صوت قرقرة بلسانها قبل أن تُعلّق: «هناك القليل من رذاذ  
الزيوت على جبهتك. أنتِ لا تأكلين ذاك الطعام المملوء بالشحوم الذي تبيعيه،  
أليس كذلك؟».

- تعلمين جيدًا أنني لا أشتهي البرجر والنقانق، إلى هذا الحد.

لم أتأفف من تعليقها. رغبتُ في ذلك، لكن أُمي ستسمعني. لا يهم كثيرًا  
مدى الضوضاء التي يصدرها التلفاز، إنها تسمع دبيب النمل إن أردتُ التشبيه.  
قد نكون بعد عامين من الآن، وقد أكون في طريقي إلى الجامعة في مدينة  
أخرى على بُعد مئات الأميال، وستظل أُمي بإمكانها أن تسمع تأففي على بُعد  
تلك المسافة بأكملها، وستهاقني لتقول: «والآن، دمبلين، تعلمين أنني أكره  
سماعكِ تتأففين. ليس هناك شيء يجعل امرأة شابة أقل جاذبية سوى كونها  
امرأة مستاءة».

وبقدر معرفتي أعتقد أن ثمة الكثير من الأخطاء في هذه العبارة.

جلستُ إلى الطاولة وشرعتُ أسكب التوابل والصلصة على طبق السلطة  
أمامي، لأن أهم ما يوجد على هذه الأرض هي صلصة الرانش.

عقدت أُمي ساقيها وتطلعت من كتب إلى أظفار قدميها الممددتين،  
لتفحص بقايا الطلاء على أظفارها. ثم قالت: «كيف كان العمل اليوم؟».

---

(1) دمبلين: هو التعريب لكلمة «Dumplin»، وهي كلمة تعني الفتاة البدينة وتعني أيضًا  
الفتائر المُحلاة (الزلاية) وقد استخدمتها الكاتبة هنا اسم علم أطلقتته الأم على الفتاة  
حتى تحولت الصفة إلى اسم، لتعرب عن البُعد اللفظي والمعنوي للكلمة. (الترجمة).

- كان جيدًا. وكان هناك رجلٌ يقف بسيارته أمام نافذة البيع يتحرش بي بعينه. وقد دعاني بذات الأرداف الجميلة.
- أووه. حسنًا، إن فكرت في الأمر ستجدين أن هذا نوعٌ من الغزل. هكذا أجابت أمي، وقبل أن تتابع بادرْتُها: «أمي، ما بالك؟ كلا، هذا تعليقٌ مقزز».
- ضغطتُ زر الاستقبال وأغلقت التلفاز. ثم استقبلتني بوجهها وأضافَتْ: «صغيرتي، صدقيني عندما أقول إن سوق الرجال تتضاءل أمامك كلما تكبرين. بصرف النظر عن مظهركِ الرائع وعنايتكِ بشبابكِ».
- لم يكن هذا تصوري عن المحادثة التي أرغب في خوضها مع أمي. لذلك تجاهلتُ الأمر وقلتُ: «كان رون متغيّبًا اليوم بسبب المرض».
- بُورك قلبه.
- ثم ضحكت قبل أن تتابع: «تعلمين أنه كان مفتونًا بي عندما كنا في المدرسة الثانوية».
- منذ أن بدأتُ العمل في هذه الوظيفة، وأنا أستمع إلى الأمر نفسه مرة واحدة أسبوعيًا على الأقل. إلا أنني عندما تقدمتُ إلى الوظيفة في عطلة عيد الشكر، أخبرتني لوسي أنها دائمًا ما كان يساورها الشك بأن حقيقة الأمر هي النقيض تمامًا. وأن أمي هي مَنْ كانت مفتونة بـ«رون». لكن الطريقة التي تسرد بها أمر المعجبين، تجعلك تعتقد أن كل رجلٍ في المدينة كان مفتونًا بها.
- الجميع يرغبون في اقتناء ملكة جمال المراهقات في كلوفر سيتي.
- هكذا أُسرَّت إلينا في إحدى الليالي بعد عِدَّةٍ لا بأس به من كؤوس النبيذ.
- كان التتويج في مسابقة الجمال هو أعظم إنجازٍ قد حققته أمي في حياتها، إنجازها الوحيد. ولا يزال مقاسها ملائمًا لفستان التتويج، تلك الحقيقة التي لا تسمح لأحدٍ أن يغفل عنها. وبصفتها رئيسة لجنة مسابقة الجمال والمضيفة الرسمية لها، فإنها تأخذ على عاتقها مسؤولية الحفاظ على ملاءمة جسدها لفستان التتويج وإعادة الظهور به كل عام إرضاءً لجميع معجبيها وعُشَّاقها.
- شعرتُ بثقلٍ ناعم على مقدمة قدمي، فإذا به قِط لوسي الذي أطلقت عليه اسم «ريوت». حككتُ أصابع قدمي بيدي، فندت عنه خرخرة قبل أن يعود إلى النوم على الأرض بجانبِي.

قلتُ: «رأيتُ اليوم مجموعة من الفتيات وقد التحقن بشيء أشبه بمخيم تدريب للمسابقة بعد اليوم الدراسي».

ابتسمت أُمي في فخر، ثم أجابت: «ماذا أقول لك. إن المنافسة تزداد شراسة عامًّا بعد عام».

- وماذا عنكِ أنتِ؟ كيف كان يومكِ في العمل؟

أجابت وهي تتصفح دفتر حساباتها، وتُمسد صدغيها: «كما تعلمين، أحد تلك الأيام الثقال».

ثم تابعت: «لقد فقدنا إيونيس اليوم».

- يا إلهي، كلا. أنا أسفة لخسارتكِ، أُمي.

لمرة واحدة في العام -مثل سندريلا- تزدهر حياة أُمي بالأضواء والرفاهية. كان هذا هو نوع الحياة التي توقعت أُمي أن تحياه. أما بقية العام، فقد كانت تعمل ممرضةً في دار رعاية العجائز بيونا فيستا رانش، حيث تمارس جميع أعمالها الغريبة مثل توزيع حصص الدواء اليومية وإطعام العجائز وتنظيف أجسادهم وتحميمها. وكانت إيونيس واحدة من العجائز المفضلات لدى أُمي. فقد كانت دائماً ما تخلط بين أُمي وإحدى شقيقاتها، وتهمس إليها بأسرار الطفولة في كل مرة كانت تجلس إليها أُمي لمساعدتها.

- تناولتُ الحلوى الشهية بعد الغداء، ثم أغلقت عينيها.

هزت أُمي رأسها في غير تصديق، ثم تابعت: «تركتها جالسةً على كرسي الطعام هنيهةً لأنني اعتقدتُ أنها قد غفت».

لكن أُمي لم تكمل القصة، بل نهضت عن كرسيها وطبعت قُبلة على جبھتي ثم قالت: «سأذهب للنوم، دمبلين».

- تصبحين على خير.

قلتها ثم انتظرتُ سماع صوت باب غرفتها ينغلق خلفها، قبل أن أُلقي بعشائي في صندوق القمامة أسفل واحدة من تلك الصحف المجانية. ثم جلبتُ حفنة من البسكويت المملح وعلبة صودا، قبل أن أركض صاعدةً إلى غرفتي. وإذا مررتُ بباب غرفة لوسي المغلق، تلكأت خطواتي هنيهة، وسمحت لأطراف أناملِي أن تلامس مقبض الباب المغلق.

\*\*\*

## الفصل الثالث

- أعتقد أنني راغبةٌ في ممارسة الحب مع تيم هذا الصيف.

كانت تلك كلمات إيلين، بينما كانت ترفع مكعب جُبِنٍ من صينية غدائها وتُدفع به إلى فمها. الحقيقة هي أن إيل كانت «تُفكر» في ممارسة الحب مع تيم في كل يوم جمعة طوال العام الماضي. فقبل بداية كل عطلة أسبوعية، كنا نناقش بكل جدية في المزايا والعيوب التي ستنتج عن ممارسة إيلين وتيم للحب أخيرًا.

- هذا غريب.

لم أرفع عيني عن مفكرتي. ليس لأنني صديقة سيئة، ولكننا قد خضنا تلك المحادثة آلاف المرات. إلى جانب أن اليوم هو اليوم الدراسي الأخير، وما زال أمامي اختبارٌ نهائيٌّ أخير. لذلك انشغلتُ في محاولة تكديس المعلومات في ذهني، أما إيل، فقد أنهت جميع اختباراتِها النهائية.

كان فمها مملوءًا بحبات الجوز المُعلبة، لكنها تمكنت من النطق بكلمات واضحة: «لماذا تريئه غريبًا؟».

- أولًا اختبريني في هذه المعلومات.

دفعْتُ ببعض حبات العنب إلى فمي، وناولتُ إيل كتابي الذي يُحلل أجهزة الحكومة. ثم تابعتُ: «أراه غريبًا لأن هذا ليس حفل زفاف. عندما تقررين فعله، فستقولين: «يا إلهي، كم أحب ألوان الصيف. سأحدد الموعد هذا الصيف حتى يُمكنني أن أنسق ملابسي التحتية مع أكثر الفصول تفضيلًا لي»، بل يجب أن يكون السبب وراء فعلك الأمر هو رغبتك فيه».

قَلْبْتُ إيل عينيها كعادتها ثم قالت دون أن تدخر جهدًا لإبداء تمثيلها المسرحي: «ولكن الصيف هو وقت التحول والتغيير. ويمكنني العام القادم أن أعود إلى المدرسة امرأة مكتملة ومُشبعة».

قَلْبْتُ عيني بدوري تأفّفًا من الحديث. حسنًا، أنا أكره الحديث عن الأمور لمجرد الحديث دون الفعل. فإن كانت إيل عازمة حقًا على المُضي في الأمر، فسأزحف على رُكبتَيّ عابرةً من أسفل الطاولة وسنتحدث بانتباهٍ وتركيز عن كل تفصيل في الأمر. لكنها لم تعزم قط على أخذ خطوة في الأمر. ولا يمكنني أن أتفهم: كيف لها أن تتحدث عن احتمالية ممارسة الحب بهذا القدر دون فعل. عندما لاحظت إيل أنني لم أبتلع الطّعم، ومن ثم تجاهلتُ الخوض في الأمر، أطرقت بعينيها إلى الورق على الطاولة وقالت: «أجهزة الحكومة الثلاثة؟». أجبتُ: «تنفيذية وتشريعية وقضائية».

ثم قررتُ أن أمنحها بعض فتات الحديث، فأضفتُ: «بالإضافة إلى أن ممارسة الحب لا تجعل منك امرأة مكتملة أو مُشبعة. هذا كلامٌ مبتذلٌ للغاية. إن كنتِ ترغبين في ممارسة الحب، مارسي الحب، ولكن لا تُبالغِي من قيمته. لأنكِ بتلك الطريقة تجعلين نفسك عرضة للإحباط».

غاصت إيل في مقعدها وقد انكمشت كتفها وقطُب حاجباها، ثم سألتُ: «كم عدد أعضاء مجلس الشيوخ ونواب البرلمان في الكونجرس؟».

- أربعمئة وخمسة وثلاثون عضوًا ومئة نائب.

فعلّقت إيل: «كلا، ولكن صحيح. لقد خاطبتُ العديدين ببعضهما بعضًا». - حسنًا.

وبعدما أعدتُ إجابتي الصحيحة بصوتٍ خافت أضفتُ: «ولا يهم أي وقتٍ من العام ما دمتِ تشعرين بأنه الوقت المناسب، أليس كذلك؟ أعني أن فصل الشتاء رائعٌ أيضًا، لأنك عندها ستقولين: يا إلهي، إن الجو قارس البرودة. أنا بحاجة إلى الشعور بحرارة جسده».

دفعتها كلماتي إلى الضحك أخيرًا، ثم أردفتُ: «أجل، أجل. أنتِ على حق». لا أريد أن أكون على حق، بل أريد ألا تمارس إيل الحب قبلي. ربما بدت رغبتي أنانية، ولكني لا أدري حقًا كيف لي أن أتعامل مع أمرٍ قد حظيت هي به ولم أحظُ أنا به بعد. أعتقد أنني أتوجس خيفةً من أن أفقد القدرة على أن

أكون صديقتها في هذا الأمر. أعني أن ممارسة الحب هي أمرٌ جَل، فكيف لي أن أبحر معها في الحديث عن أشياء لم أعلم عنها شيئاً قط؟

لقد أردتُ أن أنصحها بالانتظار. ولكن إيل وتيم يتواعدان منذ ما يقرب من العام ونصف العام، ولا تزال إيل تشعر بالخجل في كل مرة تتحدث فيها عنه. لا أدري كيف يمكنني قياس الحب ومقداره، ولكن يبدو أن هذه نقطة جيدة للبدء منها. ولا أدري إن كنتُ سأطلب منها الانتظار لأي سبب آخر سواي.

كنتُ أطلع إلى مفكرة المراجعة، حين عبرت ميلي الممر بين الطاولات، حاملةً صينية ملاءى بالطعام، ومن خلفها ليس ببعيد، كانت تتبعها صديقتها المُقرَّبة أماندا لومبارد. كان الثنائي ميلي وأماندا معاً يشكلان هدفاً ضخماً متحركاً يناديك بأعلى صوته أن «اسخروا منا الآن».

كانت ساقا أماندا غير متوازنتين، ولذلك فقد كانت تنتعل أحذية سميكة لتصحيح حركتها مما جعلها تبدو مثل فرانكنشتاين. (على الأقل هذا هو رأي باتريك توماس). فعندما كنا أطفالاً صغاراً ولم تكن قد حظيت بأحذيتها التصحيحية بعد، كانت أماندا تقفز هنا وهناك مما يجعل فخذيهما تتأرجحان لأعلى وأسفل مع كل خطوة. لم تبدُ منزعة مما يحدث معها، لكن رضاها لم يُحجم الناس عن التحديق إليها. أما وإن عدنا إلى اللقب الذي أطلق عليها، فالحقيقة هي أنه سخي، تماماً إذا ما فكرت في الأمر. لأن فرانكنشتاين، في الواقع، كان الطبيب وليس الوحش.

لوَّحت إليّ ميلي، فرفعتُ يدي بسرعة لرد التحية حين كانت تعبر بجانبنا. ضحكت إيل في تكلف وقالت: «صديقة جديدة؟».

رفعتُ كتفي في غير اكتراثٍ، وأجبتُ: «أشعر بالحزن لأجلها أحياناً».

- تبدو فتاةٌ سعيدة في رأيي.

تركت إيل تعليقها ثم طرحت عليّ القليل من الأسئلة الدراسية بينما كنا نُنهي غداءنا. فقالت: «ما هو النظام المعمول به فلا يتسنى لأي جهاز من أجهزة الحكومة أن يصير ذا نفوذ أعلى من غيره؟».

- نظام الضوابط والموازن.

- إذا أخبريني كيف كان العمل ليلة أمس؟ كيف كان حال طالب المدرسة الخاصة؟

كنتُ أعبتُ بالسلك المعدنيّ الطليق من إطار مفكرتي، ولويته حول إصبعي، وأجبتُ: «كان جيدًا».

ثم تطلعتُ بعينين خجولتين إلى صينية غذائي وأضفتُ: «إنه شابٌ جيد». لقد أردتُ أن أحكي لها عن أصدقائه الحمقى وعن شعر لحيته الذي استطال مؤخرًا، غير أنني لم أكن واثقة إن كنتُ سأتمكن من البوح دون أن أبدو مثل فتاةٍ حمقاء مهووسة تحتفظ بقصاصات أظفاره في مرطبان زجاجيٍّ أسفل الفراش. ليلة أمس اضطررتُ إلى نقل سجل الكاشير ثلاث مرات لأنه ظل يتجول حولي.

قالت إيل: «أنا أحب متجر سويت 16 وكل ما فيه، ولكنني أشعر بالغيرة قليلًا لأنك تعملين مع شبابٍ أيضًا».

وألقت بثمرة الجزر نصف المأكولة في حقيبة الطعام البلاستيكية وأحكمت إغلاق السحاب ثم تابعت: «ما زلتُ لا أصدق أننا لا نعمل معًا».

لن تنسى إيل مطلقًا أنني تسببتُ في تخريب خطتنا للعمل بعد اليوم الدراسي عندما تقدمتُ إلى العمل في هاربيز. ولكن إن لم تدرك هي بحذقها أنني لم أرغب حقًا في العمل لدى متجرٍ لا تصلح الملابس فيه لمقاساتي نهائيًا، عندئذٍ لا أرغب أنا في إزعاج نفسي بتوضيح الأمر إليها.

خرجتُ عن شرودي أخيرًا، وسألتُ: «لماذا تهتمين بالعمل مع شبابٍ آخرين؟ أنتِ من قلتِ للتو إنكِ ترغبين في التقدم في علاقتكِ مع تيم».

تجاهلتُ إيل الجواب عن سؤالِي واكتفتُ بجوابٍ مبهم: «كل ما في الأمر أن العمل سيكون مُمتعًا».

أنهينا غداءنا، واتجهتُ إلى فصلي الدراسي لإنهاء الاختبار النهائي في مادة الحكومة. وكان هذا كل شيء. لقد انتهى الصف العاشر<sup>(1)</sup> أخيرًا. وكانت ساحة انتظار السيارات تعج بكل الهاتفات البدائية وصراخ إطارات السيارات من احتكاكها بالطريق. أما أنا فقد فقدتُ هذا الشغف، الشعور بالتقدم في الحياة. وبدلاً من ذلك، شعرتُ بأنني عالقة في الفراغ أنتظر حياتي الخاصة لتبدأ.

\*\*\*

---

(1) المقصود به: الصف الأول الثانوي. (المترجمة).

## الفصل الرابع

كانت سيارة أُمي تصطف أمام المدخل عندما وصلتُ إلى المنزل في اليوم الدراسي الأخير لهذا العام. نسالتُ بسيارتي إني مصف الانتظار، سحبتُ المكابح اليدوية، ثم استندتُ برأسِي إلى الكرسي. كم أحب سيارتي. أطلقتُ عليها اسم جولين، كانت من نوع بونتياك جراند بريكرس، حمراء اللون من طراز عام 1994. وكانت خالتي لوسي قد أهدتني إياها.

في الداخل تتبعت صوتَ حفيفٍ حتى غرفة نوم لوسي، حيث كانت أُمي تهتز يمينًا ويسارًا بردائها ذي اللون الأخضر الباهت. أما السبب الذي جعلني أُنحها لقب الأخضر الباهت هو تصميم أُمي على ارتداء البزة الرياضية نفسها التي قد أهداها إياها صديقٌ سابق قبل ستة أعوام. كانت تطلق عليها اسم «ملايس النوم»، وكانت تلك البزة هي أعلى ممتلكاتها ثمنًا، بالطبع تأتي في المرتبة الثانية بعد التاج الذي ارتدته في أثناء مسابقة ملكة جمال المراهقات.

- لقد عدتُ...

خرجت الكلمات وفي إثرها ذبرة فزع. اتضح أثرها في عبارتي التالية: «ما الذي تفاعينه هنا؟».

استوت أُمي في وقفاتها وأخذت أنفاسًا عميقة وهي تدفع خصلات شعرها المتساقطة على جبهتها بهواء رثيها. كان وجهها قد اكتسى بحُمرة شديدة من أثر الحرارة وغُرَّة شعرها الشَّراء المنسدلة على جبهتها قد جعلت حول نفسها. أجابت: «أحضرتُ بار الجناز الجرة التي طلبتها أخيرًا، ولذلك اكتفيتُ اليوم بالعمل لنصف الدوام. وفكرتُ في العودة إلى المنزل والبس في كل هذا».

ألقيتُ بحقيبة ظهري في الردهة بين الغرف وأخذت بضغ خطواتٍ داخل الغرفة. ثم سألتُ: «البدء في ماذا؟».

وثبتت أُمِّي إلى الفراش، بجانب كومةٍ من الثياب المنزلية المغسولة والمُعاقَّة على مشاجب لوسي المغطاة بخيوط الغزل. أجابت أخيرًا: «حسنًا، إنني أنظف أغراض لوسي وحاجياتها، كما تعلمين. يا إلهي، لقد كانت غار تخزين. بالكاد استطعتُ فتح أدراجها من تكدُّس الأشياء بداخلها. تعلمين أنني وجدتُ وشاح الزفاف الذي كان يخص جدتك. لقد كنتُ أبحث عنه منذ وقتٍ طويلٍ».

ارتسمت على شفتي ابتسامة مقتضبة، حين أجبتُ: «حقًا؟».

كانت أُمِّي قد أعلنت استحواذها على فستان زفاف جدتي عندما كانت جدتي في دار العجائز. فما كان له أن يلائم لوسي على أي حال، ولذلك لم يكن ثمة جدال حول هذا الأمر قط. عدا وشاح الزفاف، فمن الطبيعي أن يلائم أي أحد. واشتعل العراك بينهما طوال أشهر طويلة حتى فقدت مناتي لوسي رباطة جأشها وأقلعت عن الجدال. ومضى الحال على هذا حتى اختفى هذا الشيء منذ بضغ سنوات.

اعتادت أُمِّي أن تكون دائمًا مصدر الإزعاج والإلحاح لثانتي، أما في هذه المرة أشعر وكأن لوسي هي من كانت لها الكلمة الأخيرة. بالطبع لم يكن هذا هو الحال طوال الوقت. فلم تكونا دائمتي الجدال، غير أن تلك الذكريات هي ما تحتل النصيب الأكبر من الذاكرة عن ليالي الجمعة التي كنتُ أعود فيها إلى المنزل لأجدهما جالستين على الأريكة تضحكان على أفلاسهما القديمة المفضلة.

استجمعتُ رباطة جأشي وسألتُ مجددًا: «إن ما الذي ستفعلينه بكل تلك الأشياء؟».

- حسنًا، أعتقد أنني سأتبرع بها. تعلمين كم هو صعبٌ على الفتيات صاحبات المقاسات الخاصة أن يجدن ملابس تناسبهن، ولذلك أنا واثقةٌ من أن فتيات كثيرات سيكنَّ ممتناتٍ لأمر كهذا.
  - ماذا عني؟ ماذا لو أردتُ بعضًا منها؟ ليس لارتدائها. بل للاحتفاظ بها.
- أجابت أُمِّي: «عزيزتي دمبلين، أنت لست بحاجةٍ إلى تلك الثياب التساتية القديمة. إلى جانب أن كل ما في الخزان هو ملابس داخلية وقمصان تحتية وقمصانات من جرائد قديمة».

أعلم أنه يُفترض بي أن أكون قد تخطيتُ رحيل لوسي، فقد مضت ستة أشهر منذ وفاتها. ورغم كل تلك الحقائق ما زلتُ أتوقع رؤيتها جالسةً على الأريكة وريوت قابُع في حجرها، أو ربما منهمكةً في حل الكلمات المتقاطعة على طاولة المطبخ. لكنها لا تفعل أيًّا من هذا، بل رحلت. والأكثر إيلامًا هو أننا لا نملك أي صورٍ لها، فطبيعة جسدها لم تكن شيئًا محببًا لها حتى ترغب في رؤية انعكاسه في الصور الفوتوغرافية. ما يؤرقني هو خوفي الدائم من فكرة الرحيل. كما لو أنني إن عجزتُ عن سماعها أو رؤيتها، فسأنساها بطريقةٍ أو بأخرى.

في عمر السادسة والثلاثين تقطن في جسدٍ يزيد وزنه على مئتين وعشرين كيلوجرامًا، تُوفيت لوسي. ماتت وحيدة إثر نوبة قلبية حادة، وهي جالسةً على الأريكة تتابع برامجها التلفزيونية المفضلة. لم يرها أحدٌ تعاني قبل الموت. ولكن أيضًا لم يرها أحدٌ خارج هذا المنزل تحيا. لم يرها أحدٌ بالنظرة التي كانت تود أن تظل ذكرها قائمة بها حتى بعد مماتها، لأنه ببساطة عندما تفكر أُمي في لوسي، كل ما تتذكره هو الكيفية التي تُوفيت بها. لهذا كانت فكرة أُمي في تفكيك قوائم غرفتها ومحتوياتها مثل المعارض المتنقلة... سببًا لتقبل الصدمة والألم وإحالتها إلى شيء آخر جديد ومتجدد.

فتحت أُمي أدراج المنضدة بجانب الفراش وبدأت في تصنيف الأوراق إلى أكوام مختلفة. كان بإمكانني أن أشعر بعقلها يعمل في جد. ربما على تلك الشاكلة: نحتفظ بهذه ونتخلص من تلك. في بعض الأيام أتساءل في أي كومةٍ قد أَلقت بي أُمي.

اندفعتُ قائلة: «هل يمكنك أن تتوقفي؟ إنها غرفة لوسي».

استدارت إليّ، وقد علا وجهها نظرة من لا يُصدق ما أقوله، ثم قالت: «دمبلين! هذه غرفة كاملة قد تركناها طويلًا حتى كساها التراب. وقد حان موسم المسابقة. سأعمل بجدٍّ طوال الصيف. وسيكون من اللطيف لو كان لدينا غرفة إضافية لحياكة الأزياء وللمقتنيات الأخرى دون أن يتحول المنزل بأكمله إلى مشغل للملابس».

- غرفة للحياكة؟!

كان وقع الكلمات لاذعًا على لساني قبل أدني، غير أنني لم أستطع التوقف عن الاحتجاج، فتابعت: «تريدون أن تُحيلي غرفة لوسي إلى غرفة للحياكة؟».

انفجرت شفاتها استعدادًا للنطق بشيء ما، لكنني لم أنتظر طويلًا حتى تجيب.

\*\*\*

كان بوو يعمل خلف المشواة -لدى هاربيز- وقد وضع سماعات أذنيه في ذاك الصباح. رفعتُ يدي مُلوحةً وأنا أعبر من أمامه. فقال بصوتٍ مرتفع قليلًا: «إجازة صيف سعيدة، ويلودين».

كانت شفاته لامعتين مشبعتين بالحُمرة، وهذا شيء كم أود لو كان بإمكانني تذوقه. يا إلهي! تقبيل بوو. اختلج جسدي بالحرص من مجرد التفكير في الأمر. وددتُ لو أن الأرض تنشق لتبلعني في جوفها خجلًا. أما في المقدمة، فقد جلس ماركوس أمام مكتب الخزينة.

- لقد سبقتني في الوصول إلى هنا.

كانت تلك أولى كلماتي لماركوس.

- إن تيفاني تُوصلني بسيارتها مبكرًا بسبب تدريباتها.

ماركوس وأنا كنا دائمًا في حياة بعضنا بعضًا أقرب للنوع من الأشخاص الذي لا ضير في معرفته. كان يكبرني بعام واحد، وقد اعتدنا أن نرتاد المدرسة ذاتها معًا عندما كنا صغارًا. كنتُ أعرفه بتلك الطريقة التي تعرف بها أحد أقارب صديقك المُقرب: اسمًا وشكلًا ولا يزيد على ذلك. وعندما بدأتُ العمل لدى هاربيز، كان من اللطيف أن أعمل مع وجهٍ مألوف على الأقل، أما الآن فأعتقد أننا أصدقاء. أما تيفاني فهي كابتن فريق البيسبول. وقد بدأت علاقة عاطفية تجمع بين ماركوس وتيفاني في بداية العام، وفي غضون أسابيع قليلة ذابت حياة أحدهما في حياة الآخر كما يذوب الملح في الماء.

سألني ماركوس: «كيف حال اختباراتك النهائية؟».

فرفعتُ كتفي في غير اكتراث، وتطلعتُ نحو بوو الذي كان يراقبنا من خلف المصابيح الحرارية للمشواة. لم يشح بناظريه عنا. وقد جعلتني تلك المراقبة أشعر بتقلصات أحشائي.

أجبتُه: «لقد حضرتهَا. أعتقد أن هذا أمرٌ يجب أن يوضع في الحساب. ماذا عنك أنت؟».

- جيد، لقد استذكرتُ دروسي برفقة تيف. وأعزم هذا الصيف على زيارة الجامعات من أجل التقديم.

أتفهم جيدًا أن الحياة بعد المدرسة الثانوية قد تكون أولوية عليّ التفكير بشأنها، ولكنني أعجز عن تصور نفسي فتاة جامعية، ولا أدري كيف لي أن أخطط لشيء أعجز عن تخيله.

- ماذا عنك أنت؟ هل ستبدأ في البحث عن الجامعات أيضًا؟

ربط ماركوس مئزره إلى الجنب وأومأ في تفكير. ثم أجاب: «أعتقد ذلك». علا رنين الجرس أعلى الباب الأمامي مرارًا في أثناء دخول بضعة شباب من المدرسة. وقفنا بانتظارهم وهم يفحصون قائمة الطعام عندما تطلع ماركوس من وراء ظهورهم إلى النافذة الأمامية وقال: «إن فتاتي سترحل عن هذه المدينة وكل ما أعرفه هو أنني سأرحل معها».

أجل، إن كلوفر سيتي من نوع المدن التي يتحتم عليك مغادرتها، تحيا فيها مُشَبَّعًا بهذا النوع من الحُب، الذي إما أن يحبسك في الداخل وإما يدفعك للخارج. عدا أن قلة قليلة هم مَن تمكنوا من مغادرتها حقًا وتركها من وراء ظهورهم دون العودة إليها، بينما يعيش بقيتنا في هذه المدينة للثمالة والتكاثر والذهاب إلى الكنيسة، وأعتقد أن هذه أمور كافية حتى نبقي أحياء.

\*\*\*

بما أننا في هاربيز نغلق في أوقات متأخرة أيام الجمعة والسبت، فقد غطت أُمِّي في نوم عميق حين عدتُ إلى المنزل. أطفأتُ جميع المصابيح المضئية، وأحكمتُ إغلاق الباب الخلفي، ثم صعدتُ درجات السلم قاطعةً الردهة بين الغرف على أطراف أصابعي، وأعدتُ التأكد من نومها العميق. سمعتُ همهمات الغطيط تزحف من أسفل باب غرفتها وأنا أتسلل إلى غرفة لوسي في حرص متجنبةً الصرير الذي تُصدره ألواح الأرضية، وبدأتُ في تفتيش الأكوام التي أفرغتها أُمِّي.

وقفتُ بين تلالٍ من القمامة وأكوامٍ من قصاصات الجرائد التي جمعتها لوسي حول أشخاص وأماكن لن أفهم الغرض من جمعها مطلقًا. كرهتُ فكرة وجود أشياء كثيرة -أشياء تافهة تجعلك تتساءل عن السبب وراء احتياجها،

فمثلاً: لماذا تحتاج إلى قصاصة من جريدة حول أحد مؤلفي كُتب الطبخ الذي كان سيزور المكتبة قريباً- لم أكن أدرك عنها شيئاً حتى أسأل لوسي بشأنها. كانت جنازتها هي الأسوأ على الإطلاق، ولا يقتصر هذا السوء على الأسباب الواضحة. فقد حضر نصف أهالي كلوفر سيتي إلى الجنازة، لأنه ببساطة هل ثمة شيء آخر ليفعلوه غير ذلك؟ أعتقد أن جميعهم قد توقع رؤيتها وقد تكفنت داخل تابوت مثلما يحدث في قصص الوعظ. ولكن الحقيقة المُرّة هي أننا لم نستطع التكفل بتابوت واسع باهظ الثمن. وهكذا، وعلى الرغم من حالة الانهيار العصبي التي أصابت أمي حول عجزها عن منح شقيقتها الكبرى «جنازة لائقة»، كل ما كان باستطاعتنا فعله هو إحراق جثتها.

لكنني لا أرغب في استرجاع جنازتها. بل أود استرجاع ذكرياتنا معاً، مثل تلك المرة التي صحبتني فيها لأول درس من دروس الرقص حينما كنتُ في الصف الثالث. بالكاد تكفل ثوب الجلباز الضيق بتغطية بطني المنتفخ البارز، وعجزتُ عن فرج ساقي وفخذيّ مهما حاولتُ جاهدةً أن أفعل. كنتُ فتاةً سمينه، وطويلة أيضاً. ولم أشبه أياً من تلك الفتيات اللاتي كنَّ ينتظرن بدء الدرس معي.

في هذا اليوم رفضتُ الخروج من السيارة، فجاءت لوسي وجلست في المقعد الخلفي بجانبني. ثم قالت بصوتها العذب الذي كان يُشبه الندى الدافئ: «ويل!».

عقصت لوسي خصلات شعري المتناثرة على وجهي خلف أذني، وناولتني منديلًا ورقيًا من الجيب الأمامي لثوبها المنزليّ، ثم تابعت: «لقد أهدرتُ الكثير من الوقت في حياتي. وسيطر عليّ هاجس التفكير فيما سيقوله الناس وما الذي سيعتقدونه عند رؤيتي. وأحياناً كنتُ أستجيب للتفكير الزائد حول أشياء تافهة وسخيفة، مثل الذهاب إلى محل الخضراوات أو زيارة مكتب البريد. ولكنني مررتُ أيضاً بتلك الأوقات التي كنتُ أمنع نفسي فيها من فعل أشياء كثيرة مميزة. وكان السبب في هذا كله هو خوفي من أن يتطلع إليّ أحدهم ويقرر أنني لستُ جيدة بما يكفي لهذا الأمر. أما أنتِ فليس عليك أن تنزعجي لهذا الهراء. لقد أهدرتُ كل هذا الوقت حتى لا تُضطري أنتِ إلى فعل ذلك. إن دخلتِ إلى هذا المكان وقررتِ حينها أنه ليس مناسباً لك، حينها لن تُضطري إلى العودة إلى هنا مجدداً. ولكنك مُلزَمةٌ أمام نفسك بالتجربة، هل تفهمين ما أقول؟».

كانت نتيجة حديثها معي في هذا اليوم هي التزامي طوال الخريف بدروس الرقص، ثم انقطعتُ عنها، ولكن هذا لم يكن غاية حديثها.

في الأدرج التي احتفظت فيها لوسي بجواربها، وجدتُ صندوقًا صغيرًا من شرائط الكاسيت، جميعها كانت لأغنيات دوللي بارتون. اخترتُ واحدًا منها بعشوائية ووضعتُه في مُشغل الموسيقى على الطاولة بجانب الفراش. استلقيتُ على فراشها واستمعتُ إلى الأغنيات بصوتٍ خافت حتى بدا لي مثل همهمات متناثرة. كانت لوسي تعشق دوللي وأغنياتها ربما أكثر من أي شيء آخر في حياتها. وأعتقد أنني وإيلين نكُنُّ لها هذا القدر من الحب أيضًا.

ربما كانت السيدة درايفر هي أشهر مُقلدي دوللي بارتون في تلك المنطقة من ولاية تكساس. فقد كانت تتمتع بالبنية الجسدية الضئيلة ذاتها ونبرة الصوت المقاربة. ونظرًا إلى حقيقة أن لوسي كانت نائب رئيس نادي مُعجبي دوللي بارتون الإقليمي حتى سنواتٍ قليلة مضت، تقاطعت طرقهما بانتظام. وكان من الصعب عليّ أن أومن بأن الصداقة التي جمعت بيني وبين إيلين لم تكن صداقة محتومة منذ وقتٍ طويل حتى قبل أن نُولد، حينما كانت دوللي لا تزال إنسانًا مجهولًا يعيش في تينيسي<sup>(1)</sup>. كما لو أن إيل أشبه بهدية لطالما تمننت لوسي أن تمنحني إياها.

لم يكن مظهر دوللي وحده هو ما جذبنا إلى حبها، بل كان موقفها وتصرفها حينما علمت بما يراها عليه الآخرون من سخافة، دون أن تُغير شيئًا في نفسها لأنها ببساطة كانت تشعر بالرضا عن ذاتها. في رأيي ورأي إيلين، كانت دوللي... ذات روحٍ لا تُقهر.

\*\*\*

---

(1) ولاية أمريكية تقع في المنطقة الجنوبية الشرقية. (المترجمة).

## الفصل الخامس

لم يعد لعطلة الصيف الوقع نفسه في حياتي مثلما كانت عليه في طفولتي. فعندما كنتُ وإيل في المدرسة الابتدائية، كانت تصحبنا لوسي إلى أفلاش سنوكونز<sup>(1)</sup>. وحين كنا نجلس في غرفة المعيشة المعتمدة، وتصدر مروحة السقف أزيزها من فوقنا، تتساقط قطرات الشراب الباردة على أيدينا، بينما تعمل لوسي على الإبحار بين القنوات حتى تستقر على أحد البرامج الحوارية التافهة التي لم تكن أُمي لتسمح لنا بمشاهدتها قط.

أما على الجانب الآخر، فقد مرَّ الأسبوع الأول من هذا الصيف دون شيء مميز. وفي صباح يوم الاثنين، استيقظتُ على وميض هاتفي بوصول رسالة جديدة.

إيلين: «سباحة. الآن. الصيف. حارٌّ. جدًّا».

إيلين: «الآن».

إيلين: «الآن».

لم أستطع منع نفسي من ابتسامةٍ طففت على وجهي حينما رأيتُ رسائلها. كانت إيلين تعيش في مجمع سكنيٍّ لا تُسوّره أي بوابات ويلحقه مسبح رديء الصيانة مُخصص لأهالي الحي. أما في أثناء الصيف، فيتحوّل المكان إلى واحة خضراء.

أعلم أنه من المفترض للفتيات البدينات الشعور بالحساسية عند ذكر المسبح أو شيء كهذا، ولكنني أحب السباحة. ما أعنيه هو أنني لستُ غبية،

---

(1) متجر يفتح أبوابه طوال موسم الصيف لبيع المشروبات الباردة. (المترجمة).

وأعلم جيداً كم يُحَدِّقُ إليَّ الآخرون، لكنهم لا يستطيعون لومي إذا أردتُ الاستمتاع ببعض الانتعاش. ولماذا يجب أن أهتم لأمر كهذا من الأصل؟ ماذا عن امتلاكي لفخذين مملوءتين تكثر بهما الذنوب؟ هل هذا يعني أنني بحاجة إلى الاعتذار عن مظهري؟

عندما صفتُ سيارتي أمام منزل إيل، وجدتُها تجلس في شرفتها الأمامية وقد ارتدت ثوب سباحة من قطعتين وغطت نصفها السفلي بمنشفة قد التفتت حول خصرها. كانت قباقيب الشاطئ في أقدامنا تُقرقع على الرصيف في أثناء سيرنا إلى المسبح الذي كان يقع على بُعد ثلاثة مبانٍ، ورغم أن الساعة لم تكن قد تخطت العاشرة صباحاً، فإننا كنا نتصبب (أو كما تقول أُمي: نتلألاً) عرقاً.

صاحت إيل بينما كنا ننتظر دورنا في الصف: «يا إلهي!».

ثم تابعت: «هناك الكثير والكثير من الناس هنا».

وعقدت ذراعيها فوق بطنها. فتأبطتُ ذراعيها وقلتُ: «تعالى معي».

بسبب الزحام الشديد استطعنا انتزاع كرسي حديقة واحدٍ فحسب. حلَّت إيل المنشفة عن خصرها واندفعت مسرعةً نحو المسبح. أما أنا فخلعتُ فستانى من الرأس، نزعتُ حذائي وأسرعتُ أسير على أطراف أصابعي.

غطست إيل في المسبح حتى وصلت المياه إلى حدود كتفيها بينما كانت المياه تتخبط حول خصري، حتى جعلني الهدوء البارد أشعر بالخدر في سائر جسدي. أجل، الآن هذا هو الصيف.

طفونا فوق الماء على ظهورنا مثل نجم البحر وقد تذكرتُ طفولتنا عندما كنا نغوص تحت الماء بنظاراتنا الواقية ونصرخ بالأسرار لبعضنا بعضاً. عدا أنه في ذلك الوقت لم يكن بيننا أسرار، وكانت معظمها أشياء نعرفها بالفعل.

كانت تصرخ إيل قائلة: «تشيس أندرسون وسيمٌ للغاية!».

وكنْتُ أصبح بدوري: «لقد سرقْتُ عشرة دولاراتٍ من محفظة أُمي!».

تركْتُ جسدي يطفو في حرية حتى احتكَّت كتفي بجانب المسبح وشعرتُ بظل أحدهم عالماً فوق رأسي. فتحتُ عينين مغشيتين بقطرات الماء، فرأيتُ صبيّاً يجلس القرفصاء على حافة المسبح. وتحركت شفتاه بالكلمات.

استقمتُ بجسدي في الماء وبدأ الضجيج يغزو أذني، شعرتُ معه كما لو أن عقلي قد تجمد. أغلقتُ عينيَّ في ضيق وعصرتُهما هنيهة. كنتُ أشعر برأسي يبدو مثل وعاءٍ مُغْلَفٍ بلفائف ضاغطة.

- ماذا؟

كانت تلك أولى الكلمات التي أنطق بها.

وكان سروال السباحة الأحمر الذي يرتديه الصبي يقطر بالماء تاركًا خلفه بركة صغيرة أسفل منه. أجاب الصبي: «لقد اعتقدتُ أنك ميتة. وقد تحول جسدك بأكمله إلى اللون الأحمر».

نهض واقفًا، ودون أي كُلفة أو رسمية، سار مبتعدًا.

لامستُ وجنتيَّ وكانت المياه تتقاطر من أصابعي على وجهي مثل حبات المطر المنهمرة على أرض قاحلة. لا أدري كم مكثتُ من الوقت أطفو فوق الماء بظهري. تطلعتُ حولي باحثةً عن إيل، فوجدتها تجلس على كرسي الحديقة البلاستيكيَّ خاصتنا، تتحدث إلى فتاةٍ وشاب. تمهلَّت في الحركة حتى الطرف الضحل من المسبح على أمل أن يرحلا، ولكن بعد قليلٍ من التلكؤ، بيد أنهما لن يتزحزحا من موضعهما.

استندتُ بذراعيَّ على الدرايزين وأسرعتُ خارج المسبح. كانت إيل تجلس عند نهاية كرسيها البلاستيكيَّ بينما كانت الفتاة التي لم أرها من قبل تجلس على الجانب الآخر ومن خلفها اتخذ الشاب مقعدًا، كما لو أنهما يقودان دراجة نارية والفتاة هي من تتولى القيادة.

ألقيتُ التحية عليهم: «مرحبًا».

وقد مرَّ جزءٌ من الثانية لم تنطق بها إيل بينما كانت الفتاة الأخرى تحدِّق إليَّ بوجه يقول: «كيف-يمكنني-مساعذك-هل-تحتاجين-إلى-شيء-يمكنك-الرحيل-الآن».

التفتت إيل نحوي، وقالت: «يا أصحاب، هذه صديقتي المُقرَّبة، ويل».

ثم تابعت في تقديمهما إليَّ: «وهذه كالي. وهذا صديقها الحميم...».

تراجع صوتها لثانية وقرقعت أصابعها في تفكير. فعاجلتها كالي قائلةً:

«بريس».

أوماً برايس من خلفها في ترحيب. وقد كان يرتدي نظارة بالغة الحمافة، تلك التي يرتديها المدربون وتشبه كثيرًا نظارات ستار تريك<sup>(1)</sup>. تشبّث يدها بكتفَي كالي ويمكنني القول إنهما من النوع الذي يوطد علاقته بالتلامس دائمًا.

تمت مُجيبَةً: «سررتُ بـلقائكما».

فحدّثت إليَّ إيل.

ليس الأمر أنني لا أحب التعرف على أناس جدد. الأمر كله على وجه العموم هو أنني لا أود التعرف على أناس جدد. وربما كان هذا هو أكثر شيء تبغضه إيل في شخصيتي. فمِنذ وقتٍ طويل بقدر ما أتذكر، كانت إيل تحاول جذب صديقٍ ثالث إلى صداقتنا الصغيرة المميزة. ربما يجعلني الأمر متذمرة، لكنني لستُ بحاجة إلى صديق مُقرَّب آخر. وعلى وجه الخصوص لستُ بحاجة إلى تلك الفتاة التي يبدو أنها عاجزة عن التوقف عن التحديق إليَّ كما لو أنني أشبه بحُطام سيارة.

تزعزحت إيل قليلًا لكي أجلس بجوارها، لكنني جلستُ في محلي كما أنا. استأنفت إيل الحديث وقالت: «حسنًا، إن كالي قد التحقت بمسابقة الجمال». ربت برايس على كتفَي كالي ومنحهما تديكًا طفيفًا، فأطلقت كالي ضحكة صاخبة. ثم أجابت: «أجل... فازت شقيقتي بلقب الوصيفة منذ عدة سنوات. ويمكنك القول إن الأمر متوارثٌ في العائلة».

- أحسنتِ.

كان صوتي ثخينًا ونبرتي لازعة رغم أنني لم أقصد حقًا أن تكون كذلك. حينها ندت شفثا إيل عن ابتسامة مقتضبة. ثم استأنفت: «في الواقع كانت كالي ضمن أعضاء مُخيم تدريب مسابقة الجمال الذي رأيناه بعد اليوم الدراسي الأسبوع الماضي».

لم أكن أدري حقًا ماذا كانت تتوقع مني إيل أن أجيب عن هذا. هذه المحادثة بأكملها ما هي إلا لافطة مضيئة تقول: «طريق مسدودة».

---

(1) Star Trek<sup>(1)</sup>: هو مسلسل خيال علمي أمريكي، أُذيع منذ عام 1966 حتى عام 1969. (المترجمة).

حين لاحظت إيلين صمتي، تابعت حديثها: «صحيح، كالي! تعلمين أن والدته ويل هي من تدير المسابقة».

إن لاعبي كرة القدم يُعاملون معاملة الأسياد في بلدان الجنوب. وفتيات التشجيع لسن في حال سيئ أيضًا، ولكن هنا في بلدتي، الفتيات اللاتي يعتلين هرم التشجيع هن ملكات الجمال. وهكذا لسوء الحظ، كوني الابنة البدينة لأكثر ملكة جمال محبوبة في كلوفر سيتي بأكملها لم يُربحني الكثير من حب الشارع وقبوله.

رفعت كالي إحدى يديها لتجبب الشمس عن وجهها بينما لا تزال تتطلع إليّ. ثم قالت: «مهلاً، هل هذه والدتك؟».

- أجل.

لو كان بإمكانني أن أغير شيئاً واحداً في أمي، فستكون مسابقة الجمال. في الحقيقة، أنا على يقين بأن حياتي بأكملها كانت لتتداعى شيئاً فشيئاً مثل أحجار الدومينو لو كان باستطاعتي أن أمحو هذا الحدث السنوي الوحيد من حياتي.

أجابت كالي بضحكة مدوية، ثم عقبت: «وأنتِ لن تلتحقي بالمسابقة، أليس كذلك؟».

انتظرتُ لثانية. اثنتين. ثلاث. أربع. لكن إيلين أثرت الصمت.

- ولم لا؟

من البديهي أنني لن ألتحق بمسابقة الشهرة الفاسدة تلك. ومع ذلك، أي أحمق يضع مثل هذا الافتراض؟

- يبدو أنكِ لستِ من هذا النوع من الفتيات. أعني، ليس من جانب سيئ. تذكرتُ إذ فجأةً كيف يبدو ثوب السباحة خاصتي صغيراً على جسدي. فتحاتُ الأرجل التي تقف عند فخذَيَّ وحماله الثدي التي تختفي بين أكتافي. وحينها تغلغل الخوف والاضطراب خلالي مثل أغصانٍ زاحفة.

تابعت كالي قائلة: «ولكن بيكا كوتر ستكون منافسة قوية. الفتاة أمريكية بكل ما تحمله الكلمة من معنى وصفات».

هنا كانت الحاجة إلى الهرب تنخر عظام قدمي. وبلا شك، كانت كالي تستخدم فستاني منشفة شاطئ حتى لا تلامس بشرتها الثمينة الكرسي البلاستيكي الملتهب.

التفتُ نحو إيلين وقلتُ: «سأركض إلى منزلِك لاستخدام المرحاض». وبسرعة انزلت قدمي داخل قبّابي وأمسكتُ بأول منشفة رأيتها قبل أن أهول بقدر ما أستطيع.

سمعتُ كالي تنطق بتلك الكلمات: «هل حدث شيءٌ ما؟».

بطريقة بدت معها وكأنها تقول: «ما مشكلتها هذه؟».

فنادت إيل من بين الزحام: «لكنهم يوفرون مراحيض هنا!».

كانت المنشفة بالكاد تلتف حول خصري. لكنني لم أهتم، وأصررتُ على السير. ومن جانبي عبرت سيارة تعج بالشباب فأطلقوا بوق سيارتهم خلفي. لكنني سمعتُ إيل تصرخ من خلفي: «تراجعوا أيها الحمقى!».

استدرتُ. فوجدتها تركض على الرصيف الجانبي لا ترتدي سوى ثوب السباحة وتحمل بين يديها فستاني وحقيبتني.

- لقد كنتُ أحاول اللحاق بك!

فرجتُ شفتي لأجيب، ولكنني تذكرتُ حجم ما أشعر به من غضبٍ نحوها، فتابعْتُ السير. إننا لا نتشاجر. أعلم جيدًا أن الأصدقاء المقربين يتشاجرون، لكنني وإيل لم نصل إلى هذا الحد قط. بالطبع نتجادل حول أشياء سخيفة مثل البرامج التلفزيونية أو أيٍّ من إطلالات دوللي أفضل من غيرها، لكننا لم نتشاجر قط حول شيءٍ أكثر جدية من هذا. ومع ذلك، كل ما أشعر به الآن نحوها هو الغضب، فقد تركتني هناك في المسبح وذهبت لتُجفف جسدها برفقة تلك الفتاة كالي. ولم تنطق بشيء.

ربما أنا من هذا النوع الذي يجعل من الأمور الهينة حدثًا جليلاً، وربما كان شيئاً ألاحظه أنا وحدي. الأمر أشبه بذلك الوقت الذي تظهر فيه بثرة في وجهك فتعتقد أنها الشيء الوحيد الذي يراه الآخرون حينما يتطلعون إليك.

ثم وصلنا إلى تلك النظرة التي علت وجه كالي حين كانت تتطلع إليّ، كما لو أنني شيءٌ من القُبح. الحقيقة هي أنني شعرتُ بعدم الارتياح لشعوري بالغضب، لأنه ببساطة لم عساي أشعر بهذا؟ لماذا أشعر بالسوء تجاه رغبتني

في النزول إلى المسبح أو التجول بثوب السباحة؟ لماذا أشعر كما لو أنني بحاجة إلى نزول الماء والخروج منه بأسرع ما يمكن حتى لا يُضطّر أحدهم إلى أن يرى بشاعة فخذي؟

- ويل! مهلاً انتظري! يا إلهي!

ودون أن أتكبد مشقة التوقف عن السير، أجبتُ: «أحتاج إلى العودة إلى البيت».

- هل يمكن أن تُخبريني ما الذي حدث هناك؟ لقد تحولت إلى شخصٍ معتوه. ماذا كان هذا؟

توقفتُ عن السير لأنني قد وصلتُ إلى منزلٍ إيل، والآن بما أن قدمي لا تعلمان إلى أين تحملانني، بيد أنني عاجزةٌ عن إخراس فمي. فصحتُ في وجهها: «ماذا كان هذا؟ أتسألين حقاً؟ هذا كان بسبب ترككِ إياي في المسبح بمفردتي. لقد تخلّيت عني هناك. ومَن كانت تلك الحمقاء التي تشبه العصا؟».

بمجرد أن خرجت تلك الكلمات من فمي، ندمتُ على النطق بها. طوال حياتي كنتُ أمتلك جسداً يستحق إلقاء التعليقات عليه، وإن كان هذا علّمني شيئاً فهو: إن لم يكن ما تُعلّقين عليه هو جسدك، فليس من حقك التعليق عليه أبداً، بديناً كان أم رقيقاً، قصيراً أم طويلاً. لا يهم.

كان جواب إيل هادئاً: «لقد بدوتُ مسترخية! كيف تحولتُ إلى صديقة شنيعة عندما تركتك في المسبح بمفردك للاسترخاء؟ تبليغين السادسة عشرة من عمرك وتشعرين بالغضب نحوي لأنني تركتك في المسبح بمفردك؟».

لقد شاهدتُ إيل وتيم يتجادلان من قبل مراتٍ كافية تجعلني أدرك تماماً أن الجدل هو اختصاص إيل. أراها تتعمد تبسيط الموقف إلى الحد الذي تترك معه أياً من كان يجادلها، شاعراً بالبلاهة والحمق. فقد كانت من هذا النوع من الأشخاص الذي ترغب في الجدل لصالحه، لا الجدل معه.

هزرتُ رأسي ولم أنطق بكلمة، لأنني لم أكن أريد أن أنطق بما أشعر به جهراً. لم أكن أريد أن أقول إنني غاضبةٌ لأنني تركتُ وحدي دون غطائي الآمن: هي. لم أكن أريد أن أقول إنني توقعتُ منها أن تدافع عني في هذا الموقف مع كالي.

- «وتلك الحمقاء التي تشبه العصا» هي زميلتي في العمل. لست مضطرة إلى أن تكوني صديقتها، ولكن كان بإمكانك على الأقل أن تكوني لطيفة معها.

نفضت يدي في استسلام، وقلت: «مهما يكن. لقد انتهى الأمر. ولا أريد الجدل».

ألقيت إيل بحقيبتني وفستاني على مؤخرة السيارة وأجابت: «حسنًا». ارتديت فستاني من ناحية الرأس وأعطيتها المنشفة التي كنت أحيط بها خصري قبل أن أغوص باحثة عن مفاتيح سيارتي في الحقيبة.

- سأحادثك لاحقًا.

ألقيت بكلماتي وسرتُ نحو باب السيارة، لكنها ظلت واقفة في محلها. وقبل أن أدلف إلى السيارة قالت: «مهلاً، دعينا نجلس بالداخل».

تنهدت في تأفف واضح، فقالت: «يا إلهي! توقفي عن التأفف. أحتاج إلى مساعدتك».

\*\*\*

في غرفة إيلين، جلستُ على الأرض عاقدة الساقين بعضهما فوق بعض.

قالت إيلين: «دعيني أولاً أحبس جاك».

أغلقت باب غرفتها وسارت مباشرة نحو باب خزانها، ثم قالت: «في المرة القادمة، سيقتل أحدهم».

مثل أي شخص آخر عاقل، كنتُ مصابةً بخوفٍ طبيعيٍّ من الثعابين، ولكن عندما كنا في الحادية عشرة، انفصل والدا إيل لفترة قصيرة، وقد اضطربت أعصابها وفقدت عقلها تمامًا في ذلك الوقت. ولإرضائها، وعدها السيد درايفر بإهدائها حيواناً أليفاً. لكن ما لم يتوقعه قط أن تطلب ابنته ثعباناً.

في الفترة الأولى التي حضر فيها جاك إلى حياتنا، وذاك هو ثعبان ذرة أمهق، لم يكن طوله يتعدى طول قلم رصاص، ومع ذلك أصررتُ على رفض المجيء إلى منزلها. لم أتحمل حينها مجرد التفكير في أن أكون تحت سقفٍ واحد برفقة ثعبان. ثم جاء عيد ميلاد إيل الثاني عشر، ولم يكن بمقدوري أن أفوت يوماً كهذا. فصحبتهني لوسي إلى متجر للحيوانات الأليفة حتى يمكنني أن أرى الثعابين، حتى إنها قد أجرت الترتيبات من أجلي لأمسك بواحدٍ منها.

وعندما هربتُ من المتجر مثل دجاجةٍ هلعة، حملت لوسي الثعبان بدلاً عني. كان بإمكانني حينها أن أرى يديها ترتعشان من الخوف، إلا أن ما فعلته قد منحني شعورًا بالهدوء.

والآن نجلس ساعاتٍ طويلة، نشاهد التلفاز بينما يزحف جاك متنقلًا بين أيدينا كما لو أنه خيط يحيكنا ببعضنا بعضًا.

سحبت إيلين حقيبة تسوقٍ تحمل اسم متجر سويت 16 الذي تعمل فيه من أعماق خزانيتها. ثم قالت: «أحتاج إلى مساعدتك في الاختيار».

اندفعتُ واقفةً على ركبتيّ بينما كانت إيل تُفرغ الحقيبة من حمالات صدر من الدانتيل وما يتفق من سراويل تحتية، وتسردها على الفراش.

- لأجل تيم.

قالت كلماتها وارتمت على حافة فراشها. ثم تابعت: «أريد أن يبدو مذهري رائعًا».

التقطتُ زوجين شفافين من الملابس الداخلية البنفسجية بخنصري، وأجبتُ: «هل اشتريت كل هذا من مكان عملك؟».

- لقد ساعدتني كالي في اختيار بعض منها، ولكن أحتاج منك إلى تقليص العدد حتى يمكنني إعادة البقية.

- أجل.

أردتُ أن أسألها إن كانت قد أخبرت كالي بأن تلك هي مرتها الأولى، لكنني لم أفعل. تفحصنا كومة الملابس، هناك الوردي والأبيض والأسود والأحمر، حتى الأخضر. لقد أخبرتها حتمًا. أعلم أنني أهول من الأمر الآن، وأعطيه أكبر من حجمه. فأنأ لا أملك حق احتكار محادثات إيلين وتيم الحميمية، ولكنني شعرتُ بالخيانة.

- حسنًا. نستثنى الأبيض، فأنتِ عذراء وهذا أمرٌ عاديٌّ. أعني أن الأمر لن

يكون غريبًا لو لم تكوني عذراء، ولكن ما أود قوله هو أنك لست بحاجة

إلى أن تبدي مثل شيء لا يتعين مغالته. أعني أن الغرض من الأمر

بأكمله هو المغازلة، صحيح؟

- أجل.

كانت نبرة صوتها قاطعة، فأزالت الزوجين الأبيضين من الملابس الداخلية. ثم تابعت: «هل يتعين عليّ الحصول على ملابس حميمية حقيقية؟». هزرتُ رأسي نفياً، وأجبتُ: «أعتقد أن الطريقة التي يسير بها الأمر هي كما يلي: «أنا مستعدة لممارسة الحب»، ولكن دون إلقاء الكثير من الضغوط والتوقعات على تيم».

- أوه. كان لينتهي أمري دونك. هذا الطبع الخام صار عُملة نادرة. ندت عن شفتي ابتسامة هادئة وتابعتُ: «أما الأسود فلونٌ حميميٌّ للغاية. ما أقصده هو أنه لونٌ مثيرٌ بالطبع، ولكن ربما نحتفظ به لوقتٍ لاحق». التقطت إيلين الزوجين الأسودين وأدرجتهما في الدرج الأسفل من منضدة الفراش.

- يعجبني الأخضر، لكنه ليس مناسباً في تلك المرة. وتجاوزتُ اللون الرملي والأحمر والبنفسجي والأزرق.

- هذا.

مددتُ يدي عبر الفراش أستبعد كل زوجين آخرين عدا زوجين مُخططين بلونَي الخوخي والبني الباهت. وقلتُ: «هذه تقول: عذراء الصيف ولكن ليس لوقتٍ طويل».

لكزتني إيل في ذراعي ثم احتضنتني. كانا زوجين من الملابس الداخلية المزينة بالدانتيل والقليل من حبات اللؤلؤ المميزة. التقطت إيل الزوجين واحتضنتهما إلى صدرها ثم انزلت من الفراش جالسةً على الأرض بجواري. استدرتُ بدوري أيضاً وارتميتُ على الأرض وظهري مُتكئٌ على الفراش.

تركتُ إيل رأسها يستريح على كتفي ومضى الوقت بنا على تلك الحال. كم أحب الروائح التي تفوح من أجسادنا بعد قضاء الوقت في المسبح، خليطٌ من الكلور والعرق. وهذه هي رائحة الصيف.

وفي هدوء، علّقتُ إيل: «الليلة. أنا وتيم سنكون معاً الليلة».

\*\*\*

## الفصل السادس

بعدها غادرتُ منزل إيلين، شعرتُ بروحي مستنزفة وقد بدا قضاء تلك الليلة بأكملها في تلقّي طلبات الوجبات السريعة، فكرةً مستحيلة. ولكن بقوى خائفة وضعتُ قبعة العمل التي تحمل اسم هاربيز على رأسي، ودسستُ شعري المُذيل خلال مؤخرتها، واتخذت موضعي المعتاد أمام مكتب الخزينة.

- هلا، هلا، ويل. يبدو وجهك دافئاً. هل حصلتِ على بعض السُمرة؟

كان هذا نداء ماركوس من أمام طاولة الإضافات والتوابل.

- أعتقد ذلك.

- لقد تأخرتِ قليلاً.

تجاهلتُ تعليقه وألقيتُ نظرةً على درج العملات المعدنية لأرى ما إذا كنتُ بحاجة إلى الذهاب إلى مكتب الإدارة لتوفير بعض الفكة.

- اسمعي، كنتُ أفكر في إنشاء موقع لتجميع الرهان لأجل مسابقة

الجمال. هل يمكنك أن تمنحيني بعض المعلومات من خبايا المسابقة

عندما يحين الوقت؟

هزرتُ رأسي نفيًا، وصفعتُ أدراج مكتب الخزينة مغلقةً إياها. فسأل

ماركوس: «ماذا؟ هل كففتِ عن الكلام بعد الآن؟ هل انتقلتِ إليك خصال هذا

«القوي الصامت» من خلفك».

كان يشير إلى الاسم الذي أطلقه من نفسه على بوو.

الترمّت الصمت، وأخذت نفسًا واحدًا عميقًا قبل أن أفحص مخزوني من حقائب التعبئة أسفل مكتب الخزينة. وبعد فترةٍ بيد أنها طالت، قلتُ أخيرًا: «لقد كان يومًا طويلًا. أحتاج إلى بعض الوقت لنفسى».

تمتم ماركوس بشيءٍ يتعلق بأعراض ما قبل الحيض، وما تفاجأت به حقًا هو كلمات بوو من المطبخ حين قال: «ولماذا لا يمكنها أن تحظى بيوم سيئ فحسب؟ لست بحاجة إلى اختلاق أسبابٍ غبية لهذا».

حينها أطلق رون صافرة خافتة من غرفة مكتبه. وضحك ماركوس وأطلق بعض اللعنات. قال بوو وطرفت إحدى عينيه في غمرة من نافذة التقديم: «ربما رأيت وجهك وحينها أدركت أن اليوم صار ميؤوسًا منه».

فالتفتُ برأسي إلى الجانب الآخر ثم ندت شفتاي عن ابتسامة. قضيتُ الليلة منشغلًا بالزيائن هنا وهناك، أرتب الشراشف الورقية والإضافات من صلصة الكاتشب وغيرها وأعيد ملء الطاولات بها. أما بوو فقد كان يستمع إلى الموسيقى كعادته، وبدلًا من سماعتِي أذن اكتفى اليوم بواحدةٍ فحسب. وعلى الجانب الآخر، كان ماركوس منشغلًا بهاتفه طوال الليل، ومما أدركته من علامات وجهه، فقد كان جدًّا قائمًا بينه وبين تيفاني عبر الرسائل النصية.

في وقتٍ ما من الليل، دلفت بيكا كوتر بشعرها الذهبي الطويل ومنحنيات جسدها المكتنزة، إلى المطعم برفقة مجموعة ضخمة من الأصدقاء، وأقاموا مخيمًا صغيرًا في المطعم برفقة البطاطس المقلية وصنابير المياه الغازية التي لا تتوقف عن العمل. كانت كالي محقة إذن. ستشارك بيكا في المسابقة، وربما تفوز بها أيضًا، لأن بيكا واحدة من تلك الفتيات الحسنات التي يجب أن تبذل جهدًا جسيمًا في كراهيتها. ولكنها لطيفة وموهوبة بشكلٍ ما. حسنًا، هذا إذا كنا نحتسب تدوير العصا موهبةً.

كان بوو في هذا الوقت قد تولى العمل بين الطاولات، وعندما تناول المكنسة اللاسلكية للتنظيف، أسرع بيكا في التقاط بعض القمامة حول الطاولات، وألقت هي على مسامعه شيئًا بالطبع عجزت عن سماعه. لكنه ابتسم، وكان من العسير عليّ ألا أشعر بأنني قد ابتلعتُ حفنةً من الصخور التي أطبقت على صدري. لا أدري لم يطلقون على الإعجاب لفظة فتنة في حين أنه كثيرًا ما يُشبه اللعنة.

دقت الأجراس فوق الباب، ورأيتُ ميلي وصديقتها أماندا بحذاء فرانكنشتاين التصحيحيّ، تدلفان إلى الداخل. كانت ميلي ترتدي قميصًا وسروالًا قصيرًا بلون أصفر باهت، تُزين ياقة قميصها فصوص حمراء قد ألصقت على شكل قلبٍ صغير. كنتُ أتمنى لو أن هناك طريقةً تمكّني من إخبارها بكل التصرفات التي تجعل حياتها أصعب مما يمكن أن تكون عليه دون أن أصبح الفتاة الحقيرة ويل.

كانت جبهتها مُبللةً بالعرق، لكن ابتسامتها مشرقة لا تنطفئ. وعندما وقفت أمام مكتب الخزينة، قالت: «آه مرحبًا، ويل! لم أكن أدري أنك تعملين هنا».

أومأت أماندا بإيجاب، وبدت كما لو أن دهشة أصابتها لهذا الاكتشاف. كانت أماندا بدورها ترتدي سروالًا قصيرًا مخصصًا للعب كرة القدم وقميصًا تستقر في منتصفه صورة شقيقها الأصغر وقد ارتدى الزيّ الرسميّ المُصغر لفريق الكرة الذي يلعب به، وقد طُبعت تلك الصورة على رقعة من الحرير ثم ألصقت إلى الصدر. مثل هذا النوع من القمصان الذي ترى الآباء يرتدونه عند الذهاب إلى المباريات الكبرى التي يلعب فيها أطفالهم.

علّقت أماندا: «أراهن أنك تحصلين على الكثير من الطعام المجانيّ هنا...». ثم أشارت بإبهامها إلى الخلف حيث يقف بوو في قاعة الأكل بين الطاولات، وتابعت: «والأجواء هنا ليست سيئة أيضًا».

هزرتُ رأسي... ليس نفيًا تلك المرة بل لأشغل عقلي بشيء آخر عدا الضحك على كلماتها. أجبتها بكلماتٍ مقتضبة: «أجل. أنا بخير هنا».

اختارت الفتاتان الحصول على طلباتهما جاهزة ومُغلّفة، وقد تلكأت أماندا قليلًا لوقتٍ بدا طويلًا حتى تتطلع إلى بوو بينما كان يشق طريقه نحو المطبخ.

بدأت فترة راحتي بعد انتهاء فترتيّ ماركوس وبوو. وعندما فتحتُ خزانتي الصغيرة لأخرج مرطب الشفاه، وجدتُ حلوى مصاصة حمراء. كانت واحدة من تلك الحلوى الفاخرة التي تستقر على قاعدة خشبية أمام ماكينات الدفع في متجر البقالة. زُمتُ بشفتيّ يمينًا ويسارًا لبرهة قبل أن أدسها في جيبِي، بينما أجاهد لبدو مذهري عاديًا في حالة إن كان بوو يراقبني بطريقةٍ أو بأخرى.

عندما كنتُ طفلة صغيرة، اعتدنا تزيين صناديق الأحذية في المدرسة، واستخدامها لتكون صندوق بريد في أثناء عيد الحب. وكنا نترك تلك الصناديق المزينة على طاولاتنا الدراسية طوال اليوم. لكنني لم أُحبذ قط أن يراني أحدهم وأنا أتفحص صندوق بريدي. لم يتعلق تصرفي بما أخشاه من ألا أحصل على أي معايدات. فالجميع كانوا يمنحون بطاقات المعايدة ويستقبلونها. لكنني أردتُ أن أكون الفتاة التي تحصل على بطاقة معايدة مميزة مُوقَّعة بالكلمات السحرية «من مُعجب مجهول».

هذه الحلوى ربما لا تكون بطاقة في صندوق أحذية، لكنها جعلت قلبي يتفتح كأزهار الربيع. جلستُ أزيل الغلاف عن الحلوى، وفكرتُ في مراسلة إيلين، لكنني جعلتُ وجه هاتفي لأسفل حين عجزتُ عن اتخاذ قرار بشأن ما سأقوله. ارتميتُ على الكرسي وتلذذتُ بالحلوى. قد تكون إيلين تحظى بليلتها المنتظرة الآن، قد تصبح سيدة بصورة رسمية، ولن أعرف شيئاً عن الأمر حتى. أتساءل إن كانت قد تحدثتُ إلى كالي بعدما غادرتُ. ربما فعلت، لأنه في هذه الحالة، ستعرف كالي جيداً ما عليها أن تقوله. بعدما أنهيتُ تناول حلوتي، ألقىتُ بالعصا والغلاف في صندوق القمامة، واحتفظتُ بهاتفي في صدريتي. وبينما كنتُ أمُرُّ خلال المطبخ، أصدرت صدريتي أزيزاً. فوقفتُ في موضعي أتفحص الهاتف قبل أن أتقدم.

**إيلين: «متوترة قليلاً. سأحادثك لاحقاً».**

**إيلين: «أعني بعدما أنتهى».**

**أنا: «ستكونين مثل قطة مثيرة. ميااااااااو».**

إيلين: «أنتِ الأفضل. ربما يمكنني المبيت لديك الليلة في منزلكِ ونتحدث. أحضاني وقُبلاتي».

تسللت إلى شفتي ضحكة باهتة. رفعتُ عيني لأرى بوو يُحَدِّقُ إليّ وأنا أضع هاتفي مجدداً في صدريتي، لأدرك بعد ثانيتين مدى الغرابة التي ربما تبدو عليها عندما تدس يديك أسفل قميصك أمام شابٍ هكذا.

لقد تعرّضتُ للتحديق والنظرات المشمئزة كثيرًا في حياتي، وقد كان هذا كافيًا لأعلم أنه عندما يُضبط أحدهم في أثناء تحديقه إلى الآخرين، فإن الفطرة تقول أن ينظر بعيدًا. ولكن بوو استمر في تحديقه، كما لو أنه لا يملك شيئًا يخل منه.

فاض وجهي بالحُمرة، فأخفيتُ ابتسامتي خلف ظهر يدي، وبدأتُ العمل على مهامِي الختامية لليوم. كان رون قد سمح لماركوس بالمغادرة عدة دقائق مبكرًا في نهاية الليلة لأن تيفاني كانت تنتظره وكانت غاية في الانزعاج بشأن شيء ما. أما نحن فبينما كان رون يجلس في غرفة مكتبه لإنهاء المعاملات الورقية لهذا اليوم، كان بوو يمسح المطبخ وكنْتُ أنا أنظف أسطح جميع الطاولات.

قال بوو: «احترسي، لقد مسحتُ الأرض من خلفكِ للتو».

فاتخذتُ حذري وسرتُ بخطواتٍ بطيئة خوفًا من الانزلاق، ثم غسلتُ يديَّ لأزيل عنهما الشحوم مستخدمةً الحوض الصناعي الكبير. أنهيتُ جميع أعمالي، لكنني أبقيتُ نفسي منشغلةً بأشياء لا طائل منها، بينما كان بوو يُنهي مسح الأرضيات. ملأتُ الحوض لأجله حتى يغمس الممسحة في الماء طوال الليل لإزالة أوساخها، كما تحبها ليديا أن تكون.

نادى رون قائلاً: «أنتما الاثنان عودا إلى البيت. أراكما لاحقًا».

أسرعتُ إلى خزانتي لإحضار حاجياتي، كما لو أنني أخشى أن يغادر بوو دوني أو شيئًا كهذا. تبعته إلى الخارج، وعندما وصلنا إلى الباب، فتح الباب وأبقاه مفتوحًا لأجلي حتى أضطر إلى المرور من أسفل ذراعه، الذي كان محتفظًا برائحة طيبة على أي حال. كيف يمكنه أن يقضي الليلة بأكملها بين الزيوت واللحوم ولا تفوح منه رائحة الوجبات السريعة؟

سرنا معًا إلى سيارتنا في صمت، ودون قصدٍ احتكَّت يده بيدي، وتساءلتُ كيف سيكون شعوري إن أمسك بيدي، وسمح لأناملنا بالاحتضان.

وعندما وصلتُ إلى الموضع الذي تركتُ فيه سيارتي، تطلعتُ إليه من خلف غطاء المحرك وبنبرة هادئة قلتُ: «شكرًا لك على الحلوى».

لم يلتفت، لكنه مال برأسه إلى السماء وأردف: «ليلة سعيدة، ويلودين».

\*\*\*

مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

## الفصل السابع

دون أن أضطر حتى إلى السؤال، سردتُ عليَّ إيل كل التفاصيل المثيرة المتعلقة بفقدان عذريتها تلك الليلة. كانت وتيم قد التقيا في غرفة نوم تيم، فقد سافرت والدته خارج المدينة لزيارة جدته، بينما كان والده يؤدي نوبةً ليلية في عمله كونه ضابط شرطة.

استلقيتُ وإيل على الفراش وجهاً لوجه وقد أطفأنا الأضواء. ثم سألتها: «كيف كان الأمر؟ كلا، لا أقصد الأمر، بل أقصد كيف كان شعورك حينها؟». أغلقت إيل عينيها هنيهة، وأجابت: «شعرتُ... بأنني أمسك بزمام الأمور. أعني، أمور حياتي».

ثم فتحت عينيها لتتابع: «وشعرتُ بالحب، أنني محبوبة. وانتابني إحساس بالمرح أيضاً».

- ماذا تعنين؟

- لقد فعلنا ما يفعله الكبار. هذا الشيء الذي تضج به أفكار البالغين، ومع ذلك ما زلنا محتفظين بطبيعتنا الشبابية. حافظنا على ضحكاتنا ونكاتنا. توقعْتُ أن يتغير شعوري حيال نفسي، فأحسُّ كأني شخصٌ مختلف، لكن في الحقيقة لقد كنتُ أنا -بطبيعتي القديمة البسيطة- الفتاة التي اتخذت هذا القرار الذي لا يمكن الرجوع عنه أبداً.

أومأتُ في تفهّم. كانت إيماءةً حماسية لأنه وبعد تعرية كل التعبيرات من المجاز، أدركتُ تماماً المعنى الكامن وراءها.

شعرتُ بإيل تمسح على وجنتي بأطراف أناملها، وللمرة الأولى لاحظتُ دمعاتٍ متفرقة تزحف متساقطةً على وجهي. لامست إيل جبتهتي بجبهتها، ولا أدري أيًا منا قد غطَّ في النوم أولاً.

\*\*\*

مع أن تجهيزات المسابقة ولوازمها كانت تبتلع منزلي، غير أن الأسابيع القليلة التالية كانت أفضل من سابقتها. كانت غالبية نوبات عملي معظم الوقت برفقة رون، وفي بعض الأحيان كانت ليديا تتولى زمام الأمور. وعن أيام الاثنين والأربعاء فكانت وتيرة العمل رتيبة وسلسة دائماً، أما أيام الجمعة والسبت فكانت قاتلة. وكانت أُمِّي تستنكر دائماً حقيقة أننا نظل نعمل حتى منتصف الليل، لكنه واقعٌ لا يمكنني فعل أي شيءٍ لتغييره.

في ليلة الجمعة، إذ كنا على وشك الإغلاق، خرج رون من مكتبه إلى قاعة الطعام حاملاً أبراجاً طويلة من الكؤوس البلاستيكية المُغلّفة. وألقى بها جميعاً على الطاولة، ثم قال: «أحضرتُ لكم أكواباً جديدة».

فأجبتُ سائلةً: «هل هناك مشكلة في الأكواب التي لدينا الآن؟».

فضَّ الغلاف البلاستيكيَّ عن أحد الأبراج ووضع كوباً أحمر في يدي. كان شعار مطعمنا مصمماً على الكوب، ومن أسفله ظهرت حروف بخطٍّ مائل تقول: «الراعي الرسمي لمسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت».

أحياناً ما أعتقد أن المسابقة تُشبه أعياد الكريسماس، وفي كل عامٍ تستمر محاولاتنا في الاحتفال بها مبكراً عن موعدها حتى ستتحول إلى حدثٍ مستمر على مدار العام.

- جاءت إليَّ واحدة من تلك الفتيات اللاتي التحقن باللجنة التي تديرها والدتك، وبما أن والدتي كانت قد اختيرت للفوز عام 1977، فعجزتُ عن تفويت الفرصة لدعم دُرَّة التاج لمدينة كلوفر سيتي.

وجدتُ نفسي وقد انعقد حاجبائي قبل أن أجيب في تجهمٍ: «ولذلك سنلقي بكل الأكواب الجيدة التي نمتلكها بالفعل من أجل هذا؟».

رفع رون كتفيه في غير اكتراثٍ، وقال: «هلاً تُعيدين ملء الموزع قبل أن نغادر؟».

دائمًا ما كان يغيب عن ذهني مدى سوء النصف الثاني من العام، تلك الأشهر الستة التي تتضمن تحضيرات المسابقة. أشعر حينها أن حياتي مُكدسة بها، دون أن تترك لي مجالًا للترويح عن نفسي.

بعدما أنهينا استعدادات الإغلاق، كان ماركوس ورون قد وصلا إلى سيارتيهما، متحركين بهما إلى الخلف حتى يخرجنا من المكان المخصص لصف السيارات، قبل أن أصل أنا وبوو حتى إلى سيارتنا.

وبينما كنتُ أفتح باب سيارتي -لأنني لا أملك واحدًا من تلك المفاتيح الأتوماتيكية الفاخرة- قال بوو: «هناك زخات شهب الليلة. زخات بسيطة على أي حال».

ألقيتُ بحقيبتني على مقعد المسافر، والتفتُ سائلةً: «وكيف تعرف هذا؟».

- لقد أخبرتني زوجة أبي، إنها مُولعةٌ بالنجوم والفلك.

كانت معرفتي بالفلك ضئيلة ومحدودة للغاية عدا أن الكنيسة التي تتبعها أُمي دائمًا ما تطلق عليها مسمى الأعمال السحرية. ولذلك دون تفكيرٍ، أغلقتُ باب سيارتي وقلتُ: «لم أرَ زخات شهبٍ من قبل».

أومأ بوو نحو مؤخرة شاحنته، وقد كانت المصابيح في تلك الرقعة تومض متقطعة، ثم قال بصوتٍ هامس: «دعينا ننتظر هناك».

حُبست أنفاسي في صدري. يا إلهي، أظن أنه هكذا يكون الشعور، عندما تبدأ حياتك.

- هل لديك شيء نجلس عليه في الخلف؟

اتجه بوو نحو كابينة شاحنته وأدار المذراع، وجلب لنا سُترة رياضية تحمل اسم مدرسة هولي كروس من كابينة الشاحنة. وقال: «استخدمي هذه».

التقطتُ السترة وبينما كنتُ أقفز صاعدةً إلى مؤخرة الشاحنة، تعمَّد بوو إغلاق عينيه. وتمنيتُ حينها لو أن عينيه مغلقتان حقًا لأن كلمة «أقفزُ» لا يمكن لها أن تُذكر في سياقٍ واحد مع فستاني المصنوع من قماشٍ مرن. غير أنه قدَّم إليَّ يده لأستند عليها، ولا أخجل من الاعتراف بأنني قد تظاهرتُ بحاجتي إليها.

حينما لامستُ يده انتابتني دهشةٌ من غِلظة ملمسها، وعزوتُ ذلك لكثرة العمل بها. الحقيقة أني أُعجبت بمدى التناقض الذي يجمع بين ملمس جلودنا. وهكذا بمجرد أن أفتن بشيءٍ، يصير من الصعب تغيير رأيي فيه.

أما بوو، فقد أجفل قليلاً وهو يجذب نفسه لأعلى مؤخرة الشاحنة.

- هل أنت بخير؟

- رُكبة مصابة.

وجلس بجانبني محافظاً على استقامة ساقه.

- ما المشكلة؟ هل هي إصابة أم أنها دائماً ما كانت على تلك الحال؟

- القليل من كليهما.

فأعدتُ على مسامعه السؤال مجدداً للاطمئنان: «ولكن هل أنت بخير حقاً؟».

سعل في قبضة كفه، ثم أجاب: «أجل».

كان ضوء المصابيح الأخيرة في الشارع يرتعش. ربما كنا نعيش داخل حدود المدينة، ولكن في كل ليلة عندما تغلق المدينة أضواءها، يصير من العسير على المرء نسيان مدى عُزلتنا عن العالم. لا تقع مدينتنا على الطريق السريعة أو بالقرب من أي طريق رئيسية، لذلك كانت المدينة من هذا النوع من الأماكن الذي لا يجده إلا أولئك الذين يبحثون عنه.

تفحّص بوو الساعة في هاتفه المحمول، ثم قال: «يتعين أن يكون الظلام حالاً حتى نتمكن من رؤيتها».

كان بإمكانني تحديد شكل الأبراج بسهولة...

- هل قلتُ إن زوجة أبيك مُولعةٌ بالفلك؟

حكَّ بوو براحمه بذقنه قبل أن يجيب: «أجل».

- هل والداك منفصلان؟

هز رأسه نفياً، لكنه لم يُعقّب بشيء.

- أنا... آسفة على طرح سُؤالي. دائماً ما أعاني الفضول مثل قطعة تستكشف صندوقاً من الفقاعات البلاستيكية. إنها مشكلة لدي.

- كلا، هذا ليس ما في الأمر. فأنا لا أمانع التحدث إليك. لذا لا تعتذري عن شيء، اتفقنا؟ كل ما في الأمر أنني لا أتحدث كثيرًا في العموم، وما زلتُ أستغرق وقتًا للاعتياد على الأمر.

أحنيْتُ رأسي إلى الخلف مستندةً إلى النافذة الخلفية لكابينة الشاحنة وعقدتُ ساقِيَّ عند الكاحل. ثم علَّقتُ: «أما أنا فأراني نقيضك. أحب الحديث كما لو أن الكون سيستمر في دورانه فقط إذا كان يدور حولي».

ضحك بوو على كلماتي، لكنه أرفف: «وأنا أحب الاستماع إليك تتحدثين. إنه شيءٌ أشبه بمتلازمة ستوكهولم<sup>(1)</sup>. في البداية كان الأمر مزعجًا قليلًا، أما الآن فقد صار مصدرًا للسكينة. أعني أن العالم قد يكون على وشك الفناء، لكنني سأصبر على القدوم إلى العمل حتى أستمع إليك تتحدثين كما لو أنه آخر واجباتي على الأرض».

فتساءلتُ: «عذرًا، ولكن هل هذه طريقة ملتوية لتقول بها إنني أسرة؟».

- هذا كثيرٌ من التأويل.

لكزتُ ذراعه، فأمسك بيدي ولم يتركها. كان المذيع من ورائنا يصدق بأغنية «Creepin' In» تلك التي تُغنيها نورا جوناس ودوللي بارتون. وبات كل شيء في هذه المدينة الصغيرة في ظلامٍ حالك، غير أنه كان بإمكانني الشعور بعيني بوو تلتقيان عيني. همس بالقرب من أذني: «لقد بدأ العرض». وأخيرًا أطلق سراح يدي. وبدوري أطلقتُ بضعة أنفاسٍ مرتجفة لم أكن أدري أنها قد حُبست داخل صدري.

- إنها زخاتٌ شهبٍ بسيطة. أعتذر لأنها أقل إثارة للإعجاب.

---

(1) متلازمة ستوكهولم: هي ظاهرة نفسية تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو من أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يُظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المُخْتَطَف مع المُخْتَطِف. وأُطلق على هذه الحالة اسم «متلازمة ستوكهولم» نسبة إلى حادثة وقعت في ستوكهولم - السويد، حيث سطا مجموعة من اللصوص على بنك كريديتبانكين Kreditbanken عام 1973، واتخذوا بعضًا من موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام، خلال تلك الفترة بدأ الرهائن يرتبطون عاطفيًا مع الجناة، ودافعوا عنهم بعد إطلاق سراحهم. (المترجمة)

كنتُ مأخوذةً اللب بكل ما أرى. أشعةً من الضوء البعيد تتفتت في السماء، وتُخلف وراءها أثرًا يُشبه الكدمات. فهزرتُ رأسي نفيًا، ثم أجبتُ: «كلا، لم أرَ زخةً شهبٍ من قبل. وهذا ما يجعل الأمر مميّزًا، أليس كذلك؟».

اتجهنا بوجهينا بعيدًا نحو السماء، وقد مرت عدة دقائق قبل أن يقول: «كانت زخة الشهب التي رأيتهَا أول مرة هائلة. وتمنيتُ لو أنها لم تنتهِ قط». فأجبتُ: «حسنًا، لا يمكن للمرء أن يحظى بكل الأشياء الجميلة طوال الوقت؛ هذا أمرٌ مُفسد».

أومأ بوو موافقًا. ورقدنا لوقتٍ طويل نتطلع إلى السماء، كما لو أننا نستمع إلى أغنية رائعة عبر المذياع وقد عجزنا عن إيقافها.

- ألا تشعر كما لو أننا الوحيدان في هذا العالم اللذان يشاهدان الشهب الآن؟

هكذا قلتُ بعد فترةٍ ليست بقصيرة، وكنتُ أخشى من إفساد تلك اللحظة. فأجاب بوو بصوتٍ بدا مدويًا مقارنةً بسكون الليل: «لا أدري... كل ما أعرفه هو أن أُمي قد تُوفيت... منذ خمس سنوات. وأعتقد أنني أود الإيمان بأنه مهما كان المكان الذي صارت إليه الآن، فإنها تشاهد زخات الشهب في سمائها أيضًا».

كانت كل كلمة ينطق بها رقعةً عارية من روحه، وقد اشتدت رغبتِي حينئذٍ لو أغدقه بكل ما أملكه من حُبٍ وأحتويه بداخلي. انتظرتُ طويلًا لينطق بأي تنويه بشأن حماقة نظريته أو أسفه عن كونه مُحبطًا. لا شيء سوى أن هذا بالضبط ما كنتُ سأنطق به. لكن بوو لم يعتذر، وقد أعجبني ذلك. يروق لي كيف بدا غير آسفٍ على شيء. كنتُ قد رغبتُ في مواساته بشأن والدته أو أخبره بأنني أفكر في لوسي بالحال ذاته أيضًا، ولكن بدلًا عن كل هذا، قلتُ: «أعتقد أنها سماءٌ رحبة تكفي لنشاركها مع أحدهم».

\*\*\*

## الفصل الثامن

في الصباح التالي عندما سألتني أمي عن التوقيت الذي عدتُ فيه إلى المنزل، أخفيتُ عنها أمر ليلة أمس، وأخبرتها أن المطعم كان أكثر ازدحامًا من الأيام العادية، واكتفيتُ بهذا. فقد كانت شفتاي ترتعشان في كل مرة أتذكر فيها جلستي برفقة بوو في مؤخرة شاحنته.

يتعين عليّ الاتصال بإيلين -أعلم ذلك- وأقص عليها كل ما حدث. لكنني لا أود مشاركة هذا الأمر بعد. وأحبذ فكرة الاحتفاظ بما يدور في عالمي في تلك الخزائن الصغيرة تجنبًا للتصادم.

كان الازدحام في ليلة السبت عنيفًا للغاية. ودائمًا ما يكون مميتًا بين الساعة العاشرة والنصف والحادية عشرة والنصف، وحينما نوشك على إغلاق أبوابنا، تأتينا دفعة أخيرة مكدّسة من الطلبات.

كان رون يساعد في تجهيز الطعام في المطبخ بينما كنتُ أتلقي الطلبات في الواجهة. أما ماركوس فقد تولى نافذة خدمة البيع تلك الليلة. وكانت سماعات الرأس بالكاد تستقر على شعره المنفوش. وحينما تتوفر له بضع دقائق بين طلبات نافذة البيع، كان يُسرّع لمساعدتي في تجميع صواني الطعام، ورغم كل هذا الجهد، لا يزال طابور الانتظار مزدحمًا باستمرار.

كنتُ قد توقفتُ عن إزعاج نفسي بالنظر إلى الزبائن من خلف مكتب الخزينة حتى سمعتُ: «يا إلهي! لقد نسيْتُ تمامًا أن إيلين قد أخبرتني بعملك هنا».

تراخت رئتاي وعظامُ كتفَيَّ حين تعرَّفْتُ على الصوت. كان هذا صوت كالي، التي وقفت مستندة إلى الجهة المقابلة من الخزينة. قالت: «اعذريني حقًا ولكني ما رأيتُ أسوأ من زي العمل هذا».

تجاهلتُ تعليقها تمامًا، وسألتُ: «مرحبًا بك في هاربيز بيرجرز & دوجز. كيف يمكنني مساعدتك؟».

ألقي صديقها الحميم -كامدون أو براندون أو مهما يكن اسمه- بمحفظته إلى كالي وقال: «سأذهب للتبول».

تبادل الثنائي قُبلةً، كانت، لا يهم، ما أقصده هو، لماذا؟ هل من المحتمل أن يغرق في المرحاض؟ المهم أن كالي قد عادت لتتطلع إليَّ بابتسامة ودّ وتعاطف، ثم قالت: «حسنًا، هل يمكنني الحصول على الطلب رقم واحد هنا مع مشروب دكتور بيبر، مع إضافة المزيد من حلقات البصل المشوية، ولا أريد طماطم. واجعلي حجم البطاطس المقلية صغيرًا، إن لم يكن هناك مشكلة. أما أنا فسأحصل على بيرجر اللحم، مع إزالة الجبن. وبطاطس مقلية بالحجم المخصص للأطفال».

تحولت ابتسامتها إلى أخرى تحمل مسحة تأمرية، حين قالت: «ها قد بدأت التحايل على الحمية الغذائية للمسابقة، للشباب تأثُر سيئ في هذا الأمر».

- الإجمالي عشرة دولارات وأربعة وسبعون سنتًا.

لم يكن لدي متسع من الوقت أو صفاء الذهن الذي يسمح لي بالتجاوب معها، لكنها لم تكتفِ رغم هذا، فقالت: «ربما يكون هذا طلبًا غريبًا، ولكن هل يمكننا أنا وإيل-بيل زيارتك في منزلك؟ كم أود التحدث إلى والدتك بشأن المسابقة العام الذي فازت فيه بالتاج. أعني بصورة غير رسمية».

أنا لا أعرف هذه الفتاة مطلقًا، والآن تشق طريقها مندفعةً خلال حياتي كما لو أن كل شيء يحق لها أن تحصل عليه.

- أنا منشغلةٌ حقًا تلك الفترة.

كان صوتي رتيبًا صارمًا، وقد تطلعت إليَّ شزرًا قبل أن تبتسم وتُقلِّب في محفظة صديقها بحثًا عن عشرين دولارًا.

- يا إلهي! هل فقدت عقلك عندما...

وخفضت من صوتها: «أخبرتِكِ إيلين بالحادثة الحميمة التي حدثت بينها وبين تيم عندما كانا معاً؟».

- ماذا؟

كنتُ على يقينٍ بأن إيل ستحدث إلى كالي عن تلك الأمور، وليس أنا. وهكذا حاولتُ نفّض الدهشة عن وجهي، وأجبتُ: «أجل صحيح، كان الأمر جنونياً».

ثم أضفتُ: «سيجري الانتهاء من طلبك بعد قليل».

كان الغضب قد تملكني، كنتُ أعلم أن هذا ما سيحدث. كنتُ أعلم أن ممارسة الحب ستخلق حاجزاً مستقبلياً بيني وبين إيلين. ولكن ما شعرتُ به أكثر من أي شيء آخر هو أن وجودي لم يُعد كافياً.

في تلك الأثناء خرج رون من المطبخ وقال: «سنغلق أبوابنا الآن يا شباب. فإما أن تأخذوا طلبكم مُجهزاً وإما أن ترحلوا دونه».

كان طلب كالي قد انتهى، فضببته في حقيبة مناسبة وسلمتها إياه عندما خرج صديقها الحميم من دورة المياه. وبعدما أغلقنا أبواب الصالة الخارجية، وأوقفنا ماكينة الدفع، اتجهتُ إلى المطبخ لجمع بعض القمامة. قلتُ: «سأخذ تلك الأكياس إلى الباب الخلفي».

فأجاب بوو: «امنحيني بضع دقائق وسأساعدك».

عندما انتهى بوو من عمله، وأطفأ ماركوس مصابيح نافذة البيع، تبعني بوو إلى الباب الخلفي، كلُّ منا يحمل عدة أكياس من القمامة الرطبة. كان الباب على وشك أن ينغلق من ورائنا عندما ركل بوو بحجرٍ صغير يستقر بين الباب وإطاره. ألقى بأكياس القمامة في يده على الأرض وحمل عني أكياسني ثم ألقاها في صندوق القمامة. وكرر الأمر مع أكياسه أيضاً.

- شكراً لك.

أنهيتُ كلماتي واستدردتُ لأعود إلى الداخل.

- انتظري.

كانت أنامله تلامس مرفقي، وشعرتُ بالأنفاس تنحبس في صدري حين تابع: «بخصوص ليلة أمس، لقد راق لي قضاء الوقت برفقتك».

- أعلم ذلك. أعني وأنا أيضاً.

أجبتُ ومددتُ يدي لأمسك بمقبض الباب، لكن صوته باغتنني حين نادى باسمي. كان شديد القرب حتى إنني استطعتُ تمييز رائحته المُخضبة بالعرق. انفرجت شفَتاي لأجيب نداه لكنه انحنى نحوي، وتطلع إلى عيني هنيهة قبل أن يدفع الكلمات بعيداً عن شفَتَيَّ عندما التقت شفَتاه شفَتَيَّ. لم أحظُ بوقتٍ للتفكير فيما يحدث. حتى إن ذراعَيَّ ظلّتا مُعلّقتين في الهواء قبل أن تستقرا على جانبي، وتتكور أصابعي في قبضة مرتخية. كان مذاق شفَتَيْهِ مثل نكهة توتٍ صناعية وقد اختلطت بمعجون أسنان. أما ما أردته أنا حقاً فهو أن أقبله حتى تذوب شفاهنا. لكنه أفلتني. قبلتي الأولى، كانت أسرع شيء يدوم للأبد.

كان الهواء عند منتصف الليل جافاً وخانقاً، لكن الرجفة في جسدي جعلتني أحيط نفسي بذراعَيَّ. ووقفتُ أنتظر الكلمات -كلماته أو كلماتي لا يهم- لكنها مُحيت ولم تتردد في الهواء. وكانت الصدمة التي شعرتُ أنا بها قد حُفرت على ملامح وجهه. ولم أحتمل الوقوف لحظةً أخرى. لامستُ شفَتِي السفلى بأطراف أناملي، وسرتُ نحو الداخل. فلم يُوقِفني.

\*\*\*

تضيق الأبدية في إنهاء أعمال ما بعد الإغلاق. كانت قاعة الطعام غارقة في الفوضى، ولم يختلف المطبخ عنها كثيراً، لكنني كنتُ أتخبط بين أفكارِي التي احتلتها بوو وقبلتي الأولى حتى بالكاد لاحظتُ ثقل العمل. قبلتي الأولى... تلك التي تحققت في الباحة الخلفية لمطعم هاربيز بيرجرز & دوجز، وبجانب صندوق قمامةٍ مملوء حتى آخره بنفايات يومٍ كامل.

رغم كل هذا، كانت قبلة رائعة. تركت عظام جسدي بأكمله في ألم ينخر بها، كما لو أنني تعرضتُ لحادث سيارة ولم يُصَب جسدي بشيء، غير أنه لم يزل بإمكانني الشعور بآثره في سائر جسدي.

في نهاية هذه الليلة، استقللتُ سيارتي وخلفتُ المَخرج من ورائي حتى قبل أن يغلق رون الباب خلفه. قطعتُ إشارة المرور طريقي، فتوقفتُ عند تقاطع الشارع ومسحتُ بكلتا يديَّ على وجهي عدة مرات وأنا أحاول استيعاب كل ما حدث معي هذه الليلة. وإن كنتُ غارقةً في أفكارِي، سمعتُ بوق سيارة يتردد، فألقيتُ نظرة سريعة على ضوء الإشارة التي وجدتها لا تزال حمراء لم تتغير. ثم سمعتُ صيحةً مكتومة عن يميني.

كان بوو يجلس في سيارته في الجادة المجاورة، يُلوّح إليّ بذراعيه ويشير إلى نافذتي. لم تكن هذه طريقه المعتادة إلى منزله، كنا دائماً ما نسلك اتجاهاتٍ متقابلة، فيذهب هو إلى الشرق، وأتجه أنا إلى الغرب.

في اللحظة التي فتحتُ فيها نافذة سيارتي، بدأ في الحديث: «أنا آسفٌ حقاً، ما كان من المفترض أن... (إذ سمعتُ كلماته، امتلأ رأسي بكلمة واحدة «أُقبَلِك») أفعل ذلك. لقد...».

ألقي نظرةً سريعة على الإشارة، فرأيتُه وقد لمح تغييرها إلى اللون الأصفر. فقال: «اتبعيني. من فضلك!».

وبنظرة خاطفة تطلعتُ إلى الساعة في يدي، فإذا بها 1:35 صباحاً. وكان بوق السيارة من خلفه قد ارتفع فجأةً وهو يكرر: «من فضلك».

تحرك بوو بسيارته ليغير جادته حتى يتسنى له أن يسير أمامي. ربما لم يكن من المفترض بي أن أتبع شأباً لا أعرفه حق المعرفة في طريق مظلمة بعد منتصف الليل. فمثلاً: ربما يقتلني، وعندها لا يهم كثيراً إن كنتُ بدينة أو أن قبِلتي الأولى كانت بجانب صندوق قمامة، لأن أمري سيكون منتهياً وقتذاك.

وحين وصلنا إلى مفترق الطرق، وكان من المفترض أن أنعطف يمينا، انحرفتُ إلى اليسار وتبعْتُ الفتى الغريب في طريقٍ مظلمة، ومن فوقنا خلدت السماء في سُبَاتٍ عميق.

\*\*\*

## الفصل التاسع

سرنا بسيارتينا طوال الطريق المؤدية إلى أطراف المدينة حيث تقع المدرسة الابتدائية القديمة، التي شبَّ حريقٌ فيها قبل عدة سنوات، ومنذ ذلك الحين هُجرت المنطقة. بيد أن حدثًا كهذا يمكن أن نُعده من نواقيس الخطر، فضلًا عن أنني ربما تجاهلتُ إرشادات الحفاظ على النفس التي لا بد أن تكون مترسخة في عقلي. فقد كان ما يحدث حاليًا يحمل بين طياته وعلى واجهته عبارات تحذيرية بالخط العريض.

وصلنا إلى المدرسة وصففنا سيارتنا، غير أنني انتظرتُه ليترجل هو أولًا من سيارته. ربما لو كانت إيل معي الآن، لكانت ستوحي لي بإحضار مفتاح الإطارات أو تسخين قداحة السيارة، لكنها ليست هنا وأنا وحدي في هذه المنطقة النائية. لم أستسلم وبحثتُ عن سلاح في الكرسي الأمامي، بيد أن كل ما وجدته كان برطمانًا فارغًا من زبدة الفول السوداني وعمليات معدنية بقيمة اثنين وثلاثين دولارًا وبعضًا من رسائل البريد غير المرغوب فيها، التي كنتُ قد نسيْتُ حملها إلى المنزل منذ بضعة أسابيع. ولم أجد سوى مفاتيح سيارتي التي حملتها في راحة يدي هنيهة أتطلع إليها.

ها هي ذي! أخذتُ تلك المفاتيح الثلاثة المرصوفة في سلسلة مفاتيحي. (مفتاح السيارة ومفتاح منزلي ومفتاح احتياطي لمنزل إيل) وحملتُها في يدي، ثم قبضتُ عليها لكي يبدو كل واحدٍ منها كما لو أنه مخلب يبرز من بين إصبعين من أصابعي الخمس. كنتُ قد تذكرتُ مشاهدة شيء كهذا في حلقة خاصة من البرنامج التلفزيوني موري، موضوعها الدفاع عن النفس. قد

يكون التلغاز منقذًا للحياة في بعض الأحيان. تطلعتُ إلى يدي وشعرتُ بمدى سخف ما أفعله، غير أن هذا أفضل من اللاشيء.

استند بوو إلى مقدمة شاحنته القديمة، وعلى الجانب تمتد ظلال نقوش كتابية، كما لو أنه قد ابتاع الشاحنة من شخص كان يدير مشروعًا خاصًا.

- حسنًا، هذا مريب!

كانت تلك كلماتي الأولى، حين تحركتُ صوب المدرسة، وعلى جانبي استقرت قبضتي الحادة.

كان المكان بأكمله قد صار إلى رماد، عدا أن بإمكانك أن ترى الهيكل الخارجي للمدرسة. أما الهيكل الداخلي حتى منتصف البناء، فقد ركد بأكمله في حُطام. ولم تُحدث تلك الدعائم أي فارق للهيكل العاري.

ومن موقعي هذا، يمكنني أن أرى مخطط البناء، رغم ما يُغلفه من ظلام، عدا أشعة القمر المتناثرة على بعض أركانه. وفي هذه الساحة التي تسبق المبنى، لم يكن ثمة ضوء سوى مصباح واحد منعزل، وكنا نحن -بالطبع- خارج مدار وهجه تمامًا.

- أنا آسف حقًا.

كان بوو قد خلع سُترة العمل، ورأيتها ملقاةً على المقعد الخلفي للشاحنة، وارتدى قميصًا تحتيًا ضيق الرقبة. أما السلسلة التي دائمًا ما ألاحظها تبرز من أسفل سُترة العمل، كانت تحمل قلادة القديس الراعي.

تابع بوو: «اعتدتُ أن أرتاد المدرسة الابتدائية هنا قبل أن تحترق. وكان المكان الوحيد في هذا الجانب من المدينة الذي استطعتُ التفكير في الذهاب إليه في هذا الوقت من الليل».

أجبتُ مشدوهة: «حقًا؟».

وددتُ لو أسأله عما حدث لوالدته، وعن معلمته المفضلة، وعما إذا كان يستقل الحافلة إلى هنا، أم أن والديه كانا يوصلانه إلى المدرسة كل صباح، لكنني لم أفعل. وددتُ أن أسأل عن الكثير، وأن أعرف المزيد والمزيد، لكنني التزمتُ الصمت في نهاية المطاف.

اكتسى وجهه بأمارات الضحك، ولم تكن مجرد ضحكة مكتومة، بل كان يلهث من شدة الضحك. ثم نطق أخيرًا بعدما بدأت نوبة الضحك في التلاشي: «لقد أتيت إلى هنا مستعدة».

وأشار إلى قبضتي. رفعتُ كفي المسلَّحة إلى أعلى، ثم أجبتُ: «حسنًا، لقد قدتني إلى مدرسة ابتدائية مهجورة، وهذا فعلٌ يحمل الكثير من عبارات مثل: «أريد أن أقتلك، وأُمثلُ بجسدك»».

خمدت ضحكته رويدًا، ثم قال: «حسنًا، هذا منصفٌ تمامًا، أحسنتِ!». أسقطتُ سلسلة المفاتيح في جيب فستاني، وركلتُ بضعة أحجارٍ صغيرة بمقدمة حذائي، ثم قلتُ: «عِدي فحسب أنك لن تقتلني». لاحت على شفثيه ابتسامة هادئة، قبل أن يجيب: «ما كان من المفترض بي أن أقبلك هكذا. دون أن تسمح لي».

- إذن. لماذا. فعلتُ؟

كانت كل كلمة تخرج من بين شفثيَّ وحيدة على حدة، مثل قطرة ماءٍ تسقط منفردة في دلوٍ فارغ.

- من وجهة نظري، هذا أشبه بطفلٍ حظي بيوم سعيد. يحب معلمته، ويلعب مع أصدقاء رائعين. ولا يفشل في دراسته. ولكن بعد كل هذا يُقدِّم على فعلٍ لن يسعه إيقافه أبدًا، حتى لو كان متنبئًا بحدوثه. تعرفين هذا الشعور؟

لاحظ بوو الحيرة على صفحة وجهي فتابع: «كما... كما لو أنكِ ناديتِ المعلمة بأمي وليس آنستي».

عجزتُ عن إخفاء الرعب الذي تملك ملامحي، وقلتُ: «مهلاً. ماذا تقصد؟ اعذرني ولكن هل تقارن تبادُلنا قبلةً بمناداتك المعلمة بأمي؟».

خلَّل خصلات شعره بأصابعه، ثم تأوه قبل أن يقول: «كلا. حسنًا، أجل. ولكن ما أقصده هو أن الأمرين يتشابهان في ردة فعلي. كما لو أنني فعلتُ شيئًا عجزتُ عن السيطرة عليه».

- والآن أنتَ تشعر بالحرَج؟

- كلا. كلا!

أطاح الهواء ببديه كما لو أن بإمكانه أن يمحو كلماته التي اتخذت مسارها عبره. ثم تابع: «أقصد أنني شعرتُ وكأنني عاجزٌ عن عدم فعل ما فعلت. ما أشعر بالحرَج نحوه حقًا هو أنني حتى لم أَمْنَح نفسي الوقت لفهم ما قد ترغبين فيه. بل فعلتُ ما فعلت. وأنا آسفٌ حقًا إن كان ما فعلت هو شيءٌ لم تكوني راغبةً في فعله».

- لا بأس.

كان السبب الحقيقي وراء جوابي هو أنني لم أرَ بوو من قبل يتحدث كثيرًا، وكنتُ أنا مفتونةٌ بحقيقة أنه نطق بكل تلك الكلمات.

خطأ إلى الأمام نحوِي، ثم سألت: «لا بأس... بمعنى «ألا تُكرّر الأمر مجددًا» أم... كانت قبلة لا بأس بها؟».

سَرَت رجفةٌ في جسدي قد أحالته إلى قطعة من الثلج على الفور. خطأ تجاهي خطوةٌ أخرى، وكان الصمتُ مخيمًا علينا لوهلة. كانت تلك هي فرصتي لأتراجع وأمنع أيًا كان هذا من الحدوث. لكنني شعرتُ بسيطرتي على نفسي تنزلق من بين أصابعي.

استرسل بوو: «لأنني أعتقد أنك قد قبَلتني أيضًا».

كانت الرجفة قد استحالت إلى حرارةٍ مشتعلة في وجنتي. وشعرتُ بنفسي واقعةً في براثن الحرَج، لكنني كذبتُ حين أجبتُه: «لم تكن سيئة. لكنها لم تكن مثل براكين متفجرة».

- إذن، كانت قبلة عادية؟

عضضتُ على شفتي حتى اختفتا بين أسناني. وأخذتُ ثلاث خطواتٍ مُقلّصة المسافة بيننا. ووقف بوو في موضعه مستندًا بمرفقه إلى الشاحنة، ثم أَمال برأسه إلى الخلف. غشركته الأمر، ولوهلةٍ كنا كمن تشارك السماء وما يدور فيها من أجرام، حتى أنهيتُ حالة الصمت، وبادرتُه قائلة: «إذن فقد كانت قبلة بدافع غريزي؟».

كانت حدة التوتر الذي قبض على عروق جسدي قد تخففت من شدتها حينما وجدتُ نفسي أزداد ارتياحًا بالحديث إليه.

- ولكن لماذا؟

وهكذا تابعتُ.

رغم ذلك لم تكن أذناي قد شُفيتا تمامًا من ذاك الطنين الذي يعلو حينما يتفجر الأدرينالين في دمائك.

تساقطت قطرات المطر الخفيف تتخبط فوق رؤوسنا، وبات الهواء معها أكثر تشبّعًا بالرطوبة. اقتنص بوو نظرةً لأعلى كما لو أنه يفكر في طريقة ما تُوقَف تدفق تلك القطرات.

قال بوو: «دعينا نستقل الشاحنة».

ومدّ يده يفتح باب كرسي المسافر، فقفزتُ إلى الداخل، في حين أسرع بوو عدوًّا من أمام الشاحنة ليصل إلى كرسي السائق، ويلج الشاحنة أخيرًا.

نجونا في اللحظة الأخيرة من غزارة المطر الضارية، فقد كانت القطرات تنهمر في غضب على الزجاج الأمامي للشاحنة، وكان صوت ارتطامها عاليًا ومفزعًا حتى كدنا نصيح لسمع أحدنا الآخر.

استأنف بوو الحديث قائلاً: «كيف كانت إن كان المقياس من واحدٍ لعشرة؟».

- يا إلهي، لن تتخلى حقًا عن الحديث في الأمر، أليس كذلك؟

فأجاب: «يمكنك القول إنني مصاب بهوس الأنا بعض الشيء».

كنتُ أشعر أنني سأقدم على الحديث في هذا الأمر، كلا، بل كنتُ مُقدِّمةً عليه حقًا. فأجبتُ: «ربما عليك أن تُعيد الكُرّة. ونختار الأفضل من بينهما».

تنحنج بوو قليلًا قبل أن يجيب، وقد ركزتُ عينيَّ عليه. ثم قال: «حسنًا، عادةً ما أفضل تحقيق الهدف من المحاولة الأولى، ولكن أشد ما أبغضه هو أن أسلبك حق الاختيار».

واندفع مُحركًا نصف جسده الأعلى مبتعدًا عن عجلة القيادة حتى وصل إليّ. واحتضن أحد خديّ براحة يده، منخفضًا برأسه إلى أسفل، حتى كادت شفّاته تلتقيان شفّتيّ. فقال حينها مُقاطِعًا: «هل أنتِ واثقة؟».

لم أجب، وقد كان تصرفًا أثار الدهشة في نفسي. ثم قبَّلته. قبَّلْتُ بوو لارسون. لم أفكر في أي شيء، لأنني وللمرة الأولى في حياتي، أشعر بأنني في المكان المناسب. أنا في المكان المناسب بلا شك.

احتضن خديّ بكلتا راحتيه وجذبني نحوه لآكون أكثر قربًا. إذا كانت إيل قد خبرت عُشر ما أشعر به الآن برفقة تيم، فلا يسعني أن أدرك كيف لها أن

تنتظر كل هذا الوقت حتى تمارس الحب، لأنه في تلك اللحظة التي التقت شفتاي شفتيه، عجزتُ عن التفكير في أي شيء عدا ما يحدث بيننا في هذه اللحظة.

شعرتُ بيديه تتحسسان رقبتني ثم كتفَيَّ. كانت لمستته تبعثُ بأمواجٍ من الأحاسيس في جسدي. الحماس... الرعب... الغبطة. مزيج من المشاعر في آنٍ واحد. ولكن حين تحسستُ أنامله ظهري وخصري، انقطعت الأنفاس في صدري. وشعرتُ كما لو أن سكينًا قد طُعن في ظهري. كان عقلي قد خدعني وفقد السيطرة على جميع أطرافني، فقد كانت الحقيقة المجردة التي وشت بتحسسه لجسدي، بتحسسه شحوم ظهري ومحيط خصري المتمدد بالدهن. كل تلك الحقائق جعلت أحشائي تحمل رغبةً في التقيؤ. ومرّت من أمامي صور أقارن بها بيني وبين كل فتاةٍ أخرى قد لامس جسدها من قبل. كل فتاةٍ أخرى تمتلك جسدًا ناعمًا وخصرًا منحوتًا.

- أنا آسف.

كانت أنفاسه حارةً متقطعة. فقلتُ: «كلا. كلا. لا تعتذر».

أعترف أنني لستُ من هذا النوع من الفتيات، لستُ الفتاة التي تقضي الساعات أمام المرأة مُحَدِّقةً إلى هيئتها، تفكر في كل الطرق التي قد تجعل منها فتاةً أفضل مما هي عليه. كان جسدي قد بدأ يتقلص مبتعدًا عن قبضته، وقد شعرتُ حينها بالخرج حتى إنني لم أستوعب قط السبب الذي حملني على هذا الشعور.

هز بوو رأسه، وقال: «كلا، أعني لم يكن من المفترض -لا أعتقد- أنه كان من المفترض لي أن أواعد أحدًا في الوقت الحالي».

أعتقد أن الطريف فيما حدث هو أن التفكير في احتمالية مواعدتنا لم تكن قد عبرت ذهني قط حتى ذكرها بوو.

- حسنًا.

كان جوابًا أقرب لاختلاجٍ في صدري.

تابع بوو: «إنني أُمُرُ بالكثير من المشكلات. وما كان عليّ أن أفعل ذلك. أو على الأقل ليس قبل أن يمر بعض الوقت».

أومأت في تفهّم.

لو كانت إحدى الفتيات الأخريات قد أخبرتني أن شاباً قد أُملى عليها حديثاً كهذا، كنتُ سأُنصحها بتأييد ما يقوله، وأن تضع حدّاً للأمر بالابتعاد عنه، لأنه يتصرف مثل وغدٍ طائش. غير أنني عاجزةٌ عن التفكير في بوو بتلك الصورة. ولكنني أظن أن تلك هي الحيلة التي وقعت فيها كل فتاةٍ في التاريخ، لأن القواعد تنطبق على جميع الحالات عدا حالتها الخاصة.

فتحتُ باب الشاحنة وقلتُ: «من الأفضل أن أعود إلى المنزل».

فانتشرت قطراتُ المطر إلى الداخل.

- لقد تأخر الوقت.

هذا كل شيء. كان هذا كل شيء قد قاله في تلك اللحظة. فأجبتُه: «سأراك في العمل».

استغرق المطر ثانيتين ونصف الثانية ليغمر ملابسي. أما كرامتي فكانت قد غادرت الموقف بالفعل. ركبْتُ سيارتي وأسرعْتُ مغادرةً ساحة الانتظار. رفعتُ صوت المذياع طوال الطريق على أمل أن يتفوق على كل الأصوات التي تتردد وتتخبط صائحةً بداخلي. لوسي... أمي... إيلين... بوو. بيد أن نسخة مصغرةً من كل واحدٍ منهم تعيش بداخلي، يعلو صوتُ إحداها فوق صوت الأخرى. أما الصوت الوحيد الذي لم أكن أسمعه قط -الصوت الوحيد الذي كنتُ بحاجةٍ إليه- هو صوتي أنا.

\*\*\*

## الفصل العاشر

كان الطقس قد صار حارًا حتى تعذر معه الذهاب إلى السباحة، وشاركتني إيلين شعوري. فمكثنا في المنزل، وكان جاك ينزلق من بين أيدينا، بينما كنا نشاهد برنامجًا حواريًا يُعرّض نهارًا وتدور موضوعاته حول امرأة قد وقعت في حب شقيقها، غير أنها لم تكن تدري أنه شقيقها، فقد نشأ متفرقين عن بعضهما بعضًا.

قلتُ: «لا بد أن ما يُعرّض كذب».

فهزت إيل رأسها نفياً وقالت: «كلا، كلا، أظن أنهما غريبان، لكنني أعتقد أنهما صادقان. إلى جانب ذلك، ما الذي يدفعهما للكذب؟».

- ممم، لأن ما يفعلانه مقررز ولأنهما يعلمان حقيقة ذلك. وربما قبض عليهما أحدهم وكانا بحاجة إلى أي تبرير أو شيء كهذا.

تأففت إيل، ثم تابعت: «يا إلهي. أنتِ دائمة التشكك. هل يؤلمكِ حقًا إن آمنَ بأن النيات السيئة ليست مشاعًا على الجميع؟».

التفّ جاك حول معصمي. كانت حراشيفه ناعمة، فقد انتهى لتوه من تغيير جلده. أجبتُ: «لستُ دائمة التشكك، ولكن احتمالات صدقهم تكاد تكون منعدمة. أقصد أن هذا أشبه بأن تقولي: تيم قد يكون شقيقك».

كانت إيل منغمسةً في مشاهدة البرنامج الحواريّ، فتجاهلت جوابي.

كان هذا ليكون توقيتًا مثاليًا حتى أخبرها بشأن بوو. فقد كانت أُمي مستغرقةً في النوم عندما عدتُ إلى البيت في تلك الليلة، لكنها قالت إنها سمعت خطواتي حين عدتُ إلى المنزل بعد الثانية صباحًا، وإن تكرر هذا

الأمر ثانيةً فستهايف رئيسي. وقد أطلقت عليها عبارة «ساعة عودةٍ لا تليق بسيدة وقورة». استأْتُ من مجرد افتراضها بشكل تلقائيٍّ أني قد عدْتُ مباشرةً من العمل. وقد أردْتُ أن أصبح في وجهها قائلةً: «لقد كنتُ برفقة شابٍّ في ساحة انتظار مهجورة».

غير أن تلك الكلمات بدت غير قابلة للتصديق، حتى بالنسبة إليّ، وأنا من كنت أعيش الحدث بأكمله.

لا أدري كيف لي صياغة الكلمات حتى أخبر إيل بأنني لم أختبر قبلي الأولى فحسب، بل انتهى بي الحال في موعدٍ رومانسيٍّ. كانت إيل بالفعل حانقةً عليّ إذ لم أخبرها بشعوري نحوه في المقام الأول. ورغم أن أحدًا منا لم يقل إن ما حدث ليلة أمس كان سرًّا، غير أن إخفاءه عنها يجعله كذلك.

أظن أن التفكير على تلك الشاكلة هو مجرد حماقة، لأن إيل لن تفكر في الأمر هكذا أبدًا، لكنني أشعر أن ليلة أمس كانت غامضة بما يكفي حتى يتعذر عليّ أنا فهم ما حدث. هناك شابٌّ ما -شابٌّ شديد الوسامة تتفرَّس فيه الفتيات- قد قبَّلني قبلة حقيقية، من ذاك النوع من القُبلات التي تترك محبوس الأنفاس. ولا أدري كيف يسعني أن أتحدث عن أمر كهذا مع صديقتي المقرَّبة. ناهيك بأن إخباري إياها ما حدث ليلة أمس، يترتب عليه أن أخبرها ما آلت إليه الليلة وكيف انتهت بنا المطاف. كيف يسعني أن أخبرها بوعد بوو لي ألا يتكرر الأمر مجددًا، وفزعي من حقيقة أن يديه قد تحسستا جسدي.

الحقيقة أنه لا رغبة لي في إخبارها أيًّا من هذا. وقد تبدو في ظاهرها فكرة حمقاء، غير أنني أود الحفاظ على انطباعها الجيد عنه. فجزءٌ ما بداخلي يُحدثني أنه رغم غرابة الأحداث التي انتهت بها الليلة، فإن بوو وأنا ربما نحظى بفرصةٍ أخرى في وقتٍ ما.

لكن أي فرصةٍ هذه؟ فرصة أن نصير حبيبين؟ يبدو احتمالًا سخيًّا بالنسبة إليّ حتى إنني لا أطيق تخيُّل الشعور الذي قد يباغتني إذا أمسكتُ يد أحدهم أمام العامة. لا أقصد بالطبع أنني غير جديرةٍ بشيء كهذا. أعلم أنني أستحق نهايةً سعيدة. ولكن ماذا لو كان بوو بالنسبة إليّ هو مرحلة بارزة في حياتي، وكنتُ أنا بالنسبة إليه مجرد نزعة تهور مؤقتة؟

أفتقد لوسي، وأحتاج إليها.

كانت قائمة المشاركين في البرنامج الحواريّ قد زحفت إلى الشاشة معلنةً انتهاء الحوار، وعلى أثرها كانت إيل تُكفكف عبراتٍ قليلة قد ضلت طريقها إلى وجنتيها.

- يا إلهي! يا إلهي! كان هذا مُحزنًا للغاية. لقد كانا واقعين في غرام بعضهما بعضًا ولم يُطيقا تحمّل ما حدث لهما. ولن يفهم المجتمع ما يمران به أبدًا.

هكذا استأنفت إيل الحديث. فعاجلتها مُجيبةً: «هل أنتِ في فترة الحيض أو تقتربين منها؟».

- يا لك من حمقاء مغفلة أحيانًا، هل تعلمين ذلك؟

نهضت إيل واقفةً، وقد أمسكت بجاك ثم أضافت: «سأضعه في فراشه للنوم. هل تُودين المكوث معي حتى الغداء؟».

ابتسمتُ إليها مُجيبةً: «أفضّل العودة إلى المنزل. أود التنقيب في بعض أغراض لوسي قبل أن تعود أُمي إلى البيت. فقد بدأت بتنظيف غرفتها منذ بضعة أسابيع».

تبعْتُ إيل إلى غرفتها، وقد وضعت جاك في قفصه للنوم. فاستكان أسفل مصباح التدفئة المخصص له. لامس المصباح حراشيفه، فغمره الضوء ورقد متنعمًا به.

بعد بضع دقائق، نادتنِي إيل، فأجبتُها.

- اعتادت لوسي أن ترتدي دبوس زينة على شكل نحلة عندما كنا صغارًا. هل تذكرينه؟ ذاك الذي كانت تُزين به معطف الشتاء عندما كانت تُقلّنا من المدرسة؟

جفّ حلقي وأومأتُ بإيجاب. كانت لوسي تُزين به ياقة معطف الشتاء الخاص بها. وقد كان هذا قبل أن يزيد وزنها على الحد الأقصى، لكن هذا لا ينفي أن وزنها كان زائدًا للغاية في ذلك الوقت أيضًا. كان المعطف بلونٍ أسود قاتم، وقد بدا على مظهره أنها قد ابتاعته لغرض الاستهلاك دون التفكير في الصيحة الرائجة حينئذ. هذا نوعٌ من التضحية التي تُلزم بها نفسك عندما تكون شخصًا ذا وزنٍ زائد. أما دبوس الزينة خاصتها، فقد أشبه الشمس الباثقة من بين السحابات المعتمة. وكانت تدعونا بحلوى العسل

الحسناوات<sup>(1)</sup>، وتصحبنا للحصول على مشروب الشوكولاتة الساخنة في أيام الاثنين، لأن أيام الجمعة لا تستحق كل تلك الضجة التي يوليها الناس لها.

أتذكر أنني اعتدتُ التفكير في نفسي مثل أيام الاثنين في حين كانت إيل مثل أيام الجمعة. لقد كانت أفكارًا طريفة، غير أن أيام الاثنين وأيام الجمعة لم تكن سوى مدد تبلغ أربعًا وعشرين ساعة من الزمن بأسماء مختلفة لا أكثر. تابعت إيل: «إن رأيتِ دبوس الزينة ذاك -ولم تكوني بحاجة إليه- هل لك أن تحتفظي به لأجلي؟ بالطبع لا أعني أنني أستحقه أو شيئًا كهذا، ولكن لطالما أحببته كثيرًا».

- أجل. ثقي بأني سأبحث عنه.

منذ رحلت عني، لطالما استقر في قلبي شعور بأن تخليد ذكرى لوسي يخصني وحدي، وأnnي إن تعثرتُ في الاحتفاظ بذكرها لنفسي، فإنني بذلك أخذلها أشد الخذلان. أما وقد أدركتُ الآن أن ذكرها لم تكن تخصني وحدي، باتت ذكرها تعزية مؤلمة.

\*\*\*

---

(1) إشارة إلى النحل. (المترجمة)

## الفصل الحادي عشر

«لن أُقْبَلُ بوو لارسون. لن أفكر في بوو لارسون. لن أُقْبَلُ بوو لارسون. لن أفكر في بوو لارسون».

إنها ترنيمةٌ تتردد في رأسي مرارًا، ومتى أكون بمفردي، أرددها على نفسي بصوتٍ مسموع.

قبل بضع ساعاتٍ من زهابي إلى العمل بعد ظهر يوم الاثنين، طلبت مني أمي أن أبتاع لها دواءً قد وصفه الطبيب لها، فقد خشيت أن تغلق الصيدلية أبوابها قبل موعد انتهاء عملها. استقلتُ سيارتي إلى صيدلية لوثر & سنز في وسط المدينة. وبالنظر إلى قلة ساحات انتظار السيارات، صففتُ سيارتي أمام متجر أول ذات شاينز، وهو متجر جواهر قديمٍ قدم مدينة كلوفر سيتي، الذي كان ولا يزال الموزع الأوحـد لتيجان مسابقة الجمال بلوبونيت في جميع أنحاء ولاية تكساس.

لفحت الحرارةُ كتفيَّ العاريتين وأنا أغلق سيارتي. ثم تمتمتُ: «اللعنة». فقد لمحتُ لافتةً أمام البقعة التي صففتُ فيها سيارتي وقد ثُبُتَتْ إلى هيكلٍ خرسانيٍّ على شكل دلو مملوء، كُتِبَ عليها: «للزبائن فقط». تحققتُ مرةً أخرى من المكان حولي، فلم أجد بقعةً أخرى لصف السيارة، ولذلك لم يستغرق الأمر مني سوى ثانية واحدة للركض إلى الداخل.

خلف الخزانة الزجاجية المُغْبِرة التي كانت تستقر على قاعدة خشبية تعاني الشقوق، كانت تجلس دونا لوفكين. يُبدي آل لوفكين اعتزازًا أسريًا لا

مثيل له حتى إن التقاليد المتحفظة قد تعجز عن استمالة إحدى سيدات آل لوفكين لتغيير اسمها عند الزواج. ومن هذا المنطلق، لم تتزوج دوناً قط.

تمتلك دوناً جسداً مستديراً ذا بنية قوية. وترتدي سروالاً قصيراً بقصة كارجو، وقد ظهرت أطرافه بالية بعض الشيء. أما حذاء البستنة البلاستيكي الذي بدا لي مثل حذاء أطباء المشفى فقد انبعثت منه رائحة توحى بأنه يستخدم تماماً لما صُنع من أجله. إن دوناً هي صورة مناقضة لكل ما قد تتوقعه من شخص يبيع تيجان مسابقة الجمال. وتبيع أشياء أخرى بالتأكيد، غير أن تلك التيجان هي ما جعلت من هذا المتجر معلماً بارزاً.

قالت دوناً لوفكين عندما رأتني: «ويلودين ديكسون. لم أرك منذ....».

وأحجمت عن إتمام الجملة، فأنهايتها بدلاً عنها: «جنازة لوسي».

أومأت دوناً بالموافقة، دون أن تحاول افتعال بسمّة في نهاية الحديث، وهذا شيء قد احترمته فيها لأبعد مما تتوقعه هي.

سألت دوناً: «هل أرسلتك والدتك لشيء ما؟ لقد تسلمنا التيجان الجديدة للتو».

- كلا، سيدتي. كل ما في الأمر أنني لم أجد موضعاً لصف سيارتي وكنت أتساءل إن كان بإمكانني أن أترك سيارتي حتى أنهي بعض الأعمال في الصيدلية؟

لوّحت دوناً كما لو أنها تُشيع الهواء عنها وقالت: «لا عليك، تلك اللافتات لا تؤتي ثمارها على أي حال».

- شكراً لك.

أجبتُ وقد وضعتُ إحدى يديّ على الباب تأهباً للمغادرة، فإذا بها تسأل: «هل ترغبين في رؤيتها؟».

- رؤية ماذا؟

فضحكت قبل أن تجيب: «التيجان بالتأكيد».

قد يبدو هذا الآن وكأنه حدثٌ عابر، غير أن تيجان المسابقة الكريستالية مكعبة الشكل تُحفظ تحت حراسةٍ مشددة لا تضاهيها حراسة المصرف الذي يقع على الجانب المقابل من الشارع. ومهما يكن بُغضي وحنقي على تلك المسابقة، فإن دعوة كهذه ليست شيئاً بمقدوري رفضه.

أحكمت دوناً إغلاق الباب الأمامي، ثم تبعتها عبر الستائر التي تفصل حجرة المخزن عن صالة العرض. كان علينا أن نعبر مكتبتين أخريين قبل أن تفتح خزانة صغيرة مُبطنةً بالصناديق. وكان كل صندوقٍ منها محدداً باسم من أسماء المدن التي تقع جميعها في نطاق الولاية، غير أن الصناديق الأمامية والوسطى قد كُتِبَ عليها كلوفر سيتي.

قلتُ على حين غرّة: «مهلاً... لماذا تحظى مدينتنا بثلاثة صناديق؟».

فبدأت دوناً بالعدّ على أطراف أناملها، وأجابت: «الأول: هو التاج الأصلي. وأحياناً ما يُعرض في مجلس المدينة. والثاني: التاج الذي تتسلمه الفائزة. والثالث: تاج احتياطي في حالة إذا فُقد التاج الثاني».

أخرجت الصناديق الثلاثة، وصَفَّتها على مكتبها. كان التاج الممنوح للفائزة والتاج الاحتياطي نسختين متطابقتين، أما التاج الأصلي... حسناً، فقد بدا مثل قطعة أثرية بإمكانك أن تجدها في صندوق جواهر جدتك. كانت الماسات الزائفة ذات بريقٍ ضبابيٍّ وتلطف المعدن المُشكل للتاج بمرور الزمن، غير أن بريق الفخامة لا يزال طاغياً عليه. وأشد ما أعجبني فيه أنه لم يكن لامعاً أو ملكياً مثل التيجان الجديدة، ومع ذلك ما زال محتفظاً بقيمته.

لاحظت دوناً إمعاني النظر إلى التاج الأصلي، فقالت: «أنا أيضاً أحبه».

مرت هنيهة قصيرة شعرتُ حينها أن كل هذا السعي وراء مسابقة الجمال بدا منطقيّاً، وأدركتُ السبب الذي حمل أُمي على تكريس نصف حياتها لأجل المسابقة تلك، والحلم الذي يجتاح معظم فتيات المدينة بالأضواء والفساتين اللامعة، في حين أنهن يرين السماء مرصعة بالنجوم.

سألتها: «هل جربت ارتداء أيٍّ منها من قبل؟».

اكتست وجنتاها حُمرَةً وردية من الخجل، قبل أن تجيب: «هذا بيني وبينك ولا يخرج عن تلك الجدران الأربعة. أجربها من حينٍ لآخر».

وبحرصٍ شديد، مدت دوناً يدها إلى داخل الصندوق الذي يحمل التاج الأصلي، وقالت: «هيا، جربي هذا».

فسألتُ مدهوشةً: «هل أنتِ واثقةٌ من ذلك؟».

فبالنظر إلى حظي، قد أكون الشخص الوحيد الذي يُفسد التاج الأصلي. غير أن دوناً قد تطلعت إلى عيني مباشرة وقالت: «أعتقد أنني من هؤلاء السيدات اللاتي لسن على ثقة مما يقلن؟».

هزرت رأسي نفياً. فجذبتني أمام المرأة المثبتة على ظهر الباب. حُبست أنفاسي في تلك اللحظة التي وضعت فيها التاج على رأسي. أوقن بداخلي أشد اليقين أنه مجرد قطعة جواهر مُقلّدة وأن أيّاً من هذا ليس حقيقياً، غير أن هذه الحقائق لم تمنعني من الشعور بوزن التاج على رأسي كما لو أنه مسؤولية أحملها على كتفي. وتمنيت لو أن لوسي أو إيلين أو حتى أمي كنّ هنا في هذه اللحظة لرؤيتي مُرتدية الزي الرسمي من الأحمر والأبيض لمطعم هاربيز ويزين رأسي أثمن ممتلكات كلوفر سيتي.

- للحق، لا أعتقد أن والدتك قد جربت ارتدائه من قبل. لذلك فمن الأفضل ألا تخبري أحداً بهذا الأمر أبداً. أجابته عيناى مؤكدة، لأنني كنت أخشى في تلك الحالة أن أومئ برأسي. غير أنني طرحتُ عليها هذا السؤال المعتاد: «لماذا دعوتني لتجربته؟». رفعت كتفها في تفكّر، وأجابت: «ربما لأن المرء ليس بحاجة إلى الفوز في مسابقة جمال حتى يرتدي تاجاً».

\*\*\*

«لن أقبلُ بوو لارسون. لن أفكر في بوو لارسون».

هكذا كنتُ أردد في قرارة نفسي.

تغيّب ماركوس لمرضه، وقد كان محظوظاً في ذلك كما لو أنه قد شعر بمدى الغرابة التي ستكون عليها هذه الليلة.

كان بريق التاج قد زال عني، وكنا مزدحمين في العمل: اضطر بوو إلى ترك مطبخه لمساعدتي في تلقي الطلبات عند مكتب الخزينة. ويمكنني القول إن عباراته الوحيدة في هذا اليوم كانت: «في المطعم أم في الخارج؟» و«ستكون التكلفة...» (ثم يحدد الإجمالي).

ومن حين لآخر، كانت أيدينا تتلامس أو نصطدم ببعضنا بعضاً. ومع كل لمسة بيننا تنتشر نبضات كهربائية في عروقي. غير أنه حين دخل في جدال مع أحد الزبائن حول المُخلل، أمره رون أن يعود إلى المطبخ.

وفي نهاية هذه الليلة، سمح لنا رون أن نعود إلى منازلنا مبكرًا على وعدٍ بأن نأتي في الصباح الباكر من اليوم التالي لإنهاء قائمة مهام الإغلاق. كنت لأحتج، لأن أُمي قد علّمتني أن المرأة الجنوبية دائمًا ما تثير شجارًا إذا تطوع أحدٌ غيرها لإنهاء أعمال التنظيف، غير أنني كنتُ على أتم الاستعداد للعودة إلى المنزل.

حاولتُ لملمة أغراضي على عجلٍ والمغادرة قبل بوو، إلا أنه مع كل خطوةٍ أخطوها، كنتُ أراه في عقبي. أنا مضطرةٌ إلى البحث عن وظيفةٍ جديدة الآن. كانت يدي على باب سيارتي، وكنتُ على وشك التحرر من تتبُّعه، حين سمعته ينادي: «ويلودين».

التفتُ إليه. تقدم نحوي بخطواتٍ واسعةٍ على عجلٍ حتى شعرتُ بأنني أتحرك معه أيضًا. تلامس أنفانا، وتقاربت شفاهنا. أما نافذة عقلي التي تطل على هذا المشهد فكان عليها أن تستوعب سريعًا وجوده أمامنا الآن، داخل قوقعتي يعيد ترتيب كل شيء ظننتُ أنني قد عرفته عن نفسي. في تلك اللحظة فقدتُ فطنتي... زالت كبريائي، وكنتُ كمن تغشَى بصره وبصيرته.

«إنني أُقبِّل بوو لارسون. إنني أفكّر في بوو لارسون».

وللمرة الأولى في حياتي، شعرتُ بضالتي. شعرتُ بصغر حجمي. ولا أعني مثل زهرةٍ قد ذبلت أوراقها. وهذا الشعور: زادني قوة.

قال بوو: «أريد أن أُقبِّلِكَ».

ومع كل كلمةٍ ينطق بها، كانت شفاته تلامسان شفتي. فقدتُ النطق، وبدلاً، خللتُ أصابعي بين خصلات شعره في مؤخرة رأسه وجذبتُه نحوي لتتلاقى شفاهنا..

\*\*\*

بعد مرور شهرين



## الفصل الثاني عشر

وقفتُ على رؤوس أصابعي لأصل إلى الرف العلويّ، وشعرتُ بمئزري يتسع حول جسدي، وتفككت العُقدة التي ربطتها حول خصري. أَلقيتُ نظرةً سريعةً عن يميني وأخرى عن يساري لأجد بوو غارقاً في الضحك. ثم طرف بعينه غامزًا. كان بوو قد جمع بين الحدين، وصار الجزء الأفضل والأسوأ من يومي.

أشارت الساعة القابضة على معصمي إلى 6:02 مساءً، وقد حان موعد استراحتي. حشرتُ الطباق الأخير من الكعك في الرف، وقد دُهِسَ بلا اكتراثٍ دون أدنى شك، والتفتُ تابعةً إياه. كانت قدماي تحملانني دون أن تسمحاً لعقلي بالتفكير. ومن خلفي تلاشت الضوضاء وكل ما كنتُ أسمعُه هو صدى الأصوات داخل هاربيز. صياحُ بالطلبات، شكاوى الزبائن، صفير ماركوس، أزيز اللحم على المشواة، كل ذلك قد تلاشى في الهواء فلم أسمع منه طنينًا.

في أوائل هذا الصيف، لم أكن قد اختبرتُ شيئاً كهذا قط. إنها تلك اللحظة التي تسبق حملي لكيس القمامة المُكوَّم أعلى الصناديق في مؤخرة المطعم وركلي للباب الخلفي الموارب لينفتح على اتساعه. تلك اللحظة التي تسبق إلقائي لكيس بلاستيكيّ يترك قطراتٍ من سائل ما على الأرض بجانب صندوق القمامة، ليدفعني بوو إلى الباب المعدنيّ، ولا يحدث شيءٌ سوى أن تلتقي شفاهنا. ذاك الجزء من الثانية الذي يخلو من ملامسةٍ باليدين، لتتلامس الشفاه. ومثل سدٍّ يُطلق عنان الماء من أسفله، تحوم يداه في جسدي فتزول اللحظة. وأتذكر حينها كيف تترك لمسته لجسدي الغض شعورًا مزعجًا بعدم الارتياح.

وفي تلك اللحظة، يعود عقلي للعمل مجدداً كما لو أنه ضُبط على مؤقت. شعرتُ وكأن كل لحظة بيننا مكررة، فكلما ارتقت الأمور وجرت الأحداث بيننا، بذلك المزيد والمزيد من الجهد في محاولة التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه خطواته التالية. والآن بِتُ أعرف... بِتُ أعرف أنه في كل مرة يجذبني بلطف نحو صندوق النفايات القصير بغطائه المُحكم، ويقبض بأنامله على خصري، بِتُ أعرف أنه راغب في حملي بين ذراعيه. وهكذا أستند إلى الصندوق وأرفع جسدي إلى أعلى قليلاً، فقد كان مجرد التفكير في محاولته أن يحملني وفشله في ذلك يُشعِرنِي بالحرَج الشديد من طبيعة جسدي. وإذا تتبعتُ أنامله طريقها إلى صدري واستقرتُ على بطني المتهدل، حاولتُ ابتلاع دهوني المتراكمة. وهذا فعلٌ أحمق لأنه لا يُحدثُ أي فارق حتى في الصور، وأشك في أنه قد يُحدثُ فارقاً الآن. في تلك اللحظات وحدها أكون شبحاً للمرأة التي كنتها. تلك المرأة التي لطالما رغبت لوسي في أن أكون عليها.

غير أنه حين ينطق باسمي، تبدو نبرته مفاجئة: «ويلودين».

هو يقول، وكل حرفٍ يُدغغ خلايا جسدي من أعلى رأسي حتى أخمص قدمي.

وفي كل ليلة، بعدما يسمح لنا رون بالذهاب، نسير أنا وبوو إلى سيارتنا، تفصلنا بضع أقدام. غير أننا حين نتسلل إلى العتمة خارج الضوء الأحمر المتوهج لل لافتة هاربيز، تتلامس أناملنا قبل أن يسير ملتقاً حول شاحنته إلى باب السائق قائلاً: «اتبعيني».

لم يكن عليّ أن أتكبد مشقة المصارحة بالجواب، لأنني سأُتبعه وهو على يقين بذلك. أدار محرك سيارته وكذلك فعلتُ أيضاً. هذا الشيء الذي ينمو بيننا أشبه بقطار سريع، قد تكون المكابح معطلة والقاطرات مشتعلة، غير أن الإلقاء بنفسي عن متنه ليس ضمن خياراتي.

\*\*\*

## الفصل الثالث عشر

كنتُ قد عرفتُ الكثير عن حياة بوو وطبائعه، غير أنه لا يزال صندوقًا مُغلقًا بالغموض. يُشبه في غموضه المصاصات ذات الأغلفة الحمراء، لا تدري أي مذاق سيكون من نصيبك. علمتُ أنه كان يعاني مشكلة التحكم في غضبه حينما كان طفلًا صغيرًا، ولذلك كانت تمنحه والدته حلوى المصاصات الحمراء، وتقول له: «إذا استمر شعورك بالغضب بعدما تنتهي من لعق تلك المصاصات الحمراء، يمكنك حينها أن تصرخ بملء رئتيك وتركل وتصيح بقدر ما تريد». ومن جانب آخر، هناك أمور تتعلق بقلادته، التي يدهسها دائمًا أسفل قميصه التحتي في كل مرة تُظهر نفسها على صدره. وإذا سألتَه ذات مرة عنها، فسيرفع كتفيه في غير اكتراث ويخبرني أنها مجرد قلادة قديسٍ قد حصل عليها من مدرسته هولي كروس.

أما المدرسة الابتدائية المهجورة، فقد صارت ما يمكنني أن أطلق عليها «بقعتنا المفضلة». في المرة الأولى التي أتينا فيها إلى هنا، كانت أعصابي محطمة من الخوف. غير أن تلك المدرسة الابتدائية القديمة نصف المحترقة قد باتت ملاذنا الآمن.

صفتُ سيارتي بجوار شاحنته، وسحبتُ المفاتيح من فتحة التشغيل، وفتحتُ باب سيارتي على الفور. وحين وصلتُ إلى باب شاحنته، مدَّ يده ودفع الباب ليفتحه من أجلي، فقفزتُ داخل الشاحنة في الحال. طبع قُبلةً على أنفي. ومدَّ يده أسفل كرسيه مُخرِجًا حقيبة هدايا حمراء قد تجعّدت من استخدامها، ووضعها أعلى لوحة القيادة.

قال بوو: «عيد ميلاد سعيد!».

كانت ثلاثة أيام قد مرّت على عيد مولدي، ولم أكن قد أخبرْتُ أحدًا به في دائرة العمل. لم يكن سبب إخفائي هو رغبتي في ألا يعرف الآخرون به، بل لأن إخبار الآخرين - وبخاصة بوو - قد يعني أنهم مُلزمون بإقامة حفل أو فعل شيء ما لأجلي. ولم تكن تلك هي الصورة التي تسير بها علاقتي وبوو. بل إن علاقتنا لم يكن يحكمها أي قيود أو مسؤوليات.

- كيف عرفت؟

رفع كتفيه في عدم اكتراث، وأجاب: «سمعتُ رون يتمنى لك عيد ميلاد سعيدًا».

فاستطردتُ: «هل لي أن أفتحها؟».

- كلا. فهذه هي هديتك. تلك الحقيبة هي كل ما تحصلين عليه.

قلّبتُ عينيّ في سخرية، وجذبتُ الحقيبة من فوق لوحة القيادة. أما ما يعتمل بداخلي، فقد اجتاحت معدتي نوبةٌ من القلق حتى اعتملت الأصوات بها. كان ثقل الحقيبة قد ترك أثره في فخذي، وكانت حقيبة صغيرة واحدة قد لَحْصَت تاريخنا معًا طوال الصيف.

نظّفتُ بوو حلقه، ثم قال: «لم يكن لدي أي ورقٍ للتغليف».

كانت نظرته قد ألهمت نيران جسدي. فأغلقتُ عينيّ ومددتُ يدي داخل الحقيبة ساحبةً شيئًا عشوائيًا لم أتبين كُنْهه. قال: «كُرة تنبؤ سحرية».

اتسعت ابتسامةٌ مرحة على شفتيّ. وشعرتُ حينها بالسخف. غير أنني أجبتُ: «حسنًا، لن يُثقلني اتخاذ القرارات مجددًا».

- استمري في البحث إذن.

وهكذا فعلتُ. فالتقطت يدي حلزونًا انسيابيًا من المعدن، وحوصلاتٍ من صلصالٍ لزج شفاف وكيسًا من حلوى الطوفي المالح.

نفخ بوو بعض الفقاعات في حويصلة الصلصال واستخدمها لإزالة الحبر من دليل المستخدم الخاص به، بينما كنتُ أُنطق الحلزون الانسيابي على يدي، تاركةً إياه يتدحرج جيئةً وذهابًا بين يديّ، مثلما كنتُ أفعل مع جاك.

قلتُ: «شكرًا لك. لم تكن مضطرًا إلى إهدائي أي شيء».

هز كتفيه بإيماء تعني ألا أكثرث، وتتبع بعينه كومة الأشياء المنثورة بيننا. ثم قال: «لقد نسيت شيئاً آخر».

ومدّ يده إلى الحقيبة، مُضيفاً: «أغلق عيني».

فامتثلت لطلبه. وشعرتُ بيديه تلامسان وجنتيّ حين تسللتا مُبْتَتِنَتَيْن للنظارة على أنفي. علقت خصلات شعري بإحدى المُفَصَّلَات، لكنه بدا حريضاً على أن يتأكد من ثبات النظارة على جانبي أذني.

- حسناً. والآن افتحي عيني.

أعاد توجيه المرايا الخلفية تجاهي وكان بوسعي أن أرى نظارة حمراء لامعة ذات إطار قلبي الشكل. كانت العدسات داكنة معتمة، ومرّت عدة ثوانٍ قبل أن تعتاد عيناى رؤيتي بمظهري الجديد. وسحبتُ خصلة الشعر العالقة في ذراع النظارة.

من المفترض أن تمنحك تلك النظارة مظهرًا هزليًا ومسلّيًا، وقد كانت كذلك. غير أنها أعجبتني للغاية. فقد كانت تهدف إلى التغيير. وفي المرأة، رأيت فتاة لم أعتقد أنني قد قابلتها من قبل.

- إنها رائعة.

نطقْتُ بهذه الكلمات وشعرتُ على الفور بمدى سُخْفِي. فقد كانت نظارة رخيصة تُباع في متاجر «كل شيء بدولار»، شيء ما قد يُلقيه الواحد منا في سلة مشترياته قبل الاندفاع إلى ماكينة الدفع.

مال بجسده نحوي وطبع قُبْلَةً طويلة على شفَتِي، وحينها شعرتُ بجسدي يذوب تحت وطأة جسده. همس في أذني بين قُبْلَاتنا الطويلة: «يجب أن تعودى إلى المنزل».

فأومأت مؤكدة، غير أن قُبْلَاتنا لم تتوقف.

\*\*\*

قضيتُ وقتًا طويلًا في ساحة انتظار السيارات برفقة بوو، غير أنني كنتُ سعيدة الحظ حين عدتُ إلى البيت لأجد أُمي وقد غطت في نوم عميق، وأغلقت باب غرفة نومها لعدم الإزعاج. طوال الصيف، كنتُ أختلق الأسباب والأعذار التي تبرر لها السبب وراء اضطراري إلى «العمل» لوقت متأخر عن المعتاد. وأنا على يقينٍ بأنها لم تقتنع بأيٍّ منها، لكنها لم تستجوبني بشأنها قط. وقد

ساعد في الأمر انشغالها بحياكة اللافتات وإجراء المقابلات الشخصية مع المُحكِّمين الجدد للمسابقة وتوفير الرعاية، مما يعني أنها قد تخلصت مؤقتًا من دور الأمومة بأكمله لبضعة أشهر قادمة.

كان باب غرفة لوسي مغلقًا أيضًا، كما كان حاله طوال الشهرين الماضيين. لامستُ مقبض الباب بأناملي وأنا أمرُّ به، لكنني لم أقوَ على إدارته وفتحه. فمِنذ ذلك اليوم الذي بدأت فيه أُمي تنظيف غرفتها ودار بيننا ذاك الشجار، تركت الغرفة على ما هي عليه كما لو أنها قد نسيت أمرها تمامًا. ولم أذكر الأمر أمامها قط، خشية أن تعود إلى ما كانت تفعله بالغرفة من قبل.

كان النعاس قد بدأ يغزو جفنيَّ حين اهتز هاتفِي.

**إيلين: «كاذبة».**

اللعة. إنها تعرف بشأني. ما أقصده هو أنها تتحدث كما لو أنها لم تكن تُخفي هي أيضًا أسرارًا عني. ولم أعد أُطيق حديثها عن تيم دون أن أتذكر ما قالته لي كالي تلك الليلة في هاربيز. أعلم أنه أمرٌ تافه، وفي جملة الأمور يمكن أن نعتبره شيئًا لا يُذكر. غير أنه لا يسعني سوى التساؤل دومًا عما أخفته أيضًا عني. وقد بَتَّ الآن صديقتها العذراء التي لن تفقه كيف تسير تلك الأمور. إيلين: «أنتِ أيتها الكاذبة، لقد كان من المفترض أن تأتي إلى منزل تيم بعد العمل».

حمداً لله! كنتُ قد نسيْتُ تمامًا بشأن حفلة تيم، لكنها ستعفو عن أمرٍ كهذا بسهولة لا أتوقعها مطلقاً إن علمت بشأن علاقتي وبوو.  
اهتز هاتفي مجدداً.

**إيلين:** «لقد فاتك الكثير من الأحداث. الدراما».

تَقَلَّبْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي، وَأَرْسَلْتُ رَدًّا سَرِيعًا بِالْإِعْذَارِ وَبِأَنَّنا سَنَتَحَدَّثُ فِيمَا حَدَثَ فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ أَنْ أَتَصَفَّحَ الرِّسَالَةَ التَّالِيَةَ.

**بوو: «تصبحين على خير».**

أطلقتُ تنهيدة ارتياح. ولم أكرث حتى لو لم أخطُ بهذا الخير.

\*\*\*

## الفصل الرابع عشر

استيقظتُ على رنين جرس الباب. وقبل أن أغادر فراشي، توقفتُ لأفحص هاتفي. كانت رسالة من إيلين تقول: «أمام منزلك أجيبني الباب».

جذبتُ سروالاً قصيراً كنتُ أرتديه للصالة الرياضية قديماً، وهرولتُ على الدرج لأجيب الباب الخلفي. وجدتُ إيلين وقد ألصقت وجهها بزجاج الباب بينما كانت تُصدر أصوات ضُراطٍ من فمها.

كان هذا الصيف بأكمله مثل بقعةٍ جديدةٍ شديدة الغرابة لكتينا. اعتدنا دائماً أن نكون نقيضين يحظيان بصداقةٍ مُقَرَّبة. وكانت لوسي تُعقبُ على الأمر دائماً بقولها إن الأصدقاء الحقيقيين لا يتناقضون ويتمثلون في كل شيء في آن واحد. فكانت تقول: «أنتن يا فتيات أوجه مختلفة لعملٍ واحدة». غير أن الشهرين الماضيين، شعرتُ وكأن الواحدة منا تنجذب لاتجاه مختلفٍ عن الأخرى، ويبدو أنني الوحيدة التي قد لاحظت شيئاً كهذا.

جذبتُ المزلج وارتد الباب منفتحاً، وهنيئاً، أطلت إيل برأسها إلى الداخل بينما بقي جسدها في الخارج. كان ذلك قبل أن تتعثر خلال الباب، وتندفع مُرتميةً على كرسي إلى طاولة المطبخ.

- يا إلهي الرحيم. ويل، لقد كنتُ أنصهر بالخارج.

ألقيتُ نظرةً سريعةً على ساعة الميكروويف، وتمتمتُ: «ما زال الوقتُ مبكراً».

وارتميتُ على كرسي بجانبها. بالتأكيد لم أزد على حديثي أنني كنتُ بالخارج حتى الثانية صباحاً برفقة بوو، فتى المدرسة الخاصة.

- إنه يوم تسلّم راتبي. ليس مبكرًا لتلقّي الراتب أبدًا.

نهضت إيل وفتحت بضع خزائن، بحثًا عن بعض الوجبات السريعة. ثم تابعت: «إنها الحادية عشرة. وهذا يعني أن الوقت لم يعد مبكرًا. ستُجنُّ أمكِ إن علمت أنك كنتِ نائمة حتى تلك الساعة».

أجبتُ: «لا يهم».

وقد عقدتُ ذراعِي على الطاولة، ودفنتُ رأسي بينهما. ثم أضفتُ: «تبدّين سعيدة. لماذا تبدّين بتلك السعادة؟».

- لا أدري. ربما لأنني على قيد الحياة. وأن الحياة ليست سيئة معي إلى هذا الحد. وأن العام الدراسي سيبدأ في غضون أسبوع.

صفتُ إيل باب إحدى الخزائن مُغلقة إياه ثم التفتت مواجهةً إياي، وأردفت: «أو ربما لأنني لم أعد سيئة في ممارسة الحب؟».

فأجبتُ: «لا يمكن أن تكوني قد أفرطتِ في هذا، أليس كذلك؟».

لكن الحقيقة هي أن مجرد تصور هذا الأمر تحديدًا يبعث في روعي الرعب والفرع.

هزت إيل رأسها، وقالت: «ستعرفين يومًا ما».

وفكرتُ أن: «كلا، لا أعتقد ذلك. عذراء مدى الحياة».

أضافتُ إيل: «ارتدي ملابسكِ. فقد حان وقتُ تسلّم الراتب!».

فأجبتُها إلى ما كانت تبحث عنه: «ستجدين بعض رقائق البطاطس في خزانة المؤن».

وقبل أن أتجه نحو الدرج، أضفتُ: «امنحيني خمسًا وأربعين دقيقة».

صاحت إيل من خلفي: «أنتِ محظوظة لأن أُمامي جهاز تلفازٍ ركيكًا وجهاز تسجيلٍ لأتابع الأخبار».

أخذتُ حمامًا سريعًا، وجففتُ شعري بالمنشفة قبل أن أعتصره في شكل كعكةٍ مُهملة. ألقيتُ نظرةً سريعة على محتويات خزانتي، وارتأى لي أن الطقس شديد الحرارة لدرجة لا تسمح بتجربة الملابس، وهكذا اخترتُ سروالًا رياضيًا قصيرًا وقميصًا قديمًا من أحد قمصان مسابقة الجمال التي تُديرها أُمي.

قلتُ بينما أقفز درجات السُّلم سريَّعا: «حسنًا. سيكون عليَّ أن أملأَ صحن ريويت بالطعام المُجفف...».

فأجابت إيل: «لقد فعلت».

استدرتُ إلى المطبخ فوجدتها تُخبئُ نصف كيسٍ من رقائق البطاطس. فقلتُ: «ستعتقد أُمي أنني مَن أكلتُ كل هذا».

بالطبع لن تُعلّق أُمي بشيء، غير أنها ليست بحاجة إلى أن تقول شيئًا.  
- إن والدتك بحاجة إلى حبيب.

قفز ريويت فوق منضدة المطبخ، وقد غمرته إيلين بوابلٍ من التمسيد خلف الأذن. ثم أضافت بعد هنيهة: «اسمعي لقد أخذتُ سيارة أُمي إلى العمل، وعدتُ بها غارقةً في العوادم. هل يمكننا أن نستقل سيارتك؟».

- أجل. بالتأكيد.

تبعنتني إيل إلى الخارج عبر الباب الخلفي، وإذ كنتُ أُغلق الباب من خلفنا، سألتها: «وما علاقة الحصول على صديقٍ حميم بأُمي وبرقائق البطاطس؟».

هزت إيل كتفَيها وأمسكت بمقبض الباب، منتظرةً إياي لأفتح باب السيارة. منذ ذاك اليوم الذي فقدت فيه إيلين عذريتها، صارت تعتقد نفسها دكتور روس - تلك السيدة العجوز طيبة العلاقات - وتعتقد أن العلاج الأمثل لكل شيء هو ممارسة المزيد من الحب. وهذا يُثير جنوني. فأنا مجرد فتاةٍ عذراء، ولستُ بلهاء.

عالجتُ باب السيارة بالمفتاح، وانزلقتُ على الكرسي خلف عجلة القيادة، كانت نفحات الهواء والصفير تخرج من شفاهنا اضطرارًا، وكنا كمن نُقع في علبه ساخنة عطنة.

فعلقتُ إيل: «يا إلهي! اكبسي أزرار فتح النوافذ».

\*\*\*

لطالما لاحظتُ أمرًا ساخرًا بشأن متجر سويت 16، وهو أنهم لا يوفرون ملابس تزيد مقاساتها على اثني عشر. وقد ذكرتُ شيئًا كهذا أمام إيلين من قبل، غير أنني أعتقد أنها تظاهرت بأنها لم تسمعني.

في المرة الأولى التي ذهبتُ فيها إلى سويت 16 برفقة إيل، بذلتُ جهدًا مضمّنًا حتى لا أبدو بمظهر فتاةٍ حمقاء بسبب عدم الارتياح الذي غمرني حينذاك. غير أن الأمور قد تغيرت قليلًا بعدما اعتدتُ أن أرافق إيل كل خميس لتسلّم راتبها، ويمكنني القول بمنتهى الثقة إنني صرتُ أمتلك ما يكفي من الدلائل لتكوين رأيٍ علميٍّ بشأن هذا المكان. ويأتي رأيي العلميُّ على تلك الشاكلة: هذا المكان هو مستنقع وحل، وكل الفتيات اللاتي يعملن هنا مثل جريد نخلٍ تافه يعاملنني على أنني صديقة إيل التي تستحق الشفقة.

كانت حوائط متجر سويت 16 مُغطاةً بالمرايا والتماثيل العارضة ذات عظام الفخذ البارزة، وسراويل الجينز ذات الخصر المتدلي، والقمصان الضيقة التي كُتِب عليها عبارات مثل: «أنا أجملُ من أن أؤدي واجبي المنزلي». تبعْتُ إيلين عبر الأرفف المكدسة، حريصةً على ألا أهدم المتجر اللعين بأكمله بأردافي الضخمة.

صاحت كالي بنبرةٍ حادة مزعجة: «إيل-بيل!».

كنتُ قد عزمْتُ أمري على أن كالي قد نالت شرف أن تكون عدوي اللدود. صاحت كالي من وراء ظهرها، وقد وضعت إحدى يديها أمام فمها على شكل نصف دائرة: «موو-موو!».

ثم تابعت: «لقد حضرت إيل-فيل لتسلّم نقودها!».

مدت كالي يدها داخل صندوقٍ أسفل مكتب الخزينة وسلّمت إيل مظروفًا أبيض نظيفًا. ثم قالت: «مرحبًا ويلوو!».

مالت كالي إلى الأمام نحوِي، ثم تابعت: «يا إلهي، لن تُصدقِي. إن مخيم التدريب لأجل المسابقة كان إعجازيًا. وصرتُ على وشك تكوين عضلات البطن الست، غير أنني لا أودُّ أن أصير الفتاة ذات العضلات. فهذا سيكون مقززًا».

تمتمتُ مُجيبَةً: «اسمي ويلودين».

غير أنها لم تسمعني لأن مورجان -مديرة المتجر التي تبدو أكبر سنًا من أن تكون طالبةً جامعيةً وأصغر سنًا من أن تكون أمًّا لمراهقة- قد اندفعت نحونا مغادرةً غرفة الاستراحة. كانت امرأة هيفاء رشيقة القوام، كل تلك الأشياء التي كانت إيل في الطريق لتحقيقها.

ابتدأت مورجان قائلةً: «يا إلهي، لقد فحصتُ للتو كل هذا المخزون شديد الروعة، وأنا أذوب من فرط الجمال هنا. في الواقع، عليّ أن أودّع راتبي على هذا النحو. أي فواتير تلك التي أهتم بها؟».

ضحكت إيل، مما أثار اشمئزازي، لأنني لا أدري كيف تكون كلماتها تلك مُضحكة؟ ثم تابعت: «إيل... (مستخدمة الاسم المستعار الذي منحته أنا لصديقتي أنا المُقرّبة) عليك أن تأتي إلى الداخل لتجربة تلك القطع الجديدة». استدارت إيل نحوي ورمقتني بنظرة سريعة. فأومأت لها توكيداً رغماً عني. صَفَّقَت إيل بيديها في مرح. وقالت: «حسنًا، ولكن يجب أن ينتهي هذا سريعًا!».

ثم التفتت نحوي مجددًا، وأضافت: «أعدكِ أن أنتهي سريعًا. أراهن أن أيًا منها لن يُناسبني على أي حال».

ارتسمت على ثغري ابتسامة مقتضبة دون أن تظهر أسناني. وتبعتها إلى الغرفة الخلفية، غير أنني توقفتُ وقد جمدت أوصالي بما لاقيته على وجه مورجان. فقد رفعت حاجبها قائلةً: «عفوًا...».

وقد التوت شفاتها في ابتسامةٍ مقتضبة... الابتسامة التي تُخبرك بصدق أنها ليست آسفة على ما ستقوله. ثم أضافت: «الدخول للعاملين فقط».

استدارت إيل، فالتقت نظراتنا، وقالت: «هل ستكونين بخير هنا؟».

فأجبتُ: «أجل. أسرع فحسب».

أسرعت إيل خطاها إلى الغرفة الخلفية وراء مورجان، بينما اتخذت كالي موقعها أمام مكتب الخزينة. وقد تمايل خصرها رويدًا رويدًا على أنغام موسيقى البوب التي تصدح من مكبرات الصوت، متظاهرةً بأنها تقرأ شيئًا ما أشبه بتقارير المبيعات.

قررتُ تمضية وقتي بين أرفف الملابس وأنا أسير مُعتصرةً جسدي من بينها. وفكرتُ في المأساة التي يكون عليها هذا المكان في أيام السبت. وعلى الجانب الآخر، رفعت كالي صوت الموسيقى حين تغيرت الأغنية إلى الموسيقى الإلكترونية الصاخبة، أما أنا فقد اتخذتُ الأمر ذريعةً لأتسلل إلى إحدى غرف القياس. وكانت كل حُجيرة صغيرة مُمهدة من حائطٍ من الستائر، وتحتوي كل واحدةٍ منها على كرسيٍّ صغير. وقد كانت المرأة الوحيدة في هذا القسم هي المرأة المشتركة في الخارج. لا بد أن أمرًا كهذا يُثير حنق الزبائن،

إذ يتحتم عليك أن تغادر غرفتك في كل مرة تحتاج فيها إلى رؤية الكيفية التي تبدو بها قطعة ما على جسدك.

على الجانب الآخر من الستائر، كانت المشاجب تحتك بالمعدن، حين سمعت مورجان تسأل: «أين ذهبت صديقة إيل؟».

أجابت كالي: «لا أدري. لم أرها تغادر، ولكن من الصعب ألا نراها». علقت مورجان: «أوه، كوني لطيفة».

غير أن كلماتها وإن بدت مثل شيء يتعين عليك قوله، فقد بدت نبرة صوتها ضاحكة.

- هل وجدت إيل-بيل شيئاً قد أعجبها؟

أجابت مورجان: «تركناها تقيس بعض الفساتين في غرفة الاستراحة». ازداد احتكاك المشاجب بالمعدن وقد تعالت وتيرة الحوار.

- إنه لكرمٌ من إيل أن تُصادق تلك الفتاة، غير أن كل ما تفعله هو أنها تتبع إيل في كل مكان مثل جرو صغير. عليها أن تبني حياة خاصة بعيداً عنها، أليس كذلك؟ تبدو أفعالها مثيرة للشفقة.

لم أكن بحاجة إلى المزيد من السخافات حتى ينتفض جسدي بأكمله غضباً. جذبت الستائر جانباً، واندفعت بين أرفف الملابس متعثرة بها كما اعتدت. كانت أعينهما الأربعة قد تبعنني حتى المقعد الخشبي أمام متجر سويت 16، وتراخيتُ في المقعد بقدر ما أستطيع فلا يسعني أن أرى أيّاً منهما مرة أخرى. لو كان بإمكانني أن أخلع عني جلدي وأخطو بنفسي خارجه لفعلت.

كانت كل نافذات العرض في متاجر المركز التجاري مُكدسة بالثياب الرسمية التي تليق بموسم العودة إلى المدرسة ومسابقة الجمال. وعلى الجانب الآخر من سويت 16، يقع متجرٌ يسمى فريلز. وكان يعرض ثوباً زاهياً باللون الأزرق النيليّ اللامع. وعلى نافذة العرض كُتب بطلاء أسود: «لا تحظى كلوفر سيتي سوى بملكة جمال واحدة في مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت. يمكن أن تكوني أنت. ألقى نظرة على فساتيننا فريدة التصميم!».

كم أكره مدى احتقاري لتلك المسابقة، غير أنها أشبه بمرضٍ لعين. وقد أصاب المدينة بأكملها.

- مرحبًا.

التفتُ لأجد بوو جالسًا على الجانب الخلفي للمقعد. أَلقيْتُ سُؤالي وقد بدا بنبرة اتهام: «ماذا تفعل هنا؟».

- أتسوق برفقة زوجة أبي وأخي.

وأشار إلى متجر الأحذية بجوار سويت 16، ثم أضاف: «لقد رأيتكِ جالسةً على المقعد. وقد ظل أخي يقيس أحذية رياضية لكرة السلة طوال خمس وأربعين دقيقة».

ندت عن ثغره ابتسامة رقيقة حين مالت ذقنه إلى الأمام حتى صافحت صدره، ثم سألت: «ماذا تفعلين هنا، ويلودين؟».

رغبتُ في لمسه. ورغبتُ في الجلوس بجانبه حتى أطبع قُبَلاتٍ حانية على وجهه. لكنني لم أفعل. فلم نكن مختبئين تحت وطأة الظلام خلف هاربيز أو مُكْوَمِينَ في أحضان بعضنا بعضًا في مقصورة شاحنته. والسبب الأهم هو حقيقة أن أيًا منا لم ينطق قط بهذا، إلا أن علاقتنا في طي الكتمان.

- أتيتُ برفقة صديقتي. لقد جاءت لتسلّم راتبها.

- إيلين؟

أومأت مؤكدةً. كنتُ قد تحدثتُ إلى بوو بشأن إيل، غير أنني التزمتُ الزمن الماضي في حديثي عنها. فلم أكن أدري كيف أشرح الفجوة الغريبة التي تصدّعت بيننا، وهكذا كان الحديث عنها أيسر بالطريقة نفسها التي أتحدث بها عن لوسي. كما لو أنها جزء من حياة سابقة قد عشتها قبل أن أقابله.

لاحظتُ أن بوو كان يرتدي قميصًا قديمًا يحمل شعار دوري كرة السلة وسروالًا رياضيًا قصيرًا، بالطبع يخص كرة السلة. قلتُ: «بدا غريبًا لي أن أراك دون زي العمل الرسمي. لم أكد أعرفك».

- حقًا! لكنني تعرّفتُ عليك.

أراح ساقيه على امتداد جانبه من المقعد وسمح لنفسه بتمديدها. وساقاه! لم تتسنَّ فرصة لي من قبل لأرى ساقيه عاريتين. تابع بوو: «حسنًا، وأين تعمل صديقتك؟».

فأشرتُ إلى الخلف نحو سويت 16. انفرجت شفتاه وكاد ينطق بشيء ما كنتُ على يقين بأنني سأصدر حُكمًا مطلقًا عليه استنادًا إلى ردة فعله على تلك المعلومة، غير أن صوتًا آخر قد قاطعه: «بوو!».

جاء النداء من امرأةٍ رشيقة القوام فارهة الطول، ذات شعرٍ كستنائيٍّ لامع يميل إلى البُنِّيِّ الداكن وقد تدرج في طبقات طويلة. بدت ملامحها شابة لا تشي بأنها والدته، غير أنها لم تكن شابةً بدرجة تجعلها شقيقته. ألقى بوو لمحةً سريعة من فوق كتفيه، ثم استدار نحوي بصوتٍ هامس: «زوجة أبي».

فترت تعبيرات وجهي فجأةً. فقد كنتُ أهاب تلك اللحظة التي يتداخل فيها عالمانا.

ومن خلف زوجة أبيه، كان يعقبها شقيقه. كان فارع الطول مثل بوو، غير أن وجنتيه المستديرتين قد وشيتا أنه يصغر شقيقه بعامٍ واحد على الأقل. قالت زوجة أبيه قبل أن تنتقل عيناها إليّ، وقد كنتُ جالسةً على الجانب الآخر من المقعد: «لقد سمحتُ للوقت يتسرب من بين يدي، أليس كذلك؟ لدى سامي موعد كرة السلة في الواحدة. لقد حان الوقت لنُسرِع إلى الموعد».

ثم تابعت: «ومَن تكون هي؟».

قلتُ: «مرحبًا، سيدتي».

نهضتُ واقفةً ومددتُ يدي إليها بالسلام لأنني فتاةٌ من الجنوب ذات مبادئ وأخلاق، حتى لو كانت أُمِّي تقول غير ذلك.

أجاب بوو عني: «إنها ويلودين... زميلتي في العمل».

ها هو قد عاد ينطق باسمي كاملاً مرةً أخرى.

- ويلودين. حسنًا، أليس اسمًا صعب النطق؟

ندت عن ثغري نصف ابتسامة، وقد كدتُ أعرب لها عن امتناني -على شيء لا أدري كُنْهه- حينما ظهرت إيلين بجانبني وقالت: «لكن يمكنك أن تُناديها ويل».

ابتلعتُ ريقِي بصعوبة شديدة وأومأتُ في استسلام.

اتجه رأس زوجة أبيه إلى جانب واحد واستقر على هذا النحو، كما لو أنها قد رأت لتوها شيئًا غاية في الجمال.

- وأنتِ؟

فأجبتُ عن إيل: «هذه إيلين، صديقتي المُقرَّبة».

وأخذتُ نفسًا عميقًا، قبل أن أتابع: «إيلين، هذا بوو. زميلي في العمل».

لَوَّح لها بوو بيده بإشارة مقتضبة، غير أنها لامست ذراعه وقالت: «سررتُ بلقائك».

ابتسمت زوجة أبيه، وأردفت: «كم أنتِ رائعة؟».

أدرك أن إيلين تحب تيم. ورغم ذلك تملكنتني الغيرة حتى شعرتُ بجسدي ينسحق تحت وطأتها. فطوال فترة الصيف، كنتُ قد عرضتُ لنفسي مئات الأسباب التي تجعلني لا أخبر إيلين بشأن ما يدور بيني وبين بوو. غير أنني مهما حاولتُ المراوغة، أعلم أنه -في رأي إيلين- سيظل عدم إخباري إياها بمنزلة كذبة قد اقترفتها في حقها. في الحقيقة، قد تكون أسوأ من ذلك.

قالت زوجة أبيه: «أعتقد أنكم جميعًا طلاب في مدرسة كلوفر سيتي الثانوية؟ (فأومأنا في آنٍ واحد) كم هو رائع أن يحظى بوو بوجوه مألوفة في يومه الأول!».

حين سمعتُ تلك الكلمات، علَّقتُ دون تفكير: «عفوا؟».

أدرك أن ثمة أمورًا كثيرة في علاقتي ببوو قد تبدو في غير محلها. لكن الشيء الوحيد الذي يبدو على صواب هو أن عالمنا لا يتداخلن خارج إطار العمل. وما دام الحال على ما هو عليه، سيكون من اليسير عليَّ أن أتظاهر بكوني فتاة عادية تُغازل شابًا عاديًا.

عبس وجهها قليلًا إذ أجابت: «أجل، إن بوو وسامي لن يعودا هذا العام إلى مدرسة هولي كروس. سيكون كل شيء على ما يُرام. التغيير أمرٌ جيد، أليس كذلك يا أولاد؟».

لم يُجب أيُّ منهما. أما بوو فقد أطبق شفثيه معًا في خطٍ رفيع. ها قد عرفتُ الآن أنه كان يعلم بالتحاقه بمدرستنا طوال الصيف ولم يخبرني. غير أن بوو قد وجَّه حديثه إلى زوجة أبيه قائلًا: «لورين... من الأفضل أن نذهب الآن. إن سام أمامه تدريبٌ طويل».

التقط بوو حقائبهم حاملاً إياها وتقدمت زوجة أبيه الطريق بينما كان خصرها يتمايل من جانبٍ لآخر في غنج. وهكذا انتهى الأمر، دون حتى نظرة

أو هزة كتف، دون أي شيء قد يعدُّ بتوضيح ما حدث. تفاقم الغضب بداخلي  
متفشيًا في عروقي من أخمص قدمي حتى احمرار وجنتي.  
صاحت إيل: «حقًا! إنه أشدُّ وسامةً مما أخبرتني».  
- هيا بنا.

واندفعتُ أمامها مثل عاصفة راعدة نحو مرأب انتظار السيارات.  
علّقت إيلين من خلفي: «هل لاحظتِ مظهره الأشعث المثير ذاك؟ ولحيته  
الخفيفة تلك؟».

لاحظتُ، بالتأكيد لاحظتُ ذلك، غير أن هذا لا يعنيني في شيء الآن. لأن تلك  
العلاقة ستنتهي في الحال. وكل أحلامي وتخيلاتني حول قصتنا الرومانسية  
بعد انتهاء الدراسة، تتلاشى في الهواء مثل سحابة من الدخان.

كنتُ قد خلقتُ تصوراتٍ كثيرة عن الكيفية التي سأصمد بها طوال العام  
الدراسي. سنذهب إلى العمل ونترك من ورائنا حيواتنا الحقيقية عند الباب  
الخلفي. لا وجود للتساؤلات والشكوك، بل أنا وبوو فحسب. غير أن ثمة سببًا  
جعل بوو قد تغاضى عن إخباري بتغيير مدرسته. لا بد أن يكون ثمة سببٌ  
وراء إخفائه. وحتى لو لم يكن، إن ما يجمعني به من علاقة سينتهي حتمًا  
دون رجعة، لأنه لا يسعني أن أدع تلك العلاقة تتداخل مع حياتي الواقعية.  
لن أكون مشاعًا للسخرية. لن أكون طرف العلاقة الذي سيصدق إليه الجميع  
متسائلًا: «كيف لها أن تحظى بشاب كهذا؟».

\*\*\*

## الفصل الخامس عشر

طوال الصيف كنتُ أقضي كل الأمسيات الشاغرة في المنزل، متفوقةً في غرفتي برفقة حاسوبي المحمول، وقرءات الصيف تُحدِّق إليَّ من فوق الأرفف كأشباحٍ متصيِّدة. غير أن الليلة كان الوضع مختلفاً، فقد أصرَّت أُمِّي عليَّ لمشاهدة التلفاز برفقتها بينما كانت تُعد الدعائم والإكسسوارات لأجل الرقصة الافتتاحية لرقصات مسابقة الجمال.

أما أنا فقد جلستُ على الأريكة، على الجانب المقابل للموضع الذي كانت تختاره لوسي دائماً، وقد أوضعتُ حاسوبي المحمول أعلى وسادة فوق قدمي. كانت أُمِّي قد نقلت تاجها، الذي كان يستقر في صندوق زجاجيٍّ، من منتصف رف المدفأة لتُفسح مجالاً لجرّة لوسي. ربما كان من صغائر الأفعال، غير أنه كان كافياً ليُذكّرني أن أُمِّي أعمق من أن تكون مجرد ملكة جمال جوفاء.

كانت تستخدم ورق الشمع لكيّ بعض الشارات على أغطية المائدة القطنية الزرقاء، بالطبع هذا لأجل مأدبة غداء المسابقة، أنا واثقةٌ من ذلك.

- والآن، لقد شاهدتُ إعلاناً ترويجياً يتعلق بموضوعٍ ما منذ عدة أيام.

وتنقلت خلال القنوات حتى استقرت على قناة إم تي في. كانت الكاميرا تتبع فتاةً من الخلف، وهي تشق طريقها عبر أحد الشوارع في ضاحية مُغطاة بالثلوج. كانت تتميز ببنية ضخمة وقوامٍ يتهدل من سروالها الجينز. وعلى الفور أدركتُ إلى أين سيأخذنا هذا.

الحقيقة هي أنني أكره رؤية الفتيات البدينات على التلفاز أو في السينما، لأن الزاوية الوحيدة التي يتصالح بها العالم مع وقوف شخصٍ بدين أمام

الكاميرا -سواء كان رجلاً أم أنثى- هي أن يكون مغموراً بالمأساة والبؤس أو أن يكون الصديق المُقَرَّب المرح. حسناً، أنا لا أنتمي إلى أيٍّ من هاتين الفئتين.

علا صوتُ تسجيل صوتيَّ حينما ظهرت على الشاشة الفتاة نفسها وهي تمارس أموراً بشرية عادية تماماً، مثل السير والأكل.

«برسيلا فتاةٌ في السادسة عشرة، تعيش في بريدجبورت، ولاية كونيتيكت. ربما أصابها تسوس الأسنان من فرط الحلوى، غير أن هذا لا يعني أنها حظيت بعامٍ مملوء باللحظات الحلوة. فقد تعرضت للسخرية والمضايقات طوال حياتها، وقد فاض الكيل فلم تعد برسيلا قادرة على تحمُّل الوزن الزائد. إنها لا تعلم بالأمر بعد، لكننا هنا في إم تي في قد سمعنا توسُّلاتها».

ثم يجري تكبير عدسة الكاميرا لتستقر على مؤخرتها، التي كانت نوعاً من المؤخرات مخروطية الطرف عند الأسفل، مما يجعلك دائماً تبدو كمن التصقت ملابسه الداخلية بأعلى مؤخرته. ثم تنقطع الصورة لتظهر الشاشة البنفسجية التي تحمل اسم البرنامج كما لو كان طابعاً للرفض: **غَيِّروا من حياتي: أنا أكره دهون جسمي.**

ألقيت نظرةً سريعة على أُمي، فوجدتها وقد أبقت عينيها مركزتين على مشروعها. أردتُ أن أنهض وأسرع حابسةً نفسي في غرفتي، غير أنني بشكلٍ أو بآخر رغبتُ في معرفة المصير البائس للفتاة برسيلا. وهكذا قررتُ البقاء قليلاً. فربما كانت حياة برسيلا أسوأ حالاً وأشد فوضويةً من حياتي، وقررتُ أن أزيح عني مشاعري في تلك اللحظة كما لو أنني أحظى بأيامٍ أفضل مما تحظى بها تلك الفتاة المسكينة.

لم يكن هذا موضوعاً جديداً بيني وبين أُمي. فقد ألحقتني أُمي بأنظمةٍ غذائية مبتدعة أكثر مما يمكنني حصرها حتى قبل أن أبلغ الحادية عشرة. وكانت دائماً نقطة شديدة الحساسية بينها وبين لوسي. فكنتُ أسمعهما في الطابق السفلي، تتجادلان مراتٍ عديدة في الأمر نفسه بعد مرور وقتٍ طويل على موعد نومي الذي من المفترض أن أخلد فيه إلى النوم.

كانت لوسي تقول: «إنها مجرد طفلة».

فتجيبها أُمي على الفور: «أريدها أن تتمتع بصحةٍ جيدة. وبالتأكيد تفهمين ما أقصده، لوس؟ لا أريدها أن تكبر لتصبح...».

- لتصير مثلي؟ انطقي بها فحسب، روزي. أنت لا تريدينها أن تكبر  
لتصير مثل شقيقتك الكبرى. كيف هذا وهي تراني كل يوم طوال اليوم.  
أعتقد أن وجودي في حد ذاته يُمثل عائقًا لك بما يكفي.  
فتقول أُمي: «تعلمين جيدًا كيف كان الوضع لكتينا عندما كنا صغارًا. أنت  
تذكرين هذا جيدًا».

للعلم! لم تتحدث أُمي عن حياتها قبل المرحلة الثانوية قط. فقد كانت  
بدينة ضخمة. مثلي تمامًا. ولم يكن شيئًا لتفخر به بالطبع. غير أنه في أثناء  
إجازة الصيف التي تسبق الصف التاسع، تخلصت أُمي من بدانة الطفولة  
كما لو كانت تتخلص من قشور الجلد الميت على بشرتها. وكانت لوسي في  
الصف الحادي عشر حينئذ، ولم تُؤتَ الحظ السعيد مثل أُمي.

وبالعودة إلى طفولتي، توقفت الممارسات الغذائية القاسية تدريجيًا  
عندما وصلتُ إلى المرحلة الإعدادية. لا أدري ما السبب في ذلك بالضبط، غير  
أنه لا يسع أحد سوى لوسي أن يملك هذا التأثير في أُمي.

وعلى شاشة التلفاز، كانت برسيلا في أثناء يومها الدراسي قد سقطت في  
برائن امرأة ضئيلة الحجم عنيفة الطبع، اتضح أنها مدربتها الشخصية. ورغم  
أن برسيلا قد اشتركت في البرنامج بإرادتها، فإنها كانت تمر بلحظات يأس  
وفزع شديدة، لتحبس نفسها في كابينة دورة المياه وتذرف الدموع على  
حماقتها. وفي النهاية تأتيها المدربة الشخصية وتظهر جانبها الرقيق حين  
تجود عليها ببعض الخطابات الحماسية. في الحقيقة، لقد أصبحتُ بعدوى  
الحماسة أيضًا. على ماذا؟ ليس لدي فكرة.

لم أكن بحاجة إلى التطلع نحو أُمي لأعرف أن عينيها تذرفان الدموع. فقد  
كان الجزء المفضل لأُمي في أيٍّ من برامج خسارة الوزن هو «هذه حياتك»،  
توقفي عن اعتراض طريق الوصول إلى اللحظة التي تكونين فيها في أنحف  
صورة لك».

شردتُ في أفكاري معظم الوقت، غير أنني عجزتُ عن أن أشرح بناظري  
عندما أُلقي الضوء على التدريبات الرياضية الصباحية التي تؤديها برسيلا في  
المضمار حول ملعب المدرسة. فقد كانت مدربة برسيلا تدفعها بعنفٍ لإتمام  
التدريبات حتى إن الفتاة تقيأت على مُدرج المتفرجين، في الوقت الذي اجتمع  
فيه فريق كرة القدم بأكمله ليكون شاهدًا على مهانتها.

وفيما بعد، نقلت مدربة برسيلا التدريبات إلى الصالة الرياضية الداخلية. غير أن الفتاة قد رفضت الدخول، وحينها فقدت المدربة أعصابها، مُطلِقةً عليها أقبح السباب.

كانت برسيلا تقول من بين أنفاس متهدجة: «أشعر بأني وحيدة للغاية. هل دخلت من قبل إلى مبنى قد صُمِّم لكل شيء لا يمكنك أن تحقيقه؟ أرغب حقًا في أن أحصل على جسدٍ صحيٍّ، لكنني أريد أن أكون سعيدةً أيضًا».

في النهاية، فقدت برسيلا نحو ستة كيلوجرام. وقد صفقت مدربتها الخاصة تحيةً وتشجيعًا لها عند الميزان النهائي لإعلان نتيجة التحدي، غير أن الإحباط في عينيها لا يخفى عن ناظريك. تعاقبت قائمة المشاركين في العمل في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه الاقتباسات على الشاشة تخبرنا بأنه بعد مُضي ستة أشهر، لا تزال برسيلا ملتزمة بالنمط الصحي للحياة، غير أنها قد تقبلت حقيقة أن وزنها سيكون كفاً مدى الحياة.

لو أن إيل كانت هنا الآن، لكننا قد تحدثنا عن مدى سخافة هذا البرنامج حتى إنهم يطلقون عليه اسم برنامجٍ ترفيهيٍّ!

قالت أُمي بعد انتهاء الحلقة: «حسنًا، كان هذا حماسيًا ومُلهِمًا».

غير أنني لم أحر جوابًا قد ترغب هي في سماعه، فأثرتُ الصمت، ثم عدتُ قائلةً: «سأصعد إلى غرفتي. هل أنهيتِ عملكِ هنا؟».

التقطت بأناملها جهاز التحكم، وغيّرت القنوات حتى استقرت على نشرة الأخبار المسائية، ثم أجابت: «كلا، ليس بعد. لدي أكوام من العمل لأنجزها قبل اجتماع مجلس إدارة المسابقة في الغد».

- أنا ذاهبةٌ للنوم.

- تصبحين على خير، دمبلين.

\*\*\*

في الطابق العلويِّ، وقفتُ أمام غرفة لوسي هنيهةً امتدت طويلًا قبل أن أدخل إلى غرفتي. نزعْتُ هاتفِي من قابس الكهرباء، ووجدتُ أن بوو لم يرأسلني. فارتميتُ على فراشي ممسكةً بكرة التنبؤ السحرية التي أهداني إياها بين يدي. كان رأسي يطن بأسئلة لا حصر لها ولا تتعلق سوى بشخص

واحد، غير أنني هزرت الكرة ثلاث مراتٍ وانتظرتُ الجواب. لا يبدو المستقبل مشرقاً.

اهتز هاتفي معلناً وصول رسالة.

إيلين: «أنهيتُ عملي للتو. هل أنتِ بخير؟ بدا وجهك غريباً بعدما عدنا من المركز التجاري».

اخترتُ كذبةً ملائمة، فقد قلتُ الكثير منها بالفعل وقد فات الأوان لأتوقف. أنا: «أنا بخير. أغراض المسابقة تستولي على منزلي فحسب. حاملاتُ صدرٍ هنا! وسراويل داخلية هناك! وهذا مزعجٌ للغاية».

إيلين: «مقزز. هل ترغبين مني المجيء إليك؟».

أنا: «أعتقد أنني سأخلد إلى النوم».

إيلين: «حسنًا. لقد اشترى تيم زيوت التدليك. هل هذا أمرٌ مبتذل؟». فكرتُ في الأمر هنيهة، ثم أجبتُ: «ليس إن كانت برائحة غزل البنات. كم أنتما مقززان! تصبحين على خير».

\*\*\*

## الفصل السادس عشر

خمد الغضب العارم بالأمس وصار الآن إحباطًا ويأسًا حزينًا. أصبحت معتقدة أنني لا أملك أي أسباب تجعل بوو يدين لي بتفسير أي شيء. تلك القُبلات خلف صندوق النفايات وفي ساحة انتظار السيارات خلف المدرسة المهجورة لا تُقَارَن بأي شيء. فإن كان هذا هو كل ما يجمعنا - تلك اللحظات الخفية وحقيبة الهدايا الفكاهية - فيا لحماقتي لأظن أنني أستحق أي شيء منه.

كانت تلك هي المحادثة التي أجريتها في قرارة نفسي في أثناء طريقي إلى العمل.

ألقيتُ بحاجياتي في الخزانة، واندفعتُ عبر المطبخ بأسرع ما يمكنني. استقبلتُ الطلبات بسرعة وكفاءة تشهد لي، غير أنني لم أتكبد مشقة إلقاء نظراتٍ سريعة على الزبائن. أما بوو، فقد كان يُحدِّق إليَّ بإمعان حتى شعرتُ بفجواتٍ تتكون في جبهتي، بينما كان يضع الشطائر أسفل بأعْثات الحرارة أو يُغْلَف لفائف الشطائر بلاصقات لا ضرورة منها، وقد كان شيئًا يمنحه دائمًا ابتسامة حانية من جانبي. غير أنني حافظت على اجتهادي ودأبي في العمل، مُركزةً عينيَّ على أي شيء عداه.

كان بإمكانني الشعور بتغيُّر علاقتنا تغيُّرًا واضحًا وملموسًا، غير أن ماركوس ورون استمرا على معاملتنا دون أي اختلاف، فبالنسبة إليهما، ليس هناك مما يترأى لأعينهما ما يوحي بغير ذلك. كان عالمي الذي أنشأته لنفسي طوال الصيف يتهدَّم أمامي وكنتُ الشاهد الوحيد على ذلك. وفكرتُ في قرارة نفسي: «هذا ما يحدث بالضبط، عندما يتحول السر إلى كذبة».

بعد ذروة العشاء وازدحامه، كان المطبخ غارقاً في الفوضى، كما لو أن معركة طعام دون أسرى قد وقعت موقعها في هذا المكان. وعندما طلب رون من أحدنا التطوع لتزويد طاولة الخدمة بالتوابل، تطوعتُ في سرور. انتظرتُ حتى ينغلق باب غرفة المؤن من خلفي، غير أنني حين لم أسمعه، أدركتُ السبب.

قال بوو: «مرحباً».

فلم أستدر نحوه. كنتُ أجدب سلعاً متعددة من أرفف مختلفة، وبدأتُ أجمع أكواماً من المؤن لأخذها إلى الخارج.

استطرد بوو: «من فضلكِ اسمعيني، كنتُ سأخبركِ بكل شيء».

سمعتُ خطواته تقترب مني وأنفاسه تصطدم برقبتي. غطى يديَّ بيديه وكان ملمس يديه جافاً بفعل القفازات البلاستيكية التي كان يرتديها في المطبخ، غير أنه رغم كل هذا، لا يزال بمقدوره أن يحتويني.

- لم تأتِ فرصة لنتحدث عن العام الدراسي.

دغدغ بشفتيه مؤخرة رقبتي. وكان أنفه يتخلل خصلات شعري المتأرجحة من ذيل الحصان الذي أحكم شعري لأعلى. ثم تابع: «أرجوكِ، لا تغضبي».

فأجبتُ: «أنا... أنا لا يمكنني الحديث الآن».

لا أدري حتى كيف أتحديث إليه. ليس دون أن تلتقي شفاهنا معاً. غير أنه آنس أن يطبع قبلةً على رقبتي، وشحمة أذني الغضة، والرقعة الرقيقة خلف أذني.

- أرجوكِ. أرجوكِ توقف.

جذبتُ يدي لأحرر نفسي من قبضته، وأحكمتُ قبضة ذراعي على صناديق الشراشف الورقية وأدوات المائدة البلاستيكية والتوابل، مُقربةً إياها من صدري، واندفعتُ مبتعدةً عنه.

- ويلودين.

وددتُ لو أستعيد اسمي من بين شفتيه فلا ينطقه مجدداً. وددتُ لو أمحو تلك اللحظة التي اخترنا فيها قبلتنا الأولى، وقد سلبها مني ليجعلها قبلته.

- لا تفعل هذا.

كان صوته خافتاً، كما لو أنه قد استسلم لخسارته معركةً لم يبدأها بعد.

\*\*\*

في نهاية تلك الليلة، بدأت في ملء حاويات الملح والفلفل الأسود حين سمعتُ رنين الجرس فوق الباب الرئيسي، ولذلك أتى ماركوس ليجيب الباب. صاح قائلًا: «بوو، صديقك هنا».

اختلستُ نظرةً سريعةً نحو الزاوية لأرى كولين، الشاب ذاته الذي زار بوو في بداية الصيف.

سأله بوو: «ماذا تريد يا رجل؟».

بدا بوو مجهّدًا وقد أحاطت الهالات السوداء بعينه وأثقلهما الإعياء.

ضحك كولين، ثم أجاب: «أطمئن على صديقي القديم. لن تكون مدرسة هولي كروس على حالها دونك».

فأجاب بوو: «ستتعايش مع الأمر».

- بالحديث عن المدرسة، إن أمبر تُلقِي عليك التحية. وقد صارت الآن بحالٍ أفضل. فقد ساعدتها بعض العُزلة.

ورفع كولين كتفيه بلا اكتراثٍ، ثم تابع: «القليل من التشتت والإلهاء لم يضر».

فأجابه بوو وهو يُصر على أسنانه: «أحسنْتَ».

فقال كولين: «لا بد أن تأتي إلى الملاعب في إحدى الليالي. لنقضي وقتًا على مقاعد البدلاء أو شيئًا من هذا».

شعرتُ بشيءٍ يُدغدغ يدي. وحين نظرتُ إلى أسفل وجدتُ أنني قد سكبتُ الملح على الطاولة بأكملها.

- اللعنة.

فالتفت كلاهما نحوي. ابتسم كولين، وقال: «آه، أنا أتذكرك. ماذا كان اسمك؟».

فتحتُ فمي لأجيب، غير أن...

- ويل. اسمها هو ويل.

هكذا أجاب بوو بدلاً عني. ألمني بشدة أن أسمعه لأول مرة يُناديني بشيء آخر سوى ويلودين. غير أنني ركزتُ اهتمامي على الملح والفلفل الأسود اللذين انسكبا على الطاولة، واتجهتُ صوب مؤخرة المطعم عابرةً بالمطبخ لأحضر سلة القمامة. ومن ثم سمعتُ خطوات أحدهم تتبعني.

- أرجوك، تحدثني إليّ.

هكذا قال بوو حين تبعني. غير أنني اندفعتُ عبر الباب الخلفي دون إجابته. ثم مددتُ يدي لأصل إلى حاوية القمامة الطويلة، وحاولتُ قلب الغطاء وفتحه مرة، مرتين، ثلاث مراتٍ دون فائدة. فمدَّ بوو ذراعه وفتح الغطاء من المحاولة الأولى.

- يجب أن أتحدث معكِ.

وأخذ الحقائق من قبضتيّ المشدودتين وقذف بها في الحاوية. فجذبتُ راحتيّ المخضبتين بالعرق إلى جانبي، وأجبتُهُ أخيراً: «عن ماذا؟ ما رأيك في الحديث عن تلك الفتاة؟ أخبرني؟ ماذا كنتُ أنا بالنسبة إليك؟ انتعاش الصيف؟».

تقدّم نحوي خطوةً واحدة، وكدتُ أن أتأخر خطوةً عنه حتى أستعيد التوازن والمسافة بيننا، غير أنني كنتُ عازمةً على ألا أظهر أي ذرة من ضعف. اندفع مُجيباً: «لم تكوني انتعاشاً موسميّاً، مفهوم؟ لم تكوني هكذا بالنسبة إليّ. لست... لستِ هكذا بالنسبة إليّ».

كانت نبرة صوته أشبه بالنغمة الموسيقية الثامنة، حين بدأ حديثه بتردد عالٍ لينحدر إلى تردد منخفض بالكاد استطعتُ تمييز حروفه. ثم تابع: «لكن الأمر هو أن علاقتنا ليست مبنية على التواصل والحديث الدائم».

- كان بإمكانك على الأقل أن تُخبرني بأنك لن تعود إلى هولي كروس. خيّم الصمتُ على مُحياء، وقد اعتبرتُ صمته هذا إنعاعاً واستسلاماً، فاستأنفتُ الحديث: «لماذا لم تخبرني بذلك، بوو؟ بماذا كنتُ تفكر؟ هل كنتُ تتمنى ألا ألحظ شيئاً كهذا؟».

- كلا، كل ما في الأمر...

أطلقتُ تنهيدةً مُثقلةً بالتساؤلات والحيرة، غير أن جوابي كان مخالفاً: «لا يهم. علامَ نتجادل في الأصل على أي حال؟ لا تزيد علاقتنا على المداعبة خلف حاوية القمامة وفي ساحة الانتظار القديمة. ولا يبدو هذا شيئاً حقيقياً يستحق الجدل لأجله».

ومن ثم وبطريقةٍ أو بأخرى يتحول كل شيء حولي فيصير مثارًا  
لاشمئزازي حينما يضع يديه على جسدي. كما لو أنني لستُ ملائمةً له. لستُ  
جميلة. لستُ رشيقة. لا أمتلك شيئًا كافيًا يجعلني أستحق هذا الحب.

حينها عجزتُ عن الصمت فأخرجتُ ما بجعبتي: «لقد اعتدتُ أن أعتقد  
بأنك شخصٌ يُساء فهمه. وأنتَ شخصٌ يعجز الناس عن إدراك حقيقتك. لكنني  
كنتُ مخطئة. بل أنتَ أحمق بحق، بوو لارسون».

اتخذتُ خطوةً للخلف آنذاك، فتراخى الحبل الذي كان يربطنا معًا طوال  
الصيف. كم كنتُ أتمنى لو أخبرتُ إيلين بكل هذا. وقبل أن أغادر، أُلقيتُ عليه  
لعنتي الأخيرة: «وقد سئمتُ كوني أحد أسرارك».

\*\*\*

## الفصل السابع عشر

ألقيتُ نظرةً عاجلةً على جدول صفوفي قبل اليوم الدراسي الأول، وبالكاد أتذكر كيف يسير. وقبل الفترة الثانية من اليوم الدراسي، وقفتُ في الخارج منتظرةً إيل. كان هذا هو الصف الوحيد المشترك بيننا هذا الفصل الدراسي. ضربت أجراس الفترة الثانية، وحين كنتُ على وشك الدخول إلى الصف، لمحتها تقفز عبر الردهة برفقة تيم مُنتعلةً حذاءها ذا الكعب العالي.

قالت إيل بأنفاسٍ مُتهدجة: «آسفة للغاية».

أما تيم فاحتضن يدها بين يديه قبل أن يركض تاركًا إيانا ليلحق بصفه التالي.

سألتها: «ماذا كنتِ تفعلين في هذا الوقت؟».

فكان جوابها أن تلاعب حاجباها واهتزت كتفاها في غنج ومكر. فما كان مني إلا أن أومأتُ في غير تصديق ثم تبعْتُها إلى الداخل. لم نجد سوى مقعدين شاغرين في الصف، أحدهما خلف كالي -زميلة إيل في العمل- التي كانت تُلَوِّح لها حتى تقترب. أما الثاني فقد كان عند الطاولة الكبيرة في نهاية الغرفة بجوار ميتش لويس.

استدارت إيل نحوي وهمست: «آسفةٌ للغاية، ويل. سنصل مبكرًا في المرة القادمة. أعدكِ».

جررتُ قدمي إلى مؤخرة الحجرة لأجلس بجانب ميتش. وحين جلستُ على المقعد، جذب ميتش حقيبة ظهره نحوه، لكي أستريح في جلستي على الطرف المقابل من الطاولة. كان ميتش فتى ضخم الجثة. يمتلك كرشًا

قليلة التهذُّل ومنكبين عريضين، قد تجدهما حتى أعرض من أطر الأبواب في مقاسها العاديّ، غير أن الآخرين لا يتطلعون إليه ويرونه بديناً. بل يرونه شاباً رياضياً، ورغم كل شيء يبدو اعتقادهم منطقياً بالنظر إلى كونه الظهير الدفاعي في فريق مدرسة كلوفر سيتي الثانوية لكرة القدم الأمريكية. قال ميتش هامساً: «مرحباً!».

كانت لكنته جنوبية تُشبه تلك التي يستخدمها ممثلو هوليوود، لكن الأهم هو أنها لكنة ساحرة.

تابع ميتش: «ويل، أليس كذلك؟».

بعينين مثبَّتتين على الأستاذ كريسبن، أومأت مؤكدة. وكنتُ كمن لا يسعه الالتفات عن فقرة قائمة الأسماء المُسلِّية.

- حسناً، أود المراهنة على أننا لم نتشارك فصلاً دراسياً منذ الصف السادس.

فأجبتُ باسمّة: «فصل الأستاذة ساليسيري».

تفاجأتُ من تذكُّره شيئاً كهذا. كانت الأستاذة ساليسيري أفضل معلمة قد حظيتُ بها في حياتي. وما جعلني أذكر ميتش في ذلك الصف هي أسئلته السخيفة المتعددة. فقد كان يطرح أسئلةً كهذه: «لماذا لا يمكننا رؤية الهواء؟». وبينما كان الجميع يضحكون بنغماتٍ خافتة، كانت هي تجيب سؤاله. وكان جوابها غاية في الابتكار حتى تبدأ في تدارك الأمر، فربما لم يكن سؤاله غريباً في الأصل.

كان الأستاذ كريسبن يخوض في مقترحات اليوم الأول، وقبل أن يضرب الجرس معلناً انتهاء الفترة الثانية، قال: «أتمنى ألا يُكابد أحد منكم عناء الالتزام. فحيثما جلستم اليوم سيكون هذا مقعدكم المحدد طوال الفصل الدراسي».

حين كان بقية الصف يندفعون نحو الباب، كانت إيل تُصارع عكس التيار للوصول إليّ في مقعدي الأخير.

- أنا حقاً آسفة.

فأجبتُ: «إنه فصلنا الوحيد معاً. ومع ذلك لن يتسنى لنا حتى الجلوس بجوار بعضنا».

انسلت كالي خلال الزحام مُقاطعةً حديثنا: «إيل-بيل، أنتِ ذاهبةٌ إلى قاعة ت، أليس كذلك؟».

ثم التفتت نحوي قائلةً: «مرحبًا، ويلو».

أجبتها بابتسامة مصطنعةً بالقدر الذي حملني عليه وجهي واحتمله.

ربتت إيل على يدي واحتضنتها، ثم قالت: «سأحدثك لاحقًا، حسنًا؟».

كانت إيل قد صارت على بُعد ثلاث خطواتٍ في الاتجاه المعاكس قبل أن تستدير مُضيفةً: «ولا تقلقي، سأحدث إلى كريسبن بشأن مخطط المقاعد».

\*\*\*

لم ألمح أثرًا لبوو طوال اليوم عدا أنني رأيتُ شقيقه الأصغر حين مررتُ بقاعة طلاب السنة الأولى. لكن هذا لا يعني شيئًا، فما زلتُ سأراه في العمل الليلة. وشعرتُ مع تلك الاستنتاجات بارتياح خفف من أعبائي، حين كنتُ في طريقي إلى ساحة انتظار السيارات بحثًا عن سيارة تيم الجيب.

- ويل!

استدرتُ متطلعةً إلى مصدر الصوت. فبرز رأس ميتش بعيدًا من خلف الزحام، وحين تقلصت المسافة بيننا، قال: «لنسر معًا!».

وجدتني أبتسم رغماً عني حين وصل إليّ، وسرنا معًا على وتيرة واحدة.

قال: «إذن، ماذا تفعلين؟».

كدتُ أضحك من سؤاله، غير أنني تذكرتُ السيدة ساليسبيري وشعرتُ بتهديدٍ من جانبها إن فعلت. فأجبتُه غير ضاحكة: «تقصدُ خلاف المدرسة؟».

- أجل.

فأردفتُ مُجيبةً: «حسنًا، العمل».

وتقوّست ككتفائي في استفهام حين تابعتُ: «مشاهدة التلفاز مثلًا؟».

فسأل: «أين تعملين؟».

- لدى مطعم هاربيز. لماذا؟

تقدّم خطوةً أمامي وفتح الباب المؤدي إلى الخارج من أجلي. ثم أجاب: «حسنًا، أود أن أعرف أين بإمكانني أن أصطحبك في موعدنا الأول، وظننتُ أنه من المفترض لي أن أكتشف المزيد عنكِ قبل أن أقرر أي وجهةٍ نقصد».

- موعدنا؟

وانتظرتُ جوابًا بينما كان ممسكًا الباب لنفيرٍ جماعيٍّ من فتيات السنة الأولى. سلوكيات راقية. يا إلهي الرحيم. إنه يتخلَّق بسلوكيات راقية.

- أجل. فأنا على وشك أن أطلب منك مرافقتي في موعد. ولذلك، هلاًّ تُشرفينني بقبول مرافقتي إلى موعدٍ رومانسيٍّ؟  
أجبتُ: «أنا... لماذا؟».

- تقصدين لماذا طلبتُ منك مرافقتي في موعد؟  
أومأت مؤكدةً. فأجاب: «حسنًا، أنت لطيفة للغاية. إلى جانب أنك تتذكرينني حين كنا في الصف السادس».  
- حسنًا.

لم أشعر بالإثارة حين دعاني فتاة لطيفة، غير أن هذا لا ينفي كونه أفضل من أسماء أخرى كنت قد دُعيتُ بها من قبل. تابعتُ حديثي سائلةً: «هل طلبت من فتيات أخريات مرافقتك في موعد من قبل؟».  
- القليل.

- هل وافقت أيٍّ منهن؟

وقبل أن أسمح له بالجواب، توقفتُ واستدرتُ مواجهةً إياه. كانت يداي تُلوّحان في الهواء كما لو أنني أزيل أثر كلماتي السابقة، ثم قلتُ: «مهلاً. لا عليك. أتعلم؟».

في تلك اللحظة كانت صورة بوو في المستودع تبرز وتختفي مثل وميض زائف أمام عيني. سمعته ينادي اسمي مرارًا وقد حملتني تلك الفكرة على إدراك أن علاقتنا لن تحظى سوى بطريقٍ مسدودة.

فتابعتُ على عجلٍ: «أجل. موافقة. سأرافقك في موعد رومانسيٍّ».  
مدَّ إليَّ يده للمصافحة، فقبلتها. كنتُ أتوقع أن تكون راحة يده مخضبةً بالعرق، غير أنها لم تكن كذلك. ومثلما قالت جولديلوكس<sup>(1)</sup> إذ احتلت الفراش الثالث في الكوخ. بدا كل شيء في موضعه الصحيح.

(1) تقصد المؤلفة القصة الخيالية: Goldilocks and the Three Bears. (الترجمة)

طبع ميتش رقم هاتفه على هاتفه، ووعدني أن يرسلني حتى يسعني أن أحفظ رقم هاتفه أيضًا. ثم شقَّ طريقه نحو غرف تبديل الملابس إلى جانب ملعب كرة القدم.

أعتقد أنها قد تكون فكرة سيئة، لكن معتقداتي الكثيرة تلك لا تكون جميعها صادقة. أنا بحاجة إلى نسيان بوو. وبدت لي تلك الخطوة بداية جيدة.

- ويل!

انتزعنتي إيل من أفكاري. رأيُّها تجدُّ في سيرها عبر صفوف السيارات المصطفة، وكانت فخذها تنسابان يمينًا ويسارًا في حركة دوامية مثل هؤلاء الذين يمارسون رياضة سباق المشي في الدورات الأولمبية. حين وصلت أَلقت عليَّ بسؤالها: «ماذا. كان. هذا؟».

رفعتُ كتفيَّ في مكرٍ، فقالت: «أنتِ أيتها الحمقاء. لقد أعطيتَه رقم هاتفكِ». جاء تيم من خلفها، وكان هاتفه يتأرجح من يدٍ إلى أخرى، فقال بدوره: «مهلاً! هل كان هذا ميتش لويس؟».

أجابت إيلين قبل حتى أن أحظى بفرصة التفكير في الكلمات: «بالطبع، لقد كان هو. وتلك الساقطة المبتدئة قد أعطته رقم هاتفها».

عاجلها تيم في دهشة، فأوضح: «هذا الرجل هو الوحش بعينه. فقد سمعتُ أن فرق الكشفة يُلاحقونه في كل مكان».

تلك هي الشائعة التي تدور حول كل لاعب كرة قدم نزيه في كلوفر سيتي. وبين حينٍ وآخر قد يتعدى الأمر كونه مجرد شائعة. أما الشيء الوحيد الذي يضاهي كرة القدم في شائعاتها فهو مسابقة الجمال. فكلتاها بمنزلة شريان الحياة لهذا المكان. ولا أقصد بهذا نيات سيئة، فكلُّ من كرة القدم ومسابقة الجمال تُخرِجان تلك المدينة الصغيرة من سباتها وتُحولانها إلى ما هو أكبر من مجرد مدينة نكرة. فعندما تُضاء أنوار ملعب كرة القدم أو عندما تنقشع ستائر المسرح، نُقدِّم إلى العالم أفضل ما لدينا.

قالت إيل: «لا يهم إن كان شخصًا جيدًا. يكفي أنه صديقٌ لباتريك توماس». فأجبتُ: «يا إلهي! ليس هذا الأحمق».

ما زال بإمكانني استرجاع نظرته المُحدقة إليَّ ذاك اليوم عندما صرفتُ انتباه ميلي عنه في ساحة انتظار السيارات.

أوماً تيم قائلاً: «هذا صحيح. إنهما أصدقاء منذ أن كنا أطفالاً».

سرنا نحو سيارتي، وقد تبعنا تيم مدفوناً رأسه في هاتفه مجدداً.

علقت إيل مجدداً: «إذن ربما لن يكون ترتيب الجلوس في فصل كريسبن سيئاً في نهاية الأمر».

لو كانت إيل تدري شيئاً عما حدث بيني وبين بوو، لكانت قد تلَبَّست رداء ضميري النائم وأخبرتني أن ما يحدث سابق لأوانه، وأنني بحاجة إلى نسيان بوو أولاً.

مددتُ يدي إلى الجيب الأمامي لحقيبة ظهري وأخرجتُ مفاتيح سيارتي. ثم أجبتُ: «أجل، أعتقد ذلك. لكنني أفضل الجلوس إلى جانبك».

قاطعنا تيم مُعلّقاً: «ألا تجلسان بجانب بعضكما بعضاً في الفترة الثانية؟». فأجبتُ: «كلا. فبفضلها -وأشرتُ إلى إيل- تأخرنا كثيراً».

فقالت مجدداً: «أنا آسفة. ألم أعذر عن ذلك قبلاً؟».

فقلتُ: «حسنًا، على الأقل تحظين برفقة كالي».

- حقًا! توقفي عن هذا.

فأردف تيم: «لكن حقًا يا عزيزتي، ألا تعلمين أنها أكثر الأشخاص إزعاجًا على الإطلاق؟».

صاحت إيل: «أنتما الاثنان عليكما التراجع عن هذا الحديث. إنها صديقتي، حسنًا؟».

فأجاب تيم: «لكننا أصدقاءك الوحيدون».

وتكورت ابتساماً على جانبي شفتيه. ثم طبع قبلةً على خدها، قبل أن يقول: «لا يتسنى لك مصادقة آخرين غيرنا».

فاندفعتُ مؤكدةً: «أجل. نحن فحسب».

وكدتُ أعني ما قلته حقًا، غير أنه لا يجوز أن يعدو كونه مزاحاً.

أطرقت إيل كتفيها بكتفي، وقالت: «لقد افتقدتك اليوم».

- وأنا أيضاً.

ومع إنها حاضرة معي الآن، شعرتُ بها بعيدة، أبعد حتى عن مجال رؤيتي.

\*\*\*

## الفصل الثامن عشر

دق رنين هاتف في العمل تلك الليلة. فتركتُ ماركوس مستقبلاً المكتب الأمامي، وسرتُ إلى غرفة الاستراحة لكي أجيّب: «مرحباً؟».

- مرحباً. هذا أنا ميتش.

خيّم الصمت هنيهة على الخط الآخر، ثم تابع: «كنتُ أهاتفك من أجل موعدنا؟».

لم يبدُ صوته واثقاً على الهاتف كما كان من قبل. بل كانت نبرة حنونة يشوبها ما يشبه نغمة الإعلانات المزيفة. غير أنه كان لطفاً منه أن يفعل ما هو أفضل من مجرد إرسال رسالة نصية بالموعد.

- آه. صحيح. بالطبع.

- ما رأيك في يوم السبت القادم؟ إن مباراتنا الأولى ستُقام يوم الجمعة. فأجبتُ: «حسنًا، هذا جيد».

- بالتأكيد. رائع.

كان بإمكانني سماع أساريه المنفرجة على الجانب الآخر. فتابعْتُ مُدْغِرَةً إياه: «حسنًا، السبت إذن. ولكنني سأراك في المدرسة قبل ذلك».

فقال: «أجل، صحيح، سأراك قبلها إذن. في المدرسة بالطبع. ولأنه سيكون من الغريب حقاً أن أتجنبك حتى حلول موعدنا».

ضحكتُ بنبرة واضحة، ثم قلتُ: «أجل. صحيح. سيكون غريباً».

بعدما أغلقتُ الخط، سرتُ عائدةً إلى المكتب الأمامي عبر المطبخ حيث كان بوو يستند إلى الموقد بظهره عاقدًا ذراعيه. كان يلوك شفته السفلى ويتتبعني بناظريه حتى استدرتُ حول الزاوية. انتابني شعورٌ جيد؛ غمرتني تلك المكاملة بشعورٍ رائع. شعور أن تكون مرغوبًا، وليس مملوكًا.

في نهاية تلك الليلة، سرتُ برفقة بوو وماركوس مغادرين المطعم، أما رون فظل عاكفًا على إنهاء كشف الحساب لليوم. ركب ماركوس في سيارة صديقه ورحل عنا في غضون ثوانٍ. لم ينطق بوو ببنت شفة، بل انتظر ليتحرك بسيارته بعد أن أدرتُ محرك سيارتي واستدرتُ بها للخلف إلى خارج بقعة اصطفااف سيارتي.

اجتازت سيارتي التلة المرتفعة عند المخرج وانعكست أضواء سيارتي على نوافذ تشيلي بول على الجانب الآخر من الشارع. كانت لافتة ضخمة قد لُصقت على إحدى النوافذ وقد كُتب عليها: **مطلوب للتوظيف!** قد يكون الفلفل الحار إحدى المزايا التي يختص بها جنوب البلاد، غير أن الرأي الرسمي للسيدة ويلودين هو: أن الفلفل الحار يبدو مثل طعام الكلاب، تفوح منه رائحة طعام الكلاب، ومن ثم لا بد أنه طعام كلاب. وقد كانت أمامي قائمة طويلة جدًا من الأمور التي سأفعلها في حياتي قبل أن أضطر إلى العمل في هذا المكان.

اجتازتني سيارة بوو وأنا واقفة أفحص اللافتة. فركزتُ عيني إلى الأمام في ثبات.

\*\*\*

وهأنذا الآن أقف منتظرةً إجراء مقابلة مع المدير المسؤول في تشيلي بول.

كان المكان بأكمله قد بُني على طراز لينكولن لوجز الذي يتميز بسقف خشبيٍّ منحدر ذي قمة مُسنمة ونوافذ صغيرة. كانت الحوائط مغطاة بأطرٍ لا تتوافق مع ألوانها وتحمل بين أذرعها الأربع صورًا لأهالي كلوفر سيتي الذين عاشوا في الأعوام الستين الأخيرة، تتنوع أفعالهم ما بين الاحتشاد في الباحات

أو أناس يتجرعون الجعة في الشرفه الأمامية أو آخرين يرقدون ممددين على الحشائش في أثناء احتفالات الرابع من يوليو<sup>(1)</sup>.

انزلتُ إلى إحدى المقصورات منتظرةً المدير المسؤول بينما كانت لافتة هاربيز تقبع أمامي على الجانب الآخر من الشارع في تحدٍّ واضح.

\*\*\*

هذا الأمر برُمته لم يكن سوى خطأ بوو. فقد كان كل شيء على ما يُرام حتى تلك الفترة الخامسة. كان يومي يسير على نحوٍ رائع، وكانت ساعات العمل تمرُّ في هدوء في الليلة السابقة، وربما انتابني بعض الرضا عن نفسي. مرَّ يومي الدراسيُّ الأول هادئًا. وموعدُ رومانسيٍّ أول قد شغل قائمة خططي. وزمالة عملٍ ودية بطريقةٍ أو بأخرى تجمع بيني وبين بوو.

غير أنه بعد مرور خمس عشرة دقيقة في صف «التاريخ العالمي»، دلف بوو إلى الصف وبحوزته ورقة صفراء مطوية. كانت هذه مذكرة النقل.

قالت الآنسة روبيو معلمة الفصل: «أيها الطلاب! رحبوا بزميلكم بوو لارسون. سينضم إلينا في الصف لبقية العام».

أطلقت أماندا -صديقة ميلي المُقرَّبة- التي كانت تجلس إلى جانبي صافرةً خافتة. أما بوو فقد جلس على بُعد صفٍّ واحدٍ مني متقدمًا عني بمقعدين. وفي اللحظة التي جلس فيها على مقعده، تطلع من وراء كتفه وغمز بعينه مباشرةً إليَّ.

فهمست أماندا قائلةً: «أليس هذا الشاب زميلك في العمل».

- بلى.

كان الشعور الساحق بالخوف الذي اشتعل بداخلي قد تركني في حالة من الغثيان.

تابعت أماندا: «كيف لك أن تنجزي أيًا من عملك؟ ألا تنشغلين بمؤخرته الخوخية تلك؟».

- ماذا؟!

---

(1) احتفالات الرابع من يوليو هو الاسم الشعبي ليوم الاستقلال الأمريكي، وهو يوم غُطلة فيدرالي. (المترجمة)

فأجابت أماندا: «تبدو مثل مؤخرة ثمرة خوخ. مؤخرةٌ خوخية».

بعدما انتهى اليوم الدراسي، كنتُ على عجلةٍ من أمري حتى إنني لم أقفَ منتظرةً خروج إيل وتيم. دلفتُ إلى سيارتي ضاغطةً ذراع نقل السرعات إلى وضع القيادة على الفور، وأسرعتُ هاربةً من ساحة انتظار السيارات بأسرع ما يمكنني. حمدًا لله أنني لم أصدم في طريقي أي مشاةٍ يعبرون الطريق. وكان هذا أمرًا إعجازيًا.

كان هذا ما جلبني هنا إلى تشيلي بول.

\*\*\*

- هل أنتِ هنا من أجل الوظيفة؟

جاءت تلك العبارة من فتى لا يزيد عمره على الخامسة والعشرين ذي شعرٍ منسدلٍ على جبهته، وقد جلسُ قبالي مستكملًا حديثه: «أنا أليخاندرو». فأومأتُ بإيجاب.

- الراتب هنا سيئٌ جدًّا.

فقلتُ: «أنا بحاجةٌ إلى الوظيفة».

قال: «حسنًا».

ومال إلى الأمام مقتربًا مني، كما لو أن أحدهم قد يسمع ما يقوله رغم أن المكان بأكمله خالٍ من أي أحد. حينها ظننتُ أنه من نوع الفتیان المصابين بمتلازمة القلق والتوتر الذين يقبلون العمل في أماكن هادئة عن عمد. تابع حديثه: «إليك ما في الأمر: هل سبق أن قبض عليك؟».

- كلا.

- هل عملتِ في مجال المأكولات من قبل؟

- نوعًا. فقد كنتُ أدير ماكينة الدفع لدى هاربيز.

قال: «جيد بما يكفي. وأخيرًا، هل طُردتِ من عملك السابق؟».

- كلا.

طقطق أصابعه والتقط بعض الأنفاس المنتظمة، ثم قال: «متى يمكنكِ بدء العمل؟».

وهكذا سارت مقابلاتي الشخصية.

أسندتُ ظهري إلى المقصورة. وهناك أمامي خارج هاربيز، رأيتُ رون جالسًا على حافة الطريق يقضي استراحة تدخينه. شعرتُ بالسوء حيال تركي إياهم هكذا دون إخطار، غير أنني صرتُ عاجزةً عن مواجهة بوو طوال أربع ليالٍ في الأسبوع.

أجبتُ سؤال أليخاندر: «من الآن إن أردت».

\*\*\*

كان الباب إلى مكتب رون مفتوحًا. وكان جالسًا إلى مكتبه مرتديًا سروالًا قصيرًا باللون الكاكي وسُترة بولو الرياضية لمشجعي فريق مدرسة كلوفر سيتي الثانوية.

- ويل!

- أنا... هل يمكننا الحديث؟

دفعتُ الباب فانفرج قليلًا عن سابقه، وعلا صرير مفاصله.

قال رون بنبرة أبوية: «ماذا هناك يا فتاة؟».

عبأتُ صدري بالهواء وأطلقتَه في زفيرٍ هادئٍ قبل أن أقول: «أود أن أترك العمل».

التحمت شفتاه معًا كأنما صارتا واحدة وقطَّب حاجبيه في عبوس. قرأتُ الكثير من التساؤلات على ملامح وجهه، غير أن كل ما قاله هو: «هل حدث خطبٌ ما؟». أومأتُ برأسي نافيةً، ثم قلتُ: «سأعيد زي العمل بعد غسله». فأومأ قائلاً: «لا داعي للعجلة».

وهكذا مثلما حدث مع بوو، وجدتُ نفسي أتمنى لو أنه افتعل مشكلةً ما لرحيلي. غير أن كلينا لم ينطق ببنت شفة.

أضفتُ بعدما وجدتُ الصمت قد خيم علينا: «ولكن شكرًا لك على منحي تلك الفرصة».

فأجاب: «أعتقد أنني سأفتقد رؤيتك هنا كل يوم».

قدتُ سيارتي طوال الطريق إلى المنزل بصمت وكنتُ قد فتحتُ النافذة الجانبية وتركتُ الهواء يعبث بأفكاري

\*\*\*

## الفصل التاسع عشر

بعدما انتهى أسبوعي الدراسي يوم الجمعة، قصدتُ الطريق إلى منزل إيل. جلسنا إلى الطاولة في غرفة الطعام نتشارك كيسًا من رقائق البطاطس المقلية بينما كانت والدتها تُفرغ محتويات ألبوم الذكريات. تناثرت أمامنا على الطاولة لقطات صورٍ للسيدة درايفر وهي ترتدي جميع الصيحات المختلفة التي ارتدتها دوللي بارتون. وبعدما مسحْتُ يدي في سروالي الجينز من الأثر الدهنيّ للرقائق على أصابعي، تفحصتُ إحدى صورها التي ارتدت فيها معطفًا من الجلد السويديّ المدبوغ وقد تدلّت أهدابٌ من أكمامه، وتنورة قطنية سميكة ذات قياسٍ طويل تتخذ شكل الجسم. وكان شعرها حريميًا مستديرًا يشبه تصفيف شعر دوللي في السنوات الأولى لها.

قلتُ للسيدة درايفر: «تعجبني هذه الصورة».

أراحت يدها على كتفي وأجابت: «حقًا! وأنا أيضًا. أعتقد أن هذه هي صيحة شعري المفضلة. لقد كان شعرًا مستعارًا صنعه لأجلي رجلٌ ذو ملامح أنثوية كان يعمل في أوديسا. وقد استغرق الأمر منه أسبوعًا كاملاً حتى تكون مماثلة لصيحة دوللي».

التقطت إيل صورةً لوالدتها بثوبٍ أحمر لامع تلامس أطرافه الأرض، وقالت: «شعرٌ مُموّجٌ رائع يا أمي. يبدو أنيقًا للغاية».

فأجابت والدتها: «إيلين سادي روز، لن تدركي معنى الأناقة حتى وإن أصابت تضاريس جسدك».

وبحركةٍ رشيقة دأبت مؤخرة رقبة إيل بأظفارها الطويلة.

كانت إيل تحظى بجسدٍ طويل نحيف يميل إلى الهُزال، في حين أن والدتها كانت تتمتع بجسدٍ مكتنز متعدد المنحنيات. غير أنك تلاحظ التشابه بينهما في الطريقة التي تبرمان بها شعورهما على أطراف أصابعهما أو تلوكان بها شفاههما السفلية أو الصغير الذي يصدر عن ماصة العصائر الخاصة بهما قبل كل رشفة.

قالت السيدة درايفر مُوجَّهة الحديث لي: «هاكِ، احتفظي بهذه». وأعطتني صورةً لها برفقة لوسي منذ أعوامٍ طويلة. كانتا تقفان أمام لافتة ضوئية تقول: «هايدواوي<sup>(1)</sup>». ومن خلفهما زحامٌ شديدٌ مُعبأً بالدخان. يبدو أنه حانة أو ملهى ليليٍّ، غير أنه مهما يكن هذا المكان، فقد بدا مكانًا لن تطئه لوسي بمفردها أبدًا. كانت السيدة درايفر ترتدي بذلةً مناسبة موحدة اللون ومن أسفلها سُترة حمراء ضيقة، بينما كانت لوسي ترتدي أحد فساتينها الفضفاضة التي صنعتها لنفسها، وزينت وجهها بلمسةٍ من ظلال العين الزرقاء. لم أكن قد رأيتها من قبل تضع الزينة. غير أن السيدة درايفر كانت تطلق العنان لأكثر الأجزاء جرأةً من روح لوسي. أعلم جيدًا مدى أهمية لوسي في حياة السيدة دي، إلا أن مكانة السيدة دي في حياة لوسي كانت مثل شريان الحياة.

مررتُ الصورة إلى الجيب الأمامي لحقيبة ظهري. لشدُّ ما أحببتُ الصورة، لكنها ألمتني أيضًا. فقد كانت السيدة درايفر هي النسخة المثالية من دوللي، وأعلم كم كان مستحيلًا للوسي وساقبها الثخينتين الشاحبتين وشعرها الأملس ألا تبدو حزينة مقارنةً بها. كانت مسحة ظلال العين الزرقاء نداءً غير مسموع إلى المرأة التي أرادت دائمًا أن تكونها. ففي الوقت الذي حاولت لوسي أن تتقبل واقعها دون شكوى، عجزتُ أنا عن إغفال ما لم تستطع هي تحقيقه. وشعرتُ حينها أنني خائنة.

قالت إيل: «أمي، كيف لكِ ألا تشاركي في مسابقة الجمال قط؟». كان هذا أمرًا تساءلتُ عنه أنا أيضًا. فقد كانت حياة السيدة دي بأكملها بمنزلة مسابقة جمال على نطاقٍ أوسع غير متوقَّع. كنتُ على يقين من أنها كانت لتفوز بالمسابقة دون منافس.

---

(1) The Hideaway هو اسم المكان، ويعني المخبأ. (المترجمة).

رفعت كتفيتها في غير اكتراثٍ وقالت: «لقد فكرتُ في الأمر. وأعتقد أن كل فتاةٍ في هذه المدينة تفكر في الأمر أيضًا. غير أنني لم أكن المرأة التي أنا عليها اليوم. لم أكن أمتلك تلك الثقة في ذاك الوقت البعيد لأتظاهر بالرضا الكافي عن نفسي حتى أستطيع المشاركة في مسابقة جمال».

ضربت كلماتها أمواج فكري. وتساءلتُ ما إن كان هذا هو السبب الحقيقي الذي يجعل مسابقة الجمال أمرًا مزعجًا لي هذا العام أكثر من أي عام مضى. فالفتيات اللاتي قررن المشاركة عليهن أن يكنَّ أكثر تباهيًا واعتزازًا بأنفسهن حتى يستطعن القول بأنهن يستحقن المنافسة. هذا النوع من الثقة الراسخة التي لا تتزعزع يُشعرني بالانزعاج على نحوٍ لم أشعر به من قبل.

قبضت إيل على حفنة من الرقائق المقلية وحشرتها في فمها قبل أن تقول: «هيا بنا إلى الأعلى».

أخذتُ طبق الرقائق المقلية وتبعتها إلى غرفتها. وعلى فراشها، استلقينا في اتجاهين متقابلين، فكان رأسها عند حافة الفراش بينما كان رأسي يستقر على كومة وسائدها.

سألت إيل بفمٍ مملوء بالرقائق: «إذن لقد تركتِ العمل لدى هاربيز؟ دون أي سبب؟».

- لقد كان مطعم تشيلي بول يطلب موظفين.

فأجابت على عجل: «إن تشيلي بول دائمًا ما يطلب موظفين».

مددتُ يدي وقبضتُ على بعض الرقائق، ثم أجبتُ: «لا أدري. لقد كنتُ متعبة من ارتداء الزي الرسمي».

أظن أن هذا كان سببًا كافيًا لإيل، لأنها سارعت إلى تغيير دفة الحديث إلى شيء أكثر إثارة.

- إذن متى سيكون موعدك الرومانسي؟

- غدًا.

- تشعرين بالقلق؟

- أعتقد أن عليّ ذلك؟ لكن ليس تمامًا.

فقالت: «ميتش! هذا ما لم أكن لأتوقعه قط. هل يُعجبك حقًا؟».

- أجل. أعني ربما كنتُ في حاجة إلى شيء جديد.

وسحبتُ إحدى وسائدها مُغطيةً بها رأسي لأكتم حروف كلماتي. ثم تابعت: «لم أكن لأوافق على هذا الموعد إن لم يكن يعجبني».

- شيء جديد؟ أنتِ لم تحظي حتى بقبلةٍ أولى بعد.

عقدت إيل رباط حذائي المُفكك في عُقدة مُهملة، واستنكرت قائلة: «لا يبدو لي أنه نوعك المفضل».

كانت روعي تسبح في شعورٍ بالذنب. فقد عجزتُ عن إخبارها بشأن بوو. والآن قد فات الأوان، ولم يعد في الأمر ما يُقال.

أجبتُها: «ليس لدي نوعٌ مفضل».

- ليس بعد.



لاحقًا حين صفتُ السيارة أمام منزلي، كان أول شيء ألاحظه هو النافذة المضئية لغرفة لوسي على واجهة المنزل. وأدركتُ أنه يُفترض بي أن أجلس في السيارة هنيئةً، وأعد نفسي لأي ما يمكن أن تفعله أُمي في تلك الغرفة، لكنني لم أمنح نفسي وقتًا كافيًا. وبدلًا، جذبتُ مفاتيح سيارتي بعنفٍ من مصدر تشغيل المحرك، واندفعتُ كالعاصفة عبر الممر حتى وصلتُ إلى الباب الخلفي. كان ريوت ينظف جسده بأكمله أمام الباب الزجاجي الجرار. وأول ما سمعته هو صوت أوليفيا بيوتن-جون يصدع في حماسٍ من الطابق العلوي.

ألقيتُ بحقيبتني على الطاولة، فاندفع ريوت راكضًا إلى الطابق العلوي، يسبقني ببضع خطواتٍ قليلة فحسب. لا أدري ماذا كنتُ أتوقع، غير أن ما رأيته لم يكن ليخطر ببالي قط. ليس مشهدًا يتضمن أُمي جالسةً إلى طاولة اللعب وقد تزاحم جميع أثاث غرفة لوسي ملتصقًا بالحائط.

- ماذا تفعلين؟

أطلقتُ الكلمات في وجهها مثل مدفع رشّاش. كانت تسجيلات دوللي بارتون ذات الأطر الراقية، التي اصطفت إلى تلك الجدران طوال حياتي، قد باتت الآن مُكدّسة في مؤخرة خزانة الملابس، ومن فوق مُشغل الموسيقى الوردي الخاص بخالتي لوسي، يستقر جهاز آيبود الخاص بأُمي. وكان هذا أسوأ مشهدٍ مُتخيّل على الإطلاق.

قالت أمي، مُدققةً النظر بعينين نصف مغمضتين في ماكينة الخياطة خاصتها، بينما كانت تُقَطِّبُ غُرزة: «حسنًا».

ثم تابعت: «لطالما احتجْتُ إلى غرفة للحياكة. وقد تحدثنا بشأن هذا الأمر من قبل، ولم تعد غرفتي تتسع لكل هذا العمل».

- غرفتكِ؟ أمامكِ بقية المنزل بأكمله، وتقولين غرفتكِ!

دفعت نظارة القراءة خاصتها إلى أعلى أرنبة أنفها، واستطردت: «أعلم أنكِ مستاءة، دمبلين. أعلم ذلك، ولكن لا يمكننا أن ندع هذه الغرفة هكذا مثل مقبرة للمقتنيات. علينا أن نتخطى ما حدث، ولو كانت لوس هنا برفقتنا، لتفهمت الأمر».

«لكني لا أتفهم الأمر!».

قلتُ: «لكنكِ نقلتِ كل شيء. ألا يمكنكِ العمل هنا دون تغيير كل شيء حولكِ؟ لقد أزلتِ تسجيلاتها أيضًا. لماذا تفعلين هذا؟».

- أوه، عزيزتي، هذه التسجيلات قديمة للغاية. بالإضافة إلى أننا سنزيل ورق الحائط أيضًا، بسبب تلك البقع المربعة التي تركتها تلك التسجيلات على الحوائط.

التقطتُ مقدار ما أستطيع حمله من تلك التسجيلات، وعبرتُ بها الردهة إلى غرفة نومي. لو كنتُ أمتلك أيادي أخرى حُرّة، لصفعتُ الأبواب من خلفي أيضًا. وبعدها تركتُ التسجيلات على فراشي، عدتُ لأخذ المزيد منها.

- دمبلين...

استدرتُ إليها كالإعصار، بينما كانت التسجيلات العفنة تستند إلى صدري، ثم قلتُ بنبرة حانقة: «يبدو وكأنكِ تحاولين التخلص منها».

تمتعت وهي تقبض على إبرة الحياكة بين فُججات أسنانها: «تعلمين أن هذا ليس صحيحًا».

سألتُها: «ما هذا الذي تعملين عليه؟».

- الستائر الخلفية للمسرح. إن شعار هذا العام هو «تكساس: أليست عظيمة؟».

ورسمت على قماش الحرير الأحمر بقلمِ رصاص، ثم تابعت: «أليس من المفترض بكِ أن تكوني في العمل؟».

- لقد تركتُ العمل.

- تركتِ العمل؟

جاءت نبرة صوتها عالية عن المعتاد. ثم عكفت على ترتيب قطعة طويلة من القماش الحريري على ماكينة الحياكة، بينما تؤرجح قدمها على دعاسة الماكينة.

قضيتُ حياتي بأكملها خاضعةً لغزو مسابقة الجمال لكل شبٍر في عالمي، عدا هذه الغرفة. لم يكن ثمة أحد يأبه للتيجان وأوسحة الفوز في هذا العالم الذي عشتُ فيه برفقة لوسي.

قلتُ: «إنه لأمرٌ مهين أن تقضي وقتك هنا تصنعين أزياءك السخيفة. أعني، ما هو الصعب في زي سيدة الحرية؟ كل ما عليك فعله هو إلقاء بعض الأقمشة على كتفك».

كان صوتي يهتز حنقًا، فأبقيتُ على عينيَّ مفتوحتين، خوفًا من طرفة عين قد تُحيل الدموع المخضبة في عينيَّ إلى أنهارٍ جارية على وجنتيَّ.

كانت ماكينة الحياكة تُصدر إيقاعًا منتظمًا لا يتوقف أبدًا، عدا أنه يزداد حدة شيئًا فشيئًا مع كل غُرزة يُحدثها في القماش. وتطرق تلك الإبرة الدووبة في عملها على رأسي طرقاتٍ لا تنقطع، تنتظر إحداث شقٍّ في رأسي لينهار عالمي تمامًا.

نادت أُمي بصوتٍ قد علا عن صوت ماكينة الحياكة، دون أن تأبه حتى لما قلته للتو: «دمبلين!».

ثم تابعت: «لماذا لا تهبطين إلى الأسفل وتتجرعين كوبًا كبيرًا من الماء المُثلَّج؟».

تضاعف الشعور بالكآبة واليأس في صدري، وظننتُ أنني ربما أفعل أي شيء قد يخطر على بال أحدهم لأخرجها من هذه الغرفة. سرتُ إلى خزانة الملابس، ثم حررتُ الدرج الأول منها. ودون تردد، ملأتُ الدرج المنفصل بكل ما تقع عليه يدي في الغرفة، وكان أكثرها شرائط التسجيل تلك.

- ويلودين ديكسون، من الأفضل لك ألا تخربي هذا الدرج.

صَحْتُ في غضب: «ألا يكفيكِ أنها قد رحلت! لن تشعري بالسعادة إلا حينما تتخلصين من كل قطعةٍ منها في هذا المنزل، وها قد ملأتِ هذه الحجرة بكل شيء لا يعبرُ عنها على الإطلاق».

وأخيرًا، توقفت ماكينة الحياكة. ونهضت أمي عن جلستها، غير أنها لم تُجر جوابًا. ودون انتظار المزيد من الدراما، حملتُ الدرج المنفصل، وشفعتُ باب غرفة نومي من ورائي. عبأت أجواء غرفتي بالغبار، حتى وصل إلى مجرى أنفاسي يُدغدغ أنفي. فصدرت عني عطسة قوية، نثرت قطراتها على ما أحمله من ألبومات.

قالت أمي من خلف باب غرفتي، واقفةً في الردهة: «بوركتِ». كان صوتها هادئًا للغاية، حتى كدتُ لا أسمع ما قالت.

\*\*\*

مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

## الفصل العشرون

بدأ الاستعداد لموعدٍ غراميٍّ مع ميتش أشبه بإحداث تغيير شامل سخي في غرفة نومي. أرغمتني إيل على تجربة كل ما أمتلكه من ملابس، بدءًا بالفستان الذي ارتديته في حفل تخرُّج الصف الثامن إلى سُترة فضفاضة شفافة منقوشة بالزهور كانت أُمي قد اشترتها من أجل هدية عيد الميلاد السابق.

قالت حينئذ: «تبدين فتاة ناضجة في هذه السترة».

فلم أرَ ما قالته مجاملةً أو مديحًا منها.

اتفقنا -إيل وأنا- على أن أرتدي سروالًا من الجينز وقميصًا مخططًا باللونين الأبيض والأسود، وأسدتُ شعري الأشقر الداكن على كتفي.

أخبرت ميتش أن يُقلني في الخامسة، لأن أُمي كانت منشغلةً في اجتماع مجلس إدارة مسابقة الجمال حتى الساعة السادسة، ولم أرغب حقًا في أن أضطر إلى سماع محاضرة منها حول «كيف تصبحين سيدة أنيقة/ ما الذي يريده الفتية من الفتيات». والأهم من ذلك هو حقيقة أنني حانقة عليها.

بعدما أغلقتُ الباب الخلفي من ورائي، جلستُ على الرصيف المجاور لصندوق بريدنا. كان بإمكانني سماع صوت سيارته واشتتام دخان عوادمها قرب المنعطف. كان يقود سيارة حمراء قديمة من طراز شيفروليه سبوربن، التي ربما لم تخضع للمعاينة والصيانة طوال السنوات الخمس الأخيرة. صفَّ السيارة أمامي مباشرةً، وقفز مترجلًا من السيارة في اللحظة التي علا فيها طنين المحرك معلناً التوقف.

قال وهو يمدُّ إليَّ إحدى يديه ليجذبني: «هل تأخرتُ؟». وبعبارة «يجذبني» أعني حقًا يجذبني لأنهُض عن جلستي.

- كلا، كلا، على الإطلاق.

- لقد اعتقدتُ ذلك حينما رأيتك تجلسين هنا في الخارج، وأظن أن الفتیان عادةً ما يطرقون الباب الأمامي لاصطحاب مرافقتهم.

قلتُ رافعةً إبهامي إلى شرفتنا الأمامية: «أوه، صحيح».

ثم تابعتُ: «لكننا لا نستخدم الباب الأمامي، إنه عالقٌ منذ سنوات».

مال برأسه جانبًا، متفحصًا هيئتي، ثم قال: «حسنًا، تبدين رائعة حقًا».

- وأنت أيضًا.

لقد كان وسيماً حقًا دون مبالغة، مرتدياً قميصاً مُزرراً بدا طويلاً للغاية حتى للاعب كرة قدم رياضيٍّ مثله، وسروالاً من الجينز المعالج بمادة بيضاء جعلت مظهره شاحباً في بعض أجزائه، وحذاءً ذا رقبة. ليس واحداً من أحذية رعاة البقر ذات المقدمة المدببة، مثل التي تراها في الأفلام، بل حذاء عمل ذو مقدمةٍ مستديرة. وعلى ذكر الأحذية، اعتادت جدتي أن تقول: يجب عليك عدم الوثوق برجلٍ ذي حذاءٍ نظيف أبداً.

كان المقعد الأمامي من سيارة ميتش نظيفاً بعض الشيء إلا من ذرات الغبار والوبر المُعشَّق في كل فَلَجٍ في المقعد. أما النصف الخلفي من السيارة فكان غارقاً في بحرٍ من الملابس -الكثير من السترات العسكرية والأحذية ذات الرقبة- وأكواب الوجبات السريعة.

اختار لنا ميتش مطعمًا صينيًا يحمل اسم «مستر تشانج تشينز بالاس»، واحد من المطاعم المحلية المفضلة لدي، يقع في مركزٍ تجاريٍّ قديم يتكون من عددٍ من مكاتب القروض النقدية السريعة، وشركات تأمين ذات واجهات تجارية، وواحدة من المصالح الضريبية التي تجعل موظفيها يرتدون أزياء تشبه زي سيدة الحرية.

أجلستنا النادلة في مقصورة بألوان قزحية متعددة، تشبه واحدة من تلك المحارات العملاقة التي ظهرت في فيلم «The Little Mermaid» حيث كانت أريل وشقيقاتها يتسكعن ويقضين وقتهن. ولكن ما فاجأني حقًا هو

حين رأيتُ ميتش ينزلق جالسًا بجواري فضلًا عن الجلوس أمامي كما هي العادة، وعجزتُ عن تدارك عبارة الدهشة «أوه» التي انفلتت من بين شفتيّ. جاءت النادلة لتأخذ طلباتنا من المشروبات، فسأل ميتش: «مرحبًا، هل تعرفين تلك المقرمشات الصغيرة؟ هل يمكننا الحصول على بعض منها إلى جانب عصير البرتقال؟».

أجابت النادلة: «ممم، حسنًا».

وهي فتاةٌ تعرّفتُ إليها، فقد كانت طالبة في السنة النهائية من الثانوية حينما كنتُ أنا طالبة في السنة الأولى.

بعدما رحلت النادلة لتُحضر طلباتنا، التفت إليّ ميتش وقال: «لقد اعتدتُ أن أكره المجيء إلى المطاعم الصينية عندما كنتُ صغيرًا، لأنهم لا يلحقون الوجبات بأيّ خُبز أو يضعون المحمصات على الطاولة، ولذلك كانت أُمي دائمًا ما تطلب لي واحدة من تلك المقرمشات الصغيرة».

- شرائح وانتون، هذا ما يُطلقونه عليها.

كان عليّ أن أكبح ابتسامتي التي وجدت طريقها إلى شفتي عنوة.

- أجل. حسنًا، إنها لذيذة للغاية.

تطلعنا إلى قائمة الطعام في صمتٍ. وحينما اقتربت النادلة من طاولتنا بصحبة ما طلبناه من مشروبات، مال ميتش نحوي قليلًا، وقال هامسًا: «يمكنك أن تطلبي ما تشائين من الطعام».

شعرتُ برغبةٍ تعتمل في صدري تدفعني لأشير إليه أن كل شيء في قائمة الطعام يحمل القيمة السعرية ذاتها، ولكن بدلًا عن ذلك، أعربتُ له عن امتناني.

عندما رحلت النادلة تحمل طلباتنا من الطعام بين دفتيّ مفكرتها، أمسك ميتش بواحدة من شرائح وانتون وقدمها إليّ سائلًا: «هل ترغبين في واحدة؟».

هزرتُ رأسي نفيًا، ثم استطردتُ: «لقد عرفتُ أنكم فُزتم بمباراة الأمس».

أومأ برأسه في إيجاب، ثم قال: «كان فوزًا بشق الأنفس، ولكن هذا صحيح، ففي نهاية المطاف، سيظل الفوز فوزًا».

جلسنا في صمتٍ هنيئة، بينما تصدح محطة المذياع المحلية عبر مكبرات الصوت من حولنا، وتلامست أقدامنا على استحياء.

سعل ميتش في راحة يده، ثم استطرد: «إذن، أظن أن إيلين درايفر هي صديقتك المُقرَّبة، صحيح؟».

مددتُ يدي قاصدةً كأس الماء خاصتي، وفعلتُ تلك الإيماءة التي تصدر عنك حينما يعجز فمك أحيانًا عن إيجاد الماصة. ثم أجبتُ: «أجل، إنها صديقتي المُقرَّبة».

ثم أخبرته القليل عن لوسي والسيدة درايفر، وكيف آل بنا الحال جميعًا في صحبة بعضنا بفضل دوللي بارتون.

- إذن، أنتِ أشبه بأحد معجبي دوللي بارتون المتعصبين؟ أعني، أليست كبيرة بعض الشيء لتكوني من معجبيها؟

لا أدري إن كان ثمة كُتيب يخبرك كيف تقضي موعدك الغراميَّ الأول دون أن تجعل من نفسك أضحوكة، ولكن إن كان ثمة شيء كهذا، فأنا على يقين بأن الاعتراف بهوسك الغريب بدوللي بارتون ليس بندًا في القائمة. إلا أن الشعور بالولاء العميق الذي لا يتزحزح نحوها قد خالجنِي، فعجزتُ عن الصمت.

- إذن، إليك ما في الأمر: أجل. أنا واحدة من أشد المعجبين بدوللي بارتون. ولكن هناك شيئًا عليك أن تفهمه بشأن معجبي دوللي بارتون: إننا جميعًا مجانيين. وبما أن مستوى الجنون المنتشر بين معجبيها عالٍ، فلك أن تعلم أنني -مقارنةً بالكثير من المعجبين- لستُ مخبولة إلى هذا الحد. أعني أن هناك أشخاصًا قد كَرَّسوا حياتهم لصنع دُمي دوللي بارتون من السيراميك. وبعضهم الآخر من ترك وظيفته وهجر عائلته ليكون بقربها فحسب.

- حسنًا.

قطَّب حاجبيه معًا، وكان بإمكانني حينها أن أرى كم بذل من جهد ليستوعب ما سمعه لتوه، ثم تابع: «حسنًا، ولكن إلى أي مدى من الجنون وصلتِ، على مقياس من واحد إلى عشرة؟».

- على مقياس من واحد إلى عشرة، تكون عشرة هي أعتى درجات الجنون، أظنُ أنني وإيلين سنكون أربعة. أو ربما خمسة؟ أما السيدة درايفر فهي ثمانية بلا شك، ولكن لا تصل إلى مرتبة تسعة، لأنها لم تحظَ بعملية تجميلية لتصبح شبيهةً لها. ومع ذلك، أعتقد أن لوسي كانت في مرتبة سبعة.

فسأل ميتش: «كانت؟».

غمرتني ذكراها حتى نخرت عظامي وكادت تقطع أنفاسي. لكنني تداركتُ الأمر مُجيبةً: «كانت. لقد تُوفيت لوسي في ديسمبر العام الماضي». استقام بجذعه إلى الخلف. وقال: «أوه، يا إلهي. أنا آسف حقًا».

- شكرًا لك. لا عليك.

ومددتُ يدي إلى واحدة من شرائح وانتون، ثم تابعتُ سائلةً: «وماذا عنك؟ مَنْ هو صديقك المُقرب؟».

كان الجواب يصدع في قرارة نفسي: «أرجوك لا تقل باتريك توماس. أرجوك لا تقل باتريك توماس».

أصدر صوت قرقعةٍ بأصابع يده اليمنى، ثم انتقل إلى اليسرى، قبل أن يقول: «أراني قريبًا من جمع أفراد الفريق، فَمِن العسير ألا أكون كذلك. ولكني أعتقد أنني سأختار باتريك توماس».

عضضتُ على شفتي، ومنحتُ نفسي بضع ثوانٍ لأختلق شيئًا ما أقوله في هذا الموقف. حسنًا، واحد... اثنان... ثلاثة...

- لقد أجفَلتِ.

- ماذا؟ كلا، لم أجفل.

ضحك من جوابي، قبل أن يقول: «بلى، لقد أجفَلتِ. ولا بأس من ذلك بالمناسبة».

انحسرت ككتفائي في يأس، واستدرتُ في مقعدي لألقي إليه نظرةً من كُتُب، ثم استطردتُ: «حسنٌ، كل ما في الأمر هو أن باتريك توماس...».

- حقير.

- أجل. بالضبط. أما أنت، ميتش، فلا.

أوضح ميتش: «لقد عرفته طوال حياتي. وأحيانًا لا أزال أراه الفتى الصغير الذي كان عليه في طفولتنا، ثم أتذكر كم كان دائمًا هذا الوغد الحقيق».

أتفهم ما يعنيه جيدًا، فعندما تتوطد معرفتك بأحدهم لوقتٍ طويل، تغفل عيناك عن رؤية الخصال التي يراها الجميع في الشخص نفسه. ولكن عندما تستمر صداقتكما، بناءً على ما كنتما عليه سابقًا من شخصيات، وليس ما

أنتما عليه الآن، يصبح من العسير عليك ألا تجد الشعرة المشتركة التي تربط بينكما. ومع ذلك، أظن أنه ليس من حقي تنظيف حياته الاجتماعية.

- حسنًا، يمكنني تصديق ذلك.

رفع كتفيه في غير اكتراث، ثم طرق بأصابعه على الطاولة، قبل أن يُعاود السؤال مجددًا: «مم... إذن أخبريني ما هي عطلتك المفضلة؟».

- أعتقد أنه الرابع من يوليو.

أزال قطرات العرق التي احتشدت على جبهته بمنديلٍ ورقي، ثم قال: «أنا شابٌ يعشق عطلة الهالوين».

على حين بغتة، انقضت علينا النادلة، ووضعت سلطانية من حساء مخفوق البيض<sup>(1)</sup> على الطاولة أمام كل واحدٍ منا.

علقتُ: «أنا أكره الهالوين».

دائمًا ما أكره الهالوين. وعلى النقيض مني تمامًا، كانت إيل تحب الهالوين، وتصحبني إلى حفلاتٍ مختلفة كل عام. عندما كنتُ صغيرة، لم تُلائم أيُّ من أزياء الهالوين جسدي المملوء، ودائمًا ما كنتُ ألجأ في نهاية الأمر إلى ما يمكننا العثور عليه في خزانتي أُمي ولوسي. ولهذا أعتقد أن سحر إخفاء هويتك، والتنكر في شخصٍ آخر، يعدو مفقودًا عندما تعجز تمامًا عن تغيير جلدك وهيتك. في الصف الخامس، وضعتُ حدًا لهذا الهراء بأسره، عندما أرسلتني أُمي إلى المدرسة كوني ملكة إنجلترا، ولكن بزّي معاصر، فارتديتُ سُرّة صفراء قديمة، وشعرٍ معقوصٍ إلى أعلى مخضبٍ بصبغة بيضاء. في الوقت الذي جاءت فيه جميع الفتيات الأخريات في صفي بأزياء أميرات أو نجوم الموسيقى الشعبية أو ساحرات. ما أعنيه هو أن الطفل البدين لديه من مشكلات العثور على الملابس الملائمة بما يكفي، فلا داعي لأن نضيف إليها ضغوط الهالوين أيضًا.

- أنتِ تفوتين على نفسك احتفالات الهالوين، إنه وقتٌ رائع.

---

(1) حساء مخفوق البيض: Egg Drop Soup طبق صيني يشتهر في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وهو عبارة عن بيض مخفوق مضاف إليه مرقة الدجاج أو الخضراوات. (المترجمة).

وددتُ لو أُخبر ميتش عن سبب بغضي لهذا الهالوين، فقد شعرتُ أنه ربما يتفهم الأمر، نظرًا لكونه يتمتع بجسدٍ ضخم هو الآخر، غير أنني لم أكن واثقة مما إذا كنتُ قادرة على صياغة الكلمات بشكلٍ صحيح أو حتى ما إذا كنتُ مستعدة لتعرية تلك الطبقة من نفسي وكشف الغطاء عنها لكي يرى ما أنا عليه. ثم أدركتُ أن كونه فتى ضخم البنية لا يعني بالضرورة أن بإمكانني أن أخبره جميع أسرار الفتاة البدينة التي أحتفظ بها في جعبتي.

ارتشفنا الحساء في صمتٍ، حتى أحضر إلينا مساعد النادل العشاء. وبعدما أنهينا الطعام، سدد ميتش قيمة الفاتورة، بأوراق نقدية جميعها ذات فئة خمسة دولارات.

صفقنا السيارة أمام منزلي، وترجل ميتش عنها، ليفتح من أجلي باب مقعد المسافر.

قلتُ: «شكرًا لك على العشاء».

فأجاب مازحًا: «يسعدني دائمًا أن أطعمك».

أخرج يده من سرواله ومدّها نحوي، فحدقتُ إليها هنيهة قبل أن يُصافحني بقوة.

- مم، ليلة سعيدة.

كان هذا موعد الغرامي الأول، دوللي بارتون، وخالتي المتوفاة، وعطلاتنا المفضلة، وأصدقائنا المُقربون، ومصافحة باليد. والآن عليّ أن أجلس بجواره في الصف لبقية العام.

لم أستطع حمل نفسي على مهاتفة إيلين لأمنحها تقريرًا مفصلاً عما حدث هذه الليلة. وشعرتُ أن تبادل الغزل مع بوو بجانب صندوق القمامة كان أكثر رومانسية من هذا الموعد الغرامي. ففي نهاية الأمر، أنا لا أرى نفسي فتاةً مُتطلبة، ولكن أَمِنَ الصعب أن يرغب المرء في القليل من الانسجام مع شريكه؟ القليل من البريق اللامع الذي يجعلك تشعر كما لو أنكما وحيدان في هذا العالم لعشر دقائق فحسب.

حين دلفْتُ إلى المنزل، وجدتُ أمي تجلس إلى طاولة المطبخ، تُجري مكالمة هاتفية، وتخطُّ بعض الملاحظات على دفترٍ برّاق.

قالت: «إن الأمر كله يدور حول عجزنا عن تصميم الرقصة الجماعية قبل التسجيل».

صمتت هنيهةً، قبل أن تستأنف مُجيبَةً: «أجل، أنا أثق بقدراتك، ولكن الأمر مختلفٌ تمامًا هذا العام، جوديث. وأنا... تمهّلي لحظة».

حجبت أُمي الصوت بيدها حين وضعتها على المستقبل، ثم استدارت إليّ سائلةً: «مَن هذا الذي أوصلك بسيارته؟».

- صديق.

وعلى الجانب الآخر من الخط، كانت جوديث لا تزال تثرثر وتشتكي حول تصميم رقصات المسابقة، التي في الحقيقة، لم تتعدّ كونها مجرد حركات سيرٍ محسوبة.

أضفتُ: «سأذهب إلى النوم».

صعدتُ درجات السلم إلى غرفتي، ثم بحثتُ خلال شرائط التسجيل التي تركتها لوسي، قبل أن أضع واحدًا في مُشغل الموسيقى. وتطلعتُ إلى المؤشر الذي تتبّع منحنيات صوت دوللي ونغماتها.

\*\*\*

## الفصل الحادي والعشرون

كانت الليلة الماضية هي ليلتي الأولى في تشيلي بول. لا أحد، أعني حقًا لا أحد يأتي إلى تشيلي بول. وإن كان لنوبتي الأولى أن تترك أي دلالة، فإنه من المستحيل منطقيًا أن تظل الكهرباء موصلة لهذا المكان طوال الوقت.

في نهاية الليلة بينما كان أليخاندرو يغلق الباب الرئيسي من خلفنا، أطلق تنهيدةً مُثقلة وقال: «لم يحن موسم الفلفل الحار بعد».

لا يسعني أن أتخيل أي وقتٍ من العام قد يحدث كل هذا الفارق في حين أنه معروفٌ عن جنوب تكساس تعاقدٌ موسميّ لا ثالث لهما، وهما: حارٌّ كالجمر وليس حارًّا كالجمر. وبما أنني لم أخطط لفعل شيء ليلة أمس سوى استرجاع أغرب موعدٍ رومانسيٍّ قد خرجت فيه على الإطلاق، أنشأت قائمة من المزايا والعيوب تتعلق بأحدث قرارات حياتي.

**مزايا وعيوب العمل لدى تشيلي بول:**

**المزايا:**

- يمكنني ارتداء سراويل من الجينز. لا مزيد من فساتين البلويستر التي تُغلقُ بسحابٍ من الأمام.
- لا أحب الفلفل الحار، لذا ليس عليّ القلق بشأن حشو فمي بالطعام في أي وقتٍ.
- لا وجود لبوو.

- لا وجود لمراهقين سكارى يرغبون في الفلفل الحار قبل الإغلاق بخمس دقائق.
- الحد الأدنى من التنظيف، نظرًا لأن لا أحد يأتي إلى هنا.
- المكان هادئ.

### العيوب:

- تفوح مني رائحة الفلفل الحار.
- ساعاتُ عمل أقل = راتب أقل.
- لا وجود لبوو.
- المكان هادئ أكثر من اللازم.

أرى بوو في كل مكان. شفتاه قرمزيتان كالعادة. في الفترة الخامسة، أشعر بعينيّه تتبعانني مثل ظلي. وأحيانًا ما أجد نفسي أجوب الأروقة دون أن أدري حقًا ما أفعله حتى ألمحه في إحداها. غير أن هذا ليس كل شيء. فقد شعرتُ بعقلي ينقلب ضدي. وبين كل طرفة عين وأخرى، كل ما أراه هو عيوبي. تعكس عيناى جسدي كما لو أنني أراه في بيت الخُدع. أردافُ منتفخة وأفخاذٌ مملوءة. ورأسٌ متناهي الصغر يعلو بقية جسدي الضخم. قبل الصيف الماضي، كنتُ أشعر دومًا بالرضا عن جسدي، وربما بقليلٍ من الفخر أيضًا.

ثم دخل بوو إلى مسرح حياتي. فمِنذ المرة الأولى التي تغازلنا في كابينة شاحنته، شعرتُ بشقوقٍ في جسدي تتصدع، شيءٌ ما جعلني في كل مرة تلامس يده جسدي أشعر بكل تلك الشكوك تغزو مقدمة رأسي. شكوكٌ لم أكن أدري حتى إنها تعيش بداخلي. وظننتُ أنه حين ينتهي الأمر بيننا، ستزول تلك المشاعر المضطربة بدورها. غير أنها لم تزل في موضعها، وأقصى ما يمكنني فعله هو محاولة تجاهلها.

استأذنتُ الأنسة روبيو للذهاب إلى دورة المياه. لم أكن مضطرة إلى الذهاب إلى دورة المياه، غير أنني كنتُ بحاجة شديدة إلى المغادرة. لقد صارت الفترة الخامسة قطعةً مصغرة من الدرك الأسفل من الجحيم حيث تعلو الأصوات في رأسي حتى أسمع صيحات العذاب.

تخللت أنفي الرائحة النفاذة للمعدن والعرق التي كانت تملأ الردهات، فصادمت حواسي بينما كنتُ أسير عبر الردهة في طريقي إلى أقرب دورة مياه. كنتُ أنثر الماء على وجهي حين انفتح الباب على مصراعيه فجأةً ونادى صوتٌ: «مرحباً؟».

أجبتُ وأنا أسحب منديلاً ورقياً من الموزّع: «مم، أجل؟».

- ويلودين؟

أبقى بوو الباب مفتوحاً وألقى نظرةً خاطفةً على الردهة، ثم سأل: «هل هناك أحدٌ غيرك هنا؟».

- هل تمازحني؟ هذه دورة مياه الفتيات!

تقدّم خطواتٍ إلى الداخل وهو يجيب: «أحتاج إلى الحديث معكِ».

- قد توجد فتياتٌ أخريات هنا.

هز رأسه نفياً فتطاير شعره البني مُحدثاً صوتَ حفيفٍ، ثم قال: «كُنْ ليقلن أي شيء إلى الآن».

- لا ينبغي أن تكون هنا.

- امنحيني خمس دقائق فحسب.

أطلقتُ تنهيدةً ثقيلةً واستندتُ إلى الباب، على أتم استعدادٍ لأوقِف أي شخص قد يحاول الدخول إلى هنا. ثم قلتُ: «ماذا تريد؟».

قال بوو: «لقد استقلت».

وعقد ذراعيه على صدره فارحاً ما بين ساقيه حتى تمنحاه وضعيّة صارمة، ثم تابع: «ماذا فعلتُ لهذا؟».

فككتُ عُقدة شعري وأطلقتُ لخصلاته العنان حتى تتنفس. غير أنني لم أحظَ بفرصةٍ للجواب، فقد عاجلني بوو سائلاً: «هل تحاولين إغرائي لتقبيلك؟».

- ماذا؟ كلا. لماذا تقول هذا؟

أجاب بوو: «إذن اجمعي خصلات شعرك كما كانت».

فغرت فاهي وأطلتُ التحديق إليه، وانتظرتُ هنيهةً علّه يقول شيئاً آخر. غير أنه لم يُبعد ناظريه عني حين أضاف: «أنا جادٌ فيما أقول».

قلبتُ شعري إلى الأمام وجمعتُهُ في رِبْطَةٍ على شكل ذيل حصان، فلا يتسنى له أن يرى حُمْرة الخجل تغزو وجنتيّ وأعلى صدري. وباستخدام أسناني، جذبتُ رابطة الشعر من رسغي وألقيتُ برأسي إلى الخلف مجددًا، على أمل أن تكون حُمْرة الخجل قد زالت عن مُحَيَاي. أو ربما يعتقد أنها من أثر اندفاع الدم بفعل رأسي المقلوب رأسًا على عقب.

حينما أنهيتُ توضيب شعري، أجبتُهُ: «أصغ إليّ! أنتَ أحد زملاء صفي الآن، وسابقًا لم تنجح الأمور بيننا. لكن لا يمكنكُ أن تكون زميلٍ عملٍ وزميل دراسة أيضًا. هذا ما لا يمكنني تحمُّله».

- لم تنجح الأمور بيننا؟ لقد أنهيتَ أنتَ علاقتنا. ولم أمهل حتى حق الاختيار. عَقَبْتُ قائلةً: «بلى، حظيتُ بحق الاختيار. لقد كنتُ تتخذ قراراتٍ بمفردك طوال الصيف».

تابعتُ في قرارة نفسي: «ولكن، كذلك فعلتُ أنا».

وأضفتُ: «مهلاً، لا يمكنني مواصلة هذا الحديث. اتفقنا؟ لا يمكنني».

هز رأسه أسفًا، غير أن أسفه لم يمنعه عن ترك المكان على الفور.

غسلتُ يديّ مرارًا وتكرارًا عليّ أقوى على مجابهة الضوضاء التي تعمُ رأسي.

انفجر باب الكابينة المخصصة لأصحاب الهمم على مصراعيه وتسارعت نبضات قلبي. خرجت هانا بريز بفمها الواسع ذي الأسنان الأرنبية. كان حذاؤها العسكريّ يضرب قرميد الأرضية حتى شعرتُ بها واقفةً إلى جانبي. وبعدما تطلعت إليّ في المرأة، مدت يدها وأغلقت الصنبور أمامي.

من المفترض أن أشعر بالخوف خشية أن تُخبر هانا أحدهم بشأن ما سمعته مني ومن بوو. غير أن الحقيقة المُحزنة هي أن لا أحد سيصدق ما تقوله فتاةٌ مثل هانا بريز. ورغم ذلك لم تمنعني تلك الحقيقة من الشعور بالعُريِّ الكامل.

غادرتُ دورة المياه دون أن أجفف يديّ، وفركتهما بسروالي الجينز. وفي اللحظة التي وطئتُ فيها قدماي أرضية الردهة، ازدردتُ الهواء كما لو أنني كنتُ أختنق بالداخل.

\*\*\*

## الفصل الثاني والعشرون

- لا. لا. لا. مستحيل.

استندتُ برأسي إلى الأمام على عجلة القيادة وحاولتُ إدارة المحرك مرةً أخرى.

- ہیاااااااا تحرکی!

اعتدلتُ في جلستي وضربتُ بيدي عجلة القيادة، غير أن كل ما جادت به سيارتي الرائعة هو صرخة من البوق. لن تعمل مجددًا، إن صغيرتي جولين قد صارت في عداد الموتى. وزد على ذلك أن اليوم هو صباح الثلاثاء، وتأكدتُ أن الكون بأسره قد تأمر ضدي.

رأيتُ أُمي تسير على امتداد ممر السيارة أمام منزلنا متجاوزةً سيارتها وهي تحمل صندوق غداها وحقيبتها في يدٍ واحدة. طرقت أُمي على نافذتي بظفر سبابتها الصناعيِّ مرة. اثنتين. وحين لم ألتفت إليها، فتحت باب سيارتي على اتساعه وقالت: «هيا بنا. سأوصلكِ إلى المدرسة».

رطمتُ رأسي بمسند الرأس، وأطلقتُ تنهيدةً مُعلَّلة في هذا الموقف. تابعت أُمي بصوتٍ مرتفع وهي عائدة أدراجها عبر ممر السيارة نحو سيارتها: «حسنًا، ألم تخضع للفحص وتفكيك أجزائها منذ وقتٍ قريب؟».

ثم أضافت في هدوء: «سأبحث إلى بروس كي يُلقي نظرةً عليها، لكن تنهيداتك المتأففة لن تُجديكَ نفعًا في الوقت الراهن».

طوال طريقنا إلى المدرسة كانت أُمِّي تنتقل بين محطات الراديو ذات المقطوعات القديمة والأخرى ذات الترانيم المسيحية. لم تكن عائلةً شديدة

التدين، غير أن الذهاب إلى الكنيسة قد بات جزءاً من شخصية أُمي. لا يمكنك أن تُطلق عليه عادةً من عاداتها أو أي شيء من ذلك، بل مجرد مظهر اجتماعي على ما أعتقد.

حين وصلنا إلى المدرسة، تركتني أُمي أمام سقيفة السيارات حيث يتجمع كل طلاب السنة الأولى وكل شخص آخر لا يمتلك سيارة لقضاء الوقت.

- هل يمكنكِ العودة إلى البيت برفقة إيلين؟ فلدي اجتماع يتعلق بالمسابقة.

هكذا قالت أُمي حين ترجّلت من السيارة. فأجبتها: «أجل، سأجد حلاً».

كنتُ في منتصف طريقي عبر الممشى حين سمعتُ: «دمبلين! دمبلين! لقد نسيتِ هاتفك».

تسمّر جسدي في موضعه مثل قضيب معدنيّ قد دُك في الأرض. وضحك بضعة فتيان قد انتشرت بثور المراهقة على وجوههم. كان الاسم المستعار الذي اختارته لي أُمي... أيّاً ما يكن. لا أتذكر وقتاً لم تناديني فيه باسم غير دمبلين. ولا أراه يزعجني، كلا، لا أعتقد ذلك. غير أنه لم يكن شيئاً اعتادت أُمي أن تناديني به خارج منزلنا لأسباب واضحة. فمن سیرغب في أن يُطلق عليه تعبير يعني كُرةً من العجين أمام العامة؟

استدرتُ عائدةً أدراجي إلى السيارة، وحين ناولتني أُمي هاتفني قلتُ: «أرجو ألا تنادينني بهذا الاسم خارج المنزل مجدداً، حسناً؟».

ابتسمت إليّ في هدوء وأجابت: «كل ما في الأمر أنه اسم صغیرتي المُدلة. مهلاً، ستتناولين العشاء بمفردكِ الليلة، اتفقنا؟».

أومأتُ لها في إيجاب، فأضافت على سبيل التوضيح: «إنه موسم مسابقة الجمال».

أخذتُ هاتفني وأسرعْتُ عائدةً إلى الممشى. وبالقرب من المدخل، مستنداً إلى أحد الصواري الشاخصة، كان يقف باتريك توماس. ابتسم إليّ، غير أنها كانت ابتسامة تحمل شيئاً من السخرية. وتمنيتُ لو كنتُ غير مرئية. لكنه قد رآني، ومهما يكن رأيهِ الذي اتخذه بشأنِي فلا يمكن العدول عنه الآن.

\*\*\*

بعد انتهاء الفترة الثانية، تبعني ميتش إلى الردهة، وقال: «لقد راسلتكِ بضع مرات بالأمس. كنتُ أفكر لو كان بإمكاننا تمضية بعض الوقت معًا يوم الأحد. يمكننا أن نذهب إلى السينما أو شيء من هذا. كنتُ سأقترح السبت، غير أن المدرب يريدنا أن نحضر لمشاهدة فيلم يدور حول مباراة الأسبوع المقبل».

حافظتُ على وتيرة سيرتي، فجذب إحدى يديّ واستوقفني. في تلك الأثناء نادى أحد طلاب الصف الأول وقد وضع يديه أمام فمه في صورة دائرة، وقال: «مَن صديقتك الحميمة تلك، ميتش؟».

فصحتُ مُجيبَةً: «إننا لا نتواعد!».

احمرّت وجنتا ميتش عن آخرهما. وحينها جذبتُ يدي وأشحتُ برأسي إلى الاتجاه المقابل. شعرتُ بأني شخصٌ غاية في السوء. غير أن اليوم ليس أفضل أيامي، ولم أَعُد قادرةً على مسابرتي والتظاهر كما لو أننا قد نكون أكثر من مجرد أصدقاء. ومع ذلك، ما زلتُ أدينُ له باعتذار.

نادى اسمي: «ويل!».

لكني لم ألتفت إليه. وبينما كنتُ أتخذ إحدى الزوايا مُتكأً لي، سمعتُ: «أوه، مرحباً! دمبلين!».

كان هذا باتريك توماس يُطيل في كل حرفٍ نطق به. ثم ضحك وهو يشير أعلى رأسي مُضيفاً: «وميتش! صديقي. أخيراً لقد قابلتَ المرأة التي تتناسب مع حجمك».

كنتُ قد تعرّضتُ للسخرية بما يكفي في حياتي لأدرك تمامًا أن هناك عدة طرق للرد على المتنمر. وقد كلّفني الأمر البكاء لمرة واحدة في الصف الثاني حتى أدرك أن الدموع لا تأتي إلا بمزيدٍ من التنمر.

كانت لوسي دائماً ما تُوصيني بتجاهل المتنمرين، وتقول إنهم يستفحلون إذا أوليتهم اهتماماً، ولكن إذا لم تشغل بالك بهم، فإنك قد منعت عنهم وقود تنمرهم. وآمنتُ أنا أن ما قالته صحيح في معظم أجزائه. غير أن باتريك توماس هو واحدٌ من أولئك الحمقى الذين لا يحتاجون إلى سبب يحملهم على الاستمرار في التنمر لفظاً. فقد كان يحب صوته النابع من حنجرتي إلى الحد الذي يجعله يتحدث دون حاجة.

انطبعت آثارُ صدمةٍ طفيفةٍ على وجه باتريك حين خطوتُ نحوه عمدًا بضع خطوات. وتذكرتُ أصوات العواء التي كان يُصدرها أمام سيارة ميلي ميشيلشوك. واسترجعتُ الطريقة التي اتخذ بها قرارًا بأن الأحذية التصحيحية لأماندا لومبارد قد جعلتها تبدو مثل فرانكنشتاين. لا أحد يدافع عن نفسه أمام باتريك توماس. ولا حتى هانا بريز التي كانت تمتلك بعض الخصال السيئة. يُطلق عليك هذا الولد اسمًا مستعارًا أو كُنية، فتلتصق بك إلى الأبد. لكنني لن أسمح له بأن يُطلق عليَّ اسم دمبلين أبدًا. لن يحدث هذا.

لم يكن باتريك مستعدًا على الإطلاق حين ركلته فيما بين ساقيه. وتحولَ تعبير وجهه وقد انسحبت جميع دمائه إلى موضع الركلة أسفل. صدر عنه عواءٌ كان أشبه بصراخ كلبٍ صغير. وحينها صككتُ بيدي على فمي في ذهول. كانت صدمته من صدمتي. أعلم أنني كنتُ قد تصورتُ الأمر في رأسي، ورأيتني أسير نحوه، أهز إصبعي في وجهه بينما كنتُ أخبره برأيي فيه. ولكن بعد ذلك، تولى جسدي دفعة التحكم ودوت آلية الدفاع الرئيسية لدي قائلة: «كلا، لن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا».

جذبني ميتش إلى الخلف ممسكًا بكتفي. واحتشد المعلمون أمام المشهد، واقتيد جسدي إلى الاتجاه المقابل. أعتقد أن هذا وخيمٌ للغاية.

\*\*\*

## الفصل الثالث والعشرون

كانت أمي مُهتاجة... تشعر بالخزي... وغيره الكثير من المشاعر التي اجتاحتها من أثر ما فعلته، لكنني كنتُ قد توقفتُ عن إحصاء ما ظهر عليها من ردود أفعال. كانت أصابعها تعتصر عجلة القيادة بقوة حتى أصابتني الدهشة من أن أظفارها لم تُقتلع من أماكنها. فبعدما غادرنا مكتب السيد ويلسون، سارت تجاه ساحة انتظار السيارات المخصصة للزائرين كما لو أنها قد شاركت في سباق. وكنتُ أنا أجري من خلفها للحاق بها.

في رحلة العودة إلى المنزل أطبق علينا الصمت. وبالكاد أبطأتُ أمي من سرعة السيارة حين دلفت إلى الممر أمام منزلنا وتوقفت على بُعد سنتيمترات بسيطة من السياج. لم تكن السيارة مُصطفةً حتى غير أنني فتحتُ الباب بجانب، وترجلتُ من السيارة مسرعةً نحو الباحة الخلفية. وأزحتُ الباب الزجاجيَّ لأغلقه من خلفي رغم أنها كانت على بُعد بضعة أقدامٍ خلفي.

ارتيمتُ بجسدي على الأريكة ولم يمر سوى بضعة ثوانٍ قبل أن يتقوقع ريويت في حجري.

- أنتِ مُعاقبة.

لم تعاقبني أمي من قبل. لم يحدث قط. لا صفعات. لا شيء. أنا لستُ طفلة ملائكية، لكنني لم أفعل شيئاً يستدعي حقاً أي نوع من العقاب. التقطتُ ريويت بين ذراعيَّ ووضعتُه على الوسادة بجانبني قبل أن أنهض. لم أرده أن يوجد في نطاق ما هو على وشك الحدوث أياً ما يكن.

- علام؟

كان صوتي أعلى مما يمكن أن يستوعبه منزلنا الصغير. ثم تابعت: «لأنني دافعتُ عن نفسي أمام شابٍّ قد ناداني بهذا اللقب الكريه الذي ظللتُ تنادينني به طوال حياتي؟».

التفتُ ذراعاها حول خصرها وهزت رأسها نفياً. ولاحظتُ حينها غزواً من الشيب الأبيض قد انتشر على صدغيها لم أكن قد لاحظته من قبل. قالت: «أنتِ سريعة التأثير بهذا الأمر».

- ربما لم تلحظي ذلك يا أمي، لكن الأمر يتعدى مجرد لقبٍ أحقق قد أطلقته عليّ. أعلم أنك لن تتحلي بالجرأة التي تحملكِ على قول ذلك، لكنني أعرف جيداً أنك لا تطيقين فكرة أن تكون ابنتكِ على هذا الشكل. وتحركت ذراعاي لتصنعا استدارة شاسعة. سألت أمي: «عم تتحدثين؟».

- لا تتظاهري بالغباء. أراها في عينيك في كل مرة تُشعلين فيها التلفاز على برامج فقدان الوزن أو تُخبرينني بشأن صديقتكِ التي فقدت طناً من الوزن حين اعتمدت على أحدث صيحة من الحمية الغذائية أو عندما تجردين خزانة الطعام في كل يومٍ تعودين فيه إلى المنزل لتتأكدي بأنني لم آتِ على الأخضر واليابس في هذا البيت.

ارتجفت عضلاتُ وجهها إنذاراً بالبكاء، غير أن احتمالية بكائها في هذا التوقيت بالذات قد ملأتني بالغضب.

- أريدكِ أن تكوني سعيدة.

فقلتُ: «أنا حقاً سعيدة».

نطقتُ بكل مقطع في أوضح صورة ممكنة. لم أكن أدري مدى صدق تلك الحقيقة، لكنني لا أعتقد أن خمسة عشر أو حتى خمسين رطلاً ستغير مقدار اشتياقي إلى لوسي، أو حيرتي بشأن بوو، أو تلك الهوة التي تتسع بيني وبين إيل.

قالت أمي: «لكن هذا ما تعتقدينه لأنكِ لم تختبري ما هو أفضل. أنتِ تفتقدين الكثير من المتعة».

تقدمت خطوةً نحوِي، ثم تابعت: «الشباب والمواعدة. تلك الأمور جميعها».

حككت وجهي بكلتا يديّ قبل أن أجيبها: «لا بد أنك تمزحين. أخبار عاجلة يا أمي: لن يُعالج الرجل مشكلاتي».

- أنا...

قاطعت أمي حديثها، فاستأنفت الحديث عنها: «أمي، أنا أريد المواعدة. وأريد أن أحظى بصديق حميم. لأنني أستحق ذلك. حتى لو أنك تعتقدين أنني لا أستحقه».

أردت أن يكون كل ما أحظى به حقيقياً دون زيف.

أطاحت بيديها إلى جانبيها كأنها تضرب الهواء، وقالت: «أنتِ تفعلين تماماً ما اعتادت لوسي أن تفعله حينما كنا صغيرات. أراكِ تقتبسين كلماتها وتحيلينها إلى شيء آخر تماماً».

اهتز رأسي يميناً ويساراً نفياً دون تردد. وأجبت: «كلا يا أمي. كل ما فعلته لوسي هو أنها قد أظهرت لي مدى السُخف الذي كنتِ عليه».

- هذا لا يتعلق بلوسي في شيء، اتفقنا؟ لكنها رحلت والفضل كله يعود إلى الطريقة التي استمرت بها حياتها. أتمنى لو أنكِ لا تتخزينها قدوة لكِ إلى هذا الحد فحسب.

امتلأت عيناها بالدموع التي لم تعرف طريق خديها بعد، وتابعت: «كانت لتظل معنا الآن. لو أنها فقدت بعض الوزن فحسب».

إن جسدي هو الوغد الجاني في تلك القصة. هكذا ترى الأمر. يبدو مثل زنزانة سجنٍ يمنع عني الأفضل، تلك النسخة الأكثر نحافةً مني قد احتُجزت في داخله. غير أنها مخطئة. لم يكن جسد لوسي ووزنها حائلين في طريق سعادتها. وبقدر ما أحب لوسي دائماً، أعلم جيداً أن مكوثها حبيسة هذا المنزل هو قرارها الخاص.

استكملت أمي: «لقد كنتُ فتاةً بدينة أيضاً. تعلمين ذلك. لقد كنتُ أنا ولوسي فتاتين بدينتين».

- لقد سمعتُ تلك القصة، حسناً؟ لقد سمعتُ كل القصص عن الكيفية التي فقدتِ بها وزنك قبل المدرسة الثانوية. أحسنتِ. التحقّتِ بمسابقة جمال في مدينة صغيرة وفُزت. فوزٌ كان بمنزلة إنجازك الأكبر بكل ما تحمله الكلمة من معنى. بغض النظر عن الالتحاق بالجامعة أو

الحصول على وظيفة لا تتطلب منك تنظيف مؤخرات العجزة. دعك من كل هذا. لأنك قد صرت أكثر نحافة بما يكفي للحصول على هذا التاج المزيف! لا بد أنك شديدة الفخر بنفسك.

انحدرت دمعة إلى وجنتها وقالت: «حسنًا، أعتقد أن هذا أكثر مما يمكنك أن تدافع به عن نفسك».

ومسحت دمعته. فقلت: «كانت لوسي هي أُمي التي لن تكونيها أنتِ أبدًا». أطبقت شفتيها معًا قبل أن تقول: «لا عمل. لا خروج. ليس قبل أن تنتهي مدة إيقافك من المدرسة. سأعود إلى المنزل في السادسة».

انطلقت صاعدة السلم إلى الطابق العلوي وركض ريو في أعقابها. استلقيت على فراشي وتكومت على جانبي مستمعة إلى صوت اهتزاز هاتفي على المكتب يعلن وصول رسالة وراء أخرى. أعتقد أن جميعها من إيل. التقطت كرة التنبؤ السحرية من موضعها على الطاولة الجانبية للفراش وتشبثت بكل أجوبتها الممكنة لكل أسئلتها التي لم أطرحها واحتضنتها قريبًا إلى صدري.

\*\*\*

## الفصل الرابع والعشرون

قضيتُ اليوم بأكمله في غرفتي. وكانت الأنابيب القديمة قد أخبرتني متى بدأت أُمي بغسل الأطباق بعد عودتها من العمل، وأبلغتني ألواح الأرضية أنها تصعد السلم. وقبل أن تغلق باب غرفتها، كان ظلها يحوم في غرفتي، حتى أحال الفجوة بين الباب المغلق والأرضية إلى ظلمة.

تمطّى ريوت بجسده وساقيه ودفع بمخالبه إلى صدري قبل أن يقفز عن حافة فراشي ليفرك فراءه بباب غرفة النوم. وعندما لم أتحرك، علا مواؤه، مُنذِرًا إياي أن تعاطفه معي بدأ ينفد. ففتحتُ باب الغرفة وسمحتُ له بالخروج ثم أضأتُ الغرفة.

في المرأة تطلعتُ إلى نسختي ذات اللطوخ والشحوم المتدلّية. فجذبتُ قلمًا من مكتبي ودوّنتُ على أعلى ذراعي ملحوظةً لمهاينة أليخاندرو وإخباره أنني لن آتي إلى العمل في اليومين القادمين. وبالنظر إلى نوبات عملي القليلة الأولى، لا أعتقد أن غيابي سيُحدث فرقًا.

قررتُ الخروج من غرفتي، وبحرصٍ شديد ألا أُحدث جلبةً، تحسستُ طريقي إلى الطابق السفلي في الظلمة وتجرعتُ كأسًا كبيرة من الماء على ثلاث جرعات. استشعرتُ مدى سخافتي، غير أن أُمي كانت قد أرغمتني من قبل على تناول الماء في كل مرة أبكي فيها. وقد كانت هذه هي وصفتها العلاجية لحالتي. تقول: «هَدّئي من روعك وتناولِي كأسًا من الماء، دمبلين». كما لو أنني قد أحتاج إلى إعادة ملء مخزوني من الدموع قبل أن يجف.

وبعدما عدتُ إلى الطابق العلويّ، كانت كُرّة التنبؤ السحرية راقدة في موضعها على الفراش حيثما تركتها. حينها اهتز هاتفني فالتقطته من الطاولة. كانت إيلين.

إيلين: «يا إلهي. هل أنتِ بخير؟».

إيلين: «لقد هاتفتكِ ثمانِي مرات وتعرفين كم أكره الحديث عبر الهاتف. هاتفيني. راسليني. أشعلي حطبًا كما يفعلون في الصحاري. اطبعي شفرة مورس<sup>(1)</sup>».

إيلين: «هل ما حدث مع باتريك توماس صحيح؟ لقد أخبرتُ تيم أن يقتله».

إيلين: «فقال ربما يفعل بعد العشاء».

إيلين: «حسنًا. لقد بدأتُ أصاب بالهلع الآن».

بعد قراءة رسائلها كتبتُ: «حسنًا. كل ما في الأمر...».

توقفتُ عن الكتابة وضغطتُ زر الاتصال، فقد كان كل ما أحتاج إليه الآن هو صديقتي المُقرّبة. لم يستغرق الرنين الأول حتى نهايته قبل أن تستقبل إيل المكالمة.

- اللعنة! يا إلهي! ماذا كان هذا!

نطقتُ، فبدأ صوتي أشبه بضوضاءٍ على مسامع المُتلقي: «مرحبًا».

سألتُ إيلين: «هل أنتِ بخير؟ أخبريني حتى ماذا حدث».

أطلقتُ تنهيدةً ثقيلة عبر الهاتف ويا له من شعورٍ جيد ألا أؤنب عليها. ثم أخبرتها. أخبرتها بشأن مناداة أُمي لي باسم دمبلين أمام سقيفة السيارات بأكملها، حيث كان يقف جميع طلاب الصف الأول وباتريك توماس، منتظرين دق جرس الفترة الأولى. أخبرتها بشأن الحادث الذي وقع في الردهة، وحقيقة أنه لم يسبق لأحدٍ من قبل أن أشعُرني بالخزي والمهانة لضخامتي. أطلقتُ

---

(1) Morse Code: هي شفرة حرفية من أجل إرسال المعلومات التلغرافية، باستخدام تتابعات قياسية من عناصر طويلة (الشرطة) وقصيرة (النقطة) تعبر عن الحروف والأرقام والعلامات والحروف الخاصة الموجودة في الرسالة. صنعها صمويل مورس في بدايات 1840. (المترجمة)

السباب ونسجت المديح وفعلت كل الأشياء التي تجعل من محادثتي إياها القرار الصحيح.

وانفجرت في قصيدة هجاء وسباب عن «حقارة طلاب الصف التاسع وشواربهم التي لم تنبت» وعن إخفاق باتريك توماس في اختبارات القيادة الكثير من المرات حتى صار عاجزًا عن محاولة الدخول إلى الاختبار مجددًا قبل أن يُتم الثامنة عشرة.

أخبرتها كل شيء عن جدالي مع أُمي. ثم قلت: «والآن أنا موقوفة عن المدرسة لبقية الأسبوع. لحسن الحظ أن هذا سيسمح لكل من في المدرسة بوقت كافٍ حتى يُنسى ما حدث ويدعوا الأمر يمر في سلام». وإن فجأة توقفت الضوضاء الصادرة عن تلفاز أُمي، لكنني تابعت: «بالإضافة إلى أنني مُعاقبة».

- يا إلهي! حسنًا، يمكننا القول إن هذا أسوأ يوم مررت به، أليس كذلك؟ لكن الجيد في الأمر أن غداً قد يصير أفضل من اليوم، حتى لو كان التحسن بسيطًا، بما أن اليوم كان الأسوأ على الإطلاق. انفرجت أساريري أخيرًا، وانتابني شعورٌ جيد إثر ما قالته. أجبتهَا: «أعتقد بأننا سنرى مدى صدق ذلك».

توالى التثاؤب واحدة إثر أخرى. فلما انتهيتُ قلت: «لا أدري كيف يجعلك البكاء مرهقًا إلى هذا الحد».

- ربما كان الأدرينالين أو شيئًا كهذا.

- يا لذكائك.

استدركت إيلين قائلة: «ربما لا ترغبين في الحديث عن الأمر الآن، ولكنك لم تُخبريني بأي تفاصيل عن موعدك».

- حسنًا، ليس هناك الكثير ليُقال. لقد كان حقًا... عاديًا.

- آه يا رجل. لقد كنتُ أُعَلِّقُ آملًا كبيرة على ميتش.

- سأحادثك في الصباح.

فقالت: «تذكري، أنا أحبك كثيرًا. استمعي إلى بعض أغنيات دوللي. ستجعلك تشعرين بحالٍ أفضل».

\*\*\*

## الفصل الخامس والعشرون

أهدرتُ أيام انقطاعي عن المدرسة على الأريكة. كانت إيلين تحضر إلى منزلي بعد انتهاء اليوم الدراسي، وبحوزتها مهامى المنزلية قبل أن تعود أُمي إلى البيت. نشاهد التلفاز في صمت، ورغم أنني أرغب في سؤالها عن أحوال المدرسة وما إذا كانت قد سمعت أحدهم يتحدث عني، فإنني لم أفعل. كان تيم يوصلها إلى منزلي ثم يأتي لاصطحابها، لكنه لم يقض وقتاً معنا قط. أحب تيم وأراه لطيفاً، لكنني أراه أكثر لطفاً حين لم يدع نفسه إلى قضاء الوقت معنا، وترك لي صُحبة إيل تلك الساعات القليلة.

في بداية عُزَلتي في البيت، كنتُ أنا وأُمي نعمل على روتين يومنا منفصلتين، وفي المساء يبدو الحال كما لو أن أحدهم قد جاء وقسّم المنزل بتدابير ولوائح رسمية. حينما أغادر غرفتي نظل متباعدتين، وعندما تغادر هي غرفتها، أظل أنا في غرفتي. غير أنه مع مرور الوقت تقاطعت سُبُلنا وتقاربت شيئاً فشيئاً حتى صباح يوم السبت، حين قالت: «لدي اليوم اجتماع تخطيط للمسابقة سيستغرق اليوم بأكمله. إننا نستعد لفتح التسجيل العلني. ستجدين سلطة التونة في الثلاجة».

لم يكن صلحاً أو هدنة، لكنها مبادرة كسرت حاجز الصمت بيننا.

راسلني ميتش بضع مرات معتذراً عن تلك الجلبة التي تسبب بها ويخبرني عن طبيعة باتريك الثرثرة ولسانه الفالت. فأخبرته أنني أفضل ترك الحديث في هذا الأمر، غير أنني أعلم أنه ما من أحدٍ كان عليه الاعتذار سواي.

قضت إيل يوم السبت بأكمله في العمل ثم ذهبت إلى حفلٍ مسائيٍّ، لذلك كنتُ وحدي طوال اليوم. لقد طالت عُزَلتي في هذا المنزل حتى خُيِّلَ إليَّ أن

ورق الحائط صار يتحرك من موضعه. وكرهتُ حقيقة أنه لم يكن ثمة برنامج تلفزيوني جيد طوال فترة ما بعد ظهيرة أيام السبت. ويبدو أنه حتى الشبكات والقنوات الإعلامية تحاول جاهدةً أن تدفعك إلى ترك الأريكة وفعل أي شيء ذي قيمة، حتى ظننتُ أنه أياً من كان من يضع جداول بث القنوات لم يخضع للعقاب يوم السبت قط.

ربما كان شعوراً نابغاً من الملل، لكن غرفة لوسي كانت تناديني وكان نداءً أشبه بصفارات الإنذار. كان فراشها مهندماً وعند نهايته طُوي غطاءً بلونَي القشدة والأخضر الطحلي كانت جدتي قد صنعتها بيدها، وعند الزاوية كانت مبخرة أُمي شامخة في موضعها.

على الطاولة الجانبية لفراش لوسي وجدتُ المزيد من قصاصات الجرائد، غير أنها كانت جميعاً تتحدث عن أُمي. فقد كانت تحتل مقالاتٍ كثيرة في جريدة كلوفر سيتي تريبون طوال الوقت، وأظن أنها قد واعدت محرر الجريدة لبعض الوقت، لكن الحال انتهى به وقد تزوج بالفتاة التي كانت تتولى تنظيف ملابسه في المغسلة.

اكتنزت كومة القصاصات تلك بصورة مُشوَّشة لأُمي وهي ترتدي الزيَّ الرسميِّ لملكة الجمال: تاجها وفستانها. الفستان ذاته كل عام... حيث تقف في كل صورة مع ملكة جمال جديدة لمسابقة بلوبونيت. توغلتُ أكثر فأكثر داخل الدرج، فأخرجتُ حقيبةً كبيرة مُمزَّقة من الوثائق: عقود وكُتبيات وفواتير. حتى تعثرتُ في نموذج تسجيل فارغ تماماً لمسابقة الجمال، يعود تاريخه إلى عام 1994، ثلاث سنواتٍ قبل فوز أُمي بالتاج عام 1997. كانت أُمي حينها لم تزل صغيرة على العمر المسموح به للمشاركة. حسناً، لا أظن أن ما أفكر فيه صحيح، فقد اعتقدت لوسي أن تلك المسابقة ما هي إلا مزحة تافهة. أو ربما هكذا اعتقدتُ أنها ترى المسابقة!

لم تكن خالتي امرأةً متخوفة أو خجولة، غير أنها حتى عندما كانت في أنحف صورها، لم أرها قط تُقرر المشاركة في مسابقة الجمال تلك. حين تطلعتُ إلى تلك الاستمارة شعرتُ وكأنها وعودٌ كاذبة بما كان من المفترض أن يحدث. وفي اللحظة التالية تخيلتُ خط يدها وقد خُطت به الكلمات في المسافات الفارغة. كان نموذج التقديم يتطلب البيانات المعتادة من الاسم وتاريخ الميلاد والعنوان. لكنه يتطلب أيضاً بياناتٍ جعلتني أنكمش في نفسي

حرجًا، مثل الطول والوزن ولون الشعر ولون العينين والطموح الوظيفي وأخيرًا الموهبة.

حاولتُ حلَّ تلك الأحجية في رأسي، غير أنها كانت محاولات باءت بالفشل. ولم أَعثر على جوابٍ مُرضٍ لقصاصة الورق في يدي. أما الشيء الوحيد الذي ظل قابلاً في قاع هذا الدرج تحديدًا فقد كانت علبة مخملية حمراء وبداخلها جِلِيَّة عيد الميلاد: كرة مستديرة بيضاء زاهية وشفاه حمراء مزمومة تُغلف محيطها إلى جانب توقيع من دوللي بارتون بلونٍ ذهبيٍّ. كانت هدية تذكارية من دولليوود (عالم دوللي)، مكان لطالما رُغبت لوسي في زيارته. وأذكر أن والدة إيل كانت قد نالت تذكرتين من الخطوط الجوية في العمل، فقدمت التذكرة الثانية هديةً إلى لوسي على الفور. وكان من المقرر أن تذهب إلى دولليوود كما كانتا تحلمان دائمًا.

وضعتنا برنامج الرحلة، وبحثنا عن الفنادق المناسبة والسيارات المؤجرة. وقطعتنا مسافة ثلاث ساعات من القيادة إلى أقرب المطارات لتكتشفا حينها فحسب أن على لوسي أن تشتري تذكرةً أخرى لكرسيٍّ إضافيٍّ لأن واحدًا لن يكفيها. وقالت حينها إنه رغم صرامة شركة الطيران فإنها لمست لطفهم معها. وفي نهاية الأمر كانت لوسي غارقةً في شعورٍ بالخزي والخجل، فأثرت العودة إلى المنزل فضلًا عن شغل كرسيَّين على متن الطائرة. وقد أحضرت السيدة درايفر قطعة الزينة تلك هديةً لأجل لوسي. أعلم أنها كانت هدية باهظة الثمن، لأنه بدلًا عن الخُطاف المعدنيِّ، كانت تُعلّق بشريط أحمر من المخمل. عدتُ إلى غرفتي مصطحبةً استمارة التقديم القديمة في المسابقة وقطعة الزينة. وقضيتُ طوال فترة ما بعد الظهر أدرس هذا النموذج. ودُهشتُ حين اكتشفتُ أن المتطلبات الحقيقية ليست سوى أن يكون عمر المتسابقة بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة بالإضافة إلى موافقة الوالدين. وبالنظر إلى جميع المتطلبات التي اختلقتها في رأسي، أدركتُ عجزِي عن استيعاب بساطة الأمر، من سهولة التنافس في المسابقة وعدد الفتيات الهائل المؤهلات حقًا لذلك.

عبرت وسوسةً برأسي، وقبل أن تتمكن من فكري، حشرتُ نموذج التسجيل بعيدًا في الدرج السفليِّ من خزانة ملابسِي.

امتلاّت أصداء البيت بصوت أُمي حين دلفت عبر الباب الخلفيّ. قالت: «لا أعتقد أنها في حالة ذهنية مناسبة لتكون عضوًا ناشطًا في هذه اللجنة. أنا آسفة ولكن هذه المدينة ليست مستعدة لافتتاحية مخصصة لبيونسيه».

عجزتُ عن كبح صوتي، وضحكتُ حين قالت أُمي «بايونساي».

ثم تابعت: «حتى لو كانت واحدة من أغانيها المهدبة -أو هكذا قالت- فلن أتحمل النقد المُلقى بسبب هذا الأمر».

ارتميتُ على فراشي. وهرول ريتو صاعدًا إلى الطابق العلويّ حتى وصل إلى غرفتي وقد تمدد بجسده أمامي حتى داعبتُ ذقنه.

تابعت أُمي مكالمتها: «حسنًا، سواء كانت مستعدة أم لا، سيبدأ التسجيل هذا الأسبوع».

مددتُ يدي ملتقطَةً كُرّة التنبؤ السحرية من الطاولة بجانب فراشي ومنحتها هزة واحدة قوية. «فأشارت الدلائل إلى الجواب نعم».

\*\*\*

## الفصل السادس والعشرون

في صباح الأحد، كنتُ أعاني مخلفات مشاعر جمّة. ففي الليلة الماضية كنتُ قد اتخذتُ قرارًا، قرارًا غيبًا بحق. وقلتُ في قرارة نفسي إنه لا يتعين عليّ التعلّق بأي شيء لأنه لا أحد يعلم بشأن الأمر سواي. وإذا جَبُنْتُ، فسأكون أنا الشاهد الوحيد على هذا الجبن.

بيد أن الأمر أشبه برؤيتك لأحدهم يُسقط صينية غدائه على أرضية المدرسة لكن أحدًا لم يلحظ. ولن يدرك أحدٌ ما حدث ما لم تساعد، لكنك حتمًا ستدرك ما حدث. كانت أفعالي مُتقلبةً بين وتيرةٍ وأخرى طوال اليوم، حتى إنني لم أعر اهتمامًا لحقيقة أنني وأمي كنا نتصرف بصورةٍ مُتحضرة اليوم.

بعد العشاء، قبعْتُ في غرفتي لأنجز بعض مهام المطالعة المطلوبة في المدرسة. غير أنني وجدتُ نفسي أبحث عن نموذج التسجيل مرةً أخرى. ولم أتخيل أنها قد تغيرت منذ العام 1994. إن مجرد تصور مظهري في ثوبٍ منتفخ ينزل على امتداد خشبة المسرح كما لو أنني ملكة المسرح، أراه مثيرًا للسخرية.

كان ثمة الكثير من الأشياء التي لم تفعلها لوسي قط. ليس لكونها عاجزة عن فعلها، بل لاقتناعها في قرارة نفسها أنها عاجزة عن فعلها، ولم يساعدها أحدٌ على تصديق غير ذلك. لن أكذب على نفسي وأقول إن لوسي كانت في كامل صحتها طوال السنوات القليلة الأخيرة، غير أن هذا كان سببًا مرعبًا لتحرم نفسها من الأشياء التي كانت تبتغيها بشدة. بالطبع لا أقصد أنها كانت تريد المشاركة في المسابقة بشدة. بل أقصد أنها حتى لو كانت تريد المشاركة، لم تكن لتشارك حقًا.

التقطتُ هاتفي وضغطتُ زر الاتصال.

- مرحبًا! إن مدة عقوبتك على وشك الانتهاء.

هكذا قالت إيل حين أجابت المكالمة. فبادرتها قائلة: «أريد أن أخبركِ بشيء ما».

- حسنًا.

يمكنني التراجع الآن وأخبرها ألا تهتم بما قلته. أو يمكنني أن أخبرها بشأن بوو وتلك المشاعر الكامنة بداخلي التي تحرمني حق صرفه من عقلي، رغم أن ذهني الآن مشغول بالكثير من الأمور الأخرى، فإني أثرت القول: «سأشارك في مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت في كلوفر سيتي».

خيم الصمت على الجانب الآخر هنيهةً، هنيهةً واحدة كانت طويلة بما يكفي لأقول: «أمازحك فحسب!».

لكني لم أفعل. وبعدها رن الصوتُ على الجانب الآخر: «يا إلهي. أجل!».

فقلتُ: «ألا تعتقدين أنني مجنونة؟».

- حسنًا، أنتِ مجنونة تمامًا، لكن شيئًا كهذا سيكون رائعًا للغاية.

- لا أدري ما إذا كان هذا صحيحًا.

سألت إيل: «هل أخبرت والدتك؟».

حككتُ جبھتي، وأجبتُ: «يا إلهي. كلا. لم أكتشف شيئًا بعد بشأن التجهيزات والترتيبات. كل ما أعرفه هو أنني أرغب في المشاركة في المسابقة. غير أن الأمر ليس وكأن باستطاعتي إخفاء شيء كهذا عنها».

- ستصاب بالهلع عندما تعلم بالأمر.

- أجل، حسنًا، دائمًا ما تشعر بالحرج بسببي. فلماذا لا أمنحها سببًا جيدًا لهذا؟

لم تقل إيلين إنني مخطئة حتى لو كانت تعتقد ذلك حقًا. بل أثرت القول: «إننا بحاجة إلى وضع خطة. ما الذي ستفعلينه غدًا؟».

- سأذهب إلى العمل، لكني لا أعتقد أن أليخاندرو سيهتم إن أتيت لقضاء بعض الوقت برفقتي.

- حسنًا. أنا وأنتِ. غدًا مساءً. هذا موعد.

أغلقتُ الهاتف بعد إنهاء المكالمة وأبعدتُ نموذج التقديم القديم من أمامي. والآن وقد أخبرتُ إيل، فلن تدعني أراجع عن الأمر. حاولتُ الخلود إلى النوم، لكن حتى صوت دوللي الذي كان يترنم بجانبني لم يأت بأي نفع على توتري الجامح.

\*\*\*

## الفصل السابع والعشرون

صحبني كلُّ من إيلين وتيم في سيارتهما هذا الصباح حتى لا أضطر إلى مواجهة سقيفة السيارات، فقد صرْتُ رسمياً العدو الشعبيّ الأول لباتريك توماس.

وعدا بضع همساتٍ متناثرة هنا وهناك، كانت أجواء المدرسة هادئة نسبياً. ويبدو أن الجميع قد طمسوا حادثة الأسبوع الماضي أو بمعنى آخر تخطوا تلك الحادثة. كان هذا ما اعتقدته على الأقل، حتى جاء موعد الغداء. فقد تجمّع الطلاب في مجموعات حول هواتفهم. أغلبهم يضحكون، وبعضهم يهزون رؤوسهم في اشمئزاز. وفي أثناء وقوفي في طابور الغداء، حدّقتُ من وراء كتف إحدى الفتيات، التي استدارت إليّ. كانت نبيرة صوتها تفيض بالضحك حين قالت: «هل شاهدت هذا؟».

[illegible]

قلتُ في اشمئزاز: «هذا ليس مضحكاً».

أدارت الفتاة هاتفها حاضنةً إياه إلى صدرها، وقد قطب وجهها في حيرة. ثم قالت: «مم. حسناً».

كنتُ أعرف أقل القليل عن هانا وحياتها، عدا أنها فتاة هادئة ومثابرة. ففي الصف الثالث، في أثناء حصّة الرسم، انهمكنا جميعًا في تلوين ديوك رومية على شكل يدٍ بشرية لأجل عيد الشكر. ولم أكن قد سمعتُ هانا تتحدث ولو بكلمة واحدة طوال العام، وفي لحظةٍ في أثناء انهماكنا أخذتُ قلم تلوين كان موضوعًا أمامها -قلمًا لم يكن حتى يظهر لي أنها تستخدمه- فانتزعته من يدي، صائحةً بأنه كان من المفترض أن أسألها الإذن أولاً. أما الذكرى الوحيدة لها التي علقت في ذهني كانت قد حدثت عندما كنا في الصف الخامس، حين انفجرت غاضبةً في أحد المُعلمين الذي ظل يناديها بالإفريقية الأمريكية. وقد كان وصفًا منطقيًا في الحقيقة بالنظر إلى حقيقة أنها دومنيكية.

وبينما كنتُ في طريقي إلى صفّي التالي، سمعتُ أشياء من قبيل: «هذا جدًّا بشع!»، أو «أنا أسفة، لكنها قبيحة»، أو «لماذا لا تضع تقويم أسنان؟». تلك العبارة الأخيرة أغرقتني في عاطفةٍ لازمتني طوال اليوم، كنتُ أرى أنه ليس لزامًا على هانا أن تضع تقويم أسنان. ربما كانت عاجزةً عن تحمُّل تكلفته أو ربما كانت خائفة. على أي حال، ليس لزامًا عليها أن تحشر في فمها كتلة من المعدن حتى يتركها هؤلاء الحمقى وشأنها.

في الفترة الخامسة، جلس بوو وقد عقد ذراعيه على صدره. كانت هناك كدمة على وجنته وتجمعات من الجروح الملتئمة على جانب شفّتيه. أردتُ أن أعرف عما حدث، ومَن الذي تشاجر معه.

حينها كررتُ على مسامعي: «لكنه ليس من شأنك».

حين رأيته، قطَّب حاجبيه وزمَّ شفّتيه في عبوسٍ شديد، تفتحت معه جروح شفّتيه. فجذب كُم قميصه بيده وربت بها على جروح فمه.

\*\*\*

بعد انتهاء اليوم الدراسي، التقيتُ إيلين في ساحة انتظار السيارات. قالت: «هل سمعتِ كل ما يُقال بشأن هانا؟».

فأومأتُ لها إيجابًا، ثم قلتُ: «لا بد أنها قد فقدت أعصابها حين اكتشفت الأمر. هل يعلم أحدٌ من وراء تلك الصور؟».

أجابت: «يقول تيم إنهم بعض لاعبي فريق الجولف، لكنهم مُحصّنون ضد المساس بهم، فلا يمكن لأحدٍ أن يُثبت شيئًا، إلى جانب أن الأمر لم يقع داخل المدرسة».

- هذا هراء!

أوصلني كلُّ من تيم وإيل إلى المنزل، وانتظرا حتى غيرتُ ملابسِي إلى الزيِّ الرسميِّ لمطعم تشيلي بول. ثم اصطحباني إلى العمل، ووعدتني إيلين أن تعود لاحقا من أجلي بسيارة والدتها.

أعددتُ نفسي لاستقبال حنق أليخاندر. لا بد أنه كان شديد الاستياء لأنني قد تغيبت كثيرا عن العمل، ولكن حين دلفتُ إلى الداخل سألني: «لقد انتهت فترة العقاب، أليس كذلك؟».

أومأتُ إيجابًا، فقال: «جيد. لأنني لا أتخطئ قرار الأمهات. جميع الأمهات. ولذلك إن كنتِ تكذبين، يمكنكِ العودة إلى المنزل».

فأجبتُ: «لا أكذب. أنا حرةٌ تمامًا الآن».

في نحو السابعة، دلفتُ إلينا إيلين.

- آسفة، لقد اشترطت أُمي أن آخذ السيارة بشرط أن أتناول العشاء برفقتهم.

- لا عليكِ.

رفعت إيل جسدها إلى أعلى على الجانب الآخر من الطاولة وهمست: «هذا المكان تفوح منه رائحة البصل والعرق. ما زلتُ لا أستوعب سبب ترككِ العمل لدى هاربيز لتأتي إلى هذا المكان القذر».

- راتب أفضل.

كان جوابًا كاذبًا. ملتُ إلى الأمام، أو بالأحرى استندتُ بجذعي إلى الطاولة. ثم قلتُ: «إلى كم تعتقدين سأحتاج لشراء زيِّ رسميٍّ؟ هذه المسابقة لن تكون زهيدة التكلفة».

رفعت كتفها في غير معرفةٍ وأجابت: «ربما مئتي دولار. يمكنكِ أن تجربي مؤسسة جودويل<sup>(1)</sup> غير الربحية أيضًا».

رن الجرس الصغير أعلى الباب. فنهضتُ عن موضعي وقد باغتتني رؤية أحد الزبائن يدلف إلى متجرنا. أما إيلين فلم تتزحزح عن موضعها. لوّحت

---

(1) Goodwill: هي مؤسسة أمريكية غير ربحية تأسست وفقًا للقانون الفيدرالي وتهتم بتقديم التدريبات الوظيفية وخدمات التقديم على الوظائف وبرامج اجتماعية أخرى لمن يتعثرون في إيجاد وظائف تناسبهم. (المترجمة).

ميلي ميشيلشوك إلينا وهي في طريقها إلى الداخل. ابتسمت إليّ فانتابني شعورٌ فوريٌّ بالذنب عن أي فكرة ليست لطيفة قد جالت بذهني عنها، حتى أثقل كاهلي مثل مرساة سفينة.

- مرحبًا، ميلي.

أشارت إليها إيلين باقتضاب. أما أنا فسألتها: «إذن ماذا يمكنني أن أقدم لك اليوم؟».

أسقطت ميلي مفاتيحها على الطاولة، وكان هناك ست وعشرون سلسلة مفاتيح على الأقل مُعلّقة في خاتمها، غير أنني لم أجد سوى مفتاحين فقط. ثم أجابت: «نصف لترٍ من حساء الفلفل الحار».

وتوقفتُ قليلًا قبل أن تتابع: «وبعضًا من المقرمشات».

- لك هذا.

بعدما دفعت ميلي حسابها، التقطت بعض الأدوات البلاستيكية عن طاولة التوابل بينما كنتُ أعد لها طبق الفلفل الحار وأجرفه من القدر.

قالت إيلين: «إذن، لا يمكن أن تزيد رسوم التسجيل على مئتي دولار، أليس كذلك؟».

- أعتقد ذلك. إنني أمتلك نحو خمسمئة وثمانية وستين دولارًا من مدخراتي، ولذلك إذا تكلف الأمر أكثر من ذلك، فسأضطر إلى العمل في وظيفة إضافية.

أطبقت الغطاء وأحكمت إغلاقه حول طبق ميلي الجاهز، وقلت: «تفضلي!».

جالت بعينيها بيني وبين إيل في ترقُّبٍ قبل أن تأخذ طلب الفلفل الحار الذي اختارته وتغادر عبر الباب. تتبععتها إيلين بعينيها بينما كانت تخرج بسيارتها من ساحة الانتظار. ثم علّقت: «كان هذا غريبًا بعض الشيء».

فقلتُ: «أجل! حسنًا، إنها تتمتع بغربة خاصة بها».

أمضينا الليلة بأكملها نتبادل أطراف الحديث وعندما خرج أليخاندر من غرفة مكتبه، انزلقت إيلين عن الطاولة وتظاهرت بأنها أحد الزبائن. أجرى أليخاندر التقرير المسائي على شاشة ماكينة الدفع أمامي، وبينما كان في طريقه للعودة إلى مكتبه، صاح بصوتٍ عالٍ من وراء كتفه قائلاً: «أخبري صديقك أننا نبحث عن موظفين».

\*\*\*

## الفصل الثامن والعشرون

ركضتُ نحو المدرسة، متخذةً حقيبة ظهري درعًا واقياً من زخات المطر التي تساقطت فوق رأسي. وتوقفتُ قبل الدخول لأمسح نعل حذائي في ممسحة الأقدام أمام عتبة الباب.

- ويل؟

وقفتُ ميلي جانباً مستندةً إلى خزائن الطلاب، ترتدي سروالاً ضيقاً بنقوش وردية وسُترة طويلة كييفما اتفق. قطعتُ خطواتي نحوها لأتنحى عن طريق الطلاب القادمين من خلفي. ثم قلتُ: «مرحباً. ماذا يجري، ميلي؟».

جذبتُ أحزمة حقيبة ظهرها حتى تستقر بين عظمتي كتفيها، وقالت: «لقد سمعتكِ تتحدثين إلى إيلين ليلة أمس. بشأن مسابقة الجمال».

أخذتُ على حين غرةً بحديثها، لكنني لملتُ شتاتي وأردفتُ: «أجل، إننا...».

مالتُ نحوي بجذعها وهمست: «سنُشاركين في المسابقة، أليس كذلك؟».

- أنا... حسناً، بلى، سأشارك.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفثيها حتى خُيلَ إليَّ أنها وصلت ما بين شحمتي أذنها. وصفقتُ بيديها معاً كما لو أنني أنهيتُ للتو أداء خدعة سحرية. ثم علّقتُ: «هذا رائع للغاية».

استدرتُ نحوها فكان ظهري موالياً للطلاب الذين يتدفقون من الباب الرئيسي وقلتُ: «اسمعي، هذا ليس سرّاً، ولكنني لا أرغب في إحداث ضجة حول هذا الأمر، اتفقنا؟».

- أجل. صحيح، بالتأكيد.

غير أن شيئاً ما حيال ابتسامتها لم يمنحني الارتياح الذي كنتُ آمله.  
- حسناً.

حينما التقيتُ إيل لاحقاً ذاك اليوم، أخبرتها بغرابة ما وقع بيني وبين ميلي من حديث. فأمسكت بكتفي ومالت نحوي بجذعها مُحدّقة إلى وجهي، ثم قالت: «ويل، أنتِ لستِ مصدر إلهامها».

هزّزتُ رأسي بشدة في رفض، وكررتُ: «لستُ كذلك».

- يا إلهي، لقد حظيتِ بنادي مُعجبات صغير.

فقلتُ: «كُفي عن هذا الهراء».

وشمخ جزءً صغير بداخلي في فخرٍ وزهو.

\*\*\*

جلب لنا المطر ذاك اليوم القليل من الزبائن باحثين عن صلصة الفلفل الحار. وقد كان أكثر الأيام انشغالاً ورواجاً منذ أن عملتُ في هذا المكان. قدّمتُ القليل من أوعية الحساء والصلصة، ودون التطلع لأرى من يكون زبوني القادم، قلتُ بنبرة آلية: «هل تود تجربة إضافتنا الجديدة حساء الفاصوليا الحار بالدجاج؟».

فأتى الجواب من ذلك الصوت: «لا بأس، أجل. كوباً منها أو طبقاً أو أيّاً ما كان».

لم أتطلع إلى وجه زبوني الواقف أمامي، غير أنني سألتُ: «ماذا تريد، بوو؟».

فأجاب: «لقد أتيتُ من أجل الحساء الحار. هذا مطعمٌ للأطعمة الحارة، أليس كذلك؟».

تدافعت الكلمات والردود بداخلي، غير أن أيّاً منها لم يكن مناسباً. لم يكن أيٌّ منها يصف ما أريده حقاً. فلم أكن أدري ما أريده حقاً.

أجبتُ: «هل تود شيئاً آخر؟».

عضّ على شفته السفلى، فاخفت وراء أسنانه. يا إلهي، كم تعجبني أسنان هذا الفتى. تبدو جميعها متناسقة مثل لوحة مرسومة، عدا هاتين الأرنبتين،

يتخللها بعض التداخل. كما لو أن القدر قد حكم بأنه في أبهى صورة حتى إنه قد وجب عليه أن يُرزق عيبًا واحدًا بسيطًا.  
أجاب: «كلا».

تبعته بعينيّ يعود أدراجه عابرًا الشارع وبرففته كوب الحساء الجاهز. ومن جيبه الخلفيّ جذب قناعه الواقى من الحرارة وثبته على مقدمة رأسه بينما كان يشق طريقه عبر أبواب هاربيز.

\*\*\*

على مدار اليومين التاليين، حاولتُ الحديث إلى أمي اثنتي عشرة مرة على الأقل لأخبرها بأني سأشارك في مسابقة الجمال. لكنني لم أستطع، وعجزتُ عن خوض تلك المحادثة معها. كنتُ أشعر أنني أتمسك ببارقة الأمل الأخيرة التي ستسمح لي بالذهاب إلى موعد التسجيل ورؤيتها تصرخ فرحًا بما فعلته. وأنها ستقول لي إنها لطالما حلمت بمشاركتي في هذه المسابقة وباتباعي لخطواتها. وأنها ستقول لي إنها لم ترغب قط في دفعي لفعل شيء لا أرغب فيه. بل أرادت مني أن أحدد طريقي بنفسى.  
كان هذا حلمًا لم أكن راغبةً في الصحو منه.

\*\*\*

## الفصل التاسع والعشرون

لطالما خبرتُ أن مسابقة الجمال تلك تشغل حيزًا كبيرًا من حياة أُمي، غير أنها لم تزد قط على كونها مجرد ضوضاء في خلفية حياتي. فعندما كنتُ صغيرة وكان عليها حضور الاجتماعات أو التدريبات، عادةً ما كنتُ أمكث في البيت برفقة لوسي أو نذهب إلى منزل إيل. فكانت مسابقة الجمال وكل ما تحويه من تفاصيل تخصها وحدها.

كان مقر التسجيل للمسابقة يقع في مركز المدينة، في المركز الاجتماعي لمدينة كلوفر سيتي. والسؤال هو كيف يبدو هذا المركز الاجتماعي لمدينة كلوفر سيتي! الجواب هو ميدانٌ رائع تتوسطه مقصورة حديقة خشبية. وكان المكان يعج برائحة الدجاج المقلّي وذلك بفضل مطعم فرينشيز فرايد أند ساتش، وكان مطعمًا لا يضاهيه آخرون في ضخامة حجمه وروعة طعامه.

اتخذتُ أنا وإيل مقعدًا في الخارج وانشغلتُ في عدّ مئتي دولار رسوم التسجيل.

سألت إيل حين جلسنا: «بالمناسبة هل أمكنك حمل أمك على توقيع نموذج التسجيل؟».

فأجبتها: «كلا».

كانت المشاركة في مسابقة الجمال تتطلب موافقة الأبوين. وفي تلك اللحظة بعينها، كان أكبر مخاوفي أن ترفض أُمي مشاركتي في المسابقة. أمام كل هؤلاء الناس الذين سيشهدون إهانتني.

وعلى الجانب الآخر من الميدان، وقف شخصٌ قصير القامة بدين الجسم  
يُلَوِّح بذراعيه المرفوعتين فوق رأسه في جنون وهوجاء.  
نظرتُ إلى تلك الهيئة البعيدة شزراً وسألتُ: «إيل. إيل، من هذا؟».   
تطلعتُ إيل إلى موضع نظري، ففغر فوها على الفور.  
- مرحباً! ألم تبدؤوا بعد! توقيت ممتاز!

كان هذا صياح ميلي إلينا.  
قالت إيل: «إنها تحبك. أرى أنها واقعةٌ في حُبك».  
ثم نهضت من جلستها وأسندت راحة يدها إلى مقدمة رأسها لتحجب عن  
عينها ضوء الشمس الساطع. ثم قالت: «هل هذه... هل هذه أماندا لومبارد  
برفقتها؟».

أومأتُ في إيجاب، وكانت ميلي تُسرع الخُطى حتى وصلت إلينا. قالت:  
«سننتقدم إلى المسابقة أيضاً».  
فتبعتهما أماندا سائلة: «هل سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً؟ ستقتلني أمي إذا  
تأخرتُ عن اصطحاب أخي إلى المنزل».

تطلعتُ إلى إيلين، ثم رفعتُ كتفي في غير علم.  
أراحت ميلي يديها على جانبيها وقالت: «ويل، أتفهم عدم رغبتك في  
إحداث ضجة بمشاركتك في المسابقة. ولكن لأكون صريحة معك، لا أدري  
حقاً الأسباب الشخصية التي حملتك على فعل هذا. ولكنك ستفعلينه على أي  
حال. وهذا أمرٌ مهم. بل وأريد أن أكون جزءاً منه. كلانا يرغب في أن يكون  
جزءاً منه».

غمغمت أماندا: «لقد حملتني على المجيء معها».  
قلّبت ميلي عينيها، ثم تابعت: «لقد حاولتُ أن أقنع هانا بريز بالأمر، لكنها  
رفضت».

فأضافت أماندا: «في الحقيقة، بل قالت لك أن تمسحي بوشاح تلك  
المسابقة خراء الحيوانات».

لقد أخبرتُ ميلي من قبل برغبتني في متابعة الأمر في الخفاء، ولكن مع  
هاتين الفتاتين، فربما تحتل صورتني مقالاً في الصفحة الأولى لجريدة كلوفر  
سيتي ترايبون. لا يدركون أنني لا أقدم على المشاركة لأكون المناضلة لأجل

الفتيات البدينات أو شيئاً كهذا، بل أقدمتُ على المشاركة من أجل لوسي. ومن أجلي أيضاً. لقد بَتُّ على استعداد لأعود إلى الفتاة التي كنتُ عليها قبل بوو. ولهذا فسأشارك في هذه المسابقة لأنه ليس ثمة سببٌ يمنعني من ذلك. سأقدمُ على الأمر لأنني أريد أن أعبر الحاجز الذي يفصل بيني وبين العالم من حولي، لا أن أكون منقذة أحدهم.

هزرتُ رأسي نفياً ثم قلتُ: «هذه ليست فكرة جيدة».

علقتُ ميلي: «كل أشياءي المفضلة قد بدأت في صورة أفكار سيئة».

فقلتُ لها: «ميلي، إن الناس قُساءُ القلوب. أنا أعلم ذلك. وكذلك أماندا، أنا واثقةٌ مما أقول».

أومأت أماندا في إيجاب: «سيستمر الحاقدون في حقدهم».

تابعتُ دون أن أمنح ميلي فرصةً للاعتراض: «غير أن المشاركة في مسابقة الجمال تلك تُعد بمنزلة لافطة كبيرة مُلصقة على ظهركِ تقول: «اركني على مؤخرتي». أنتِ لا تحتاجين إلى إذنٍ مني، لكني لا أريد أن أكون مسؤولةً عن ذلك».

انكشمت ميلي في نفسها دون جواب. أما إيلين فقد ركلت بإصبع قدمها في الوحل، ثم قالت: «عليهما المشاركة في المسابقة. إذا كانت ميلي وأماندا راغبتين في المشاركة معكِ، عليهما أن تشاركا. فلتحيا الحرية وكل تلك الشعارات».

فقلتُ معترضةً: «كلا. بل عليكم جميعاً العودة إلى منازلكم».

رفعت أماندا كتفها في استسلام وهمت في الذهاب، غير أن ميلي ظلت باقيةً على حالها، تُطالب صمْتاً بحقها في الالتماس أمامي. فجذبت إيلين يدي واحتضنتها بقوة بين راحتيها. حينها قلتُ بعد تنهيدةٍ مُثقلة: «يتكلف التسجيل لأجل الثورة منتي دولار».

\*\*\*

وفي الداخل بدا المركز الاجتماعيُّ مثل صالة ألعابٍ رياضية في أثناء ممارسة الفتيات للتربية البدنية. فكانت أحاديث الفتيات ذات النبرات العالية ترتد عبر السقف، فيتردد صداها في الأنحاء حتى بدت أصوات عشرين فتاة كما لو أنها صياح مئة منهن.

جلست زمرةً من الفتيات حول طاولات مستديرة يغطيها القماش الأبيض، الأقمشة البيضاء ذاتها التي عملت أمي على كيّها في غرفة معيشتنا الليلة الماضية. منهن فتيات الإرث اللاتي توجت أمهاتهن وشقيقاتهن، ولعبات رياضيات يحاولن تدعيم سيرهن الذاتية التي ستُقدّم إلى الجامعات. وطاوله المرح، التي تتألف من أي شخص يحظى بدورٍ في مباريات كرة القدم عدا اللعب بالكرة. وسنجد فتيات المسرح والجوقة بالطبع. جميعهن يرتدين الفساتين، فساتين عيد الفصح مثلاً. فساتين قصيرة مُغطاة بالزهور وسُترات صوفية كما اتفق. أما أنا فلم أكن أردي شيئاً يزيد على سروال من الجينز وقميص رياضيّ. مكتبة ياسين

التفتُ إلى أماندا وميلي من خلفي وحاولتُ أن أُنحهما ابتسامة تشجيع لا تقول: «ليس لدي فكرة عما سأفعله، أشعر وكأنني أقف عارية هنا». احتضنت إيل يدي وربّنت عليها قائلة: «هيا بنا».

شقنا طريقنا من بين الطاولات وحين اقتربنا من مُقدمة القاعة، خيم صمتٌ على الغرفة حتى استحالت الأصوات من حولنا إلى أزيز تساؤلات خافت. وعند مكتب التسجيل جلست اثنتان من ملكات الجمال السابقات، وهما: جوديث كلاوسون ومالوري بوكلي. لم يُسمح سوى للفائزات السابقات بالتاج بالمشاركة في المسابقة بصفتهم أعضاء في لجنة التخطيط. كانت جوديث تكبر مالوري بعشرين عاماً على الأقل، غير أن ابتسامتين برّاقتين قد زينتا ثغريهما مثلما تزين الدبابيس التاجية سُتراتهن الصوفية.

- مرحباً. لقد أتيتُ من أجل التسجيل.

ابتسمت كلتا المرأتين بشفاهٍ مُطبقة. وهمست جوديث في أذن مالوري بشيء حملها على النهوض من مقعدها: «اعذروني للحظة».

تفحّصت جوديث نموذج التقديم الخاص بي وقالت: «سنحتاج إلى الموافقة على موهبتك قبل الأسبوع الأول من نوفمبر».

- صحيح، بالتأكيد.

كانت عيناها تنتقلان بين النموذج وبينني حين وصلت إلى البيانات التي سردتها بشأن وزني وطولي، ثم أضافت: «سأحتاج إلى توقيع والدتك يا عزيزتي».

- ويلودين!

وكانَ القدر قد هَيَّأَ تلكَ اللحظةَ المناسبةَ، جذبت أُمِّي مرفقي حين هرولت مالوري بجانبها لتستعيد عرشها أمام الطاولة. اختلت بي أُمِّي في إحدى الزوايا بعدما عبرنا مجموعةً من الأبواب الفرنسية. كنتُ أشاهد عبر الزجاج أماندا وميلي تُقدِّمان نماذج التقديم الخاصة بهما. وانتابني حينها هذا الدافع للعودة إليهما ومساندتهما، وشعرتُ كما لو أنني قد تخلّيتُ عنهما حين دلفتُ مع أُمِّي عبر تلك الأبواب. ومن ورائهما وقفت إيلين ورفعت إليَّ إبهامها في تأكيدٍ على أن الأمر يسير على ما يُرام.

- ماذا تعتقدين أنكِ فاعلة هنا؟

كان هذا صوت أُمِّي بهمسٍ حادة. فاعتدلتُ في وقفتي حتى استقام ظهري وارتكزت قبضتاي على جانبيَّ ثم أجبتُها: «أتقدم لأنافس في المسابقة».

- هذه ليست مزحة.

فقلتُ: «وهل ترينني أضحك؟».

- ومن هؤلاء الفتيات برفقتكِ؟

- أجل، إنهن صديقاتي. ويُردن المشاركة في المسابقة أيضًا.

كظمت أُمِّي نبرة صوتها الحادة واستطردت: «هل هذا نوعٌ من الحيل لجذب الانتباه؟ هل تحاولين الانتقام مني في شيء؟».

كان صوتها يرتفع مع كل كلمة، فكان الجواب بنظرات التحدي في عينيَّ اللتين التقتا عينيها. لم أكن راغبةً في كسر هذا التواصل البصريَّ بيننا، غير أنني شعرتُ بأن أعين جميع من في قاعة التسجيل مُسلَّطة علينا.

- حقًا! هل هذه هي الأسئلة التي تطرحينها على كل المتسابقات؟ لم أرها في نموذج التقديم.

حين أنهيتُ كلماتي صوّبت أُمِّي نحو وجهي إصبعًا مطلية بلون لؤلؤة وردية، وتابعت بنبرة حانقة: «لا تفعلي ذلك. لا تُقحمي هؤلاء الفتيات المسكينات في مشكلاتنا. هذه المسابقة ليست مزحة متاحة لك لتجعلني مني عبرة».

- ولماذا يجب أن يكون ما تقولينه هو حقيقة الأمر؟ لماذا تفترضين شيئاً وتُصدِّقينه يا أمي؟ لم لا يمكنني المشاركة في المسابقة دون أن يكون تصرفي مزحة أو انتقاماً؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها وزمّت بشفتيها في تفكير، ثم أردفت: «لا يمكنك المشاركة ما لم أوقع بالموافقة».

كنتُ أعلم أن الأمر سيؤول معها إلى هذا الحد، فأجبتها: «ولماذا لن تُوقَّعي؟».

هدأ صوتها قليلاً حين أفصحت: «إلى جانب حقيقة أنني لست واثقة من نياتك الطيبة؟».

توقفت هنيهة لعقت فيها إبهامها ومسحت بها بقعة على قميصي أعلى صدري. ثم تابعت: «لا أريدك أن تُخرجني نفسك».

انفجرت شفتاي على استعدادٍ لتُفجّر جواباً، حين استكملت حديثها: «بالإضافة إلى أنه ليس من العدل أن تُعرّضي تلك الفتيات إلى هذا الحرج أيضاً. سيتعرضن للسخرية، دمبلين».

كان هذا اللقب ينخر في عظامي بطريقة لم أرها تؤثر فيّ من قبل. كان هناك الكثير من الردود لأقذف بها، لكنني آثرتُ إصابة لب الأمر على الفور، فنطقتُ بنبرة قاطعة جعلت جفاف فمي يتفاقم: «أمي، لو لم تُوقَّعي على تلك الورقة، فأنتِ تقولين إنني لا أتمتع بصفاتٍ جيدة تكفي للمشاركة... إن كل فتاة تقريباً في تلك الغرفة الآن هي أجمل مني وأجدر مني استحقاقاً. هذا هو بالضبط ما تقولينه الآن».

أطبق صمّت طويلاً علينا.

\*\*\*

لم تحثني أمي من قبل على المشاركة في المسابقة. وأتذكر جلستنا في المطبخ برفقة إيل أحد أيام الصيف الذي يسبق عامنا الثانويّ الأول، كنا نُزين تقويمنا اليوميّ الجديد عندما ركضتُ إلى الطابق العلويّ لأجلب المزيد من أقلام التلوين. وحين عدتُ إلى الطابق السفليّ، تسمّر جسدي وقد خيمت عليّ ظلال الردهة إذ سمعتُ أمي تُوجه حديثها إلى إيل قائلة: «تعلمين، عزيزتي،

ربما عليك التفكير بشأن المشاركة في مسابقة الجمال عندما تبلغين الخامسة عشرة».

عارضتها إيل بشدة ولم تُلَقِ بالآ بما اقترحته أمي. أما أنا فانتظرتُ عدة ثوانٍ قبل أن أعود لأجلس إلى طاولة المطبخ. جعلني ذاك اليوم تحديدًا أدرك للمرة الأولى أن المعتقد الذي ينحله والداك لا يتناسب معك بالضرورة.

\*\*\*

راقبتُ أمي منتظرةً انهيار حصونها المنيع، حين قالت أخيرًا بعد سكتةٍ طويلة: «حسنًا. لكن إياك أن تتوقعي أي معاملة خاصة أو مساعدات».

اتسعت عينا إيل وهي تراقب عبورنا خلال الباب، وقرأتُ التساؤلات في عينيها. فأومأتُ لها باقتضاب. وحين تطلعتُ إلى جانبي كانت أمي قد سارت متجاوزةً إياي نحو الطاولة وطبعت توقيعًا باسمها على نموذج التقديم خاصتي.

\*\*\*

## الفصل الثلاثون

جلستُ إلى إحدى الطاولات برفقة إيلين وميلي وأماندا بينما وقفت أُمي أمام مكتب التسجيل وقد صَفَّقت بيديها لتجذب انتباه الحضور ليُخيم الصمت على أرجاء القاعة.

تنحنحت وقالت بصوتٍ جهوريٍّ واضح: «مرحبًا بَكُنْ يا أنساتي. إنكن على وشك الشروع في طريقٍ قد اجتازتها الكثيرات من قبلكن وستجتازها الكثيرات من بعدكن أيضًا. مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت لمدينة كلوفر...».

قاطعتها صرير الباب الثقيل في مؤخرة الغرفة، والتفتت جميع الرؤوس -بما فيها رأسي- لنرى القادم.

- هل تأخرتُ كثيرًا عن التسجيل؟

كان هذا صوتُ هانا بريز، صوتها الرخيم الهادئ. فغر فاهي دهشةً، وكذلك فعل الجميع.

في تلك الأثناء، أسرعَت المرأة الأصغر سنًا التي كانت تجلس إلى مكتب التسجيل نحو هانا وببيدها حافظة الورق. ألقت نظرةً مُتفحصة على أوراقها ثم أمرتها باتخاذ مقعدٍ لتنضم إلى الحضور. فجلست هانا بمفردها إلى طاولة شاغرة.

تنحنحت أُمي مجددًا وقالت: «واحد. اثنان. ثلاثة. انتبهن إليَّ».

وصممت هنيهة قبل أن تستأنف حديثها: «كما كنتُ أقول، إن مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت هي تقليد عزيز يحفه تراث حافل. فقد واصل حَمَلة

اللقب السابقات طريقهن حتى صارت منهن رائدات أعمال واختصاصيات وأمهات وزوجات محبوبات. حتى إن مأمورة البلدة واحدة منا كذلك».

ثم تابعت تسرد منشأ المسابقة وكيف خدمت شعلتها في أثناء الحرب العالمية الثانية قبل أن تستأنف تاريخها مجددًا وتتوقف عند اغتيال جون كينيدي.

لم أرَ أُمِّي من قبل تتولى زمام مَنْ في قاعةٍ ما مثلما هي الآن. أراها تقف مستقيمة الظهر تتحدث بصوتها الذي يقع في نفوسنا موقع القادة. لقد خلقت بملكة القبول. غير أن أشد ما أدهشني هو مدى تأثر الجميع بها، حتى الفتيات على طاولتي. فهنا في تلك البقعة، في خيمتها، هي ليست أُمِّي. بل هي روزي ديكسون، ملكة جمال المراهقات بلبونيت لمدينة كلوفر سيتي عام 1997. هنا تحظى بالسلطة الملكية. فلتُحيُوا جميعًا الملكة.

- والآن، إذا لم تُحددن مواهبكن من قبل، فما زال أمامكن حتى الأسبوع الأول من نوفمبر لإعلامنا. ولا تنسَيْن القاعدة: يجب أن تكون مواهبكن مهذبة لتحظى بموافقة المجلس. ولذلك وقرن الإثارة، مفهوم؟ ويجب أيضًا أن تعرضن زيكن الرسمي وثياب السباحة وملابس عروض المواهب لتحظى بالموافقة أو الرفض قبل يوم الأربعاء الذي يسبق المسابقة.

انتظرت بعض إيماءات الموافقة من مستمعيها، ثم استطردت: «رائع! أود أيضًا أن أقدم لَكُنَّ مُساعدتي لهذا العام. هذه السيدة جوديث كلاوسون، ملكة جمال المراهقات بلبونيت عام 1979».

نهضت السيدة الأكبر سنًا عن مجلسها، وانحنيت في تحية للحضور.

- وهذه السيدة مالوري بوكلي، ملكة جمال المراهقات بلبونيت عام 2008.

وصمتت قليلًا لتصخب آذاننا بتصفيق الحضور. ثم تابعت: «موافقة من هاتين السيدتين تعني موافقةً مني أنا شخصيًا. ورفضٌ منهما يعني رفضًا مني بالقطع».

تجوّلت السيدتان عبر الغرفة ومنحتا كل فتاةٍ مُجلدًا باللون الوردِيّ الصاحب يحمل شعار الذكرى السنوية الواحدة والثمانين لمسابقة ملكة جمال المراهقات بلبونيت، مطبوعًا على الواجهة بحروفٍ ذهبية.

- تطلَّعنَ من حولكُنَّ هنيئَةً.

وصممتَ لتمنحنا الفرصة حتى نُحدِّقَ إلى بعضنا بعضاً.

- على أحد مقاعد هذه القاعة تجلس ملكة جمال بلوبونيت القادمة. الأخبار السيئة هي أن فتاة شابة واحدة فحسب سترتدي التاج هذا العام، غير أن الأخبار الجيدة هي أنها تجلس بيننا الآن. ستلاحظن أن العام الحالي يُمثل الذكرى السنوية الواحدة والثمانين لمسابقتنا. ولذلك فقد أعدنا مفاجآت رائعة لكن جميعاً، من بينها عرض راقص رائع لأجل حفل الافتتاح...

غمغمت أماندا مُقاطعةً سيل الحديث في رأسي: «لم يقل أحد شيئاً بشأن أي عرض راقص».

على الجانب الآخر تابعت أُمي: «ووعد بظهور ترتيبك على الصفحة الأولى لجريدة كلوفر سيتي ترايبون».

في الوقت ذاته كانت مالوري.. (يا إلهي تبدو شابة يافعة لا أستطيع حمل نفسي على مناداتها بالسيدة بوكلي) وصلت في جولاتها إلى طاولتنا، ومنحتنا جميعاً تلك المجلدات. ومن بيننا إيل أيضاً.

فهمستُ لها: «مهلاً، إنها لم تتقدم إلى المسابقة. بل حاضرة معنا للدعم المعنوي».

ابتسمت إليّ مالوري بشعرها الكستنائي الذي التفَّ حول نفسه في سلاسل متقاربة، كما لو أنني كنتُ أتحادث إليها بلغة أجنبية، ثم منحت إيل مُجلداً في نهاية الأمر.

فهمستُ: «إيلين!».

استدارت في كرسيها دون أن تحركه وفتحت المجلد بينما كانت تُمرر أصابعها بين الصفحات. ثم أجابت: «نعم؟».

كانت أُمي لا تزال تُثرثر عن المسابقة، حين انحنيتُ بجذعي نحو إيل. وقلتُ: «كان هذا غريباً، أليس كذلك؟».

- ماذا تقصدين؟

فأجبتُ: «ما فعلته مالوري الآن».

همست هي الأخرى متسائلة: «ما الغريب فيما فعلته؟».

كانت لا تزال تُقَلِّب الأوراق في المُجلد. اتسعت عيناها في دهشة وصحت: «لقد اشتركت في المسابقة».

- أليس هذا ما جئنا إلى هنا لأجله؟

قاطعتنا أمي حين رنَّ صوتها مُلقياً بكلماتها الأخيرة: «شكراً لكُنْ، أنساتي! لا تترددن في الاختلاط وتبادل الحديث مع بعضكن بعضاً. ولا تنسين: أنتن الوحيدتان اللاتي بإمكانكن خلق الصداقة من رحم المنافسة الشريفة. لقد انتهينا، وستجدن طاولة المشروبات عند الحائط الخلفي هناك، تترأسها بالطبع كؤوس الشاي المحلي الشهير خاصتي».

تردد التصفيق من أرجاء القاعة في أذني، غير أنني لم أكن بحالة تسمح لي بالانتباه، فوجَّهت حديثي إلى إيل: «لا يمكنكِ المشاركة في المسابقة. لم يكن هذا جزءاً من الخطة».

تحرك الجميع من حولنا إلى الغرفة الخلفية وانشغلوا بما سيلقونه هناك، وحينها لم تعد إيلين تهمس: «ما الذي تتحدثين عنه؟ هذا بالضبط كل ما كنا نتحدث عنه طوال أيام».

فأجبتها: «لا بد أنكِ تمزحين».

- لم؟ لماذا ترين ما فعلته مشكلة؟

- أنت... يمكنكِ الفوز فعلاً. ولكننا لم نأتِ إلى هنا حُلماً بالفوز. هذا ليس مُرادنا.

كان بإمكانني أن أسمع كلماتي وأدرك مدى حماقتي وسخفي في تلك اللحظة.

- هل تمازحينني الآن؟

لم أدري ماذا أقول، فلم يكن ثمة ما يقال حقاً.

- هل فكرتِ في حقيقة شعوري بأنني أيضاً لا أنتمي إلى هذا المكان مثلكِ تماماً؟

فأجبتها دون تفكير: «عليكِ التراجع. إيل، افعلي هذا من أجلي. دعيني أخوض هذا الأمر وحدي».

- ماذا؟ أدعكِ تخوضين ماذا؟ لا يمكنكِ أن تنتقي من ينضم إلى الثورة ومن لا يفعل.

ورفعت يديها راسمةً علامتي تنصيصٍ في الهواء حين نطقت بكلمة «ثورة».

استشعرتُ المنطق في حديثها. وأدركتُ الحقيقة فيما قالتها. غير أنه إذا شاركت إيل في المسابقة، فهناك فرصة لفوزها بالفعل. ولهذا أخشى أن ما فعلته قد يُفسد عليَّ الأمر برُمته.

أتذكر تلك الليلة -منذ عامين- حين كنا نجلس إلى طاولة المطبخ وتظاهرتُ أنني لم أسمع شيئاً مما قالتها أُمي لها بشأن المشاركة في المسابقة. لم يكن من المفترض أن تعني لي تلك اللحظة شيئاً، لكنها تركت أثرها. لقد كانت لحظة احتفظتُ بها في أعماقي، وباتت الآن هي كل ما أشهده أمام عيني. تتكرر الأحداث في ذهني مثل فيلم صور متتابعة. إنها أُمي أنا. تسكن في غرفة يفصلها عن غرفتي ردهة قصيرة، وطوال كل هذا الوقت، لم تُقدِّم لي قط دعوة للمشاركة في المسابقة.

أعتقد أنني أستحق إثارة نفسي هذه المرة. أستحق أن أفعل شيئاً من أجلي أنا فحسب. قلتُ: «أنتِ تملكين كل شيء بالفعل».

والدان مثاليان... وظيفة رائعة... صديق حميم مناسب.  
- دعيني على الأقل أحظى بهذه الفرصة.

هزت إيل رأسها في غير تصديق، ثم أجابتني: «هذا ليس عدلاً. لا يمكنك أن تُحمِّليني مسؤولية هذا. ربما كانت كالي على حق، ربما شَبنا وتغير مسار كلتينا عن بعضنا بعضاً. وصرنا نُسلسل بعضنا بعضاً فلا نرتقي من مواقعنا. لقد فوّت الكثير من الفرص من أجلك. ولا أُصدق أنك ستفكرين حتى في طلب شيء كهذا مني، تطلبين مني عدم المشاركة!».

احتشد كل ما شعرتُ به من أسى وقسوة طوال الشهور القليلة الماضية واستحالت معاً إلى نوبة غضب عارمة. أتقول حقاً نُسلسل بعضنا بعضاً؟

- كالي؟ حقاً؟ لا أُصدق أنك قد تحدثتِ معها بشأننا. أعذر لكوني لستُ الصديقة الطائشة التي تجلس بجواركِ وتخبركِ عن مدى روعتكِ ومثاليّتكِ، حسناً؟ واصلِي حديثكِ وانطقي بما تعنيه. إننا لا نُسلسل بعضنا بعضاً. بل «أنا» مَنْ يُسلسلِكِ «أنتِ»، أليس هذا صحيحاً؟

لم تَجِر جواباً وظلت صامتة على حالها، فتابعْتُ اندفاعي وغضبي: «لستُ ظلكِ أو مُساعدتكِ اللعينة ولستُ صديقتكِ المُقرَّبة المرحّة».

اتخذتُ خطوةً واحدةً مُقلصةً المسافة بيننا، ثم قلتُ: « إيل، كل ما أفعله في هذه المسابقة هو من أجلي أنا، وسأجعل من هذا الأمر ما يدور حولي أنا». استحال وجهها إلى حُمرة الغضب القاسية، وقذفت بكلماتها على الفور: «ويل، أنتِ صديقة حمقاء، وقد سئمتُ تضييع وقتي معكِ. لن أراجع عن المشاركة في المسابقة».

ثم غادرت.

\*\*\*

## الفصل الحادي والثلاثون

حين التقينا يوم الاثنين، تجاهلتنني إيلين، وكنتُ أستحق ذلك، وتوقعتُ وقوعه. كانت كلتانا سريعة الغضب، غير أن إيلين كانت دائماً على استعداد لمغفرة كل شيء. وبات شيئاً أُعوّل عليه. ولكن حين مرّت العطلة الأسبوعية دون رسالة منها، وحين لم يُخاطبني تيم يوم الخميس هو الآخر، استحالت الغُصة في حلقي إلى نوبة هلع أصابتني.

قررتُ اليوم أن أتحدث إليها. لا أدري حتى مَنْ منا على صواب ومَنْ على خطأ، لكنني لستُ مستعدةٌ لخوض تلك التجربة دونها. التقيتُها في الردهة بعد الفترة الثانية. ورددتُ في قرارة نفسي أن كل شيء سيكون على ما يُرام. فدائماً ما كنا مثل زوجين قد مرّ على زواجهما وقتٌ طويل حتى إنهما لا يتذكran ما كانا يتشاجران بشأنه لبدء الحديث عنه.

- مرحباً إيلين! مهلاً.

توقفت ثم استدارت نحوي. كان جسدها بأكمله مضطرباً ومنغلقاً على نفسه. حاولتُ أن أظهار بأن شيئاً لم يكن، فسألتها: «ما الذي سأفعله بشأن موهبتي؟».

انفجرت شفتاها فتسارعت دقات قلبي مرتطمةً بعظام صدري وأنا أنتظرها لتقول شيئاً. غير أنها بعد وهلة هزت رأسها في غير تصديق ثم سارت مبتعدة.

اندفعت كالي بجانبني ورمقتني بنظرة احتقار، قبل أن تركض خلف صديقتي المُقرّبة تناديهما: «إيل-بيل!».

تراكمت العبراتُ في عينيَّ طوال اليوم تنتظر وقتها المناسب لتندفع مُغرقةً وجنتيَّ. غادرتُ المدرسةَ بأسرع ما يمكنني. وكانت أُمي قد قررت السماح لي باستعارة سيارتها للذهاب والعودة إلى المدرسة ما دمتُ أوصلها كل صباح إلى عملها. وفي اللحظة التي خرجت فيها من ساحة انتظار السيارات، اندفعت الدمعات المتراكمة تنهمر على وجنتيَّ في غزارة... ثقيلة... مُشبَّعة بالألم. وبدت مثل وابلٍ من الأمطار الجارحة ترتطم على الزجاج الأماميَّ.

كان من المفترض لها أن تتفهم. من بين جميع الناس كانت هي مَنْ ستفهم الأمر. انجرفتُ بالسيارة إلى إشارة مرور وأغلقتُ عينيَّ هنيهة، غير أنني لم أرَ ظلاماً بل كان الشيء الوحيد الذي رأيته هو ذلك اليوم حين كنا في عمر الرابعة عشرة. أعلم أن ما حدث كان أنانياً وخاطئاً. لكنني لستُ مثالية ولا هي أيضاً. فعندما تُحب أحدهم بملء قلبك، ستتقبل جميع عيوبه. وستُضحى بالكثير حتى تحافظ على سلامته النفسية. أحتاج منها أن تحافظ على سلامتي النفسية... أحتاج منها أن تُضحى بهذا الأمر من أجلي.

اندلع صريخ الأبواق من خلفي مُذكِّراً إياي أنني خلف عجلة قيادة من المفترض لها أن تقود ثلاثة آلاف رطلٍ من الكُتل المعدنية الضخمة، فتحرَّكتُ وواصلتُ طريقي إلى المنزل. دلفتُ إلى ممر السيارة وأسكنتها. كان لا يزال أمامي ساعتان قبل أن أضطر إلى اصطحاب أُمي من عملها.

جذبتُ مرآة الرؤية الخلفية نحوي قليلاً ومسحتُ عينيَّ. كانت أُمي ستقول إذا رأتنِي في هذه الحالة: «امسحي عن عينيكَ دمعاتها، ما يزيدكِ البكاء سوى انتفاخ العينين».

ترجلتُ من السيارة، غير أنني توقفتُ في موضعي وكانت يدي لا تزال قابضةً على مقبض الباب.

- ما الذي تفعله هنا؟

كان ميتش يقف عند مفترق الرصيف حيث يلتقي الشارع بممر السيارة، يرتدي سروالاً من الجينز قد حُشر ما يقارب من نصفه داخل حذائه ذي الرقبة، وكانت قُبعة البيسبول خاصته قد اتسعت خيوطها وتلطخت ببُقعٍ من العرق. أجاب ميتش: «لقد رأيته تبكين».

صفعتُ باب السيارة، ثم قلتُ: «إذن فقد تبعتنِي إلى هنا؟».

استحالت وجنتاه إلى حُمرَة الخجل، فقال مُجيبًا: «لأطمئن أنك بخير. ليس لأثير فيك الريبة».

- صحيح.

علَّقتُ حقيبة ظهري على إحدى كتفَيَّ، وتابعتُ: «حسنًا، أنا بخير».

أدركتُ في تلك اللحظة أنه خارج نطاق محادثتنا البسيطة المُربِكة، لم يجمع بيننا حديث منذ تلك الحادثة التي وقعت في ردهة الصفوف. وتذكرتُ أنني أدين له باعتذار.

استطردتُ سائلةً: «ألسَتَ من المفترض أن تكون الآن في تدريبك اليومي؟».

رفع كتفيه في غير اكتراث، فقلتُ: «حسنًا، تفضل».

تبعني ميتش عبر الباحة الخلفية، وطلبتُ منه أن يجلس على أحد مقاعد الحديقة الصدئة. سألتُه: «هل ترغب في بعض شاي الخوخ؟».

خلع قبعته ليكشف عن شعر أشعث وبأكمام ساعده القصيرة مسح قطرات العرق التي غطت جبهته. ثم أجاب: «بالتأكيد».

دلفتُ إلى المطبخ من الباب الخلفي وألقيتُ بحقيبتَي على الطاولة ثم صببتُ لكلِّ منا كوبًا من الشاي. لقد كنا في هذا الوقت من العام حيث يمكنك أن تختبر الفصول الأربعة جميعها في يوم واحد. أعتقد أن معظم الناس يُطلقون على هذا الوقت من العام فصل الخريف، لكن في الجنوب يكون المناخُ خليطًا مُتمرّدًا من فصول الشتاء-الربيع-الصيف-الخريف معًا في آن واحد. بغض النظر عن أن مشروب الشاي المُثلج هو أشهى المشروبات على مدار العام.

جلستُ على الكرسي المقابل له ومددتُ له يدي بأحد الكوبين، ثم قلتُ: «إنه الشاي المفضل لأمي، أما وصفته فهي لجدي».

- شكرًا لك.

ارتشفنا منه بضعة رشفاتٍ قبل أن أستاذف الحديث قائلةً: «أعذر لك عما حدث ذلك اليوم في الردهة. عندما قال أحدهم شيئًا بشأن مواعدتنا».

- لا عليك.

فرك أصابعه على امتداد رقبتَه من أعلى إلى أسفل. أعتقد أن كل فتاة لها إيماءة مفضلة... إيماءة يُلقِيها الشاب في غير اكتراث لكنها تُذيب قلبها. فيما

يتعلق بإيل، كانت يدي تيم. أما أنا، فقد كانت البقعة التي يتلاقى فيها خط الشعر مع الرقبة. كم أحب ذاك الشعور حين ألامس بأطراف أناملتي جذور شعره الحليق. وحين أقول هو، أقصد بوو وقلادته الفضية الرقيقة التي تتسلل من حافة ياقته، لأن بوو هو فتاي الوحيد. عدا أنه الآن لم يعد كذلك.

تابع ميتش قائلاً: «لا أدري لماذا يضطر الناس إلى الخروج في مواعيد رومانسية. فإن أطلقنا عليها نزهة لقضاء بعض الوقت أو شيئاً من هذا القبيل، فلن يُضفي الأمر المزيد من الضغط عليهم. لكن حين تقول موعداً رومانسياً، يا إلهي، يبدو وكأنه حدثٌ ضخّم تتطلع إليه».

- أجل، هو كذلك.

إذا وضعنا موعدنا الأول السيئ جانباً، يمكنني القول إن ثمة شيئاً مُطمئناً حيال ميتش. يبدو وكأنه من هذا النوع من الأشخاص الذي لست مضطراً إلى أن تطلب منه البقاء لأنه ربما لن يغادرك أبداً. مددتُ يدي إلى أسفل واقتطفْتُ زهرةً من حوض أزهار أُمي ومسدتُها بين أصابعي حتى ارتخت في راحة يدي.

استأنفتُ قائلةً دون أن أطلع إليه: «لقد شاركتُ في مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت».

حينها أجابني قائلاً: «أتعلمين، إن حاولتِ السماح للبسمة أن تغزو شفَتَيْكِ، ربما تفوزين باللقب».

لكزته في كتفيه قبل أن أسأله: «ألا تعتقد أن هذا مُحرج؟».

- تقصدين مشاركتكِ؟

ندت شفاته عن ابتسامةٍ عفوية، ثم تابع: «ولماذا أعتقد ذلك؟».

- لا أدري. أعتقد أنني لستُ ملكة جمال بهذا القدر.

فقال: «حسناً، من وجهة نظري المحدودة لا يُدهشني الأمر مطلقاً، ولكن إن سألتني عن رأيي، فأرى أنكِ تملكين مؤهلات تفوق تلك المسابقة».

لفحت حرارةُ الخجل وجهي: «شكراً لك».

- أرغب في أن نكون أصدقاء.

كنتُ بحاجةٍ إلى صديق، حاجةٌ ماسةٍ إلى صديق حقاً. لذلك أجبتُهُ: «وأنا أرغب في ذلك أيضاً».

نهضتُ عن مقعدي، فاجترع ميتش ما تبقى من كوب الشاي مرةً واحدة، ونهض هو الآخر وقد دسَّ يديه في جيوب سرواله، وقال: «ينبغي لي أن ألحق بالتدريب».

فبادرته قائلةً: «يوم السبت هو عُطلتي الأسبوعية من العمل. دعنا نقضي بعض الوقت معًا».

- حسنًا. وأيًا كان ما حملكِ على البكاء، فأنا أعتذر لكِ عما حدث. انتظرتُه أن يسألني عما حدث، لكنه أثر ألا يفعل، وقد زاد هذا من إعجابي به.

\*\*\*

## الفصل الثاني والثلاثون

جلستُ برفقة أماندا وهانا إلى طاولة مقصورة صغيرة في مؤخرة مطعم فرينشيز، وجلست ميلي إلى الطرف الآخر من الطاولة على كرسيٍّ منفرد. وبعدما تهيأت جلستنا، ألقت ميلي نظرةً خاطفةً على المقصورة التي كنا نجلس إليها وقالت: «حسنًا، يبدو هذا وكأننا داخل عصّارة برتقال».

عبست ابتسامة النادلة الواقفة أمامنا، غير أن ميلي لم تأبه لها وطلبت الحصول على كرسيٍّ آخر. حين أتذكر لوسي أدرك أن شيئًا كهذا كان سيمنعها من تناول الطعام في هذا المكان، لكن ميلي بدت غير منزعجة على الإطلاق. بعدما أملينا على النادلة طلباتنا، اتجهت إليهن سائلةً: «حسنًا إذن، هل فكرتن جميعًا في عرض المواهب؟».

أجابتنني أماندا: «ربما أرغب في اختيار شيءٍ ما يتعلق بكرة القدم الأمريكية... مم نوعٌ من الخُدع مثلًا».

وضربت الطاولة بساقيها ضربةً قويةً حتى اهتزت الطاولة بأكملها وما عليها. فقد كانت أماندا واحدةً من هؤلاء الأشخاص الذين يعجزون عن الجلوس في ثباتٍ وهدوء.

سألتهما: «هل تلعبين كرة القدم الأمريكية؟».

على الجانب الآخر كانت ميلي قد مالت بجذعها إلى الأمام حتى استندت بمرفقيها إلى الطاولة. لم أعتقد قط أن شخصًا يعاني من قدمين غير متوازنتين قد يكون شغوفًا بالرياضة مثلما هو الحال مع أماندا.

- حسنًا إذن الحقيقة هي أنني لا أَلعب في فريق. لكنني أركل الكرة برفقة أشقائي في الباحة.

منحتها ميلي ابتسامة مُشجعة ثم قالت: «لا أرى مانعًا يمنعك عن فعل ذلك. أتذكر منذ بضع سنوات أن شقيقة لاسي ساندرز قد أجرت عرض الإسعافات الأولية في عرض المواهب».

عادت هانا بظهرها إلى الخلف وعقدت ذراعيها إلى صدرها. كانت غُرة شعرها قد ازدادت طولًا حتى لامست رموش عينيها، فلم يبدُ منها سوى شعرات كثيفة وفم، وبدت إلينا مثل شعرٍ مستعارٍ مُتكلم.

قالت: «ربما عليّ أنا أن أرتدي مثل حصانٍ وأخبو على المسرح لخمس دقائق».

استدارت ميلي نحوي، وكانت في نظري مُزعجةً في كل شيء عدا ابتسامتها، ثم سألت: «وماذا عنكِ أنتِ؟». فأجبتها: «لا أدري بعد».

الحقيقة هي أنني لم ألتزم بدروس الرقص أو العزف على الكمان أو أي نوع من الرياضة المنتظمة. وأرى أن مواهبي تتكون من مشاهدتي للتلفاز وكوني صديقة إيل المُقرَّبة وإطلاق تنهيدات تأفف عديدة، وحفظي لكلمات جميع أغنيات دوللي بارتون تقريبًا عن ظهر قلب.

خرجتُ من شرودي وتابعتُ: «لكننا بحاجةٍ إلى تحديد أشياء أخرى مثل الفساتين ولوازم الاستعداد لمرحلة المقابلة الشخصية أيضًا».

قالت هانا: «لن أنفق المزيد من المال على هذا الهراء. وسأرتدي ثيابًا من الجينز في تلك المقابلة إن اضطررتُ إلى ذلك».

قالت ميلي: «ربما يمكننا أن نصنع فساتيننا بأنفسنا».

علت نبرةً صوتها تدريجيًا لتصل إلى أوجها حتى كادت أحوالها الصوتية تتصدع.

لم تُجرِ هانا جوابًا. كان من الصعب عليّ أن أنظر إليها دون أن أتساءل عن مقدار ما عرفته حقًا من محادثتي مع بوو ذلك اليوم في دورة مياه الفتيات. لم نَزِد على قول بضع كلمات مقتضبة لبعضنا بعضًا، والأهم هو أنها تعلم سرًّا عظيمًا لم أخبر به صديقتي المُقرَّبة حتى.

سألت أماندا قاطعةً حدود الصمت: «إذن ما الذي نحتاج إلى معرفته؟».

كانت تلوك بين شفتيها حفنة من خصلات شعرها حين تابعت: «أعني في المرة الماضية كانت جميع الفتيات متأنقات وبدونا مثل زمرة من الحمقى الأغبياء. وكانت طاولتنا أشبه بطاولة الهواة».

تسلّمتُ دفة الحديث وقلتُ: «حسنًا، أماندا الفستان والموهبة والمقابلة الشخصية. أعني أنه ليس هناك ما هو أكثر من ذلك. والمغزى من الأمر برُمته هو أن نقف على الساحة متأنقين دون أن نسقط على وجوهنا ونجعل الأمر كما لو أن رموشنا الصناعية لا تُوخز مقلتي أعيننا. مهلاً، هناك ثياب السباحة أيضًا. علينا أن نفكر في هذه».

حين تطلعتُ إليهن، كانت ميلي تمضغ الجلد الزائد حول ظفرها في توتر. أما هانا فقد عقدت ذراعيها مرةً أخرى ومددت عضلات جسدها لتشغل حيزًا أكبر من المساحة التي شغلتها أماندا من المقصورة. ثم نطقت أخيرًا: «لقد انتهى أمرنا. إن والدتك تُدير المسابقة بأكملها وهذا كل ما نحصل عليه؟».

- ليس الأمر وكأنني إحدى عاشقات المسابقة، اتفقنا؟ لم أُعر الأمر بأكمله أي اهتمام حتى الأسبوع الماضي. أعذر لك إن كان هذا أمرًا تشعرين بعجزك عن فعله، لكن الألوان قد فات الآن يا عزيزتي.

أصدرت ميلي صوت رشقاتٍ طويلة وهي تُنهي قنينتها من المياه الغازية، ثم قالت: «حسنًا، ممم، ويل، إن لم تُمانعي، لدي بعض الأمور لأُضيفها».

وضعت قنينة المياه الغازية على الطاولة واعتدلت في جلستها حتى استقام ظهرها، وأضافت: «إن مسابقات الجمال لا تقتصر على الفساتين والمواهب فحسب. بل هناك ما هو أكثر أهمية من ذلك، إنها تدور حول براعة الأداء. أو حُب الظهور وفنون الاستعراض حين يتعلق الأمر بالفتيات. والفخر والكبرياء أيضًا. ولذلك تميل الكثير من الفائزات بمسابقات الجمال إلى تبني فعل أمور عظيمة. انظرن مثلًا إلى الأنسة هيزل... إنها مُضيفة البرامج الحوارية في إذاعة الراديو المحلية لمدينتنا... والطبيبة سانتوس. إن الأمر يدور حول الصورة الكاملة للفتاة».

كانت تلك اللحظة التي أصابتنني فيها الصدمة للمرة الثانية. إن ميلي واقعةٌ تحت تأثير هذا الشيء. ولم يعد الأمر مجرد مزحة بالنسبة إليها، بل صار أمرًا واقعيًا.

تابعت ميلي في اقتناع دائم وقيادة: «ليس منا من هي المتنافسة المثالية. وأعتقد أننا جميعًا نتفق على ذلك. لذلك فالهدف هو العمل على نقاط قوتنا. لا أقصد المديح في نفسي، ولكنني أعتقد أنني واثقة من نجاحي في المقابلة الشخصية. أما أنتِ أماندا، فعندما تنتعلين أحذيتكِ التصحيحية، تصير مهارتك الكروية مُذهلة».

كدتُ أحبس أنفاسي منتظرة إياها لتصل إلى دوري حتى تُعيد إلى ناظرِي بعضًا مما غفلتُ عنه في شخصي وقدراتي.

- أما أنتِ هانا، فأرجو ألا تُسيئي فهم ما أقوله، ولكنني رأيتُك في ثوب السباحة، ويمكنني القول هنيئًا لكِ يا فتاة.

ارتعشت شفتا هانا وتكورتا في ابتسامةٍ مقتضبة، وأقسم إنه إن تمكنت ميلي من رسم ابتسامة على شفتي هانا، فهذا يُعد معجزة إلهية.

تابعت ميلي: «إذن مثلما قالوا في اللقاء التوجيهي، إنها الذكرى السنوية الواحدة والثمانون لمسابقة جمال المراهقات...».

فقاطعتها سائلة: «مهلاً! ماذا عن نقاط قوتي أنا؟».

ابتسمت ميلي ثم قالت: «ثقتكِ بنفسك، بالتأكيد».

شردتُ عن بقية الحديث تمامًا. كيف لها أن ترى شيئاً أعجزُ أنا عن رؤيته في نفسي؟ وما الطائل الذي سأجنيه إن تلبستُ بلباس الثقة بالنفس وأنا لا أشعر بذلك؟ لم أعتقد قط أنني أهتم لما أراه عندما أطلع إلى انعكاسي في المرآة. غير أن بوو قد أفسد تلك اللامبالاة. من المفترض أن يكون حُب المرء لنفسه أيسر وأعمق حينما يغمره حُب شخص آخر.

مُحالٌ أن يكون هذا الافتراض صحيحًا. لا يهم مقدار ما أخبر به نفسي كل ليلة: أن شحوم جسدي وعلامات تمدده لا تُحدد مصير أحدٍ، ففي النهاية هي أهم ما في الأمر. حتى لو أن بوو نفسه لا يهتم لأي سببٍ كان، فإنني أهتم. ثم تأتي تلك الأيام التي لا أبالي فيها بأي شيءٍ بتاتًا، وأشعر بالرضا التام عن جسدي ومظهري. فكيف لي أن أكون هاتين الفتاتين في الآن نفسه؟

انقطع شرودي حين سألت ميلي: «ويل! هل لديك أي شيء لتضيفه؟».

طرفت عيني مرة... مرتين. قبل أن أجيب: «كلا. لا، لا أعتقد ذلك».

انزلقت هانا مُغادرةً المقصورة، وقالت: «سأغادر».

ارتشفت أماندا قنينة المياه الغازية خاصتها حتى سمعنا بحيح قشة الشراب عاليًا. وقبل أن ينصرف الجمع، استدرتُ إلى الخلف وناديتُ باسم هانا، ثم سألتُها: «ما الذي حملك على تغيير رأيك؟ حينما سألتك ميلي لأول مرة، رفضتِ المشاركة، أليس كذلك؟».

استدارت مُجيبَةً: «يُنادونني بالمعتوهة غريبة الأطوار كل يوم. إذن ربما أجعل من غرابة أطواري استعراضًا أيضًا».

غمغمت أماندا بعدما ابتعدت هانا عنا بمسافةٍ آمنة تعجز معها عن سماع شيء: «خذوا الحقيقة من أفواه ذوات الأسنان الأرنبية».

ركلتها ميلي في ساقها من أسفل الطاولة، وقالت: «هذا لم يكن لطيفًا منك على الإطلاق».

فقالت أماندا: «حسنًا، ولم تكن هي أيضًا لطيفة».

\*\*\*

## الفصل الثالث والثلاثون

هذه المرة أخبرْتُ ميتش أن نلتقي في منزله إن أراد ذلك. وهكذا دعاني إلى مشاهدة فيلم معًا في منزله وأعتقد أنني توقعتُ خروج والديه في تلك الليلة.

وحينما فُتح الباب الأمامي، وجدتُ أمامي النسخة الأنثوية من ميتش ترتدي قميصًا بلون أصفر باهت تُزينه صورٌ لقطط مغزولة في نسيجه. هذه المرأة التي لا بد أن تكون والدة ميتش قد أَلقت بمنشفة الصحن على كتفها ومنحتني عناقًا سخياً.

- يا إلهي! لقد أخبرني ميتش أنك جميلة، لكنه لم يقل قط إنكِ رائعة الجمال!

حررتني من أحضانها هنيئةً قصيرة قبل أن تقبض على وجنتي ثم تجذبني من يدي إلى الداخل عبر الباب الأمامي. كان مدخل منزله ضيقًا ومُكدسًا حتى بات يُشبه عنق الزجاجة. لكن والدته لم تخطُ خطوةً أخرى إلى الداخل، بل قالت: «دعيني أُلقي نظرة على هذا الوجه الجميل».

ومرت بأناملها على وجنتي كما لو أنها تُكفكف عني دموعي.

- أُمي!

كان هذا نداء ميتش. فتراجعت والدته إلى الخلف ورأيتُ ميتش يقف بعيدًا في الردهة الضيقة، وقد كست وجنتيه حُمرَةً داكنة.

قلتُ: «مرحبًا».

- مرحبًا، ويل.

نظَّف ميتش حلقه، ثم تابع: «مم، أمي، سنصعد إلى الطابق العلويّ». أومأت والدته في إيجابٍ وقالت: «اتركا الباب مفتوحًا». - أمي، إننا أصدقاء!

ثم لَوَّح إليّ ميتش لأتبعه إلى الطابق العلويّ. فصاحت والدته من خلفنا: «بحق السماء، اتركا الباب مفتوحًا!».

حين دلفنا إلى غرفته، رأيته تتدلى من الأرفف المُعلقة عند مُقدمة فراش ميتش، كانت أكاليل أشرطة الزينة والأجراس التي حصلنا عليها في الصف الدراسي الأول وحفل العودة إلى الدراسة. دعوني أقر لكم باعتراف: أكاليل الأشرطة والأجراس هي واحدة من تلك الأمور التي تُميز مدن الجنوب، وحقيقة مشاعري نحوها هي أنني أحبها وأبغضها في الآن ذاته. وستجد أن أفضل أكاليل الأشرطة تلك هي المصنوعة يدويًا تزينها باقة عملاقة من زهرة الأقحوان الصناعية مُثبتة على قاعدة من الورق المُقوى وتتدلى منها جدائل عملاقة من أشرطة الزينة. وبما أنها قد صُممت تحديدًا من أجل حفل العودة إلى الدراسة، فكانت تُصنع بألوان تُماثل أعلام المدرسة وعادةً ما تحمل أشرطة الزينة حروفًا برّاقة لأشياء مختلفة، مثل اسمكِ واسم صديقكِ الحميم أو تميمة المدرسة خاصتك. واعتدنا أن تكون أكاليل الأشرطة تلك مُهيأة حتى تُثبتها الفتيات على قمصانهن، غير أنها مثل معظم الأشياء في تكساس، لم تزد إلا حجمًا. وباتت أكاليل الأشرطة والأجراس الآن ثقيلة للغاية حتى صار الجميع مضطرين إلى ارتدائها حول أعناقهم. أما الشبان -وبخاصة لاعبو كرة القدم مثل ميتش- فيرتدون نسخًا مُصغرةً منها حول أذرعهم. يبدو الأمر برُمته سخيْفًا ومثارًا للسخرية، ولكن بطريقة دوللي بارتون الخاصة، أي أنه أمرٌ سخيْف لكنك لا تهتم.

عُلِّقت على حوائط غرفته أيضًا مجموعة عشوائية من ملصقات ألعاب الفيديو، غير أن واحدًا منها فحسب قد علق في ذهني. كان جذع فتاةٍ يشغل معظم الملصق، وفي يدها تُمسك بمدفعٍ آليٍّ ومن خلفها قطيعٌ من الممسوخين. لُصق على ما كانت ترتديه أيا ما كان، فستانًا طويلًا إلى الركبة مصنوعًا من حقيبة خضراواتٍ ورقية. أشرتُ إلى الملصق وسألته: «ماذا حدث لها؟».

- آخ، أمي. إنها لعبتي المفضلة -أو على الأقل كانت المفضلة قبل أن تصدر تمتمتها- ودائمًا ما كرهت أمي هذا الملصق.

رفع بيديه الفستان المصنوع من الحقيبة الورقية ليكشف عن سترته قصيرة عارية الصدر وسروال قصير بلون الزيتون كان ضيقاً للغاية حتى خلّته سروالاً داخلياً.

ثم تابع: «لم تكن أُمي مُولعةً بوجود فتاة نصف عارية في غرفتي. حتى لو كانت مجرد ملصق ثنائي الأبعاد. وقد كان هذا الفستان هو تسويتها للأمر. في كل مرة أزيله، كانت تقص فستاناً جديداً لتلصقه».

- إذن لماذا لا تُزيل الملصق بأكمله فحسب؟

جلس ميتش على حافة فراشه وأجاب: «لا أدري. أنا أحب اللعبة فحسب، ولا أهتم حقاً بشأن الفتاة العارية».

- حقاً؟

أشاح بيديه ضارباً الهواء، كما لو كان يحاول محو ما قاله لتوه، ثم تابع: «لا يعني هذا أنني لا أحب الفتيات العاريات. أقصد أنني لا أخرج بحثاً عن الفتيات العاريات. أنا...».

والتقط نفساً عميقاً ثم أضاف: «أعني أنني أَلعب تلك اللعبة لأنها فتاة قوية. ليس لأن بإمكانني رؤية أردافها».

ونطق بهذه الكلمة الأخيرة هامساً، فهمستُ مُجيبَةً إياه: «لا بأس».

جذبتُ كرسي مكتبه واتخذتُ جلستي، فقد كان من الغرابة أن أجلس إلى فراش فتى.

- إذن هل تريدان تمضية الوقت هنا ومشاهدة أي فيلم أو شيء كهذا؟ يمكننا الخروج أيضاً إن أردتِ. اعتقدتُ أنه من الأفضل أن نفعل شيئاً بسيطاً.

فأجبتُ: «تبدو مشاهدة فيلم فكرة جيدة».

- حسناً، رائع! يمكننا أن نشاهد الفيلم هنا في غرفتي على شاشة حاسوبي المحمول. أو في غرفة المعيشة.

قلتُ: «هنا في الغرفة جيد. أو في غرفة المعيشة».

- يمكننا الجلوس على فراشي أو بإمكانني أن أجلس على الأرض وأنتِ تجلسين...

تخلّيتُ عن جلستي إلى المكتب لأجلس بجانبه على فراشه، ثم قلتُ: «اهدأ قليلاً».

لقد اعتدتُ أن أكون أنا الشخص المتوتر، الشخص الذي يحتاج إلى أن يأخذ نفساً عميقاً. وغمرني شعورٌ بالارتياح لكوني لستُ الشخص الذي يشعر وكأنه سيسقط من أعلى تلة في أي لحظة مُصاباً بنوبة قلبية.

تابعتُ: «لا بأس بذلك. ليس الأمر وكأن الجلوس على فراشك سيجعل مني فتاةً حُبلى».

فقال: «عليك أن تُخبري أُمي بذلك».

ندت عني ضحكة هادئة، ثم استطردتُ: «حسنًا، على الأقل تركنا الباب مفتوحًا بحق السماء».

خَفَضُ ميتش من شدة الضوء وأخرج حاسوبه المحمول، وأعد الجلسة ليستقر الحاسوب أعلى كومةٍ من الوسائد أمامنا مباشرةً. قال: «إذن إن كنتِ تُحبين ذلك، فقد صنعوا فيلمًا مستوحى من لعبة الفيديو تلك، أو يمكننا أن نستأجر فيلمًا آخر عبر الإنترنت».

- في الحقيقة أودُّ لو أرى ما يتحدث عنه فيلم الممسوخين هذا.

استوينا بظهرينا مستندين إلى رأس السرير بينما كان سطوع شاشة الحاسوب يغمرنا. كان الفيلم مماثلًا تمامًا لملصق لعبة الفيديو المُعلَن عنها عدا أن الشخصية الرئيسية لا ترتدي فستانًا من حقيبة بُنيّة. يمكن استشعار مشاهدة ميتش لهذا الفيلم مئات المرات من قبل. فقد كانت شفتاه تتحركان مرددتين حديث الممثلين حينما كانوا ينطقون بعباراته المفضلة من الحوار. وكانت تسبق ضحكاته كل النكات التي يُطلقها الأبطال ويعلو وجهه العبوس قبل كل جزء مخيف أو حزين، وبالنظر إلى حقيقة أنني لم أكن معجبة بأفلام الرعب يومًا، فيمكنني أن أعرب عن تقديري لهذا التحذير.

كدتُ أُقَوِّت معظم النهاية، فبدلاً عن التركيز في الفيلم، كانت عيناى مرتكزتين على يد ميتش التي كانت تتحرك قاصدةً يدي.

عليّ أن أسحب يدي بعيداً.

لامس خنصره خنصري.

ثم انفجر الحاسوب المحمول.

حسنًا، في الحقيقة، انفجر مستشفى مملوء بالممسوخين في الفيلم، ولكن بما أنني لم أكن منتبهة لما يدور من أحداث، فقد أربني ما حدث كثيرًا حتى ندت عني صرخة عالية.

- ما الذي تعرضه للفتاة بحق الرب؟

كان هذا صياح والدة ميتش، فأجابها بصياحٍ مقارب: «فيلم الموت الأخير

3».

وأجبتها أنا أيضًا: «أنا بخير يا سيدتي!».

ظهرت قائمة المشاركين في العمل، فخيم ظلامٌ دامس على الغرفة. حينها سأل ميتش: «هل أنتِ جائعة؟».

في الحقيقة كنتُ أتضور جوعًا، غير أنني أجبتُ في هدوء: «بوسعي تناول بعض الطعام».

- هناك كشكٌ لبيع الشطائر المكسيكية (تاكو) في داوسون. يمكننا أن نسير إلى هناك ونقضي بعض الوقت قبل أن تعودى إلى المنزل.

تبعْتُ ميتش إلى المطبخ حيث كانت والدته تُجري حساب الإيصالات على واحدة من الآلات الحاسبة القديمة، تلك التي كان بها موضع مخصص لاستخراج إيصالات ورقية.

قالت: «هل أنتما جائعان؟».

- في الحقيقة، أعتقد أننا سنتجول في المنطقة حتى تاكيز تاكو.

خلعت نظارتها الطبية التي تستخدمها للقراءة وعلقتها حول رقبتها بسلسلة معدنية، تتأرجح مرتطمةً بالقطط وكُرياتها المغزولة على قميصها.

- حسنًا، ولماذا تخرجان إلى تاكيز تاكو وقد ذهبتُ إلى التسوق هذا الصباح؟ سأصنع لكما شطائر السلامي. أو هناك بقيةٌ من طبق المعكرونة بالدجاج أيضًا.

ثم استدارت نحوي وأضافت: «لا أودُ التفاخر بنفسى، ولكن طبق المعكرونة بالدجاج خاصتى يستحق التمسك به».

وعلى حين غرة، قال ميتش بنبرة متأففة: «إننا نريد الخروج من المنزل يا أمى. لماذا تعدين ما نرغب فيه مشكلة؟».

- كل ما في الأمر أنه تبذير.

وضعت والدته النظارة على أرنبه أنفها مجدداً، وقالت من أسفلها: «على أي حال، إنها ليلة السبت. عُد إلى المنزل قبل منتصف الليل».

\*\*\*

كان كشك الشطائر المكسيكية يقع في مرأب للسيارات القديمة. تزحف الأعشاب الضارة عبر شقوق الرصيف الأسمنتيّ تذكراً بأن الاهتمام هنا ينصب على الشطائر المكسيكية وليس المنظر الطبيعي. وبجانب الكشك تستقر شبكة من ألعاب الفناء الصدئة التي بدت وكأنها انتُشلت من حديقة المدينة وألقي بها في ساحة الانتظار تلك. حين وصلنا إلى الكشك جلسنا على مقعد على حافة دائرة ضوءٍ يحجبها كشك الشطائر المكسيكية ليُبعد الذباب عن موضع الطعام بأقصى قدرٍ ممكن.

بعدما أنهينا الطعام، تجولنا في فناء الألعاب قليلاً. جلستُ على أرجوحة، وجلس ميتش على أخرى بجانبها. حينها سمعت أنين السلاسل المعدنية من وطأة وزني عليها.

قلتُ: «تلك الشطائر المكسيكية جيدة».

فأوماً في إيجابٍ، ثم سألت: «هل أعجبك الفيلم؟».

- كان... دموياً. لكنه أعجبني.

ودون سابق إنذارٍ سألت: «إذن لقد اشتركتِ حقاً في مسابقة جمال المراهقات بلوبونيت؟».

- أجل. أجل، لقد فعلت. ولقد انتهى أمري قبل أن أبدأ. أنا بحاجة إلى موهبة، ولا يسعني التفكير في شيء أمتلكه.

دفعْتُ الأرجوحة بجسدي إلى الخلف، وسمحتُ لعزم الاندفاع أن يعود بي إلى الأمام حين رفعتُ ساقِي للهواء. ثم تابعتُ: «ناهيك بتلك الفتيات الأخريات اللاتي اشتركن في المسابقة تيمناً بي. كما لو أنني من المفترض أن أرشدهن أو أوجههن، لكنني لا أدري حتى ما الذي أفعله. وأشعر بالمسؤولية نحوهن، أتفهم؟».

نهض ميتش عن أرجوحته ووقف خلفي ثم دفعني بلطفٍ في كل مرة أتأرجح فيها إلى الخلف. قال: «ربما إن ركزتِ قلقك على اكتشاف أمورٍ، يمكنكِ حينها مساعدة الآخرين في أمورهم».

ثم دفعني إلى الأمام والخلف بضع مرات بينما كانت كلماته تتوغل في أفكاري.

- ميتش؟

- أجل؟

- أنتَ بارعٌ حقًا في كرة القدم، أليس كذلك؟

- هذا ما يقوله الناس عني.

- أراهن أنك ستحصل على منحة جيدة لتغادر هذه البلدة.

للمرة الأولى في حديثنا لم يُجر ميتش جوابًا. فسألتُه: «ماذا هناك؟ ألا تعتقد أنك ستحصل على المنحة؟».

أجاب: «لا أدري. أعتقد أنني سأحصل عليها».

في تلك اللحظة توقف عن دفع أرجوحتي، وجلس مجددًا على الأرجوحة الأخرى بجانبني من الجهة المعاكسة، واستطرد مُضيفًا: «لا أحب أبدًا ممارسة الأشياء التي يتوقع مني الآخرون أن أحبها. أنا جيدٌ في لعب كرة القدم، لكنني أشعر بأن موسم المباريات مثل عبءٍ يتعين عليّ حمله حتى النهاية».

كان من الصعب عليّ أن أستوعب ما قاله، أن تكون بارعًا في فعل شيء ما، ولا تزال غير مستمتع بفعله.

تابع في شرود: «أن تكون فتى يُقيم في مدينة كهذه يعني ذلك أن من حولك يتوقعون منك أشياء بعينها. يتوقع الجميع منك أن تلعب كرة القدم وتستمتع بمطاردة الحيوانات في الغابة وصيد الأسماك. طوال سنوات ترعرعي في هذه المدينة، لم أخطُ بالكثير من الأصدقاء، لكنني حظيتُ بباتريك. وكنا نذهب لصيد الحيوانات برفقة أبويننا».

سألتُه: «أتصطاد الحيوانات؟».

ما كان من المفترض أن تُصيبني الدهشة مما قال. فالكثير والكثير من الناس هنا يمارسون صيد الحيوانات. ودائمًا ما يبدو لي أمرًا مُقززًا، غير أنني لم أقسم على الإقلاع عن اللحوم الحمراء مثلًا، ولذلك لستُ أنا الشخص الذي يحق له الحديث عن الأمر.

أجاب: «حسنًا، نوعًا ما. لقد اعتدتُ الصيد منذ أن كنتُ طفلًا. فكنتُ أخرج برفقة والدي إلى الغابة حيث يسمح لي بتناول نصف زجاجة من الجعة بينما

ننتظر ظهور الحيوان المنشود تبعًا للموسم الذي خرجنا فيه. غير أنه متى حان الوقت لأطلق النار عليه، دائمًا ما أخطئ الهدف. ولفترة طويلة، ألقيت اللوم على نفسي بأني قنَّاصٌ سيئ. وكان أبي يجنُّ جنونه بسببي. وأخطئ العلامة المحددة. بالكاد أخطئها. ثم أدرك أبي تباعًا أن ما يحدث كان مُتعمَّدًا.

استشعرتُ شرارة دَفءٍ تشتعل في قلبي لأجله. ربما كانت الأشياء التي لا نرغب في الحديث عنها هي ذاتها الأشياء التي يرغب الآخرون في سماعها.

دون أن أُلقي بجوابٍ، أضاف وكأني لم أكن: «حينما كنا في الصف السابع، وكان أبي يوترني بإلحاحه المتكرر دون ملل، كان باتريك ووالده حاضرين أيضًا. وكان موسم صيد الغزلان. يومها أصبْتُ واحدة».

تخاذل صوته شيئًا فشيئًا في شجن، قبل أن يتابع بعد هنيهة: «كانت حادثة. وكان ظبيٌّ كبيرٌ يسير متبخرًا. يومها تلقيتُ من والدي تربيت فخرٍ قويًا على ظهري. وأذكر شعوري بالاختناق في تلك اللحظة».

- آسفةٌ لأجلك.

بدت الكلمات سخيفة وتافهة أمام ما قاله، مثلما بدت بالسخافة ذاتها حينما كان الناس يُعربون عن أسفهم لنا لفقدان لوسي.

نهض عن أرجوحته مجددًا وجذب أرجوحتي إلى الخلف قابضًا على سلاسلها. شعرتُ بتهديداته الطويلة تُقذف من رثتيه حتى اصطدم الهواء برقبتي. أكمل ميتش حديثه كما لو أنه لم يتوقف: «أعلم أنه ليس من المفترض للشباب أن يبكوا شيئًا، لكنني بكيتُ كثيرًا تلك الليلة. وأعتقد أنه في تلك الليلة تحديدًا قررتُ أن براعتي في شيء لا تعني أبدًا أن عليَّ فعله، قد يكون فعل شيء ما يسيرًا على الجميع، لكن هذا لا يعني أن فعله صحيح».

أفلت ميتش السلاسل من قبضته وركلتُ بقدمي الهواء لأعانق عنان السماء.

\*\*\*

في الليلة ذاتها، راودني حلمٌ بأني داخل لعبة الفيديو الخاصة بميتش، ارتدي سروالًا قصيرًا ضيقًا وقميصًا مُمزقًا. لم يكن جسدي نسخةً مُعدَّلةً حاملة من جسدي الحقيقي. بل كانت فخذاي سمينتين تتشعب فيهما علامات التمدد البيضاء، وتتدلى شحوم خصري من فوق حزام سروالي القصير. وخصلات شعري الذهبية معقوسة في كُعيكة كبيرة عالية تشبه تجعيدات

شعر دوللي القديمة. وكما كان الحال مع الفتاة في لعبة ميتش، كانت ثمة أسلحة وذخيرة وسكاكين مُنْبَتَّة إلى ظهري وفخذي ومدفع رشاش يستقر على كتفي. كنتُ فتاةً قوية للغاية. حسنًا، فتاةً بدينة شديدة القوة.

كنتُ أركض في مركز مدنيٍّ مهجور، وكان الباب الدوّار يُفتح على أطنانٍ من الأنقاض المتراكمة طوال أشهر حين دلفتُ إلى المبنى. في أول المعركة كانت الممسوخات يظهرن رويدًا رويدًا، لكنهن تضاعفن بعد ذلك. ملكات جمال الممسوخات. لقد صرن في كل مكانٍ من حولي. انتظرتهن حتى يتن قاب قوسين أو أدنى قبل أن أطلق المدفع الرشاش نحوهن. اختفين. تتطاير الجزيئات. وأنا أنبطح أيضًا. إنهن ميتات. أعني، ميتات حقيقيات هذه المرة. غير أنه لا يزال أمامي واحدة منهن. ممسوخة واحدة رمادية ترتدي فستانًا أحمر ممزقًا اختارته لأفضل يومٍ في حياتها. كان تاجها معوجًا ومُحطَّمًا ووشاحها قد تلاشى حتى عجزتُ عن قراءة ما كُتب عليه. كانت تسير نحوِي، تجرُّ إحدى قدميها التي تحتكُ بالأرض الرخامية. فأعدتُ تعبئة مدفعي الرشاش.

\*\*\*

## الفصل الرابع والثلاثون

صدمتني العديد من الأمور التي لم أضعها في الحسبان قبل أن أشارك في هذه المسابقة، وكان منها الجزء المتعلق بثوب السباحة. غير أن ما لم أستعد له حقًا كان عروض الرقص الجماعية.

جلستُ برفقة ميلي وأماندا وهانا متجاورات وقد استندنا بظهورنا إلى الحائط الخلفي لصالة دانس لوكوموتيف، صالة الرقص الوحيدة في كلوفر سيتي. أعلم أن ما نحن بصده لا يبدو بسيطًا أبدًا، غير أنني لا أعتقد أنه قد يكون أشد صعوبة من الرقص في دوائر منتظمة.

وقفت أُمي أمام الغرفة ترتدي تنورة رقص ومن أسفلها بزة جمباز لاصقة بالجسم وسروالًا ضيقًا برّاقًا بلونٍ رمليٍّ وحذاء رقصٍ أسود ذا طابع كلاسيكيٍّ وكعبٍ متوسط الطول. تحيط بها السيدة كلاوسون، ببزتها الزهرية المنتفخة التي تُصدر حفيفًا في كل مرة تأخذ فيها أنفاسها، ومالوري بوكلي بسروال يوجا أبيض وحماله ثدي رياضية بلونٍ ورديٍّ ناعم. وحين جُبتُ المكان بناظري، التقطت عيناَي أُمي وهي تتطلع إلى مالوري عدة مرات بنظراتٍ تحمل أقل قدرٍ من الازدراء والتحقير، ولا أخفي أن مثل تلك النظرات قد منحنتني قدرًا بسيطًا من الرضا.

كانت جميع الفتيات يقفن في تناغم، دُبغت أجسادهن بسُمرٍ لامعة، وكست وجوههن طبقاتٍ بيضاء من الزينة، يقفن في مجموعاتٍ بأزياء رياضية متناسقة. في حين أنني ارتديتُ سروال منامتي الذي نمتُ به ليلة أمس. أما أماندا في سروالها الرياضي القصير وميلي في بزتها الرياضية المتناسقة،

فقد بدت أكثر جاهزية واستعدادًا مني، غير أن هانا قد تجوّلت حولنا بسرّوها الأسود من الجينز وقميصها الأسود أيضًا.

- هيا بنا لأداء تمارين الإحماء، أنساتي.

جلست أُمّي أمامنا بعدما نطقت بهذه الكلمات وقد أولت ظهرها إلى المرأة. اتخذ الجميع كلٌّ إلى وضعية الإحماء المفضلة لديه. حتى السيدة كلاوسون نفسها التي بدأت في تمارين الطاحونة الهوائية. اكتسى وجهها بالحُمرة بينما كانت تُعد أنفاسها مع كل دورة. وفي سابقة أشبه بالمعجزات لم تتأثر غضون وجهها بأيٍّ مما كانت تفعله.

جلست أُمّي يلامس باطن قدميها الأرض وثنت ساقها في وضعية الفراشة، ثم قالت: «إن شعار هذا العام هو «تكساس: أليست عظيمة؟»». فغمغمت هانا قائلةً: «أجل، لأن قواعد اللغة مجرد خرافة».

ضحكت أماندا، فركلتها ميلي في قصبة ساقها بقدمها ذات الحذاء الصغير. أما أنا على الجانب، مددتُ يدي لألامس رؤوس أصابع قدمي، لكن بطني وثديي المترهلين حالوا دون وصولي حتى إلى فخذي.

تابعت أُمّي: «في نهاية التدريب، ستُكف كل واحدةٍ منكن بأحد أبرز معالم تكساس لتُصمم زيّها الخاص برقصة الافتتاح وفقًا لهذا المَعْلَم. سيرتدي الجميع تنورةً قطنية وقميصًا منقوشًا بنقوشٍ مربعة وحذاء رُعاة البقر الطويل. أما دون ذلك، فلكن الحرية في تصميم ما تشأن تكريمًا للمعالم التي ستُكفّن بها. فمثلًا، إن كُلفتِ بزهرة القلنسوة الزرقاء<sup>(1)</sup>، الزهرة المميزة لولايتنا، فيمكنك أن تعتمري قبعةً تُشبه في تصميمها زهور القلنسوة الزرقاء. وهذه فرصة جيدة تسمح للحُكّام باستشفاف طبائعكن وشخصياتكن ليروا مدى حسن تصرفكن فيما تكلفتن به من مهام. لذلك، استغلّلي الفرص يا أنساتي».

جلست إيلين في الصف الأمامي برفقة كالي التي لم تتوانَ قط عن المنافسة في المسابقة. كانتا ترتديان بزّاتٍ رياضية مماثلة تحمل شعار متجر سويت

(1) The BlueBonnet: زهرة القلنسوة الزرقاء هو اسم يطلق على أيّ عدد من الأنواع من جنس زهرة الترمس، وتوجد في الغالب في الجنوب الغربي للولايات المتحدة، وتسمى بشكل جماعي باسم زهرة الولاية في تكساس. وتشبه بتلات هذه الزهرة شكل القلنسوة التي ترتديها النساء الرائدات ليحمين أنفسهن من الشمس. (المترجمة)

16 على أفخاذهما. طوال أسبوعين كاملين انقطعت سُبُل التواصل بيننا تمامًا. أتذكر المرة الأخيرة التي مرَّ بي أسبوعان دون محادثة إيلين كانت عندما استأجر والداها مقطورة سكنية واصطحباها معهما إلى الساحل الغربي. كنتُ أكتب إليها خطابًا كل يوم حينما سافرت وأتركه في صندوق بريدها. لقد أصابني الجنون والغضب دونها، وعندما عادت، سمحت لنا أمهاتنا أن تبيت إيلين ليلتين كاملتين متتاليتين برفقتي.

أما ما نختبره هذه المرة فهو أشد سوءًا ووطأة، لأنها ليست بعيدة، بل هنا قبّالتي مباشرة، على الطرف الآخر من الغرفة، وأعلم أنني إن ناديتها، فلن تجيب. كدتُ أعتذر إليها آلاف المرات، غير أنني انتظرتُ طويلًا لأُقدم على تلك الخطوة حتى فات الأوان الآن. والأهم هو أن جزءًا ما بداخلي لا يزال معتقدًا -كلا، بل مؤمنًا- أنني على حق.

نهضنا جميعًا من جلستنا لتتعلم نمط الرقص. انحنت ميلي قليلًا ووقفت على رؤوس أصابعها، ثم قالت: «عليك أن تتحدثي إليها». فقلتُ: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

دفعت بأكمام قميصها مُشمرّة عن ساعديها، وأجابت: «إيلين». على الجانب الآخر: «رقصة عناقيد العنب<sup>(1)</sup>!».

هكذا قالت أُمِّي قاصدةً نغمات الموسيقى الحادة الرنانة. ثم تابعت: «خمس حركاتٍ إلى اليسار. خمسٌ أخرى إلى اليمين. بيكا! تحركي إلى هنا، حتى يمكن للفتيات رؤية براعتكِ».

تورّد خدا بيكا خجلًا لكنها أطاعت أُمِّي في نهاية الأمر. كان مجرد النظر إليها يزعجني، ولا أكنُ أسبابًا مُقنعة لانزعاجي هذا. فهي فتاةٌ جيدة في كل شيء. وجميلةٌ أيضًا. وغاية في التواضع.

قضيتُ الساعة التالية أتعثر في قدمي محاولةً أن أجاري حركات عنقود العنب اللانهائية وأستدير حين نتمايل جميعًا مقتربات ومبتعدات عن بعضنا بعضًا. لاحظتُ مراقبة أُمِّي لحركاتي خلال المرأة في اللحظة التي تعثرتُ فيها

---

(1) رقصة عناقيد العنب The Grapevines: هي حركات جانبية، تتحرك فيها بضع خطواتٍ إلى أحد الجانبين أولاً، ثم تعود لتتحرك إلى الجانب الآخر. تنحي بقدمك، اليمنى إلى اليمين حتى يزيد اتساع ما بين قدميك على اتساع ما بين فخذيك. وهذه الرقصة أو الحركة هي نوع من رياضة الأيروبيكس. (الترجمة)

بحذاء أماندا ذي النعل العالي، وارتطمت مؤخرتي بالأرض الخشبية الصلبة. على أي حال، كانت أُمي على حق لاستقدام بيكا، فقد كانت مُدرّكة تمامًا لماهية ما تفعله.

حين وصل التدريب إلى نهايته كنتُ أتصيب عرقًا من أماكن بجسدي لم أكن أدري حقًا أن العرق يعرف لها طريقًا.

ارتسمت على ملامح وجه ميلي نظرة هذيان وخبول، وقد أحاطت برقبتها قلادة من العرق هي الأخرى. قالت: «كان هذا رائعًا! أخبريني على أي مَعْلَمٍ بارزٍ حصلت؟».

كنتُ ممسكةً بقصاصة الورق التي سحبتها من الوعاء الزجاجي، وأجبتُ: «كاديلاك رانش<sup>(1)</sup>».

مكان لم أره قط إلا من خلال الصور. حسنٌ، ثمة شيءٌ عليك أن تدركه بشأن تكساس، وهو أنها ولايةٌ غاية في الاتساع مترامية الأطراف. حتى إنني أعرف شخصيًا آلافًا من الأشخاص لم يغادروا تكساس قط. وقد سمعتُ يومًا أنك قد تقود سيارتك ليومٍ كاملٍ على الطريق الرئيسية وستظل داخل تكساس. بالطبع هذا يتوقف على النقطة التي تبدأ منها قيادتك. سألتها: «وماذا عنك؟».

ضحكت قبل أن تجيب: «ستوكياردز<sup>(2)</sup>». مدينة فورت وورث في الشمال. ميلي وحدها من يمكنها أن تُحيل سوقًا للماشية إلى قبةٍ تليق بمسابقة الجمال. وأدركتُ في هذه اللحظة لو أن تفاؤلها وحماسها كانا مُعديين، ربما كان بإمكانني أن أراهن على فوزي بهذه المسابقة.

\*\*\*

---

(1) Cadillac Ranch: هي ساحة أو فناء استوديو عام يقع في ولاية تكساس الأمريكية، وقد بناه مجموعة من الفنانين المتجولين (الهيبيز) عام 1974م. ويتكون من عشرة مجسمات وتماثيل لسيارات من الطراز كاديلاك دُفنت مقدماتها في الأرض وقد غُطت بألوانٍ متعددة عشوائية من الطلاء. (المترجمة)

(2) The Stockyards in Fort Worth: في الماضي كانت المدينة مركزًا تجاريًا لرعاة البقر والماشية، وقد مثَّلت نقطة الالتقاء «المدينة» الأخيرة لرعاة البقر وهم يقودون قطعان الماشية على امتداد طريق شيلوم الشهيرة. (المترجمة)

## الفصل الخامس والثلاثون

سمعت أنه في المدارس الكبرى، لم تُعد حفلات الرقص نشاطًا مهمًا على الإطلاق. وأعتقد أن السبب يعود إلى ازدياد أعداد الطلاب في تلك المدارس. غير أنه لسوء حظي، لا تزال حفلات الرقص نشاطًا حيويًا وحاضرًا في كلوفر سيتي. وخلافًا لحفلة التخرج الراقصة، فإن أسوأ مكان في هذه المدينة هو سادي هاوكنز دانس. فلا يمكن لفتاة عادية أن تطلب من شاب الخروج معه في موعد كما هو الحال ببساطة، بل يتحتم على الفتيات أن يخضعن إلى إجراءات استثنائية لضمان أن مقترحاتهن بشأن سادي هاوكنز هي الأكثر تنظيمًا وإتقانًا.

ثم حانت اللحظة التي تغير فيها مجرى التاريخ، وفضّلت ماسي بالمر البدء من جديد حين طلبت من صديقها الحميم سايمون مرافقتها إلى الحفل الراقص وقد استوحيت فكرتها من أيام الكريسماس الاثني عشر<sup>(1)</sup>. لا أمزح حقًا، ففي كل صباح كان هذا الفتى يأتي إلى المدرسة ليستقبله أي شيء بدءًا بثلاث دجاجات وصولًا إلى اثني عشر طبّالًا يقرع الطبول أمام المدرسة. الأدهى أن الفتى كان صديقها الحميم بالفعل! فلم يختلجه شك بأنها ستدعو شخصًا آخر لمرافقتها الحفل. (ولندع التاريخ يتحدث عن نفسه، لقد تخرجنا

---

(1) أيام الكريسماس الاثنا عشر: هو احتفالٌ مسيحيٌ يعقب الاحتفال بعيد الميلاد (الكريسماس) وتبدأ تلك الأيام من 25 ديسمبر حتى 5 يناير، ويُعد عيد الميلاد هو اليوم الأول منها. وتُمثّل المدة بين ميلاد المسيح وقدم الحكماء الثلاثة. وقد أُطلق التعبير ذاته على إحدى ترانيم عيد الميلاد. (المترجمة)

معًا. وكانت ماسي تحمل جنينًا في شهرها الرابع حينما كان على وشك مغادرة المدينة بفضل حصوله على منحة لرياضة الجولف).

وفيما بعد، لم يعد مقبولًا أن تطلب إحدى الفتيات مرافقة شاب لها إلى حفلات سادي هاوكنز الراقصة حين تخبز له طبقًا من رقائق البسكويت أو ترتدي قميصًا رياضيًا طُبع على ظهره رقم قميصه في مباريات كرة القدم. والآن، فلا يقتصر الأمر فحسب على التحلي التام بالشجاعة لطلب الخروج في موعد مع شاب، بل عليك أيضًا أن تتميزي بطريقة الطلب وأسلوبه.

لم تكن السنة الأولى في المرحلة الثانوية شديدة السوء، فلم تكن إيلين قد ارتبطت بتيم بعد. وفي العام الماضي، ادَّعيتُ المرض حتى لا أحضر الحفل الراقص. أما عامنا هذا، ومع كل ما يحدث، لم ألحظ بعد وجود اللافتات والملصقات التي تعلن بيع تذاكر الحفل.

وبعد قضاء خمس ساعاتٍ طويلة في التدريب على أكوام من مقترحات سادي هاوكنز -بما في ذلك التدريب على هرم المشجعات في أثناء استراحة الغداء- لا يزال أمامي ساعة أخرى أقضيها في هذا العذاب. وحين دلفتُ إلى الصف، أثرتُ التسلل إلى المقعد المجاور لأماندا.

رفعت رأسها عن هاتفها حين جلستُ إلى جوارها، وسألت: «أخبريني هل سألت أحدهم ليكون مرافقك؟».

- كلا. وأنتِ؟

هزت رأسها نفيًا، وأجابت: «لا. لقد فكرتُ في أن أترك الريح تأتي لنا بما تحمله وأرى من سيتبقى في الغد. لن أزعج نفسي بهذا الأمر، غير أننا بحاجة إلى أن نطلب من شباب مرافقتنا في المسابقة. وإذا لم يحدث، فربما أضطر إلى حذف عنصرين أيضًا من قائمتي بدلًا من واحد».

أسندتُ رأسي بين راحتي يديّ وعلا أنينٌ تأففي وتذمري. لقد نسيتُ أمر مرافقينا في المسابقة. غير أنه في تلك اللحظة اهتز مقعدي كما لو أن أحدهم قد ركله، فالتفتُ حولي لأرى بوو يسير إلى مقعده في نهاية الصف.

يُخالجني سرًا افتتان ناظري برؤيته على تلك الحالة، حينما أراه بالملابس التي يختارها كل صباح من خزانته. وأتساءل إن كان يختارها عن ذوقٍ وروية، أم أنه واحد من هؤلاء الذين يرتدون ملابسهم في الظلام لأن الاستيقاظ في الصباح بمنزلة انتهاك تام لحريتهم. أو ربما كان من محبي البكور فيستيقظ

مع شروق الشمس ليخرج للركض حول ضاحيته أو لتناول البيض أو لأي شيء آخر تفعله الطيور المبكرة.

«أو ربما لم يعد هذا من شأنك الآن!».

هكذا قلتُ في قرارة نفسي.

وبعد هنيهة قالت أماندا: «إن ميلي طلبت من مالك مرافقتها. هذا الشاب الذي يعمل في الجريدة. إنه وسيمٌ للغاية إن كان بإمكانك التغافل عن حاجبيه المتصلين، أو إن كنتِ تعتقدين أن الحاجبين المتصلين يزيدان الشاب وسامة».

التفتُ نحوها، شديدة الامتنان على إلهائها إياي، غير أنني في تلك اللحظة أدركتُ إذ فجأة الكيفية التي أجلس بها. ربما لو أمكنني أن أجلس مستقيمة الظهر لاختفت شحوم ظهري.

سألتُها: «كيف فعلتها؟».

فأجابت ضاحكةً وقالت: «لقد أَلَقْتُ أغنيةً على مسامعه. وعزفت على القيثارة».

اقشعر بدني إحراجًا لها، وربما سخر الجميع منها وضحك على فعلتها. همستُ لها قائلةً: «ماذا حدث؟».

- حسنًا، لقد وافق على مرافقتها.

كانت نبرة أماندا تقول: «ها، ولم لن يوافق؟».

- مهلاً. هل هذا صحيح؟

- وسيرافقها إلى المسابقة أيضًا. كان هذا لطيفًا للغاية، حتى إنه قد طبع قُبْلَةً على خدها. بدا هذا مثيرًا أكثر مما رأيتُ من قبل.

تدافع طلاب الفصل واحدًا تلو الآخر وتساءلتُ شاردةً في حركتهم أي حمقاء أنا لأتوقع أن تتعرض ميلي للإهانة جرّاء طلبها. إن كانت قد طلبت رأيي الشخصي قبل أن تخطو تلك الخطوة، لكنّني سأخبرها كم هي فكرة لطيفة، لكنني كنتُ سأبدل قصارى جهودي لأوقفها عن المضي في هذه الفكرة. لا أقصد بالتأكيد أنها لا تستحق الذهاب إلى الحفل الراقص متأبطةً في ذراع مرافقها، بل كل ما أريده لها هو ألا تكون أضحوكة الجميع وموضع سخريتهم. لن أتمنى هذا لأي شخصٍ مهما يكن. ومع ذلك ها هي ميلي قد مرّت بهذا من قبل، وكانت بيت القصيد في الكثير من النكات. غير أنها الآن

تفعل ما يحلو لها دون أن تُلقِي بالاً لما يفكر فيه الآخرون. يؤلمني أن أعرف أنها قد تُعرِّض نفسها لهذا العالم الخارجي دون خوفٍ أو تردد. كما لو أنك تراقب صديقاً قديماً انشقت عنه وبِتَّ تسترجع جُل ذكرياتكما المشتركة معاً.

انتهى الدرس ووجدتني أسير مندفعاً خارج الباب في تيار من الطلاب المندفعين. كان بإمكانني أن أسمع بوو يتبادل الحديث مع جوزيه هيرارا بشأن التفاضل ثم بشأن حفل.

وفي الردهة، سدُّ منيعٌ من الفتيات قد أوقفن تحرُّكنا. وقفت الفتيات متشابكات الأيدي كما لو أنها إحدى مباريات لعبة ريد روفر<sup>(1)</sup>.

- نعتذر عن تعطيلكم.

قالت إحدى الفتيات، وتبعتها أخرى مُضيفَةً: «لن يستغرق الأمر سوى دقائق».

وقفت بيكا كوتر خلف صف الفتيات هذا، وكانت ترتدي سروالاً قصيراً للغاية من قماشٍ قطنيٍّ ثخين، وحذاءً أرضياً بلونٍ ذهبيٍّ وقميصاً أبيض فضفاضاً قد ربطته في عُقدةٍ أسفل ظهرها. وبحروفٍ أُلصقت على القميص بفعل الحرارة كُتِب: «رافقني إلى حفل سادي هاوكنز الراقص...»، وكانت تُراقص بين أصابعها عصا صغيرة وهي تنتظر هدوء الزحام من حولها.

كانت أماندا تقف من خلفي تثبُّ على رؤوس أصابعها، قبل أن تقول: «مجرد النظر إلى هذا السروال القصير يُشعرنِي بأنِّي أُلقي صفعاتٍ على أردافي».

أخذت بيكا نفساً عميقاً، ودون حتى الإعلان عن نفسها، أدارت العصا في الهواء، وألقت بها على كتفها ثم أمسكت بها وهي تؤدي بعض التمارين الرياضية والجمباز بإتقان ورشاقة متناهية، حتى إنه يصعبُ على المرء منا مجاراتها. لقد كان عرضاً رائعاً، ومع ذلك، لم يكن شيئاً يقربُ حتى لما رأيته منها من أداء في أثناء مباريات كرة القدم. ورأيتُ أن موهبتها في مسابقة الجمال ستكتسح جميع العروض.

---

(1) Red Rover: هي لعبة تتكون من فريقين يقفان أمام بعضهما بعضاً متشابكي الأيدي، ويحاول أحد لاعبي الفريق المرور خلال صف الفريق الآخر، وإن فشل في تحقيق الغاية، يصبح فرداً من ذلك الفريق. (الترجمة)

أَلَقْتُ بالعصا في الهواء مجدداً وأدت بعضاً من الشقليات الدوارة، ثم هبطت إلى الأرض وقد أولت ظهرها إلينا، وأمسكت بالعصا حين كانت على وشك أن ترتطم بالأرض. وحين كانت أردافها تتحرك في الهواء في أثناء عروض الشقليات الدوارة، كان واضحاً تماماً من اختارته لمرافقتها إلى الحفل الراقص. فعلى كل جيب من جيوب سروالها القطني القصير، كانت قد ارتسمت الحروف «باء» و«وو» بطلاء لامع.

جاء الفتية من صف «التاريخ العالمي» وقد دفعوه إلى الأمام ليخترق الحشد. فألقى إليهم بابتسامة مصطنعة، وبالكاد استطعتُ أنا مشاهدته حينما كانت بيكا تأخذ بيده بين يديها. تطلع بوو إلى جانبه بنظرة خاطفة، وعلمتُ أنه قد رأي. لكنه لم يأخذ وقتاً للتفكير أو مراجعة قراره، فقد أوماً موافقاً، والآن صار لدينا زوجان هما: بيكا وبوو. بوو وبيكا.

دفعتُ أماندا عن طريقي وتحركتُ عكس اتجاه الطلاب الذين يتوجهون نحو ساحة انتظار السيارات. حافظتُ على نظرتي مُحدقةً إلى الأرض، أراقب بحوراً من الأقدام المتلاحقة في اتجاه واحد حتى وجدتُ دورة المياه. هبطتُ جالسةً على رُكبتَيَّ وفتحتُ حقيبة ظهري أنقب عن شيءٍ ما. هاتفي؟ أو ربما قنبلة يدوية؟

في غياهب حقيبتَيَّ وجدتُ قلم تحديد ذا حبرٍ دائم. نزعتُ عنه الغطاء، والتفتُ لأواجه المرأة. وكما كان سيفعل الشخص العاقل الذي أنا عليه دائماً، بدأتُ الكتابة على وجهي!

\*\*\*

لم أفكر مطلقاً في متطلبات انتقالِي من النقطة أ إلى النقطة ب عندما قررتُ الكتابة والخربشة على وجهي. فبعدما اطلعتُ على وجهي في المرأة، أدركتُ أنه لا مجال للعودة، حتى وإن رغبتُ في التراجع عن قراري. أعتقد أنهم يُطلقون عليه قلم تحديد ذا حبرٍ دائمٍ لسببٍ وجيه.

سَرتُ مسرعةً إلى ساحة انتظار السيارات، بينما أرسل شعري ليُغطي رأسي من جميع الجوانب مثل الشخصية الخيالية «كوزين إت»، وشققتُ طريقي مهتديةً بما تبقى لي من ثقبٍ منحتمي إياها خصلات شعري لأرى الطريق، وأدعو ألا أصطدم بسيارةٍ مسرعة على حين غفلة.

وها هو هناك، يسير نحو سيارته. صَحْتُ أنادي: «ميتش! ميتش!».  
لقد كانت فكرة غاية في السوء. وأعتقد أنه قد بات من المنطقي حقاً أن  
أقول إن جميع أفكارى ما هي إلا محض أفكار سيئة.  
استدار مُجيباً: «ويل؟».

بدت على وجهه أمارات القلق، فتابع: «هل حدث شيء؟ هل أنت بخير؟».  
وحينما صرْتُ على بُعد بضع خطواتٍ منه، رفعتُ شعري عن وجهي، حتى  
أدعه يرى وجهي بأكمله. تحولت أمارات القلق على وجهه إلى حيرة، وقرأ:  
«زنكواه يداس بلا ينقفارت له؟».

فقلتُ: «اللعة! لقد كتبْتُها في المرأة».  
حدَّق إلى الأرض، مُحاولاً إخفاء ابتسامته عني، بينما يحكُّ أصابع قدميه  
في الحصى الذي يغطي الأرض. فسألته: «إذن هل تود ذلك؟ مرافقتي إلى  
سادى هاوكنز؟».  
- لا أدري.

انتفخت وجنتاه خجلاً، وأراه الآن فتى قد غمرته السكينة لأنني لم أنس عيد  
مولده. يا لبشاعة فعلي!

تابع حديثه: «هل سترتدين فستاناً؟».  
- هل سترتدي أنتَ بزة رسمية؟  
أودع كلتا يديه في جيبه، وأجاب: «أجل، سأرافك إلى سادى هاوكنز».  
ثم أخرجهما من جيبه ومدهما نحوي، محاولاً أن يفرك جبهتي بإبهامه.  
وحين اكتشف الكارثة، سأل: «إنه حبرٌ دائم، أليس كذلك؟».  
أجبتُ: «إلى الأبد».

التمعت عيناه ببريق حان. كان من المفترض أن أضيف «أصدقاء!» كان  
من المفترض أن أقول: «هل تُرافقني إلى سادى هاوكنز بصفتنا أصدقاء؟».  
غير أن الأوان قد فات الآن. ولن أفسد عليه فرحته بالحفل الراقص، رغم  
قلقي الشديد من أنني ربما لم أتخذ تلك الخطوة إلا من أجل نفسي.

\*\*\*

## الفصل السادس والثلاثون

إنها ليلة الجمعة وقد استلقيتُ على الأريكة أُشاهد برنامجًا حواريًا نهارياً كنتُ قد سجلته من قبل، يدور موضوعه حول أبناء العمومة من الدرجة الثانية الذين يدَّعون أنهم يتواصلون عن طريق التخاطر العقليّ. وكانت أُمي في المطبخ تصبغ أحد مفارش الطاولة من أجل طاولة المُحكِّمين.

لنُعد إلى البرنامج التلفزيونيّ، كان المذيع قد أخضع أبناء العمومة إلى نوع من الاختبارات، يطرح عليهم الأسئلة التي من المفترض أن يستطيعوا الجواب عنها من خلال «قدراتهم الخاصة». نجح التوأم الأول في الاختبار بالمناصفة، وقد ألقوا اللوم على تغيير التوقيت وإصابتها بإرهاق السفر من لوزيانا إلى نيويورك.

عندما قاطعت الإعلانات التجارية عرض البرنامج، جلست أُمي على الكرسي المزدوج ونزعت عنها مئزرها. قالت: «يا إلهي! دعينا نُوقِف هذا الشيء لبعض الوقت».

والتقطت جهاز التحكم عن بُعد وكتمت الصوت. فقلتُ: «مهلاً! أوقفه. لا أريد أن أكتشف ما حدث بالمصادفة».

عبثت بأزرار جهاز التحكم هنيهةً قبل أن تمنحني إياه لإيقاف البث، ثم قالت: «أود الحديث معكِ قليلاً».

حتمًا سيدور الحديث عن مسابقة الجمال، ومدى استهتاري بما أقدمتُ عليه. أو ربما ستُحدِّثني عن رأيها في احتمالية إحراج نفسي أمام الجميع بطريقةٍ أو بأخرى.

استهلت أُمي الحديث قائلةً: «منذ أن تُوفيت لوسي، لم نحظْ براتبٍ بطلاتها عن العمل».

إذن ليس الأمر كما توقعت.

- ولم يكن مبلغ التأمين على حياتها كبيرًا، لكنه قد غطى نفقاتنا طوال الأشهر القليلة الماضية.

اعتدلتُ في جلستي. واستغرقتُ هنيهةً من الوقت قبل أن تعتاد عيناَي رؤية ما حولي، ثم سألتُ: «هل سنبيع المنزل؟».

- كلا، كلا. الأمر ليس هكذا. لقد سدَدنا أجر المنزل لبضع سنواتٍ أخرى. وأعتقد أن بإمكانني تدبر الأمور حتى يحين ذلك الوقت. لا أريدك أن تقلقي بشأن هذا.

- حسنًا...

تابعت أُمي: «لكنني عاجزةٌ عن سداد نفقات تصليح سيارتك».

ها هو الأمر الشائك! وغاص قلبي بين أضلعي. أعلم أنه من الغباء أن أقلق حيال شيء كهذا، في حين أن ثمة أمورًا أخرى أكثر أهمية مثل الطعام والمرافق لأقلق بشأنها. وبخاصة أننا لا نحتاج إلى تلك السيارة في الوقت الراهن. غير أن تلك الكومة الحمراء الصغيرة كانت بمنزلة حريتي متجسدةً في صورة مادية. إن كلوفر سيتي تبدو أصغر مساحةً وأشدَّ عُزلةً دون عزيزتي جولين.

- أنا آسفة يا عزيزتي.

فسألتُ: «كم سيتكلف تصليحها؟».

- ثلاثة آلاف دولار تقريبًا.

أومأتُ لها. حسنًا، هذا يساوي عامًا كاملاً على الأقل من العمل لدى تشيلي بول. قلتُ: «ربما يمكننا تخصيص مرطبانٍ صغير؟ وأن نضع فيه ما نملكه من الفكة اليومية التي تكون بحوزتنا».

استلقيتُ على الأريكة، وضغطتُ زر إعادة التشغيل على التلفاز. لو كنتُ ابنة أفضل مما أنا عليه، لكنتُ نطقتُ بكلماتٍ أخرى. كنتُ سأخبرها أنه لا مشكلة وأنني أتفهم ما يحدث معنا. ربما لستُ الابنة التي توقعت مني أن أكون عليها، لكنها لم تُعني على ذلك قط.

لقد عاد الحديث عن أبناء العمومة. وبيد أن الجمهور بأكمله يضحك في صمت وهم يشاهدون التوهمين يُحرزان إجابات خاطئة واحدة تلو الأخرى. حينها نهضت أُمي عن مقعدها ووضعت المنزر مجددًا حول رقبتها.

\*\*\*

قبل أن أتجه إلى النوم، جلستُ إلى طاولة المكتب في غرفتي، وقد انكمش ريت على نفسه في كومة فراء استقرت في حجري. تفحصتُ بريدي الإلكتروني، وقد كان معظمه بريداً غير مرغوب فيه. غير أنه وسط تلك الكومة، ظهرت رسالة بريدية واحدة تحمل عنوان البريد الإلكتروني الخاص بلوسي. اعتصر الخوف والترقب أحشائي، لكنني فتحتُ الرسالة على أي حال. كانت إحدى رسائل البريد المزعج، التي تعرض بعض المواد الدعائية حول معدلات الفائدة.

استندتُ بظهري إلى الكرسي وسمحتُ لجسدي بالاسترخاء، ولصدري بإطلاق الأنفاس التي حُبست بداخله. وهنا فكرتُ: «إن كنتُ أتلقي بريداً غير مرغوبٍ فيه من خالتي المتوفاة، فهذا يعني أن ثمة آخرين مثلي تماماً».

نقرتُ زر تسجيل الخروج من حسابي. وعرضتُ صفحة حساب لوسي الخاص، غير أن الأمر قد استغرق مني عدة محاولات قبل أن أتذكر كلمة السر الخاصة بها أخيراً: DUMBBLOND9. كانت واحدة من أغنيات دوللي المفضلة لخالتي، بالإضافة إلى رقمها المفضل أيضاً. إنني على وشك إغلاق حسابها إلى الأبد، لكنني وجدتُ نفسي مشتتة الانتباه بأطنان من الرسائل التي وصلت إلى حسابها طوال الأشهر الماضية. كان صندوق الوارد لديها مملوءاً بالرسائل عن آخره، وكان بمنزلة تذكيرٍ حيٍّ بأننا قطعُ مؤقتة الوجود في أحجية سرمدية.

نقرتُ على بعض من تلك الرسائل لأقرأها، فلم يكن ثمة ما يجذب انتباهي حتى الصفحة الخامسة في صندوقها الوارد. كان موضوع الرسالة يقول: «أُمسية دوللي بارتون».

\*\*\*

## الفصل السابع والثلاثون

تتدلى النجوم المصنوعة من الورق المقوى والأشرطة الملونة المجددة من العوارض الخشبية في بهاء، لكنها لم تكن كافية تمامًا لتجعلني أتجاهل روائح الأجسام العالقة، وأنسى أننا في صالة للألعاب الرياضية. يتردد صدى الموسيقى في الأرجاء، ليُذكر الجميع أن هذا المكان لم يُوهَّل لاستقبال الأنشطة الصوتية.

صاح ميتش في أذني: «هذا رائع!».  
فأجبته: «أجل!».

عدا أنه لم يكن رائعًا. ربما كان عدد الراقصين يقرب من خمسة عشر، بينما يتخذ الآخرون جميعًا مقاعدهم في المدرجات. زد على ذلك، تلك الطاقة الهرمونية الغريبة التي تنتشر عبر ذرات الهواء، ولم أكن قد لاحظتها من قبل في أي مكان. ربما كان السبب في ذلك هو مقدار ما أظهره الطلاب من عاطفة لم يكن ليُسمح بها في أثناء الساعات الدراسية العادية.

جلست إيلين في تراخٍ على أحد المدرجات برفقة كالي وصديقها الحميم. كان تيم قد أسند إحدى ذراعيه على كتف إيل، ومال رأسه كثيرًا إلى الخلف حتى اعتقدت أنه قد غطَّ في النوم. أما صديق كالي الحميم، فبدأ أنه يعاني فرط الانتباه وكان يفرك يده على امتداد فخذه لأعلى ولأسفل بطريقة مُربكة وغريبة، جعلت القشعريرة تتملك جسدي أنا الأخرى. وعلى الجانب الآخر، كانت كالي وإيل تتهامسان فيما بينهما، وكنْتُ على يقينٍ بأنهما تتبادلان الأسرار الآن.

لمحتُ كالي تشير إليّ، ثم تستدير مبتعدة، فقلتُ موجهةً حديثي إلى ميتش: «اسمع، سأذهب سريعًا إلى دورة المياه».

تكررت شفتا ميتش لتُعربا عن سؤالٍ قد خالجه، غير أنه اكتفى بإيماءةٍ من رأسه، ولم يُعلق.

وفي دورة المياه، فتحتُ الصنبور عن آخره، وسمحتُ للمياه الساخنة بأن تنساب على يديّ حتى تحولتا إلى اللون الأحمر من شدة السخونة. كم أكره عجزني عن الذهاب إلى إيل وإخبارها عن مدى حماقتي حين طلبتُ من ميتش مرافقتي إلى هذا الشيء. لقد بدأتُ الفجوة بيننا منذ أشهر، وأنا أعلم ذلك، لكن ربما لم تدرك هي هذا الأمر. ربما تلاحظ تلك الفجوة حينما يُلقي بك الآخر خلف ظهره. كان من المفترض أن أغلق فمي الثرثار هذا وألا أقول شيئًا عن مسابقة الجمال تلك، لكن تسجيل إيلين للمسابقة جعلني أشعر بطريقةٍ أو بأخرى أننا قد أحرزنا نقاطًا لصالح الفريق الآخر، الفريق المنافس. لا أدري حقًا كيف لي أن أصيغ هذا الشعور.

- هل يمكنني أن أملي عليك نصيحة؟

اعتدلتُ في وقفتي، واستقام ظهري، وقد عاد عقلي من شروده. أجبتُ: «مرحبًا، كالي!».

تطلعتُ إلى انعكاسي على سطح المرأة، وقالت: «أعلم أن إيل كانت شديدة اللطف معك منذ أن كنتما صغيرتين. أما أن تُخبريها بعجزها عن دخول المسابقة، فهذا أقبح ما يمكنك فعله».

شعرتُ بأني عارية أمامها، فبطريقةٍ ما، في أثناء نوبة الغضب التي تملكتهما نحوي، ربما كشفتُ إيل عن كل أسراري ومخاوفي واحدًا واحدًا.

أجبتها: «كالي، اسمعيني جيدًا! أنا لا أعرفكِ. ولكني لستُ بحاجةٍ إلى معرفة الكثير لأدرك تمامًا أنني لستُ معجبةً بشخصيتك. ولذلك من الأفضل لك أن تتراجع عني تقولينه وألا تتدخل في ما لا يعنيك».

- مهما يكن.

ورفعت يديها في استسلام، ثم تابعت: «تعلمين! إنها أفضل حالًا دونك. على الأقل، لم تعود تحومين حولها لتُعيقني طريقها وتجذبها إلى الورا».

استدارت مبتعدة، غير أنها قد التفتت نحوي عائدةً لتضيف: «تودين أن تعرفي المزيد؟ لو أنك تبذلين جهدًا أكبر ولو بقدر ضئيل وتهتمين بنفسك، ستندھشين من مقدار ما ستُحدِثينه من تغير. ولا أقصد بذلك أن أكون فظةً مطلقًا، بل أود أن أكون صريحةً معكِ».

مدت يديها أسفل واجهة فستانها، وأعادت ترتيب ثدييها في مكنهما داخل حمالة الثدي، ثم أضافت: «وبالمناسبة، على عكس ما يمكن أن تعتقديه أنتِ وأصدقائك، هذه المسابقة ليست نشاطًا مُمتعًا تمارسينه بعد اليوم الدراسي، حيث يُمكنك الحصول على الدرجة الممتازة إن بذلت أي مجهود».

ثم سارت مبتعدة... وكان قرارًا جيدًا منها، لأنني كنتُ على بُعد خطوتين من كسر أنفها المتغطرس. تأرجح الباب منغلقًا من ورائها، وجاءني من بعيد صوتُ كعبها العالي يقطع على مشمع الأرضية البلاستيكي.

ربما كانت على حق. ربما ستتحسن حياتي إن كان بإمكانني أن أخسر مئة رطل. في تلك اللحظة، كنتُ أمنع الدموع التي تفرقت في عيني. ربما يعود الأمر بأكمله إليَّ وإلى هذا الجسد البائس في نهاية المطاف.

كان ميتش يقف منتظرًا إياي في طواعة تامة خلف منسق الموسيقى الذي لم يكن منسقًا موسيقيًا بالمعنى المتعارف عليه، بل كان مجرد مدير فريق الجامعة لكرة السلة، مُزوَّدًا بجهاز أيبود ومكبرات صوت. لكزتُ مرفقه بمرفقي، ثم قلتُ: «هيا بنا نرقص».

تبعني ميتش إلى منصة الرقص، حيث وجدنا ميلي ورفيقها مالك. وبرفقتهما أماندا أيضًا. في الحقيقة، لقد بدأت أماندا تنال قدرًا من إعجابي. إنها فتاة فظة وغريبة، تفتقر إلى اللباقة، وتمتلك شخصيةً تُناقض شخصية كل فردٍ آخر أعرفه في حياتي. إنها من هذا النوع من الأشخاص الذي يُفرط في الالتزام إذا ما دُعيت إلى النقر بقدميها على الأرض تيمناً بأنغام الموسيقى، وتحفظ بروح الدعابة التي تقبل المزاح مهما كان فظًا. والآن، في وسط منصة الرقص، يتمايل رأسها على الإيقاع، وتتهدأ أطرافها، بدت وكأنها واحد من هؤلاء الموسيقيين المنفردين، ولكن دون آلات موسيقية.

قدَّمتُ ميتش إليهم، رغم أننا جميعًا قد ارتدنا المدرسة ذاتها منذ طفولتنا. فلكرتني أماندا بمرفقها في جانبي وهمست: «ليس سيئًا، لكنه لا يمتلك مؤخرة مستديرة».

فسألتها: «وماذا عنكِ أنتِ؟ هل طلبتِ من أحدهم مرافقتكِ؟».

مالت بجذعها نحوي قليلاً، ولم تتوقف عن تحريك رأسها، وأجابت: «كانت الخيارات محدودة، لذلك قررتُ الذهاب بمفردتي».

صاحت ميلي قائلَةً: «أنتِ لستِ بمفردكِ! بل برفقتنا. أليس هذا صحيحًا، مالك؟».

أخذ مالك بيد ميلي وأجاب: «بلى، بالتأكيد».

تعالت ضربات قلبي، حتى كاد ينفجر من فرط الإثارة. في رأيي، كان مالك وميلي زوجين، أتوقع لهما أن يُتوجَّبا ملكًا وملكة لحفل العودة إلى الدراسة/ مهرجان الشتاء/ حفل الربيع/ حفل التخرج، جميعها قد امتزجت في زوج واحد.

عادت الموسيقى تُعلن بدء أغنية جديدة، وكانت من هذا النوع من الأغاني التي تجعل الجميع يضمنون ساقهم ويتمايلون على أنغامها. أما ميلي وأماندا ومالك، هؤلاء الأصدقاء السيئون، فقد تركونا بمفردنا على منصة الرقص من أجل طاولة المشروبات الباردة.

عاد الفراغ من حولنا يمتلئ بمراهقين هائجين. وبيد أن ميتش قد لاحظ الفزع على وجهي، حين أخذ بذراعيّ وأحاط بهما رقبتَه. وبالكاد لامست يداه السمينتان خصري، غير أن عضلات بطني كانت منقبضة إلى الداخل بقدر ما يمكنني تحمُّله، وعجزتُ عن منع نفسي. وفي منتصف كل هذا الانفصال والتخبط، أثرنا أن نُبطئ من وتيرة رقصنا.

قال ميتش: «أفضِّل الرقص بهدوء».

إنه مثالٌ مُصغَّر للرجل الجنوبيّ النبيل، بسرّوالة الكاكي المُجعد، وقميصه العاجي ذي المربعات المتداخلة، وحذائه البُنّيّ طويل الرقبة.

حينما نطق بكلماته تلك، أطلقتُ العنان لجسدي شيئًا فشيئًا لكي يتهادى بين يديه. وعلى أنغام الموسيقى الصاخبة، أثرنا الرقص بهدوء، وعلى الأنغام الهادئة، فضَّلنا الرقص بصخب، فخلقنا إيقاعنا الخاص.

كان باتريك يشق طريقه بين الجموع ليصل إلينا، متحرِّشًا بأكبر عددٍ من الفتيات ممن يقابلهن في طريقه. قال مُوجِّهًا حديثه إلى ميتش: «مرحبًا يا رجل. لو كنتُ في محلك، لاحترستُ من هذه الفتاة. إنها عنيفة للغاية».

ثم قال مُوجِّهًا حديثه إليّ: «إن صانع الأطفال ما زال يعمل، في حالة إن كنتِ تتسائلين».

هزرتُ رأسي في استنكار، وقلتُ: «فليحِمنَا الرب جميعًا».

كان يقف متأرجحًا على عقبيه، وقال: «لقد سمعتُ أنكِ قد حملتِ بعضًا من أصدقائكِ على المشاركة في مسابقة الجمال معكِ. ولذلك من الأفضل لكِ أن تتأكدي أنهن يُدركن أنها مسابقة جمال وليست عرضًا للمواشي».

ورحل مهرولًا قبل أن يتمكن أيُّ منا من صياغة رده.

أخذ ميتش خطوةً إلى الأمام، قبل أن أعتصر ذراعه، وأجذبه إلى الخلف مجددًا. قلتُ: «تعلم أنه شخصٌ بغیض، أليس كذلك؟».

- أنا لم أقل إنكِ مخطئة قط.

لم أرُ بوو وبيكا سوى مرة واحدة يتراقصان على أغنية واحدة هادئة، كما لو أنهما قد باتا من هذا النوع من الأزواج الذين يُفضلون التقاط صورهم، وهم في ثيابٍ بيضاء وسراويل من الجينز، أو ذلك النوع الذي يُفضل الذهاب إلى عطلة عائلية معًا في أثناء فصل الصيف.

وقد كرهتُ ما انتابني من شعور. أسندتُ أحد خديَّ إلى كتف ميتش. وفي هذه اللحظة، لمحْتُ بوو يقتنص نظرةً نحوي، غير أنني في هذه المرة لم أشح بناظري عنه. وعلى أرض تلك الصالة الرياضية، التقت أعيننا. كان بإمكانني أن أتخيل رقصتنا معًا في تلك البقعة، نحن فحسب ولا أحد سوانا، فلم يكن السبب هو خلو الغرفة من الناس، بل عجز أعيننا عن رؤية ما سوانا.

قال ميتش: «لقد ذهبْتُ إلى حفل راقص في المرحلة الإعدادية. وقد أرغمتني أمي على ذلك. فتعین عليَّ أن أرتدي البزة التي خصصتها لأحد الفصح. وكنتُ الصبي الوحيد الذي تأنق لتلك الليلة».

ظلت عيناي مُحدَّقةً إلى بوو، وكنتُ مُدركةً تمامًا لما يختلج في صدري من نيران الغيرة، غير أن سؤالًا قد فلت من بين شفتيَّ إلى ميتش، بصوتٍ بدا غائبًا ومنهكًا: «هل حظيتَ بمرافقة في تلك الليلة؟».

- لم يكن ثمة مرافقون حقيقيون لأي أحد. فكما تعلمين، كان من بيننا من يطلقون على بعضهم مسمى أصدقاء حميمين وصديقات حميمات، وكان هذا كل ما في الأمر.

همست بيكا في أذن بوو بشيء، وبعد هنيهة بدت وكأنها وداع بيننا، شاح بوو بنظره عني. وانسلَّ الاثنان معًا خلف حائِطٍ مُصمت من الناس. تطلعتُ إلى الفراغ الذي خَلَفَه بوو من ورائه، ثم اتجهتُ بسؤالي إلى ميتش: «هل رقصت برفقة أي فتاة حينها؟».

مرَّ ميتش إصبعه لأعلى ولأسفل عمودي الفقريّ، وكنتُ أعلم جيدًا أن هذا التواصل البسيط بيننا هو قفزة عالية في مسار علاقتنا.

أجاب: «كلا. بل اكتفيتُ بالجلوس على كرسيّ قابلٍ للطّي بجانب المرافقات من الأمهات طوال اليوم. وقضيتُ بعض الوقت برفقة بعض الشباب الذين كانوا يتقاذفون الكرة على الجانب الآخر من الصالة الرياضية. لكني لم أرقص في تلك الليلة».

رفعتُ رأسي عن كتفه، وتطلعتُ إلى عينيه، ثم قلت: «حسنًا إذن، أنتَ ترقص الآن».

ندت عن شفتيه ابتسامة طيبة، ثم قال: «رقصة تستحق الانتظار».

\*\*\*

لاحقًا، حينما كنا نسير في طريقنا إلى ساحة انتظار السيارات، وأصوات الموسيقى والرقص تتراجع من خلفنا، انفلت حذائي ذو الكعب القصير من بين أصابعي، فمدَّ ميتش ذراعه لأستند إليها. بداخل قاعة الرقص، لا وجود للقواعد. فقد كان مسموحًا لي أن أميل برأسي على صدره، وأسمح له أن يُطوّق ذراعيه حول خصري، لأن هذا من صميم الرقصات، وهذا ما تفعله تمامًا حينما تُراقص أحدهم. لكن هنا، خارج تلك الفقاعة، بات الأمر مختلفًا تمامًا. ولا أريد أن أكون الشخص الذي يقوده إلى كسر القواعد، وأحوّل ما بيننا إلى شيء آخر على غير حقيقته.

ابتسم إليّ في حنوّ، فتأبطتُ ذراعه. كنتُ قد أفسدتُ الكثير مؤخرًا، ولم أكن على استعدادٍ أن أضيف هذه الليلة إلى القائمة.

سأل ميتش: «أما زلتِ لا تتحدثين إلى إيلين؟».

- بلي.

لم أكن قد أخبرته بملابسات الأمر، غير أنني قد أخبرته أننا قد تشاجرنا شجارًا عصيبًا. لم أكن راغبة حقًا في مشاركة المزيد، وكان هو من الذوق ألا يسأل عن الأمر.

- لقد كنتم مثل التوءمين الملتصقين، لا تنفصلان أبدًا. وأتذكر عندما كنا ندرس رواية حيثما تنمو بذور السرخس في الصف السادس، وكنا نُلقي تقاريرنا حول الكتاب أمام طلاب الصف بأكملهم. أومأتُ له بالموافقة، وتابعْتُ: «كانت دائمًا ما تبكي عندما نصل إلى الجزء الذي يتعلق بالجرو».

لقد كرهت إيل ذلك الكتاب، فلم تكن من النوع الذي يمكنه قراءة كتابٍ يحملها على البكاء، ثم تراه كتابًا جيدًا لأنه قد مسَّ أوتار قلبها. بل إن الكتب أو الأفلام التي تحمل إيلين على البكاء تثير غضبها وحنقها. كما لو أنها نوعٌ من الخيانة.

أضاف ميتش: «وهكذا أنهيتِ أنتِ قراءة التقرير بدلًا عنها».

- لقد تدربتُ على قراءته أمام المرأة عدة مرات. وكانت شديدة الحنق على نفسها حينما بدأت في البكاء. رفعتُ رأسي لأعلى بعدما أدركتُ أنني كنتُ مستندة إلى ذراعه طوال هذا الوقت.

حينما وصلنا إلى السيارة، فتح بابها من أجلي، ثم أضاف: «إلى متى ستسمحين لهذا الأمر بالاستمرار؟».

لجزء من الثانية، اعتقدتُ أنه يتحدث عني، أنا وهو. غير أنني أدركتُ الحقيقة، حينما انسل بجانبني خلف عجلة القيادة، فأجبتُ: «إنها تحظى بأصدقاء جُدد الآن. ولا أعتقد أنني نِدُّ لكالي».

- اسمعيني جيدًا! من الواضح أنني لا أعرف القصة بأكملها، ولكن الصداقات الجيدة هي الصداقات الراسخة، الصداقات التي يُقدَّر لها تخطي الفجوات والآلام المتزايدة.

\*\*\*

## الفصل الثامن والثلاثون

أماندا لومبارد سائقة مُريعة، ولكن بما أن ميلي كانت عاجزة عن استعارة شاحنة والدتها هذه الليلة، كانت أماندا هي الوحيدة من بيننا التي تمتلك سيارة غير مُعطلة ويمكنها أن تستوعب أربعتنا دون عناء.

قالت ميلي: «هذا لطفٌ من والدتك أن تسمح لنا باستعارة شاحنتها».

رفعت أماندا كتفها في غير اكتراثٍ، بينما كانت تكبس بقدمها على دواسة الوقود، وقالت: «في الحقيقة، لقد أبدت شيئاً من الحماس حين سمعت بأنني سأخرج برفقة أصدقائي. رغم أنها ليلة الثلاثاء».

أومأت برأسي تصديقاً على حديثها، في الحقيقة، لم أمنهن التفاصيل كافة حين دعوتهن برسالة نصية.

أنا: «مرحباً! إذن أعتقد أننا جميعاً نتفق على تراكم أمورٍ كثيرة علينا العمل عليها قبل تلك المسابقة. وهناك تلك الفعالية التي تتعلق بالمسابقة بطريقةٍ أو بأخرى، وستُقام في أوديسا مساء الغد، وأعتقد أن بإمكاننا الاستفادة ببعض النصائح».

هانا: «جدول مواعيدي مملوء».

أنا: «سنحتاج أيضاً إلى وسيلة نقل. فسيارتي خارج نطاق الخدمة».

ميلي: «أُتسكع الآن برفقة أماندا. إننا موافقات. ويمكنها أن تقود سيارتها. لا أطيق الانتظار!».

هانا: «حسناً! سأذهب معكن».

حسنًا إن نصف الحقيقة هو شعوري بالمسؤولية تجاه الفتيات الثلاث، وفكرتُ في أنه ربما كان بإمكاننا الاستفادة من بعض النصائح حول المسابقة. أنا لا أحاول أن أكون قائدة الفرقة أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن لو لم أبدأ هذا الأمر برُمته، لما كنا جميعًا هنا الآن في القارب ذاته.

أما الحقيقة بأكملها فهي أنني كنتُ بحاجة إلى توصيلة. وهذا تصرفٌ وضعيٌّ مني، لقد أدركتُ ذلك. غير أنني قد تكفلتُ بتكلفة الوقود لسيارة أماندا، ولم تكن تكلفة ملء شاحنة والدتها بالوقود بالأمر الزهيد مطلقًا. وهكذا، فأنا في جِلٍّ من الشعور بالذنب! بعض الشيء.

بينما كنا نشق طريقنا عبر الطريق السريعة مبتعدات عن المدينة شيئًا فشيئًا، استمعتُ إلى ميلي وأماندا تتجادلان حول سلسلةٍ من الكتب التي تقرأنها، في حين أنني جلستُ على الأريكة الخلفية برفقة هانا وقد تجعدت قصاصة من الورق في يدي.

## أمسية دوللي بارتون!

احضروا لرؤية مُقلّدي دوللي بارتون يتنافسون حول الشهرة المتنامية لأفضل مُبتذلة صغيرة في تكساس! سيتمتع الفائز بحقوق التفاهر وسيحصل على مخزون عامٍ كامل من أحمر شفاه أٌقون هديةً من ماركة كيوي لافندر خاصتنا!

هايداواي على طريق بالمر أند فورث، أوديسا، تكساس.

تُفتح الأبواب في الساعة 8! ويبدأ العرض في الساعة

19!

بعدما صفقنا السيارة في ساحة الانتظار، التفتت إليّ ميلي وسألت: «هل أنتِ واثقة أن هذا هو المكان الصحيح؟».

ألقيتُ نظرةً فاحصةً إلى الشارع المقابل، وأشرتُ إلى لافتة باللون الوردِيّ المتوهج، تُومضُ بكلمة «هايداواي». وتعرّفتُ على هذا المكان من صورة لوسي التي منحنتني إياها السيدة درايفر لأحتفظ بها.  
أجبتُ: «هذا هو المكان الصحيح».

سألتُ ميلي مجددًا: «أي نوع من المسابقات تلك التي تُقام في حانة؟ هذه حانة، أليس كذلك؟».

فسعلتُ سعالًا خفيفًا قبل أن أجيب: «أعتقد أنه من الأفضل لو وسعنا أفكارنا. إلى جانب أنني لم أقل إنها إحدى ضرورات المسابقة».  
ضحكت هانا وقالت: «حسنًا، من الأفضل لو أن الأمر مسلٌّ».

وترجلنا جميعًا من السيارة. وقفتُ أماندا على بقعة الضوء المرتعش أسفل اللافتة وقالت: «إن شاحنة أمي في أمانٍ هنا، أليس كذلك؟».  
لم يُجرِ أيُّ منا جوابًا.

كان ثمة صفٌّ قصير من المنتظرين أمام الباب، وفي نهايته -أماندا مباشرة- مجموعة من المعجبين المهووسين المشتبهين بدولي، أو ما افترضتُ أنهم كذلك. قد يبدو لك أن افتراضي بلا أهمية، ولكنني في الحقيقة لم أقابل شخصًا مثلهم من قبل. حسنًا، أعني أنني لم أقابل شخصًا قد يكون منفتحًا بشأن أمر كهذا، فهناك الكثير منهم في كلوفر سيتي، أنا واثقة من ذلك، غير أن الأشخاص الذين قد سمعتُ بهم، يجري التعامل مع قصصهم باعتبارها أساطير محلية أو مواعظ تحذيرية. وقد كانت لوسي تتمتع بصداقات كثيرة مع أشخاص مثلهم عبر الإنترنت، فوفقًا لما جاء على لسانها، إن دولي بارتون هي قديستهم.

مررتُ في حياتي بلحظاتٍ شعرتُ حينها أنني أعرف كل شيء، وأنني لم أترك بابًا دون طرقة، ولم أترك أمرًا دون اكتشافه. غير أن أشياء كهذه تُذكّرني كم أن عالمي صغير، وكم أن جهلي عظيم.

همستُ أماندا بعدما دلفت تلك المجموعة من الشباب عبر الباب: «يا فتيات! أعتقد أن هؤلاء الشباب من معجبي دولي».  
فقلّبتُ هانا عينيها، وعلّقت: «يا لذكائك!».

تابعت أماندا غير عابئة: «أين تمكنوا من تقليد شعر حواجبهم بهذه المهارة؟».

كان الرجل الواقف أمام الباب ضخم البنية، تتقدمه كِرشٌ عريضة، وكان كل ما يرتديه هو سروال من الجينز، وسُترة جلدية. كان من الصعب عليّ تخيل لوسي في مكان كهذا، ثم خطر ببالي ظلال العينين الزرقاء اللامعة التي رأيتهما تتزين بها في تلك الصورة، وفكرتُ في أن الأمر لا يبدو مستحيلًا على أي حال.

دمدم حارس الملهى: «بطاقات الهوية؟».

فسألت ميلي: «مم، لماذا؟».

- مسموح لمن في الثامنة عشرة فما فوق.

هكذا أجاب الحارس.

قرقرت أمعائي وغزاها الألم الشديد. فقلتُ له: «لكن هذا لم يُذكر في رسالة البريد الإلكتروني».

- حسنًا، ولكن هذا ما أقوله أنا.

اندفعت هانا متجاوزةً ميلي وأماندا، ثم قالت: «اسمع، لقد جئنا من كلوفر سيتي إلى هنا. هل تدرك أين تقع تلك المدينة؟».

نخر الحارس في استهزاء، فبادرته هانا مجددًا: «هذا صحيح! بالطبع لا تعرف، لأنها مدينة كئيبة صغيرة لم يسمع بها أحد قط. وقد قدنا سيارتنا لساعتين لنخرج من ذلك المكان القذر، فلا يمكنك أن تقول لنا أبدًا إن كل ما فعلناه كان بلا جدوى».

لعق الحارس شفثيه في تفكُّر. وكدتُ أعتقد أنها ربما تغلبت على إصراره. ما أقصده هو بالنظر إلى مظاهرنا، فقد كانت ميلي ترتدي بزة نسائية من البولستر، وأماندا في سروالها الرياضي القصير، الذي أعتقد أنه السروال نفسه الذي ارتدته بالأمس أيضًا، لا نشبه هذا النوع من الفتيات القادرات على تجرُّع الكحوليات القوية. حسنًا، ربما كانت هانا قادرة على ذلك.

قال الحارس أخيرًا: «كلا. آسف يا أطفال. لا يمكنك الدخول».

فقلتُ موجهةً حديثي إليه، كما لو أن ما أقوله سيُحدث أي فارق: «ولكن ألقِ نظرة على رسالة البريد الإلكتروني تلك».

التقط قصاصة الورق من يدي، وحام بناظريه أعلى الصفحة، قبل أن يقول: «هذا ليس عنوان بريدك الإلكتروني».

ابتلعتُ ريقِي، ثم أجبتُ: «إنها خالتي. لوسي!».

طوى قصاصة الورق في حُرصٍ، وأعادها إليّ مجدداً. ثم سحب أربع أساور لليد ذات لونٍ برتقاليٍّ مُضيءٍ من جيب سُترته، وربطها حول معاصمنا. فغرتُ فاهي غير مُصدّقة.

قال الحارس: «لو استرقت أيُّ منكن نظرةً إلى طاولة البار حتى، فستطرَدن».

ثم أمسك بمرفقي بينما كانت الأخريات يدلفن إلى الداخل، وقال: «كانت لوسي من أفضل الناس».

أومأتُ له في عرفانٍ، وفي قرارة نفسي، رحتُ أغدق عليها الشكر امتناناً لما منحته إيانا من سحرِ هذه الليلة.

في الداخل، وجدنا طاولة صغيرة تقع على الجانب البعيد من خشبة المسرح، وبعيدة تمام البعد عن طاولة البار. وحين مرَّ النادل بجوارنا، ألقي نظرةً خاطفةً على أساور اليد في معاصمنا، ثم عاد إلينا حاملاً أربع زجاجاتٍ من المياہ. جذبتُ ميلي كرسيتها بالقرب منا وأسدلت شعرها على كتفيتها، ثم قالت: «هذا عددٌ كبير من الرجال هنا، ألا تعتقدن ذلك أيضاً؟».

جابت هانا الغرفة بعينيها هنيهةً، ثم تغيّرت ملامح وجهها قبل أن تقول: «أعطيني رسالة البريد الإلكتروني تلك».

مال جسدي مبتعداً عن متناول يدها، وقلتُ: «ماذا؟ لماذا؟ كلا!».

مدّت يدها لتصل إلى جيب سُترتي، وعلى الرغم من محاولاتي المستميتة لدفع يديها بعيداً عني، فإنها تمكنت من انتزاع قصاصة الورق من جيب سُترتي. كانت كلُّ من ميلي وأماندا في عالمها الخاص، تستقيان كل ما يحيط بهما من بهرجة. أما هانا، فقد استغرقت نحو دقيقة لتقرأ رسالة البريد الإلكتروني، قبل أن تُعلّق: «اللعنة!».

خفتت الأضواء من حولنا، مُعلنةً بدء العرض، حين سألتُ: «ماذا؟».

هزت رأسها في استنكار، وقالت: «يا إلهي! أنتِ لا تعلمين، أليس كذلك؟».

وصفعت الطاولة بيدها بينما كانت الضحكات تتطاير من فمها هنا وهنا، ثم تابعت: «ميلي! إن أمكِ ستجعلكِ تتمنين لو أنك تغسلين عينيكِ بالصابون حين تصلين إلى المنزل الليلة لتزيلي أثر ما سترينه هنا».

تكوّر فم ميلي عن حرف «يا»، غير أن هذا كان كل ما رأيته قبل أن يسود الظلام أرجاء الملهى، عدا القليل من الأضواء الدوّارة عند طاولة البار.

وعبر مكبرات الصوت، جاء صوتٌ رخمٍ مثير: «مرحبًا بكم أيها المتسكعون والمتشردون والسيدات والسادة في أمسية دوللي بارتون في هايداواي!». صفّق الحضور وهتفوا.

تابع الصوت: «ستتشرف خشبة مسرحنا أولاً بحضور الأنسة كاندي ديش المحبوبة! دعونا جميعًا نرحب بها!».

سُلّطت بقعة الضوء في منتصف خشبة المسرح حيث تقف امرأةٌ فارعة الطول، ترتدي شعرًا مستعارًا ضخماً بلون أشقر، ويغطي جسدها فستانٌ مخمليّ من اللون الأخضر الليمونيّ تلامس أطرافه الأرض، وتطل بوجهٍ تملؤه الزينة المُفرطة، وشفتين مملوءتين مرسومتين. بدأت الموسيقى في الخلفية، وحينها عرفتُ الأغنية بعد نغمات قليلة فحسب، لقد كانت «Higher and Higher».

«إن حُبكِ يحملني... لأعلى فأعلى، فأعلى».

تغني الأنسة الجميلة، ثم يتسارع إيقاع الموسيقى، ورغم أن جسدها كان مستقيماً وهزيلًا، فإن خواصرها قد بدت كالسحر، وكانت تتمايل بجسدها النحيف لتُشعل المسرح بكل ما تملكه من مقومات. وكنتُ مشدوّهةً بتلك الحالة، لدرجة أنني لم أفكر حتى في التطلع إلى ردود أفعال صديقاتي. رددتُ معها كلمات الأغنية، وقبيل أن تترك خشبة المسرح مُعلنةً انتهاء فقرتها، أدركتُ حينها أن هانا كانت غارقةً في نوبة ضحك جنونية.

كانت عيناى قد اعتادت الظلمة. التفتت ميلي إليّ، وكان تعبير المفاجأة السابق ذاته الذي غمر وجهها حين خفتت الأضواء لم يزل مسيطراً، حين قالت: «ويلودين! أرجو أن تُصححي مفهومي إن كنتُ مخطئةً، ولكن ألم يكن عرض تلك الأنسة نسخة باهرة من دوللي بارتون!».

ألقيتُ نظرةً حولي، فرأيتُ الجميع يُشبه دوللي بارتون، بطراز الملابس نفسه والشعر المستعار.

علّقت أماندا: «هذا أفضل كثيرًا من البرامج الواقعية».

صَفَّقَ الحضور حين انحنت كاندي ديش تحيةً للجمهور. وجاء الصوت الرخيم مجددًا يقول: «دعونا نُصَفِّقُ للنجمة الأيقونة بريتني سويرز!».

ظهرت امرأةٌ أخرى من وراء الكواليس، وحينها أدركت ما لاحظتهُ صديقاتي. لاحظتُ خط الفك الدائري، ولون بشرتها الأصلي أسفل زينة وجهها، رغم تغطيتها المثالية.

هذا استعراض دوللي بارتون!

اعتدلتُ في جلستي على الكرسي. وعصفت أمعائي في إثارة، فلأول مرة منذ تلك الليلة التي جلستُ فيها برفقة بوو في مؤخرة شاحنته نشاهد زخات الشهب، شعرتُ أن حياتي تبدأ من جديد.

قالت هانا: «أكاد أنبهر مما أراه».

على مدار تلك الليلة، شاهدنا شبيهات لدوللي من كل شكل وحجم ولون يُقدّم كل ما لديهم ويعرضن كل مواهبهن على خشبة المسرح في هذه الحانة القذرة الصغيرة التي تقع في منتصف غرب تكساس. كُرِّرَ يرتدين الأزياء البرّاقة المُتقنة، والأحذية ذات الكعوب العالية، وباروكات الشعر المستعار غير المعقولة، كل واحدةٍ منهن تُمثل جمالها الخاص، حتى إنه كان ثمة عرض ثنائيٌّ تتقلد فيه إحدى المرأتين بملابس جعلتها تبدو مثل كيني روجرز تمامًا لأداء أغنية «Islands in the Stream»<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك، كان العرض المفضل لي لملكة آسيوية قصيرة تُدعى لبي وي. كانت ترتدي فستانًا قصيرًا بلون الأزرق السماوي، تُغطيه قطعة قماشٍ طويلة للغاية من الخيوط اللامعة حتى إنها في كل مرة تتحرك، كانت تبدو مثل بقعة ضبابية متحركة. وعندما تركز دائرة الضوء عليها وتبدأ الأغنية، لا يستغرق الأمر سوى نغمة موسيقية واحدة قبل أن يضح المكان بأصوات الهاتفين: «جولين!».

أدرك تمامًا أن ما سأقوله ليس سوى عبارة مكررة، ولكن إذا اضطررتُ إلى سماع أغنية واحدة بقية حياتي، فستكون أغنية «جولين». الجميع يحب هذه الأغنية، غير أنني أعتقد أنها تستلزم نوعًا خاصًا من انفطار القلب حتى يتسنى

(1) أغنية لكلٍّ من دوللي بارتون وكيني روجرز. (المترجمة)

لك أن تطلق عليها حقًا أغنيتك الخاصة. أقصد أن دوللي بارتون -الأيقونة دوللي بارتون- تغني إلى امرأةٍ أخرى مجهولة تُدعى جولين، التي تعتقد أنها أبهى جمالاً منها وأكثر استحقاقاً عنها، وتتوسل إليها ألا تختطف حبيبها منها. هي أغنية ساحرة والجميع يحفظ كلماتها عن ظهر قلب، لكن حين أتحدث عن نفسي، أدرك أن هذه الأغنية هي بمنزلة اللافتة التي تُخبرك أنه لا يهم مَنْ تكون، فدائمًا سيوجد شخصٌ آخر أبهى جمالاً أو أوبرك ذكاءً أو أشد نحافةً منك. فالكمال ليس سوى طيف كاذب نلاحقه جميعًا. وإن كان بإمكانني أن أغني ما يستحق المديح، فستكون هذه الأغنية هي ما سأغنيها في مسابقة الجمال. وفي نهاية الأغنية، كنتُ أكفكف دمعاتي لم أدرك حتى أنني قد ذرفتُها.

غادر أربعتنا في نهاية الأمسية، وقد علقت بوجوهنا نظرة دهشة وإعجاب، كما لو أننا قد قضينا الساعات القليلة الماضية شديداً القرب من شاشة التلفاز.

بينما كنا نشق طريقنا نحو الشاحنة، نادى أحدهم من الباب الخلفي: «مهلاً! يا أطفال!».

التفتُ، فوجدته الحارس الذي قابلناه في بداية الأمسية. وجهتُ حديثي إلى الفتيات الثلاث، ميلي وهانا وأماندا، قائلةً: «اذهبن أنتن إلى السيارة، سألحق بكن بعد لحظات».

جلس الرجل ضخم البنية على كرسي قدم صغير، وقال: «اسمي دالي. هل استمتعتِ بأمسيته؟».

أومأتُ له في إيجاب، ثم أضفتُ: «أعتقد أنه يمكنني القول إنها كانت أكثر التجارب فائدةً وثرًا في حياتي».

- يبدو تعليقًا منصفًا تقولينه عن معظم الاستعراضات الغنائية.

أشرتُ برأسي نحو الشاحنة، وقلتُ: «لقد استمتعت صديقاتي أيضًا».

- لي!

التفت منادياً بهذا الاسم من وراء كتفيه، بينما كان يسحق عُقب سيجارته أسفل حذائه ذي الرقبة، ثم أضاف: «حبيبتي!».

كانت ليبي وي، الملكة التي غنّت أغنية «جولين»، تمشي الهويينا مغادرةً من الباب الخلفي. وبدأت في هيئتها الآن، دون كعبها العالي، في جسدٍ أقصر طولاً وأشد استدارة مما كانت عليه على خشبة المسرح. تنقلت نظراتها بيني وبين الحارس، ثم ابتسمت، رغم أنه لم يكن لديها أدنى فكرة عن كون.

سألها دالي: «هل تذكرين لوسي؟ لقد اعتادت أن ترتاد الملهى هنا برفقة سوزي درايفر».

والدة إيل! يا إلهي! تمنيتُ في تلك اللحظة لو أن إيل كانت معي هنا الليلة، فقد كان مجيئها هو الشيء الوحيد الذي كان بإمكانه أن يجعل التجربة بأكملها أمراً أشد روعةً وبريقاً.

صكّت لي صدرها بيدها، وقالت: «أوه، الجميلة لوسي! بالطبع أذكرها».

كان صوتُ ليبي أغلظ مما توقعت.

قال دالي: «هذه ابنة شقيقتها».

فأومأتُ لها في تحية، وقلتُ: «ويلودين».

ودون لحظة تردد، مدت لي يديها لتحتضن يدي، وقالت: «أنا آسفةٌ حقاً لخسارتك، لقد كانت لوسي جوهرةً حقيقية. تمتلك قلباً عطوفاً مُقبِلاً على الحياة. وقد اشتد حزننا لسماح خبر وفاتها».

قلتُ: «ش... شكرًا لك».

ولا أدري حقاً السبب الذي دفعني لأُضيف: «لقد شعرتُ بالضياع دونها. كما لو أنها كانت البوصلة التي لم أكن أدري حتى إنني أمتلكها».

أومأتُ في إيجاب، وأطبق دالي شفتيه معاً في خطٍ رفيع، قبل أن يُضيف: «ابعثي برسالة على البريد الإلكتروني للملهى إن احتجتِ أي شيء».

تقدمت لي بخطواتٍ رشيقة إلى الأمام، وطبعت قُبلة على جبهتي. ثم قالت: «لا يوجد شيء جيد في فقدان أحدهم. ولكن ربما لم يكن من المفترض أن تظل لوسي هي بوصلتك إلى الأبد. ربما ظلت برفقتك لوقتٍ يكفيك لتتعلمي كيف تكونين أنتِ بوصلتكِ الخاصة، وتجدين طريقكِ الخاصة».

ثم غمزت لي بعينها، وتابعت: «إن نواميس الكون أمر عجيب».

تركتُ دالي وليبي في موضعهما أمام باب خشبة المسرح، وقفزتُ مسرعةً إلى المقعد الخلفي للشاحنة.

سألت أماندا: «ماذا كانا يريدان؟».

- يُخبرانني فحسب ألا نعود إلى هنا مجددًا قبل أن نُنِمْ الثامنة عشرة.  
علّقت هانا: «هناك بقعة من أحمر الشفاه على جبهتك».  
فأجبْتُها: «أجل، أعلم ذلك».

لقد رغبتُ في ترك تلك البقعة دون مساسٍ إلى الأبد بمنزلة مباركة. فقد  
كانت التصريح الأخير الذي أحتاج إليه لأصير قدوتي التي أحتذي بها.

\*\*\*

## الفصل التاسع والثلاثون

امتد الأسبوع الواحد إلى أسبوعين، وأدركتُ حينها أنني وميتش قد بدأنا نقضي معًا فترات الغداء وكل لحظة لا أكرسها للعمل أو مسابقة الجمال. وكدتُ أحكي له كل شيء بشأن العروض الغنائية في ملهى هايداواي، غير أنه قد بدا أن الأمر أشبه بمحاولتك حكي الجزء المفضل لك في أحد الأفلام لشخصٍ ما لم يرَ الفيلم البتة، لن تعطي الأمر حقه في نهاية المطاف.

لقد استقر كلانا على نمطٍ يوميٍّ بسيط، فكان بإمكانني الخروج على منزله ومشاهدته يلعب ألعاب الفيديو، وأحياناً ما كنتُ أتولى التحكم بنفسني مراتٍ قليلة. وفي إحدى الأمسيات، مكثتُ برفقته حتى موعد العشاء، غير أنني شعرتُ حينها بشيء أقرب للتعدي على ممتلكات الغير. فمما أمكنني استنتاجه، اعتاد ميتش ووالدته تناول العشاء معاً كل ليلة، بينما يتناول والده وجبته على طاولة تلفازٍ صغيرة تُوضَع أمام كرسيه الجلديّ المنبسط. وقد لاحظته حين دلف إلى المنزل عائداً من عمله، ثم أحضر زجاجة جعة، وانتظر في غرفة الجلوس حتى يُؤتى إليه بطعامه.

جلس ثلاثتنا للطعام على طاولة العشاء في صمتٍ مُطبق، ولم يصدر عنا سوى صوت احتكاك أدوات المائدة الفضية بأطباقنا. راودتني رغبة لأسأل ميتش عن هذا الأمر، غير أنني شعرتُ بأنه سر لا يتعين عليّ معرفته.

مرّت بضعة أيام، وجلستُ برفقة ميتش في فترة الغداء، نتحدث عما نرغب في تحقيقه بعد التخرج في المدرسة الثانوية، وحينها أتى على ذكر الأمر بنفسه، دون سؤالٍ مني. استطرد قائلاً: «لا أدري إن كان بإمكانني تركُ والدتي بمفردها. أقصد أنه لا يضربها أو يؤذيها بأي شكلٍ كان. لكنهما لا يتحادثان.

مطلقًا. وقد انتابتني رغبةٌ بأنه ربما كنتُ أنا المشكلة بينهما، وحينما أرحل عن المنزل، ستتحسن الأمور بينهما».

- لماذا لا يلجآن إلى الطلاق؟ أعني أن المنزل الذي يقوده عائلٌ واحد هو كل ما عرفته طوال حياتي، وقد عوّضت لوسي مكانة الأب المُتهرب بالنسبة إليّ. فقد كان أبي مجرد عابر سبيل بالمدينة. وقد مكث بها لفترة، لكنها لم تكن فترة كافية لتجعل منه ما هو أكثر من مجرد شاب. إنه الآن في أوهايو أو أيداهو. أي مكانٍ يقذف إلينا بالحمقى.

ارتسمت على شفثيه ابتسامة منكسرة. ثم أجاب: «إن أُمي لا تؤمن بالطلاق، وتُصاب بالضيق والاستياء الشديدين في كل مرة أذكر فيها أمر الطلاق».

وحين كنتُ بصدد التعليق على حديثه، مرَّ تيم من جانبنا. فقلتُ موجهة حديثي إلى ميتش: «انتظرني لحظة!».

وكنتُ قد تركته قبل أن أنهي جملي، لأتبع تيم. وناديتُ: «تيم!».

تطلعتُ من حولي لأرى أي إشارة على وجود إيلين، بينما كنتُ أتبعه إلى طابور الغداء. وقطعتُ الطابور قبل ثلاثة من طلاب الصف الأول لأنحشر خلف تيم. ثم قلتُ: «تيم، بربك. تحدث إليّ».

مدَّ يده ليلتقط صينية طعام، وكذلك فعلتُ. ثم تابعتُ مذكرةً إياه: «إننا أصدقاء أيضًا، كما تعلم».

التقط أحد أطباق المعكرونة والجبن من أسفل المصباح الحراري، ثم أجاب: «أعلم ذلك، ويل».

تطلعتُ من خلف كتفي مرة أخرى بحثًا عن إيل، رغم أنني لم أرها في صف الفترة الثانية أيضًا. فأجاب تيم عن بحثي: «إنها مريضة اليوم».

حاولت عاملة المقصف أن تعرض عليّ طبقًا من شرائح الدجاج المقلي، لكنني أشرتُ لها في رفض.

قلتُ: «عليك أن تجعلها تتحدث معي».

هز تيم رأسه، وأجاب: «متى حالف أحدهم الحظ من قبل في إقناع إيلين بفعل أي شيء؟».

كانت وجهة نظره منطقية، غير أنني لم أياس: «بربك، تيم. افعل شيئاً. يمكنني أن أقابلكما أحد الأيام في ساحة انتظار السيارات أو ربما بإمكانك أن تقول لها إنك ستلتقيها في الصالة الرياضية، وسأقابلها أنا بدلاً عنك».

- لا تنتظري مني أن أهدعها لتحدث إليك. ولا أريد أن أعلق بينكما.

دفع تيم ثمن طعامه حينما كانت عاملة المقصف تتطلع إلى صينيّتي الفارغة. فأخذتُ سلطانية صغيرة من الحلوى الهلامية، ودفعتُ إليها ببضعة دولارات دون انتظار السنتات المتبقية.

- بربك، لا تقل لي إنها ليست بائسة دوني.

- ويل، اسمعيني، سأبذل ما بوسعي، لكنني لا أدري كيف يمكنني أن أحملها على فعل شيء.

أومأت برأسي في حركات متتالية مثل امرأة شمطاء، وتظاهرتُ أنه لم ينطق بالنصف الآخر من عبارته، ثم أجبتُ: «شكراً لك. شكراً كثيراً لك».

- أنا حقاً أكره تلك الفتاة، كالي.

شعرتُ بأمواج الارتياح والطمأنينة تُتلج صدري، فليس ثمة رابطة أقوى من عدو مشترك. ثم أسرعتُ عائدةً إلى الطاولة حيث تركتُ ميتش بمفرده منذ عدة دقائق. قلتُ: «أنا آسفة حقاً».

لم يبدُ عليه الانزعاج حتى أجاب قائلاً: «لم يسعك التغلب على اشتها الحلوى الهلامية».

أقحمتُ ملء ملعقة صغيرة في فمي، وأدركتُ حينها أنه كان بإمكانني اختيار الحلوى الهلامية الحمراء.

استأنف ميتش الحديث مجدداً: «اسمعي، لا أقصد أن أجعلك في موضع حرج، ولكن أُمي تتحدث كثيراً هذه الأيام بشأن رغبتها في أن تصنع لك إكليل أشرطة حفل العودة إلى الدراسة، وأردتُ أن أطمئن إلى أن الأمر لن يكون مُحرجاً لك أو شيئاً من هذا».

ارتسمت على وجهي ابتسامة حانية، وأجبتُ: «كلا، لن يكون الأمر مُحرجاً أو شيئاً من هذا».

\*\*\*

نادرًا ما تُقرع أجراس الباب في تشيلي بول، مما يعني أنني دائمًا ما يُصيبني الفزع حين تُقرع. في هذه الليلة، وجدتُ رون -مديري السابق- يدلف إلى الداخل. ونظرًا للتصميم الداخلي الخشبي والزخارف القرمزية المميزة، بدا وكأنه يشبه عيدان قصب السكر في منتصف مخزن للأخشاب، حين وقف أمامي بقميصه المُخطط باللونين الأحمر والأبيض وسرواله الأبيض. طفتُ حول مكتب ماكينة الدفع، وهمستُ قائلَةً: «رون! ما الذي تفعله هنا؟».

فأجاب بصوت يشوبه الضجيج بعض الشيء: «ربما أرغب في بعض الفلفل الحار».

عقدتُ ذراعيَّ فوق صدري، ورمقتهُ بأفضل نظرة تقول: «كُف عن هذا الهراء» يمكنني أن آتي بها. أجاب بصوتٍ قد خفت عدة درجات: «حسن».

ثم أضاف يائسًا: «اسمعي، إننا نمر بفترةٍ عصيبة ونعاني نقصًا شديدًا في العمالة. وقد أجبرتُ ليديا على العمل لستين ساعة أسبوعيًا حتى تُغطي نوبات عملك القديمة، فكل شخصٍ نُعيّنه يغادرنا بعد فترةٍ عندما يجد فرصة أفضل. وقد باتت الآن تُهدد بترك العمل، ولا يمكنني تحمّل خسارتها هي الأخرى».

كان رأسي يهتز في رفضٍ حتى قبل أن يتمكن من إنهاء توسلاته. غير أنه رفع إحدى كفيه أمام وجهه، وأضاف: «اسمعيني جيدًا، لقد غادرتِ العمل في عجالة من أمرك. ربما أكون مُسنًا، لكنني لستُ غيبًا. ولا أدري بالضبط ما قد حدث، ولكن مهما يكن ما حدث، أعذك أن الفتيان سيحسنون معاملتك ويتأدبون معك. وقد أخضعتهما -ماركوس وبوو- للاستجواب القاسي بعدما غادرتِ، لكنني لم أحصل منهما على ما يُفيد».

هز رأسه في استسلام، ومع قلة حيلته، لاحظتُ خطوط الإرهاق تحتشد أسفل عينيه وحول فمه. وقبل أن تسنح لي فرصة للجواب أضاف: «امنحينا فرصةً أخرى. أتوسل إليك، ويل!».

انفجرت شفتاي لكي تؤكد الرفض مجددًا، غير أن صوتًا لم ينبس من بين شفتي. فقد كان رون دائم اللطف معي، وأعتقد أنني أدين له بالتظاهر -على الأقل- أنني سأفكر في الأمر.

أجبتُ أخيرًا: «سأخبرك بقراري بحلول نهاية الأسبوع. كما تعلم، يتعين عليّ التفكير في الأمر».

عقد يديه ورفعهما لأعلى شاكراً، وقال: «هذا من حقك. هذا من حقك». ثم جذب محفظته من جيب سرواله الخلفي، وقال: «سأخذ كوباً من صلصة الفلفل الحار».

\*\*\*

لم أخطِ سوى بالقليل من الزبائن طوال هذه الليلة، ولذلك فقد تسنى لي الكثير والكثير من الوقت لكي أفكر فيما عرض عليّ. بادئ ذي بدء، أنا إنسانة منطقية، وفكرتُ في قرارة نفسي: «ما تجنيه من مالٍ هنا لا يُقارن مطلقاً بما كنتِ تجنيه في مطعم هاربيز، وما هي سيارتك محتجزة في ورشة الصيانة. بالإضافة إلى أن هاربيز مطعمٌ مزدحم على الأقل، فلا يجعلكِ تشعرين بمضي الوقت».

ثم تذكرتُ كم كانت الوحدة تنخر عظامي طوال الأسابيع القليلة الماضية. أعني أن ميلي وهانا وأماندا، وميتش أيضاً، أصدقاء ودودون، بل على العكس، أصدقاء رائعون. لكن أياً منهم لا يحل محل إيلين. وقد جعلني مجرد التفكير في العودة إلى العمل لدى هاربيز، أشعر وكأنني أعود إلى مائتتي المفضلة. ولا يقتصر حنيني هذا على افتقادي لبوو فحسب، بل إنني أفتقد ماركوس ورون أيضاً.

لقد كان بوو هو السبب الرئيسي وراء تركي للعمل. السبب الذي حملني على عدم تحمُّل العمل هناك ثانيةً. غير أنه الآن وقد بدا أن الغضب الذي أرغمتُ نفسي مراراً على الشعور به نحو بوو، بات مزيفاً، مثل ذريعة ظننتُ أنه يجب عليّ التمسك بها. وقد بدا الآن أنه قد تخطى ما كان بيننا أيضاً. لستُ متأكدة من هذا، غير أنني قد سمعتُ بهمساتٍ حول ما يدور بينه وبين بيكا. وإذا لم أفكر في الشعور الذي يغمرني حين أُقبله، عندئذٍ يمكنني أن أكرر على مسامعي أنهما زوجان رائعان، وأنهما يناسبان بعضهما بعضاً تماماً. وربما تنطفئ بداخلي تلك النيران المشتعلة، التي ليست سوى شعور بالغيرة يتملكني.

قبل مغادرة العمل، نظَّفتُ المكان من حولي، وأعدتُ ملء طاولة التوابل المُعبَّأة بالفعل. وقلتُ في قرارة نفسي: «ما زلتُ أفكر في الأمر، أنا لم أتخذ قرارًا بعد».

تمنيتُ لأليخاندر ليلةً طيبة قبل أن أستقل سيارة أُمي. وفضلاً عن الاستدارة يسارًا لأبتعد عن تشيلي بول، ضغطتُ قدمي دواسَّة الوقود، وأسَّرتُ عابرةً الشارع، لأدلف إلى ساحة انتظار السيارات خلف مطعم هاربيز. وكنتُ قد تخطيتُ خط الوقوف المرسوم على الرمال من شدة سرعتي.

كانت أبواب صالة الطعام مغلقة، لكنني طرقتُ عليها على أي حال. وعلى الجانب الآخر، أدار ماركوس القفل، وسمح لي بالدخول.

- عجبًا! مرحبًا! ماذا هناك، ويل؟ يا إلهي، تفوح منك رائحة البصل؟  
راقب بوو المشهد من خلف مكتب الخزينة بعينين متسعيتين وفكَّ مرتعش، غير أنني عجزتُ عن أن أشيح بنظري عنه.  
سألتُ ماركوس: «هل رون في مكتبه؟».

في تلك اللحظات، لو أن ماركوس قد رفع نظره عن القفل بدلًا من عبثه بسلسلة المفاتيح الضخمة، لأدرك كل شيء قد حدث بيني وبين بوو، ففي تلك اللحظة كان كل شيء باديًا على وجوهنا... منكشفاً وعلانيةً. كان كل ما يدور في قلوبنا حاضرًا في أعيننا، كما لو كنا نخضع لجراحة قلبٍ مفتوح.  
- أجل، أعتقد ذلك.

أغلق الباب من خلفي أخيرًا، ثم تابع: «ولكنك ما زلتِ لم تُجيبني عما تفعلينه هنا».

تجاهلتُ الجواب عن سؤاله، فقد كان القلق الذي يعتصر أحشائي قد حملني عبر غرفة الاستراحة، ومنها إلى غرفة مكتب رون. وبعد هنيهة، طرقتُ الباب المفتوح. كانت ليديا تجلس أمام مكتبه على صندوق خشبيٍّ مُصمت. وحين سمعت طرقاتي، التفتت بناظرها نحو الباب: «أوه، يا إلهي! لقد عادت أمانة الخزينة الضالة».

نهضت ليديا من جلستها، والتقطت علبة سجائرها عن المكتب، وقالت: «سأترككما بمفردكما».

وحين أولته ظهرها، ارتسمت على وجهها ابتسامة مقتضبة قيل أن تغلق الباب من خلفها. ودون أن أكلف نفسي عناء الجلوس، التفتُ إلى رون قائلة: «أريد زيادةً في الأجر. وسأحتاج إلى إجازة لعدة أيام من أجل... من أجل أمرٍ أود الاعتناء به».

ودون لمحّة من تردد، أجاب رون: «يمكنني أن أزيد أجرك بقيمة خمسة وسبعين سنتاً. ويمكننا العمل على جدول مواعيدك معاً. سنجد حلاً لما تريدين».

- حسناً.

لم أتوقع أن يكون الأمر بتلك البساطة... ثم تابعتُ: «حسناً، إذن فقد اتفقنا».

- هذا يعني أنك عدتِ إلى العمل؟

فأومأتُ في إيجابٍ، وقلتُ: «أجل، لقد عدتُ إلى العمل».

- كانت صلصة الفلفل الحار سيئة للغاية. وقد حاولتُ تناولها، لكن ليديا ظلت تحمّلني على التقيؤ في كل مرة تدخل إلى مكّتي. أعتقد أنها كانت تمزح، لكنها لا تزال سيئة.

- إن مذاقها شديد السوء.

ندت عنه ضحكة مكتومة، قبل أن ينهض عن كرسيه، ويقول: «أنا مسرورٌ لعودتك».

ثم سار برفقتي عبر المطبخ إلى الباب الأمامي. مررنا ببوو وتبعتنا عيناه طوال الطريق إلى الباب. وحين وصلنا، سألني رون: «هل يناسبك البدء يوم الاثنين؟».

- أجل، سأكون هنا في الموعد.

مدّ رون يده إليّ لمصافحتي، فصافحته. ثم سرتُ نحو سيارتي، وكانت عينا بوو لا تزالان تتبعانني، وشعرتُ في تلك اللحظات أن نظراته تشبه كُرّة من اللهب يشتعل في صدري، ثم غمرت كياني بأكمله، مثل شروق شمس يوم جديد.

\*\*\*

## الفصل الأربعون

قدّمتُ إخطار ترك العمل إلى أليخاندر، فتطلع إليّ بنظرة مفادها «ما الذي أُخّرَكَ كل هذا الوقت؟»، وقطع وعدًا بأنّي مُرحّبٌ بي دائمًا في تشيلي بول، ثم طلب مني أن أرسل برقم هاتفه إلى إيلين. ألقيتُ بقصاصة الورق المطوية في جيب سروالي، وأقسمتُ على نسيانها أبد الدهر. وحين أُخبرتُ ميتش بشأن عودتي إلى هاربيز، كنتُ شديدة الانفعال عصبية المزاج، غير أنه رفع كتفيه في غير اكتراث، وواصل استغراقه في لعبة الفيديو. خطر ببالي حينها أنه ليس ثمة سبب يدفعه للشعور بالضيق. ولأول مرة منذ تعرّفتُ إليه، شعرتُ أن عدم إخباري إياه بعلاقتي العاطفية ببوو، بدا كذبة.

كانت ليلة العمل الأولى لدى هاربيز هادئة، فضلًا عن إلحاح ماركوس بأسئلة لا نهاية لها عن تشيلي بول، مثل: «مَن يصنع صلصة الفلفل الحار؟» أو «هل صحيح أنكم يا رفاق لا تغسلون الأواني؟».

أما بوو، فقد عزل نفسه في المطبخ، غير أننا اهتدينا إلى لعبة «أمسك بي إن استطعت» لم تتضمن أي حركة سوى حركة أعيننا عبر طاولة المصباح الحراريّ. وحينما كان بوو يقضي فترة استراحته، مال ماركوس بجذعه إلى الأمام، وهمس قائلاً: «لقد كاد يُطرد من العمل بعد أسبوعين من رحيلك».

- ماذا؟

بالنظر إلى الطريقة التي حكى بها رون الأمر، جعلني أوقن أنه لن يتحمل طرد أي فردٍ لديه، ولذلك لا يمكنني أن أتخيل ما فعله بوو بهذا السوء حتى يحمل رون على طرده.

أجاب ماركوس: «لقد نقله رون للعمل إلى المكتب الأمامي، وأثر رون العمل في المطبخ، وقد كانت فكرة سيئة للغاية إذا أردنا الحديث عن الأمر. ثم جاء هؤلاء الشباب الذين كانوا زملاء لبوو في مدرسته القديمة، ورفض بوو خدمتهم. وأخبرهم صراحةً أنهم غير مُرحَّب بهم هنا. فأثار الشباب ضجةً كبيرة حول الأمر، حتى إن آباءهم قد أثاروا ضجة كبيرة هم الآخرون، ولذلك كانت الطريقة الوحيدة التي يحتفظ بوو من خلالها بوظيفته هي أن يُبقيه رون للعمل في المطبخ».

- يا إلهي! عجبًا!

أضاف ماركوس: «إنه فتى مجنون. وأشعر أنه في طريقه إلى قتل الجميع، أو أن يكون نجم أفلام مشهورًا مثلًا. لا يمكن أن نراه في حالٍ ما بين هذا وذاك».

يمكنني القول إن هذا ما أحببته في شخصية بوو، فإما أن تكون صديقه وإما عدوه. ليس ثمة نقطة التقاء وسطى. لم يُضف ماركوس المزيد عن هذا الأمر، فقد حاد عن الموضوع ليتحدث عن الجامعات المختلفة التي تنتقي من بينها صديقه الحميمة، تيفاني، وعن قراره هو الآخر بالالتحاق بأي كلية أهلية ستكون بالقرب من الجامعة التي ستختارها صديقته مهما تكن. لاحظت أنه لم يتوقف عن الحديث لي طرح عليَّ أسئلة متفرقة أو حتى يمنحني فرصة طرح أحدها، ويبدو أنه قد استراح إلى مجرد الحديث دون أن يقاطعه أحدهم ليُطره بوابلٍ من النصائح والأسباب التي من أجلها لا يتعين عليه تخطيط حياته بما يتناسب مع إحدى الفتيات. لا أدري حقًا لماذا التزمتُ الصمت، ربما سילتحق كلُّ من تيفاني وماركوس بالجامعة ويتخرجان، ومن ثم يتزوجان ويعيشان في سعادة أبدية. غير أنني لم أرغب في أن أصير الحمقاء التي عمل ماركوس برفقتها في مطعمٍ للوجبات السريعة، وقد زرعت بداخله بذرة الشك في مستقبله وحبيبته.

بعدما أنهينا التنظيف، أخرجتُ حقيبتني من خزانة أغراضي، وحينها وجدتُ حلوى مصاصة حمراء داخل الخزانة. حاولتُ إخفاء ابتسامتي، قبل أن أدسها في حقيبتني.

لم ينطق بوو بشيء، ولم يتطلع إليَّ بطرف عينيه. غير أنني أخرجتُ حلوى المصاصة من حقيبتني وأزلتُ غلافها، ثم دسستها في فمي، حين كنا جميعًا نغادر الباب الخلفي معًا. كانت غصن سلام بنكهة الكرز.

\*\*\*

حين عدتُ إلى المنزل بعد العمل، وجدتُ أمي تقف على ركبتها، وبجانبها لاسي ساندرز تقف على مقعد صغير في زِيٍّ رسميٍّ، وعلى الجانب الآخر، وجدتُ بيكا كوتر مضطجعةً على أريكتي تنقر بأصابعها على هاتفها الخلويّ. قالت أمي وقد خرجت كلماتها من بين شفتين منفرجتين وأسنانٍ مُطبقة على دبابيس مستقيمة: «مرحبًا، دمبلين!».

ثم وجهت حديثها إلى لاسي قائلةً: «عزيزتي لاسي، هل يناسبك هذا الطرف؟ لا يمكنكِ أن تصلي إلى طول أعلى من ذلك بهذين الكعبين، هل تسمعينني؟».

فرقعت لاسي علقتها، وأحدثت فقاعة قبل أن تنفجر فقاعتها، وتجيب: «أجل، أعلم ذلك».

تحدث الكثير من المفارقات والمواقف طوال موسم المسابقة، أما أن أرى أمي تُصلح الثياب في غرفة معيشتنا، فلم يكن أمرًا اعتدته من بين تلك المفارقات. وعلى الجانب الآخر، أتطلع إلى حقيقة أن بيكا تجلس هنا في منزلي، وقد دخل عقلي في حالة تأهب قصوى، كما هو الحال في واحدة من ألعاب الفيديو التي أدمنها ميتش. وأرى حروفًا تسطح بلونٍ أحمر فوق رأس بيكا، تقول: «هدف. هدف».

انتابني شعورٌ بالغرابة حين فكرتُ في التوجه إلى الطابق العلويّ، تاركةً هذا الجمع هنا بالأسفل، وهكذا جلستُ على الأريكة، وأحدثت نقراتٍ خافتة بلساني حتى خرج ريوت من مكمّن اختبائه. انتبهت بيكا وتطلعت لأعلى، ثم التفتت إليّ، قائلةً على الفور: «أوه، مرحبًا. أنتِ تعملين في هاربيز. لا بد أنك تعرفين بوو».

لم تفكر بيكا أن تهديدًا قد يأتيها من ناحيتي، فلماذا تفكر في ذلك على أي حال؟

استدارت لاسي حول نفسها، ورأيتُ حينها الفرع البادي على وجه أمي.

- لاسي، حلوتي، يجب أن تقفي ثابتة مستقيمة.

أجابت لاسي: «أعتذر إليك، آنسة دي».

وفرقعت فقاعة أخرى من علكتها.

تطلعت إلى زي العمل الذي أرتديه، ثم أجبت بيكا: «حسنًا، لقد عملتُ هناك طوال الصيف، وقد عدتُ اليوم إلى العمل هناك مجددًا. لماذا؟».

كانت نبرة صوتي حادة جوفاء، غير أن بيكا لم تلاحظ أيًا من هذا. وفي تلك اللحظة، انطلقت لاسي مُجيبة: «إنه شابٌ غريب».

عُقت بيكا: «إنه مرافقي. في حفل المسابقة. حسنًا، أنا لم أطلب منه مرافقتي بعد، لكنه سيكون مرافقي. حسب ظني».

تدخلت لاسي ثانية في الحوار، وقالت: «عجبًا، ربما يكون شابًا يحب الرزانة والهدوء...».

«اللعين».

غمغمت متشدقةً بصوتٍ خافت، ثم تابعت: «لكن على الأقل سيبدو وسيماً حينما يرتدي بزة رسمية. وربما يسمح لك أن تتحسسي هراوته».

كان يجدر بي أن أتقياً في تلك اللحظة... على حذائها.

صاحت أُمي في غضب: «يا فتيات!».

غير أن ضحكةً من بيكا قد صدحت في المكان، ثم تابعت على سبيل الإيضاح: «لقد ذهبنا إلى حفل سادي هاوكنز الراقص معًا».

حملتُ رايوت ودسسته أسفل ذراعي رغماً عنه، ثم نهضتُ عن أريكتي، متجهةً إلى الطابق العلوي، بعدما علقتُ: «فستانٌ رائع، لاسي».

استلقيتُ على فراشي، دون أن أخلع عني زي العمل، ورحتُ أكتب رسائل نصية لن أرسلها أبداً إلى إيلين. ثم بحثتُ عن رسائل جاءتني من تيم، أكون قد غفلتُ عنها دون قصدٍ مني. ففي كل مرة أراه في المدرسة، أتطلع إليه باحثةً عن نظراتٍ ذات مغزى، غير أن جُل ما وصلني منه هو هزة رأسٍ مقتضبة.

مضى بعض الوقت قبل أن تطرق أُمي باب غرفتي، وتدف إلى الداخل دون أن تنتظر إذني لها بالدخول. وحين صارت بالداخل، باشرت حديثها قائلة: «قررتُ أن أُجري بعض التعديلات على الثياب هذا العام من أجل زيادة الدخل».

وجذبت ربطة الشعر المطاطية من رأسها، وخللت شعرها بأطراف أناملها.

- كان بإمكانك أن تخبريني سابقًا.

هكذا أجبْتُ، وأنا أردد في قرارة نفسي: «بيكا كوتر! على أريكتي! لم أعد أشعر بالأمان حتى في منزلي الخاص. غير أن أهم ما لاحظته هو تلك الهالات الداكنة أسفل عيني أُمي».

قلتُ: «أنا آسفة».

فأومأت أُمي مبتسمة، ثم قالت: «لقد فاتتِك زيارة إيلين. كانت هنا اليوم برفقة والدتها».

اتسعت عيناى، وقد كانتا بالفعل مخضبَتين بالدموع التي تنتظر فرصتها لتغمر وجنتيَّ.

- كانت هنا؟

- أجل، جاءت لتُصلح طرف ثوبها. أنتِ تعرفين هذه الفتاة. يمكنها أن تشتري رُتقًا من القماش مباشرةً من مشجب القماش، وسيظل قياسه مناسبًا لها كما في عالم الأحلام.

- صحيح.

لا أدري حتى ما الذي سترتديه إيلين في مسابقة الجمال، ولا أدري حتى أي موهبة ستختار، ولا ما إذا كانت قد بدأت في التدريب من أجل الرقصة الافتتاحية.

سألت أُمي: «ما الذي يجري بينكما أنتما الاثنتان على أي حال؟».

فرفعتُ كتفي في استغرابٍ، وأجبتها سائلةً: «أنا وإيل؟ أظن أن كل ما في الأمر هو اختلاف في وجهات النظر».

- ستجتازان هذا الأمر سريعًا. فأنا ولوسي دائمًا ما خبرنا أشياء كهذه.

اقتربت أُمي شيئًا فشيئًا، وجلست عند مؤخرة فراشي. تطلعتُ إليها، وحاولتُ تذكُر المرة الأخيرة التي رأيتها تجثم في تلك البقعة، غير أن شيئًا لم يطفُ على سطح ذكرياتي، وبدت لي واحدة من تلك الذكريات التي تخبر نفسك دائمًا بأنها حقيقية، غير أنها في الحقيقة ليست كذلك. بل عقلك الباطن هو الذي يرغب في أن تكون حقيقية.

سألت أُمي: «هل فكرتِ بعد في إعداد خزانة ملابسكِ من أجل المسابقة؟».

- آه، كلا. ليس تمامًا.

وقضمتُ الزوائد الجلدية حول ظفر إبهامي، ثم تابعتُ: «أمي، هل تفتقدينها؟».

- أفتقد مَنْ؟

غصَّ قلبي ألماً حين لم تتعرف على مَنْ أقصده بالفطرة.

- لوسي.

- لوس...

خرجت الحروف من بين شفتيها، وكأنها تزفر همًّا، قبل أن تُضيف: «أجل. بالتأكيد. طوال الوقت».

والتزمنا الصمت معًا هنيهةً.

- في العام الذي فزتُ بمسابقة ملكة جمال المراهقات، ظلت لوسي مستيقظةً طوال الليل تحوك حبات اللؤلؤ البرّاقة على فستاني. وكنتُ قد اشتريتُ تلك الحبات من متجر للسلع المستعملة. وأخبرتها أن أحداً لن يلحظ تساقط بعض حبات اللؤلؤ، ولكنها لم تتخلَّ عن تعويض أي حبة لؤلؤٍ مفقودة. وأذكر أنها قالت في تلك الليلة: «الفرق بين الفوز والخسارة يكمن في التفاصيل».

تضج ذاكرتي بالكثير من مشاهد الجدل بينهما، حتى إنني في بعض الأحيان كنتُ أنسى تلك الحقيقة أكثر من أي شيء آخر بينهما، حقيقة أنهما تحبان بعضهما بعضاً.

نهضت أمي عن مؤخرة الفراش، وقالت: «تعلمين أن الفساتين في متجر سيندي باهظة الثمن، وستحتاج إلى تكليف المصنِّع بمقاسات خاصة من أجلك، لكن ربما يمكننا أن نصنع شيئاً مختلفاً بأنفسنا معاً».

كم وددتُ لو أشعر بالامتنان لصنيعها، وأنها قد خلعت عنها رداء ملكة جمال المراهقات بلوبونيت السابقة، واكتفت برداء الأمومة فحسب، غير أنني لا أشعر أن ما تبذله كافٍ.

قلتُ: «أحياناً... أعتقد أنني لن أفتقد لوسي أكثر من مقدار افتقادي إياها بالفعل، ولكن حين يطرأ أمرٌ على حياتي مثل التسوق من أجل الفستان، أتذكر كل اللحظات التي لن تكون فيها معي لتشدها».

ولأول مرة منذ وقتٍ بعيد، لم تُجر أُمي جوابًا. الحقيقة هي أنني لم أدرك  
قط مقدار ما تفتقر إليه علاقتي بأُمي من تواصل، حتى رحلت عنا لوسي، ولم  
يعد ثمة أحدٌ يملأ ما بيننا من فجوات. وخلا المنزل من ساكنيه عدانا نحن  
الاثنتين، نتحسس طريقنا مترنحتين في الظلام.

\*\*\*

## الفصل الحادي والأربعون

لقد حان موعد حفل العودة إلى الدراسة، مما يعني أن المدرسة بأكملها تستحيل إلى أضحوكة ساخرة. وكان جدول اليوم مكتظاً بتجمعات حماسية، ومنافسات، وجولات للخريجين. في الفترة الثانية، جلستُ على المقعد المجاور لميتش، وحينها لاحظتُ باقةً أشرطة زرقاء وصفراء وبيضاء ضخمة تشغل سطح مقعدي بأكمله. وتتدلى أشرطة زينة برّاقة طويلة من حزمةٍ من زهور الأقحوان الصناعية، ومن ثم تلتصق بها اثنتان من الدمى الصغيرة المحشوة. ترتدي إحدى الدميّتين زي لاعب كرة قدم، أما الأخرى فترتدي فستاناً وردياً وطوقاً من الألماس المزيف. حين تُقدم إليك باقات الأشرطة المزخرفة، تشعر وكأنك أمام وجبة شهية. غير أن أشهاها دائماً ما يكون منزلي الصنع.

- يا إلهي!

احتبست أنفاسي في صدري.

- ألم تُعجبك؟

سأل ميتش، وكان يرتدي نسخةً مُصغرةً من باقة أشرطتي حول ذراعه. بدا مظهره أنيقاً، بشعره المُمشط وقميصه من الصوف المحشور في سرواله الجينز.

تابع حديثه موضحاً: «إن أُمي شديدة الحماس، وحسنًا، لقد عجزتُ حقًا عن...».

غصتُ في مقعدي، مُقاطعةً حديثه: «كلا، هذا ليس ما في الأمر. بل أعجبتني كثيرًا. لم يمنحني أحدُ باقةً أشرطة من قبل. فشكرًا لك. وأعني ذلك من قلبي».

- ولكن؟

زفرتُ تنهيدةً بائسة، وأجبتُ: «ولكن عليَّ الذهاب إلى العمل الليلة». ارتسمت على ثغره ابتسامة حانية، غير أن ملامح وجهه المتبقية كانت مُثقلة بالإحباط، قبل أن يقول: «أظن أن هذا أمرٌ لا يمكنكِ الإفلات منه، صحيح؟».

- أتمنى لو تمكنتُ من ذلك. لكنني قد عدتُ إلى العمل لتوي، وسيتعين عليَّ فيما بعد التغيب عن العمل من أجل المسابقة أيضًا.

كنتُ أتمنى حقًا لو استطعتُ التغيب عن العمل هذه الليلة.

قبض ميتش على يدي برفق، وقال: «لا عليكِ. على الأقل، غدًا هو عيد الهالوين».

تشتت ذهني هنيهةً، حين دلفت إيلين برفقة كالي إلى الصف، تضحكان وتتمازحان حول الأزياء التي قد خططتا لارتدائها معًا ليلة الغد. لقد كرهتُ تنسيق الملابس بيننا في هذا الاحتفال خصوصًا، فكانت دائمًا ما تحاول تنسيق أزياء لزوجين ستُناسبنا نحن الاثنين، ولكن بصرف النظر عن محاولاتها الجادة، لم يُفلح الأمر البتة. والآن، أراها لا تسترق نظرةً حتى تجاهي.

ثمة الكثير من الأمور التي أعجز عن تذكُّرها، مثل: الجدول الدوري، أو عيد ميلاد أمي، أو مفتاح خزانتي في العمل. غير أنه لو أن ثمة أمرًا واحدًا أعجز عن نسيانه، فهي تلك الكلمات التي بصقناها في وجوه بعضنا بعضًا.

«ربما شَبْنَا وتغير مسار كلينا عن بعضنا بعضًا. وصرنا نُسلسل بعضنا بعضًا. لقد فَوَّتَ الكثير من أجلكِ».

أكره ما نمُرُّ به، أكره ظننها الصادق بأنها أفضل حالًا دوني. كما لو أنني تلك الفتاة البدينة الحزينة التي تزعجها وتثير حنقها. أعلم جيدًا أن عليَّ الاعتذار إليها. ولكن ربما كان عليها الاعتذار إليَّ أيضًا.

ارتديتُ باقة الأشرطة طوال اليوم، وكانت شديدة الضخامة حتى اضطررتُ إلى ارتدائها حول عنقي. وحين رأني كلُّ من هانا وأماندا، سخرتا من مظهري،

أما ميلي، فقد رأت أنها باقية غاية في اللطف. غير أنه في نهاية اليوم، كان الألم قد اعتصر رقبتني، والحدب أصاب كتفي من عبء حملها.

\*\*\*

في هذه الليلة، طلب منا رون ارتداء أزياء الهالوين، فقد قررت المدرسة الابتدائية بي تي أية إقامة حفل الهالوين «خدعة أم حلوى» في ساحة انتظار السيارات خلف هاربيز، وقد جلبوا شاحناتهم وسيارتهم لإقامة الحفل. وكما قلتُ لميتش من قبل حينما التقينا في أغرب موعدٍ غراميٍّ على الإطلاق، إن حفلات الهالوين ليست من حفلاتي المفضلة. وبصرف النظر عن الحفلات المدرسية، لم تكن أُمي تصحبني قط إلى أي مكان من أجل احتفالات الهالوين. طبعًا باستثناء الكنيسة من أجل «حفلات الحصاد»<sup>(1)</sup> التي لم تكن سوى غطاء يُخفي بداخله حفلات الهالوين. غير أنه لم يُسمح لنا سوى بالتأنق في ثياب شخصيات إنجيلية، إن كنتَ شابًا، فهذا يعني أن لا مشكلة تواجهك، ولكن إن كنتِ فتاة، فكل ما ستحظين به هو شخصية حواء، (هل يرغب أحدٌ في ارتداء ثوب سباحة من أوراق الشجر؟) أو إيستر<sup>(2)</sup>، أو مريم العذراء، أو مجرد عاهرة. الأهم هو أن كل ما أمتلكه في خزانة الهالوين خاصتي هو أزياء بيتي وويلما من المسلسل الكرتوني فليينستونز، التي ارتديتها برفقة إيل منذ بضع سنوات.

اتشح رون بالسواد من رأسه حتى أخمص قدميه، مثل زورو، وقد ربط سيفًا بلاستيكيًا حول فخذه. قال رون: «حسنًا، ظننتُ أنكم جميعًا ستأتون دون أزياء الهالوين».

وأسقط صندوقًا من الورق المقوى على الطاولة أمامنا، ثم تابع: «لقد اقترضتُ بعضًا من القبعات وما شابهها من قسم المسرح في الكنيسة».

---

(1) Harvest Party: حفلات الحصاد، وهي احتفالٌ سنويٌّ، يُقام في توقيت حصاد الزروع وفقًا للمنطقة التي يُقام فيها. (الترجمة).

(2) Esther: إيستر (شخصية إنجيلية) هي زوجة يهودية جميلة لملك الفرس، أهاسورس، وقد تمكنت، بمساعدة ابن عمها، من إقناع الملك بإصدار قرار ملكي بإبادة اليهود عن بكرة أبيهم من جميع أنحاء الإمبراطورية. (الترجمة). (المصدر: ويكيبيديا).

التقط ماركوس عصبه رأس تحمل رمز الشيطان من أعلى الصندوق، وأمسك بها متفحصًا.

- ما هذا! بعض من بواقي عرض المنزل المسكون في العام الماضي؟  
حينما نطق ماركوس بتلك الكلمات، انتزع رون قبعة قرون الشيطان من يده، وأعادها إلى الصندوق مجددًا، قبل أن يستأنف قائلاً: «ربما علينا أن نلزم أشياء أقل إثارة للجدل. أما عن الحلوى، فهي للأطفال فحسب، ولا تمنحوا منها للمراهقين».

أنهى كلماته، وسار مبتعدًا حتى وصل إلى آلة صنع الذرة المقلية على قارعة الطريق، فقد تقلد اليوم مهام تقديم أكياس حبات الذرة المقلية مجاملة للجميع.

جذب بوو قبعة الكمسري المخططة ذات اللونين الأزرق والأبيض، ومدّ ذراعه من فوق كتفي ليختطف حبة مصاصة من وعاء الحلوى. وخلافًا لما طلبه رون، اختار ماركوس اعتماد قبعة قرون الشيطان. أما أنا، فاخترتُ عصبه رأس زعفرانية مزخرفة، تعلوها ريشة بيضاء وحيدة.

وفضلاً عن ندرة وجبات الأطفال لدينا، كان الوضع هادئاً للغاية، وغمرني شعورٌ بالملل، حتى عمدتُ إلى تنظيف ثلاجة الموظفين. وحينما انتهيت منها، وجدتُ كالي وصديقها الحميم، برايس، يقفان أمام مكتب الخزينة. كان برايس يرتدي سروالاً من الجينز وقميصاً طويلاً بعض الشيء، مُقطّع الطرف من أسفل، حتى يبدو مثل سُترة بيتر بان، أما كالي فكان من المفترض أن تكون أشبه بنسخة مشوهة من ويندي دارلينج في فستان نوم مثير باللون الأزرق.

- ماذا تفعلين هنا؟

خرجت كل كلمة من فمي على حدة، كما لو أنني كنتُ أقذف بالحمض على وجهها.

علّقت كالي: «مهلاً، مهلاً، أرى أن أحدهم قد صار طائشاً».

رنَّ الجرس أعلى الباب الأمامي، وفي تلك اللحظة، تحول الموقف من سيئ إلى أسوأ. كانت إيلين هي مَنْ دلفت إلى المكان، متشبهةً بشخصية تينكر بيل، وإلى جانب أنها واحدة من أكثر الفتيات اللاتي أعرفهن طولاً، كانت إيلين هي

النسخة المُنقّنة من تينكر بيل. أما تيم، فقد جاء متشبّهاً بشخصية هوك. وعلى عكس برايس، كان تيم ملتزماً بتفاصيل زيه التنكريّ على أكمل وجه. أزعجني ما رأيتُ. أزعجني تنسيقهم السخيف للأزياء، وأزعجني الطريقة التي تصرفت بها إيلين، كما لو أنني أنتهك مساحتها الشخصية حين تشاركنا الهواء ذاته، ووقفنا أسفل سقفٍ واحد.

اتسعت عينا تيم عن آخرهما هنيهةً، حينما كانت إيلين مُسدلةً رأسها تفحص الأرضية. حاولتُ منع شهقة المفاجأة. لقد فعلها، لقد أتى بها إلى هنا لنلتقي. كنتُ أود لو أنه لم يُحضِر كالي وبرائيس، لكن هذه فرصتي الوحيدة لا محالة، وعليّ أن أنتهزها.

تطلعت إيلين ورأتني، ثم علّقتُ: «ظننتُ أنك تركتِ العمل هنا».

كان هذا كل ما نطقْتُ به، بعد كل تلك الأسابيع الطويلة من الصمت المُطبق بيننا، كان هذا كل ما في جعبتها لتُلقيه على مسامعي.

- لقد عدتُ.

كانت هذه اللحظة بيننا حميمية وخاصة، بشكل لا يمكن رده، رغم تلك الجمهرة من حولنا.

- مرحباً تيم!

أضفتُ تحيةً له، فأوماً صوبي، ولم يزد من فعله شيئاً آخر ليعترف بوجودي. كم وددتُ لو أدعوه بالخائن، غير أنه قد بات جلياً إلى أي جانبٍ ينتمي الآن.

قطعت إيلين لحظات الحرج: «هيا بنا!».

- هذا كل ما في الأمر؟ لم نتحدث إلى بعضنا بعضاً منذ أسابيع، وهذا كل ما لديك؟

كان بإمكانني استشعار ماركوس وبوو يراقبان المشهد أيضاً.

التفتت كالي إلى إيلين، وقالت: «أنتِ لا تدينين لها بأي شيء».

ظلت إيل على حالها مُحدقةً، وأجابت: «إنني في خير حال بمفردي، لذلك، أجل، أعتقد أن هذا كل ما لدي».

غادر أربعتهم، وبينما كانوا في طريقهم خارج الباب الأمامي، التفت تيم صوبي رافعاً كتفيه في استسلام. وعلى الجانب الآخر، كان ماركوس وبوو على علم تام بأن أفضل ما يمكنهما فعله هو ألا يسألاً عما يحدث.

\*\*\*

قضى ماركوس فترة استراحته في ساحة انتظار السيارات، ينتقل من شاحنة إلى أخرى، حاملاً بيده حقيبة ورقية تحمل شعار هاربيز. وفي الداخل، علّق بوو، وهو في موضعه في المطبخ، مشيراً إلى شعري: «تُعجبني الريشة».

نسيْتُ أنني أرتدي هذا الشيء، فقد كان كل ما يشغل تفكيري هو إيلين. وبِتْ عاجزةً عن تصديق ما حدث هذه الليلة. وظل جزءٌ ما بداخلي يتمسك بالأمل، أمل أننا سنتخطى هذا الصمت الحالك بيننا بطريقة أو بأخرى، وسيكون كل شيء بيننا على ما يُرام. غير أن كل شيء بيننا قد صار إلى زوال. لامستُ بأطراف أناملي الريشة فوق رأسي، وتركتُ حوافها تُدغدغ أناملي. ثم أجبتُ: «أجل. شكراً لك».

- أنا سعيدٌ بعودتكِ.

أومأتُ صوبه في إيجاب، فأنا أيضاً سعيدة بعودتي. كان هذا الكوخ الصغير المُعبأً بالشحوم قطعةً من الحياة العادية الآمنة. وكذلك كان بوو، كم كنتُ أتمنى لو أن هذا لم يكن صحيحاً، لكنه كذلك.

خلع بوو قبعة الكمسري، ثم أعادها مرة أخرى على رأسه، وقال: «وأعتذر أنك قد شعرتِ بالحاجة إلى ترك العمل».

- لا بأس.

كنتُ غارقة في تكديس وإعادة تكديس الكومة نفسها من حقائب الطعام الجاهز لدينا، قبل أن أطرح عليه سؤالاً: «هل تفتقد مدرسة هولي كروس؟». نبتت على ثغره ضحكة مصطنعة، ثم أجاب: «في الحقيقة، أفتقد الزي الرسمي».

- ماذا؟ ولكن لمَ؟

فأجاب: «لا أدري. إن عدم التفكير فيما سترتدينه من ملابس كل صباح لأمرٌ رائع».

ومرّر إبهامه على امتداد شفته السفلى، قبل أن يُضيف: «يمكنك القول إنني لستُ من الأشخاص النشيطين مُحبّي الصباح».

كان مجرد سماعه يتحدث بهذا القدر، بعد شهرين كاملين من الصمت التام، أشبه برذاذ المطر المتساقط من بعد الجفاف.

- وها هو أخي يكره المدرسة.

وقضم الجلد الزائد حول إبهامه هنيهةً قبل أن يُضيف مجددًا: «لكن مغادرتنا لمدرسة هولي كروس كانت خطئي».

كدتُ أسأله عن سبب رحيله عن المدرسة، عندما عاد ماركوس من الخارج، وعلّق: «اسمعا، هؤلاء الأمهات لن يُخدعن بتلك الحلوى».

اندفعت حرارة الخجل إلى وجنتيّ حتى غطتهما، كما لو أننا قد أمسكنا بفعل الغزل أمام الجميع.

في نهاية هذه الليلة، غادرنا جميعًا المطعم معًا، وكان بوو وماركوس يسخران من زي زورو الذي ارتداه رون في ليلة الهالوين، رغم أن بوو كان لا يزال معتمرًا قبعة الكمسري خاصته، وعجزتُ حتى عن التطلع إليه دون أن أبتسم مثل بلهاء سخيفة.

وفي الخارج، كان ميتش يقف مستندًا إلى سيارتي. أعلم أن ما شعرتُ به كان وضيعًا، لكنني كرهتُ وجوده هنا في تلك اللحظة. وبدوت كما لو أنني واحدة من هؤلاء الأشخاص الذي لا يحبون أن يُمس طعامهم أبدًا. ووددتُ لو أن ميتش يلتزم بجانبه من علاقتنا، الصداقة ولا شيء غيرها. وجّهتُ حديثي إلى ماركوس وبوو: «حسنًا، أراكما لاحقًا».

والتفتُ إلى ميتش. ربما كان ما شعرتُ به في تلك اللحظة مستحيلًا من الناحية المادية، ولكنني شعرتُ بعينيّ بوو تنخران ظهري مثل عبءٍ شائن. طردتُ تلك الأفكار عن رأسي، وقلتُ موجهةً حديثي إلى ميتش الآن: «مم، مرحبًا؟ تنكّر رائع!».

بدا ميتش في زيه، بسرواله الكاكي وسُترته الجلدية المحشوة وقبعته مفلطحة الطرف، مثل إنديانا جونز. أجاب: «إنها ليلة السبت، ليلة الهالوين!».

ضحكتُ لجوابه، ثم قلتُ: «مما يعني تمامًا أنني بحاجة إلى العودة إلى المنزل».

فهز رأسه نفيًا، وقال: «كلا، هذا لن يحدث. بل سأريك كيف يكون الهالوين رائعًا. هيا بنا، اركبي السيارة».

- لكنني لا أرثدي زياً تنكرياً!

رفع كتفيه في غير اكتراث، وقال: «حسنًا، ستكونين موظفة في مطعم للوجبات السريعة. أو ربما ممرضة متطوعة».

تتأرجح مشاعري نحوه بين البرود والشغف، لا أريده هنا الآن، بل أريده هنا الآن. حسنًا، أشعر أنه يزاحم مساحتي الشخصية، لكنه ليس قريبًا بما يكفي. الأهم هو أنني شعرتُ بابتسامةٍ ترتعش على شفتي، قبل أن أقول أخيرًا: «حسنًا، أثبت لي خطأ معتقدي».

\*\*\*

## الفصل الثاني والأربعون

استقللنا السيارة، وبعثتُ برسالة نصية إلى أمي، أخبرها أنني سأتأخر عن موعد عودتي قليلًا، غير أن رسالة نصية أخرى كانت بانتظاري.

**بوو: «سعيدٌ بعودتك».**

عضضتُ على شفتي، حتى اختفتا معًا في خطٍّ مستقيم، وأسقطتُ هاتفي على الفور في حامل الأكواب.

قادنا ميتش إلى ستونبريدج، أفحش الضواحي ثراءً في كلوفر سيتي بأكملها. أعتقد أنها قد لا تكون ضاحية فاحشة الثراء وفقًا للمعايير العادية، غير أنها قد بُنيت في غضون السنوات العشر الأخيرة، ومُسوّرة بسياج ذي بواباتٍ رئيسية. أي نعم، دائمًا ما تُفتح البوابات على مصراعيها، ولكن مهما يكن ما زالت بناظري ضاحية ثرية.

صففنا السيارات في أحد الشوارع التي اخترناها عشوائيًا، ثم قذف إليّ ميتش بغطاء وسادة. قلتُ: «مهلاً! لا يمكننا قرع الأبواب من أجل لعبة خدعة أم حلوى في هذا الوقت المتأخر».

- كلا، ليس الوقت متأخرًا لهذه الدرجة.

- لقد تجاوزنا منتصف الليل.

- حسنًا، هذا صحيح.

استدار ميتش على عقبه، قبل أن يُضيف: «نسيتُ شيئًا ما».

وركض عائدًا إلى سيارته، ثم عاد وبحوزته سوطٌ بُنيٌّ قد التفَّ حول رسخه.

- هل تمازحني بهذا الشيء؟

- ماذا؟ إنه يجعل زيكِ التنكري أكثر مصداقية.

سرنا لبعض الوقت على امتداد الشارع حتى وصلنا إلى منتصفه، باحثين عن أي منزل لم تنطفئ أضواؤه بعد. كان رصيف الشارع أملس ومُصفرًا، لا يشبه في أي شيء الشارع المُرقع الذي نشأت فيه. وكانت المنازل جميعها غاية في الضخامة والشموخ، غير أنها كانت مكتظة معًا، لا يفصلها عن بعضها سوى رقع صغيرة من الحشائش الخضراء الزاهية، المزروعة بين بعضها بعضًا.

حينما بدأ بناء هذه الضاحية، اعتادت أمي ولوسي أن نمرَّ من هنا كل بضعة أسابيع، وكنتُ برفقتها أجلس في المقعد الخلفي. لقد شهدنا بناء كل تلك المنازل، وكل شارع ينسلخ من بينها. وأذكر حالة الذهول والرهبة التي غمرتني حين رأيتُ لافتات الشارع الجديدة، كما لو أن أرضًا بكرًا قد اكتُشفت، وكنا نحن أول زائريها. حينما كنتُ صغيرة، لم أستوعب مدى ضآلة كلوفر سيتي، غير أنه في رأيي حينها، كان هذا الموضع هو المكان الذي يعيش فيه الأثرياء المذهلون، مثل نجوم الأفلام، والموسيقيين، وعارضات الأزياء. وأنداك، كانت أمي لا تزال امرأة مذهلة في نظري. واعتقدتُ أن ثلاثتنا سنعيش في منزلنا الفخم يومًا ما.

كان المنزل الأول الذي توقفنا أمامه حديث البناء، وعلى واجهته برز القرميد الأحمر، وشرفة ضخمة ناتئة عن الحائط، تظهر من بينها ثريًا برّاقة، بادية إلى أعيننا من الشارع. قرع ميتش الجرس، ووقفتُ خلفه مبتعدة عن الباب قليلًا. لقد كان الوقت متأخرًا، وأُي من سيُجيب الطارق، فلن يكون مسرورًا برؤية اثنين من المراهقين الأطفال على عتبة منزله.

غير أنه لم يكن ثمة جواب، فقرع ميتش الجرس مجددًا. في تلك الأثناء، خطوتُ خطواتٍ قليلة عائدةً أدراجي إلى الرصيف الجانبي، وقلتُ: «لن يُجيب أحد. هيا بنا».

غير أن ميتش صاح بصوتٍ خفيض: «مهلاً!».

دوى أزيز الباب منفتحًا، ليكشف عن امرأة في ثوب الاستحمام، تتساقط المياه على امتداد رقبتها، وقد غُلّفت شعرها في منشفة. كانت أكبر سنًا من أن تكون في عمر والدتي، ولكنها أصغر سنًا من أن تكون في عمر جدتي.

قالت المرأة: «كيف أساعدكما؟».

أمسك ميتش بغطاء وسادته ورفع صوبها في تردد، ثم قال: «خدعة أم حلوى!».

بدأت المرأة وكأنها قد استيقظت للتو في حقبة زمنية مختلفة. فقالت: «أوه!».

ورفعت معصمها لأعلى لفحص الوقت، حسب ما ظننت، غير أنه لم يكن ثمة ساعة لقراءة الوقت. ثم تابعت: «صحيح».

أغلقت المرأة الباب عن آخره تقريباً، ولكنها عادت بعد لحظات، تحمل وعاءً من الحلوى. ودون تردد منها، سكبت نصف الوعاء في حقيبة ميتش. ثم دفعني إلى الأمام، ورغم سخافة مظهري في هذه اللحظة، فإني فتحتُ غطاء وسادتي أنا الأخرى. فسكبت المرأة ما تبقى في الوعاء بأكمله.

أعتقد أن تلك السيدة قد فكرت في أنه لو أن طفلين في المدرسة الثانوية قد تجرأ على لعب «خدعة أم حلوى» في هذا الوقت المتأخر من الليل، واختاراً أفضل ضاحية في المدينة، فإنهما يستحقان الكثير من الحلوى.

ربت السيدة ذات ثوب الاستحمام على بطنها، وقالت: «لا يتعين عليّ الاحتفاظ بهذا الكم في منزلي على أي حال».

أحنى ميتش قبعته احتراماً، وقال بالإسبانية: «شكراً لك، سيدتي».

أغلق الباب من خلفنا، وعدنا في طريقنا إلى الشارع الرئيسي، نقر ميتش على كتفي، وقال: «أرايت، كان هذا مُمتعاً».

كررنا التجربة مرات عديدة، غير أن ردود أفعال معظم المنازل التي زرنها كانت إما تشبه رد فعل السيدة ذات ثوب الاستحمام، وإما لم يُجيبوا، وإما أطفؤوا أضواء المنزل عندما رأونا بالخارج.

وفي أحد المنازل التي أجاب أصحابها طرقاتنا، خرج إلينا رجلٌ عجوزٌ يرتدي ثياباً داخلية سفلية فحسب. كان وجهه دائم الامتعاض والعبس، وتختفي قسماً وجهه خلف خيوط الزمان، حتى كادت تذوب فيها. صرخ الرجل في وجهينا: «ارحلا من هنا، أيها الهمجيان المشاغبان!».

غير أن ميتش تغاضى عن صياح الرجل العجوز، وقد علا على صوت جرو صغير ينبح خلف الرجل، ثم قال: «خدعة أم حلوى!».

- حسنًا، بل أنا من سيخضعك.

فتح الرجل العجوز الباب على مصراعيه، لتتكشف لنا بندقية صيد إلى جانبه، وصاح: «سأطلق النار على مؤخرتكما جميعًا!».

جذب ميتش يدي، وصاح: «اركضي، اركضي، اركضي!».

اندفعنا مرتعدَيْن عبر ممر السيارة واستدرنا مع الزاوية، ومن خلفنا تتردد ضحكة العجوز المتقطعة في أجواءٍ مُرعبة. وحين ابتعدنا إلى مسافةٍ آمنة، توقفتُ في موضعي، وانحنيتُ مستندةً براحتي على ركبتَي. كنا نلهث نحن الاثنين.

- هذا. المجنون.

ملأتُ رئتيَّ بالهواء عن آخرهما، ثم تابعتُ: «كان من الممكن أن يقتلنا».

أجاب ميتش: «كلا، بل أراد إخافتنا فحسب».

استقممتُ في وقفتي منتصبه، وسمحتُ لعضلات ظهري بالتمدد، قبل أن أجيبه: «حسنًا، تمت المهمة».

أمسكتُ بحقيبة الحلوى، التي كانت أثقل مما توقعتُ أن تكون، ثم قلتُ: «أعتقد أنه قد حان الوقت لإنهاء جولتنا».

رفع ميتش إصبعًا واحدة لأعلى، وأجفل بعض الشيء، قبل أن يُضيف: «منزلٌ واحد آخر. من فضلك؟».

كان البدر مضيئًا في هذه الليلة، ومن أسفله، بدا ميتش مختلفًا في عيني، يغطيه الغموض، وربما الكثير من اللطف. حينها ندت عن ثغري ضحكة بسيطة، قبل أن أقول أخيرًا: «منزلٌ واحد فحسب. اختر بحكمة إذن».

استقر اختياره على منزل أبيض ضخم، يلحقه ممر طويل للسيارات، عند نهاية طريق مسدودة. قرع ميتش الجرس، وبعد بضع دقائق، أجابت طرقاتنا امرأة مُجهدّة، تعتمر قبعة ساحرة، وترتدي بزّة رياضية. قالت المرأة، دون أن تسنح بفرصة لميتش لكي يقول خدعة أم حلوى: «أوه، تبًّا».

ثم تابعت: «لقد نفد مخزوننا من الحلوى منذ قليل».

- إنديانا جونز!

صاح صبيُّ، يرتدي زي قرصانٍ بحريٍّ، يقف على بُعد خطواتٍ قليلة خلف المرأة. كان زيُّ الصبي منزليّ الصنع، وقد حيكت القطع مع بعضها بعضًا في عناية واهتمام بالغين.

تابع الصبي: «رائع!».

لمحتُ وجه ميتش يتهلل من تعليق الصبي. استطردتُ موجهةً حديثي إلى السيدة: «لا عليك. كنا نجوب في الأرجاء فحسب. وعلينا العودة إلى المنزل الآن».

تمنتُ لنا السيدة ليلةً سعيدة، وشرعنا في طريقنا نحو الشارع. غير أننا كنا قد قطعنا نصف ممر السيارة، قبل أن نسمع الطفل يصيح مناديًا: «مهلاً! مهلاً! انتظرا!».

كان الصبي القرصان يقفز راکضًا نحونا، تتدلى من بين أصابعه يقطينة بلاستيكية. انزلق متوقفًا أمامنا مباشرةً، وأخرج من اليقطينة قطعةً من الحلوى لكل واحدٍ منا. ثم قال لميتش: «يُعجبني زيُّك».

- شكرًا لك، أيها الرجل الصغير. وزيُّ القرصان خاصتك رائعٌ أيضًا.

لم يتحدث ميتش إلى الصبي على أنه مجرد طفلٍ صغير، ففي رأي ميتش، هذا الصبي ليس مجرد طفل. بل في رأيه، للجميع شخصيةٌ وكيان. عاد الصبي أدراجه راکضًا، حيث كانت والدته تنتظره عند عتبة الباب.

بعدما انتهت جولتنا، جلسنا على الرصيف، برفقة أكياس الحلوى تستند إلى أقدامنا. زرعت بداخلي هذه الليلة شعورًا بأنها الليلة الأولى هذا العام، التي تُشعرُ باقتراب الخريف حقًا، فكانت كل نسمة هواء تتخلل رثتيّ حتى تصل إلى عظامي فتنعشها.

استطرد ميتش: «قلتُ لك إن الهالوين سيكون رائعًا».

استلقيتُ بظهري على رقعة من الحشائش الخضراء لأناس أثرياء، (ترى أن الحشائش الحقيقية في ولاية تكساس خشنة بُنية اللون) تفصل بين الطريق الرئيسية والرصيف الجانبيّ.

أجبتُ: «كان جيدًا».

- حينما رأيَ هذا الطفل، رأى إنديانا جونز. وليس مجرد شاب أفسد تمريرة وراء تمريرة في مباراة ليلة أمس. أو مجرد مراقب يلعب ألعاب الفيديو طوال اليوم. ففي رأيهِ، كنتُ شخصاً آخر.

واستلقى بجانبِي هو الآخر. التفتُ صوبهِ، فدغدغت الحشائش خدي حين لامسته، وسألته: «ولكن ألم تشعر أنك تختبئ من شخصيتك الحقيقية؟ أتفهم جيداً تلك الرغبة في ألا تكون نفسك، ولكن ألا يصيبك الحزن والإحباط من التظاهر بغير ذاتك الحقيقية؟».

- لا أدري. أظن أن عليك أن تكوني ما ترغبين في أن تكوني عليه، حتى تشعري أنك أي شخص تحاولين أن تصيري إليه. أحياناً ما يكون تظاهرك بالقدرة على فعل شيء، هو في الحقيقة، نصف إنجازك لهذا الشيء.

استدار هو الآخر على جانبه، وأسند رأسه بمرفقه، ثم تابع: «مثل، أول مرة تحدثت إليك فيها، لقد أرعبتني. وما زلت تُرعبيني. ولكن كلما تظاهرتُ بأنك لا تُرعبيني، قلَّ ما تُلحقينه بي».

وصمت هنيهةً، قبل أن يضيف موضعاً: «أعني، تُرعبيني».

لقد فهمتُ ما يرمي إليه من مقاصد، أعتقد أنني قد لعبتُ لعبة التظاهر هذه طوال حياتي. لا أدري حقاً متى اتخذتُ هذا القرار، غير أنني منذ وقتٍ طويل، قررتُ الشخصية التي أود أن أكون عليها. وظللتُ متقمصةً تلك الشخصية -مهما تكن هي- منذ ذلك الحين. ولكني أعتقد الآن أن لعبة التقمص تتلاشى، ولا أدري حقاً إن كنتُ معجبة بتلك الشخصية التي تختفي أسفل هذا التقمص. كم أتمنى لو أن ثمة كلمات سحرية يمكن أن ترأب الصدع بين الشخصية التي أنا عليها الآن، والشخصية التي أتمنى أن أكون عليها. لأنه ببساطة، هذا المثل القائل بـ«تصنّع حتى تصنّع»، لا يؤتي بثماره معي.

سأل ميتش: «ماذا؟».

هزرتُ رأسي، وكأنني أطرده عن ذهني الأفكار، ووصفتُ بكلتا يديَّ على فاهي، ومن خلف أطراف أناملِي أبتسم، ثم قلتُ: «أنا أُرعبك؟».

أثار مجرد التفكير في الأمر، شعوراً بالسوء بداخلي، لكنه شعوراً لطيفاً أيضاً، ألا تشعر بأنك الشخص الذي على وشك أن يُصاب بلعنة الذهول والدهشة طوال الوقت.

جذب ميتش يدي إلى أسفل، مُفرجًا عن وجهي وفمي. كانت راحتا يده متعرقتين، وأدركتُ في هذه اللحظة مدى قُربه مني. كان بإمكانني أن أرى مسام أنفه. ثم قال: «أعتقد أن أفضل الأشياء التي تحدث لنا، هي ما تُصيبنا دائمًا بالفزع في أول الأمر».

احتكت شفتاه بشفتي. ولم أحرك ساكنًا، حين أحاط خصري بذراعه. لم تكن قُبلتنا عميقة حتى تتلامس ألسنتنا، بل كانت قُبلة عذراء بأفواهٍ مفتوحة. وشعرتُ بالرغبة والرغبة معًا في لمستته المرتعشة. غير أنني لم أشعر بالفزع مما أقدم عليه. على الإطلاق. وفي تلك اللحظة أدركتُ أن ما يحدث بيننا الآن هو مجرد كذبة. أعلم جيدًا ماهية الشعور الذي من المفترض به أن يغمرني في هذه اللحظة، غير أنه لم يكن ثمة شعور على الإطلاق.

\*\*\*

مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

## الفصل الثالث والأربعون

بدأت أجواء اليوم التالي وكأن أحدهم قد أسقط قنبلة في منزلنا. بدأت أحداث اليوم، بعدما عادت أُمي من الكنيسة، وقررت تجربة فستان مسابقة الجمال خاصتها.

نادت أُمي من حجرتها: «دمبلين؟ طفلتي، لقد علق سحاب الفستان». صعدت درجات السلم مُثقلة. ظل مقاس فستان المسابقة القديم خاصتها ملائمًا لها كل عام منذ تتويجها، لا سيما العام الذي أنجبني فيه. ومن الطريقة التي حكّت بها لوسي تلك القصة، كان المنزل أشبه بصالة رقص مُمتعة، وكانت ملاءمة الفستان لمقاسها بشق الأنفس، إلا أنها تمكنت من ارتدائه في نهاية المطاف.

كانت صدرية الفستان مُطرزة بخيوط لامعة ببريق رغوة بحر مائلة إلى الخضرة، ويلحقه تنورة من قماشٍ شفاف مُبطّن بعدة طبقات. والواقع هو أنني قد رأيتُ هذا الفستان مراتٍ عدة، لدرجة أنه لم يعد باهرًا في نظري.

وبما أن طراز المنزل قديم، فلم يكن ثمة غرفة نوم رئيسية في الطابق العلويّ، بل مجرد دورة مياه مشتركة في نهاية الردهة. كان من الغريب أن أفكر في أن غرفتي نوم أُمي ولوسي هما ذاتهما الغرفتان اللتان نشأتا فيهما طوال حياتهما. وتخيّلتهما في سن المراهقة تصفعان الأبواب في وجوه بعضهما بعضًا أو تتسللان ذهابًا وإيابًا من غرفة إلى أخرى. كنتُ قد سمعتُ الكثير من الحكايات عن حياتهما معًا قبل أن أُولد، غير أنني أحيانًا ما أتساءل عما اختارتا ألا تُخبراني به، تلك الفراغات التي أود أن أملأها بالقصص عنهما.

سِرْتُ عبر الردهة، ومددتُ يدي إلى مقبض الباب الزجاجي، ثم فتحتُ باب غرفة النوم.  
«اللعة!».

هكذا قلتُ في قرارة نفسي، فمن موضعي هذا عند عتبة الباب، يمكنني أن أُجزم أن السحاب لم يكن هو أصل المشكلة، بل تلك الفجوة التي يزيد اتساعها على عدة سنتيمترات، بين دفتي القماش على امتداد ظهر أمي. كانت جبهتها مُخضبةً بالعرق، وهي تشير إليّ لأقترب. فتظاهرتُ بمحاولات رفع السحاب لدقيقة أو اثنتين، قبل أن أقول: «أمي؟ لا أعتقد أن المشكلة في السحاب نفسه».

استدارت تجاه المرأة، وتطلعت من خلف كتفها، حتى تتمكن من رؤية انعكاسها. وحينها بصقت اللعنات من فيها: «يا إلهي، تبًا!».  
حسنٌ إذن، ربما أطلقت أمي اللعنات في حياتها بأكملها مرتين. ولا يسعني إلا أن أتذكر مرة واحدة فحسب من هاتين المرتين.  
- افتحي السحاب.

حين جذبتُ السحاب، انزلق منفتحًا في مشهد أشبه بتنفس الصعداء. جلست أمي على حافة الفراش، تحتضن مقدمة فستانها إلى صدرها، ثم قالت: «حسنٌ، إذن سأضطر إلى الاستمرار على تناول مطهر معوي، وإضافة بعض من صفوف ركوب الدرجات وتمارين البيلاتس الرياضية».

نطقت أمي كلمة بيلاتس كما لو أنها تقول «بيي ——— - لاتس» وتعظم نطق الغنة في صوتها شيئًا فشيئًا، بفعل نوبة الهلع التي أصابتها. ثم أضافت: «أعتقد أن ماريلو تعقد صفاً رياضياً يمكنني أن أنضم إليه ليلة الغد».  
استطردتُ على الفور: «لكني سأحتاج إلى السيارة، عليّ الذهاب إلى العمل».

تطلعت إليّ بحاجبين مرفوعين في دهشة، كما لو أنها تقول، هذه كارثة، وأنا لا أستوعب مدى خطورة الوضع.

- حسنًا، عزيزتي، سيتعين علينا تسوية الأمر. يمكنك الذهاب إلى المدرسة بالسيارة، وسأخذها أنا في المساء. معظم الفتيات في مثل عمرك لا يملكن سيارات حتى. ويجب أن نتكيف على ما لدينا الآن، دون سخط.

لم أزعج نفسي بالشجار معها على هذا الأمر.

\*\*\*

جلستُ في حجرة الاستراحة، أتناول قطع التفاح التي حملتها إليَّ أمي حينما أوصلتني إلى العمل. أقسم إنها حين أوقفت السيارة في ساحة الانتظار، كتمت أنفاسها، كما لو أنها تخشى أن تكتسب بضع سعراتٍ حرارية إضافية إذا ما أخذت نفساً عميقاً قرب هذا الكم من الدهون المشبعة.

كنتُ قد توقعتُ أن يتصل بي ميتش ليلة أمس، مكاملة متابعة من هذا النوع الذي يطمئنك إلى أننا على وفاق بعد ما حدث في نهاية ليلة الهالوين. أو ربما مكاملة تُشبه اتصال خدمة العملاء لتقييم مدى رضا العملاء عن الخدمة. غير أن أيّاً من هذا لم يحدث.

استيقظتُ صباح أمس، وكان عليّ أن أقنع نفسي بأنه قد قبّلني حقاً. ولم تكن قبلةً سيئة، بل افتقرتُ أنا إلى الشعور باضطراب قلبي وروحي، ذاك الشعور الذي ألفتَه برفقة بوو. ومع ذلك، حينما التقينا اليوم، كان على طبيعته المعتادة، ولم يذكر شيئاً عن القبلة. فشعرتُ أنه ربما كان شخصاً آخر تماماً تلك الليلة، وما هذا إلا سحر الهالوين. لكن ماذا عن الذنب والندم اللذين أشعر بهما، إنهما حقيقيان تماماً، وأعجز عن إنكار ذلك.

ومن ثم، في نهاية اليوم الدراسي، عندما سرنا معاً إلى ساحة انتظار السيارات، احتضن يدي بيده في حزم. وكان من الصعب ألا أشعر أننا لم نتخطَّ بضع خطواتٍ في علاقتنا تلك. فما كنتُ على استعداد لأشعر في علاقة أخرى، تتسم بالأفعال وتفتقر إلى التعريف. وقبل أن أغادر، قدّم إليّ كُتيباً صغيراً غلافه من الورق المقوى، كُتب عليه «السحر للشباب والشباب» (القلب<sup>(1)</sup>).

- أتذكر أنك قلتِ إنك بحاجة إلى موهبة. من أجل مسابقة الجمال. دسستُ الكُتيب في حقيبة ظهري، وشكرته بامتنان. غير أنه أضاف: «ستجدين بداخله ملاحظة صغيرة. ولكن اقرئيها لاحقاً».

\*\*\*

---

(1) العنوان الأصلي للكتاب هو: Magic for the Young and the Young at Heart (المتريجة)

هناك طرقات على باب حجرة الاستراحة، رغم أن الباب كان مفتوحًا بالفعل.

قال بوو: «مرحبًا!».

ندت عن ثغري ابتسامة لا إرادية، وأجبتُ تحيته: «مرحبًا!».

- وددتُ الاطمئنان إلى أنك قد عدتِ إلى البيت في أمان ليلة الهالوين.

عبث بأصابعه، قبل أن يدسها في جيب سرواله الخلفي، ويردف: «لقد شعرتُ بالغرابة حين تركتكِ برفقة هذا الشاب، ولكنني تعرّفتُ إليه من الحفل الراقص. (تنحّح قليلًا، قبل أن يُكمل) لا بد أنكما مقربان للغاية، صحيح؟».

اشتعلت وجنتاي بحرارة الخجل، حين أجبتُ: «أوه، صحيح، أجل، هذا ميتش».

سعل بوو في زاوية مرفقه، قبل أن يقول: «رائع».

زلت شفتاي عن ابتسامة مقتضبة، ثم رددتُ كلمته: «رائع».

استدار بوو على عقبه، واتجه عائدًا إلى المطبخ. زفرتُ نفسًا طويلًا من بين شفتي المزمومتين. وفكرتُ أن حديثنا المقتضب هذا، قد يكون أكثر الأحاديث التي دارت بيننا ألفة منذ التقينا. وشعرتُ في هذه اللحظة باحتياج عواطفِي.

بعدما أنهينا العمل وأغلقنا أبواب المطعم، كان أول شيء لاحظته هو غياب سيارة أُمي عن ساحة الانتظار. فاتصلتُ بها قبل أن تُغلق الأبواب الخلفية للمطعم.

- مرحبًا؟

كان صوتها مُثقلًا بالنعاس. علّقتُ في قرارة نفسي: «اللعنة!».

- أُمي؟

- أوه، دمبلين! أنا في الطريق يا عزيزتي!

كان بإمكانني سماع صوت المفاتيح وصفعة الباب الزجاجي الجرار، ثم أغلق الخط. في تلك الأثناء، وقف ماركوس وبوو يتطلعان إليّ. فقلتُ: «لا تنتظرا يا شباب، هيا اذهبا».

أومأ ماركوس برأسه نحو السيارة التي كانت تنتظره تيفاني بداخلها، وقال: «هل تريدين توصيلة؟».

- شكرًا لك، لكن أُمي في طريقها إليّ.

التقت أعين ماركوس وبوو، قبل أن يستطرد ببو أخيرًا: «سأنتظر برفقتك». أومأ إليه ماركوس إيماءة «شكر» ثم غادر.

قلتُ: «يمكنني الانتظار بالداخل، سيظل رون هنا لبعض الوقت». علّق ببو: «لا بأس. دعينا ننتظر في شاحنتي».

وأخرج مفاتيحه من جيب سرواله. لا بد أنه قد لمح التردد باديًا على ملامح وجهي، فأردف: «سنجلس فحسب، وسأضع مسند الذراع بيننا».

بمجرد أن دلفنا إلى السيارة، أثبت ببو أنه صادق في وعده، وأسدل بيننا مسند الذراع. جلسنا في صمتٍ مُطبق لبعض الوقت، نستمع إلى طنين الطريق وهمهماتنا من خلفنا. اصطدمت خلايا أنفي بعطره، مزيجٌ من رائحة التوت الصناعي وكريم ما بعد الحلاقة. أعتقد أنني توقفتُ عن ملاحظته طوال الصيف، غير أنه قد مضى وقتٌ طويل منذ آخر مرة جلستُ في شاحنته. وجال في ذهني تساؤل: «كيف لشيء أن يكون مصدر الارتياح والغربة في الآن نفسه؟ كان شعورًا أقرب ما يكون لظاهرة «الديجافو»».

مددتُ يدي، وقلّبتُ بين محطات المذياع، فلم ينطق ببو بشيء حول استيلائي على مذياعه. لكنه أثر تعليقًا آخر: «لم يعد بإمكانني الاستماع إلى دوللي بارتون دون التفكير فيكِ».

شعرتُ بتقلصات معدتي واضطرابها، حين ندت عني ضحكة عصبية: «حسنًا، من حسن حظك أن أغنياتها لم تعد تُذاع كثيرًا عبر محطات المذياع».

خرجت الكلمات من فاهي بنبرة أشد عدائية مما أردتها أن تكون، غير أنه في حقيقة الأمر، غمرني شعورٌ بالارتياح حين وتّدتُ في ذاكرته ملكيتي لذكرى دوللي بارتون. عدا أنه ما عاد بإمكانني التفكير في دوللي بارتون دون استحضر صورٍ تجمعني بإيل ولوسي. ولا يبدو هذا عدلًا على الإطلاق.

سأل مستغربًا: «لماذا دوللي؟ أنا حقًا لا أفهم سر تعلّقكِ بها. إنها... مزيفة».

- نهذاها مزيّفان، أجل، هذا واضح تمامًا.

كنتُ أتتبع الأنماط المنقوشة على مسند الذراع، باحثةً عن الكلمات الصحيحة التي سأنطق بها، ثم أردفتُ: «لكنها من هذا النوع من الأشخاص

الذي يبدو وكأنه لم يحظَ بيومٍ سيئٍ قط. أعتقد أنها بمنزلة مرشدي الروحي. أعني، أن موسيقاها جيدة، حسب ما أعتقد. ولكن روحها هي ما تجعل موسيقاها جيدة، حتى وإن كانت ترتدي شعراً مستعاراً ضخماً وتمتلك نهدين مزيفين. فأنا لم أرَ في حياتي قط شخصاً يعيش حياته كما خطط أن يعيشها مثلما تفعل دوللي بارتون».

تطلع إليّ متفحصاً ملامح وجهي، غير أنه لم يُجر جواباً. فتابعْتُ متشجعةً بصمته: «إنها تعيش حياتها وكأن كل يوم يمر عليها هو عيد هالوين».

في تلك الأثناء، ومض بريق في ذهني مستحضراً صورة ميتش، بزيه التنكري الذي أشبه فيه إنديانا جونز.

تابعتُ: «إلا أن الاحتفال، في رأي دوللي، ليس مجرد تنكُّر بالأزياء أو نوعاً من التظاهر، بل هو جوهر حياتها. وهذا بالضبط ما اختارته من قبل ليكون عليه نمط حياتها».

قررتُ أن أحجم لساني عن الإسراف في الحديث، فلا أبدو سخيفة مبتذلة. - صحيح.

عقد بوو ذراعيه فوق صدره، وغاص في مقعده شيئاً فشيئاً، ثم علّق أخيراً: «لطالما اعتقدتُ أنها نوعٌ من الشخصيات الكرتونية، لكن ربما ليست كذلك». انطفأت أضواء لافتة هاربيز من فوقنا، فصمتنا، وتركنا المذياع يملأ الأجواء بالأصوات المختلفة بدلاً عنا، حتى سأل بوو بعد فترة من الوقت: «لا سيارة؟ ما قصتها إذن؟».

ملتُ برأسي إلى الخلف مستندةً إلى مسند الرأس، وقلتُ: «لم تعد تعمل. منذ شهرين تقريباً».

أهذا كل شيء؟ بدا وكأنه قد مرَّ وقتٌ طويل منذ أن حدث كل شيء، منذ أن اشتركتُ في مسابقة الجمال، ومنذ أن فقدتُ إيلين.

عدتُ إلى الواقع، وأضفتُ: «وظلت في ورشة التصليح منذ ذلك الحين، فلا يمكنني تحمُّل تكاليف إصلاحها».

قال: «أتفهمك تماماً. من المفترض أن يجعل المال الأمور أسهل مما هي عليه، لكن دائماً ما يحدث العكس تماماً. أحياناً أتمنى لو أننا نتعامل بنظام المقايضة».

أزعجتني كلماته أيما إزعاج، فقد اعتاد بوو أن يرتاد مدرسة خاصة طوال السنوات القليلة الماضية، وهذا ما يمكنك أن تطلق عليه أي لفظ، عدا لفظ «مجاني». سألني: «ما المشكلة؟».

فهزئت رأسي أن لا شيء.

- كلا، هيا، أخرجي ما في جعبتك.

بعد وهلة من الوقت، نطقتُ أخيرًا: «حسنًا، ما أقصده هو أنك ارتدتَ مدرسة هولي كروس. أتفهم محاولاتك لتبدو شخصًا لطيفًا وما إلى ذلك، ولكني لا أعتقد أنه من العدل أن تقول إنك تدرك تمامًا شعور أن تكون مفلسًا».

- يا إلهي! هذا افتراضٌ واسع النطاق.

غمرت أضواء مصابيح أمامية مقصورة الشاحنة من خلفنا، فأدركتُ أن أُمي قد وصلت أخيرًا. قلتُ قبل أن أترجل من الشاحنة: «مهما يكن، فأنت من طلبت أن أخرج ما في جعبتي. تصبح على خير، ولا تنس أن توصِّل سلامي إلى بيكا». ترجلتُ من الشاحنة، وصفعتُ الباب ورائي. وقبل أن أبتعد بمسافة كافية، أسدل زجاج النافذة، وصاح قائلًا: «لعلمك، ليس كل من يرتادون المدارس الخاصة أغنياء. خصوصًا، الأطفال الفقراء الماهرين في لعب كرة السلة».

ارتفع زجاج النافذة مجددًا، يفصل ما بيني وبينه، قبل أن تسنح لي الفرصة لأضيف شيئًا آخر. احمرَّت وجنتاي خجلًا وحرَجًا. والأدهى من هذا كله، هو أنني غرقتُ في الحيرة، فلماذا لم يخبرني بشأن ارتياده المدرسة بمنحة رياضية؟

ترجلتُ أُمي من سيارتها، وأسرعت صوب النافذة المجاورة لمقعد بوو. تابعتُ المشهد من الجانب الآخر للشاحنة، حين قرعت ببرُمجة إحدى أصابعها على الزجاج. وتحدثت إليه بنبرة صوتٍ مُجلجلة، لا تستخدمها إلا حين تتحدث إلى «معشر الرجال». قال بوو شيئًا لم أتبينه، غير أن وجهها بأكمله قد أضاء بالبهجة. ثم ربتت على ساعده، وبسطت يدها على صدرها في امتنان، حين سمعتها تقول: «بورك قلبك، بوو!».

استدارت على عقبيها، وسارت نحو السيارة، فتبعتهَا، وأنا أسأل: «سُ هذا؟ أُمي؟». دلفنا إلى السيارة، فأجابت: «أنا آسفةٌ حقًا، ويل. إن تمارين البيلاتس تلك قد قصمت ظهري، وغططتُ في النوم في اللحظة التي وصلتُ فيها إلى البيت».

قلتُ في تذمر: «لا بأس».

كانت أُمِّي تستدير مغادرةً ساحة انتظار السيارات إلى الشارع الرئيسيّ. فتابعْتُ سائلةً: «ولكن ماذا كان هذا الذي حدث؟».

- إن زميلك اللطيف في العمل. بوو، أكان هذا اسمه؟

ضحكتُ في مرح، ومن جانب فمها، تابعت في إعجاب: «لهذا الفتى خط فكّ رجوليّ ومثاليّ».

- أُمِّي!

- حسنًا، لقد أخبرته أننا نتبادل السيارة وننتظرها، وأنني ممنونة له لانتظاره إياي.

استدارت مع الطريق، ولكن ليس بالقوة الكافية التي تجعل الضوء الوامض يتوقف عن إصدار دقاته. ثم تابعت: «ثم قال إنكم جميعًا تعملون وفقًا للجدول نفسه، ويمكنه أن يوصلك إلى المنزل كل ليلة».

- أُمِّي! لقد رفضت، أليس كذلك؟

مزّق الذعر أحشائي، وعلى الجانب الآخر، ما زالت دقات الأضواء الوامضة تعمل. كليك! كليك! كليك!

أجابت أُمِّي: «حسنًا، ولماذا أرفض؟ لقد كان لطفًا منه أن يعرض علينا شيئًا كهذا. ولذلك، لا تحمِليني على الوقوف في طريق صنع الخير».

زفرتُ نفسًا طويلًا، تنهيدةً دراميةً مُثقلة. فقلت: «ويلودين. كفاك تنهيدًا! واحمدي ربك على نِعَمه عليك».

دلفت أُمِّي بالسيارة إلى الممر أمام منزلنا. ثم تابعت: «وبخاصة، تلك النعم وسيمة المظهر».

قلتُ وأنا أترجل من السيارة: «حسنًا، أنا أكرهك».

فصاحت من خلفي: «حسنًا، ألا تشعرين أنك بائسة! والأهم، صففي شعرك قليلًا قبل أن تذهبي إلى ورديتكِ القادمة! فالفتاة الجميلة التي تتزين بشعر أنيق هي سيدة الجميع».

\*\*\*

## الفصل الرابع والأربعون

دَقَّ الجرس مُعلنًا بدء صف «التاريخ العالمي»، وبالكاد عبرتُ الباب قبل أن تُغلقه الأنسة روبيو من خلفي. تسمَّرتُ في موضعي، ولم أحرك ساكنًا من الصدمة، فهناك على المقعد الذي اعتادت أماندا الجلوس عليه بجانبني، كان يجلس بوو. وشعرتُ أن خلايا رأسي تنفجر من الداخل، حتى كادت النيران تشتعل من أذني. وعلى الجانب المقابل في نهاية الغرفة، رفعت أماندا كتفيها في استسلام، وحركت شفتيها قائلة: «صاحب المؤخرة الخوخية لم يتحرك من مقعدي».

لَوَّحتُ بيدي ضاربة الهواء من حولي أن «لا مشكلة»، لكن الحقيقة هي أنه ثمة مشكلة فيما حدث، ما هذا الهراء الذي يحدث هنا؟

لم يكن ترتيب المقاعد في صف «التاريخ العالمي» سابق التحديد، غير أن أحدًا لم يغير مقعده منذ اليوم الأول، ولذلك سار الأمر على هذا المنوال دون حاجة إلى الحديث عنه. ومن خلال معرفتي بطبيعة أماندا، يمكنني القول إنه كان ثمة مواجهة بين الاثنين، عندما رآته أماندا جالسًا في مقعدها، غير أن أحدًا كان عليه خسارة المعركة. ولم يكن هذا الخاسر هو بوو بالتأكيد.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة مقتضبة، حينما جلستُ على مقعدي المجاور له، ثم قال: «ويلودين».

وكان هذا كل شيء، كانت تلك هي الكلمة الوحيدة التي نطق بها طوال مدة الصف بأكملها. وحينما دَقَّ الجرس مُعلنًا انتهاء الصف، اندفعتُ راکضةً عبر الباب بأسرع ما يمكنني. التقيتُ ميتش في ساحة انتظار السيارات، وقد أضاء وجهه عند رؤيتي، لأنه ظن أن تلك الابتسامة البلهاء على وجهي كانت

من أجله. كم وددتُ لو أخبرته: «كلا، لا تمنحني تلك الابتسامة العذبة. أنا لا أستحقها».

في اليوم التالي، كان بوو جالسًا في مقعد أماندا مجددًا. راقبته من زاوية رؤيتي، وهو يحكُّ براجم أصابعه بذقنه. كم رغبتُ في لمسه، فقد كان فعلاً لا مناص منه. فإذا أردنا تمثيل الأمر، سنكون أشبه بقطبَي مغناطيس، أنا القطب الموجب، وهو القطب السالب، وما يقف بيننا ليس سوى مسألة وقتٍ فحسب.

ومثلما فعل بالأمس، نطق بوو باسمي في بداية الصف، لكنه أضاف هذه المرة: «سأراك الليلة».

\*\*\*

دائمًا ما تضطرب أمعائي حين أسمع صفير بوو آتيًا من المطبخ، وعادةً ما يميل إلى الصفير حين يعتقد أن لا أحد يسمعه. ولكنه لا يميل إلى أغنية بعينها، بل مجرد مزيج من النغمات المتداخلة. غير أن الليلة كان الوضع مختلفًا، فقد ضمَّ شفثيه معًا وأصدر صفيرًا يحمل نغمات «جولين» التي تغنيها دوللي بارتون، فانهارت ركبتيي من المفاجأة.

خرج رون من مكتبه، وأصدر همهماتٍ متفرقة، بينما وقف يُعيد تعبئة الحقائب الورقية. وقبل بضع دقائق من وقت الإغلاق، صاح ماركوس: «ألا تعرف أي أغنية أخرى؟».

توقف صوت الصفير هنيئًا، حينما كان بوو يقلب إحدى شرائح البرجر على المشواة. سقطت الشريحة على المشواة، فأحدثت أزيزًا قويًا، قبل أن يُعاود صوت الصفير مجددًا.

في نهاية هذه الليلة، تابعنا ماركوس بفضولٍ، حينما سرنا معًا صوب شاحنة بوو. دلفتُ إلى الشاحنة، وقد صدر رنين هاتفه. أجاب المتصل، وبتُّ أتابعه يستمع إلى المتحدث هنيئة. انتفخت عروق رقبتِه، واهتز رأسه رفضًا. ثم قال شيئًا، وقد عضَّ على أسنانه غيظًا، وأغلق الهاتف قبل أن ينسل إلى مقعده خلف عجلة القيادة.

- مَنْ المتصل؟

عضَّ على الجانب الداخلي لشفته السفلى هنيئة، قبل أن يجيب: «أخي».

- صحيح.

أضاف مُوضَحًا: «يريدني أن أقُله أيضًا بعدما أوصلك إلى المنزل».

وحدَّق مباشرةً إلى الحقل الخاوي خلف مطعم هاربيز، ثم تابع: «لسنا دائماً الوفاق».

لم أخطَّ قط بأي أشقاء، غير أنني أعلم جيدًا كيف يكون الشعور حين تتشاجر مع أحدٍ تراه كل صباح وكل مساء.

استطرد بوو كأن أحدًا لا يسمعه: «أحيانًا ما أحسده لصغر سنه. لم يقع على كلينا التأثير نفسه حين توفيت أُمنا. ولا أدري صحة ما أشعر به أو أفكر فيه، ولكنني أحيانًا ما أشعر أنني قد تشبعتُ من الحزن والفراق ما يفوق ما تشبع هو به».

أومأتُ له في إيجاب. كنتُ أعلم حقيقة هذا الشعور جيدًا، فقد كنتُ أعرف لوسي بقدر لم تعرفها به أُمي قط، حتى بات من الصعب عليّ ألا أشعر أنني أحمل عبئًا أثقل مما تحمله أُمي من عبء.

قلتُ، بينما كنا نربط إبزيم حزام الأمان: «أنا آسفة... عما قلته بشأن زهابك إلى مدرسة خاصة».

قبض على عجلة القيادة بكلتا يديه، ومال برأسه إلى الخلف حتى برزت رقبته، وهو يرتد بالسيارة إلى الخلف، ثم قال: «لا عليك».

انتظرنا أمام إشارة المرور، نلوذ بالصمت، حتى تغير لونها إلى الأخضر. ثم قطعُ الصمت، لأسأله: «ماذا حدث بعد ذلك؟ أعتقد أنك تدرس وفق منحة دراسية، صحيح؟».

- أجل.

كم أحب طريقته في القيادة، حين يستند بإحدى يديه إلى قاعدة عجلة القيادة، ويستخدم راحة يده لتدويرها حين يستدير مع الطريق، كما لو أنه يقود مقطورة ضخمة أو شيئًا كهذا.

قلتُ مُرشدةً إياه إلى الطريق: «يسارًا نحو طريق روليت».

ثم أجب سؤالي السابق: «كنتُ في الصف الثامن عندما شاهدني أحد الآباء في مدرسة هولي كروس وأنا ألعب كرة السلة. لا أريد أن أتباهى وأقول إنني

كنتُ لاعبًا رائعًا، لكن أعتقد أنني كنتُ كذلك. كل ما في الأمر أنني لم أعلم بتلك الحقيقة، فلا أحد يهتم بكرة السلة في هذه المدينة مطلقًا».

قلتُ مُقاطعةً إياه: «عدا مدرسة هولي كروس».

إن هولي كروس مدرسة صغيرة، فلا يمكن لها أن تحظى بفريق كرة قدم خاص بها، ولكن فريق كرة السلة خاصتها دائمًا ما يفوز بالمباريات المحلية، وأحيانًا ما يفوز بالمباريات على مستوى الولاية.

- صحيح، ولذلك أعتقد أن مجموعة من الآباء في هولي كروس قد اجتمعوا، وتحدثوا مع والدي بشأن التحاقني بهذه المدرسة، ولكننا عجزنا عن تحمُّل مصروفاتها. خصوصًا، بعد كل ما حدث عند وفاة أمي. ولا يمكنك أيضًا أن تمنح طلاب الثانوية منحة رياضية، على الأقل، هذا يخالف قواعد الاتحاد الرياضي الذي ينافسون فيه. وهكذا أنشؤوا هذه المنحة الأكاديمية من أجلي، ومن أجل أخي أيضًا. فقد قال والدي إنه لا يمكنني الالتحاق بالمدرسة ما لم يلتحق أخي أيضًا.

- لكنك قلتَ إنك السبب الرئيسي الذي حملكما معًا على ترك المدرسة، صحيح؟

أشرتُ إلى ممر السيارة اللاحق لمنزلي، قبل بضعة منازل من وصولنا، ثم قلتُ: «هذا منزلي هنا على اليسار».

أجاب بوو تسأولي: «لقد أصبتُ ركبتي في نهاية الموسم العام الماضي. ولم نكن نحظى بأي تأمينٍ صحيٍّ في تلك الأثناء، ولذلك لستُ واثقًا كيف سددنا تكاليف العلاج بأكملها. ربما كان المزيد من هؤلاء الآباء الأثرياء هم من تحملوا التكاليف. ولكن ما كنتُ واثقًا منه هو أنني لن أعود إلى اللعب في أي وقتٍ قريب».

توقفت السيارة أمام منزلي. وكم وددتُ في تلك اللحظة أن تستغرق المسافة إلى منزلي ثلاثة أضعاف ما استغرقت من وقت.

سألتُ مستوضحة: «ولكنك حظيت بمنحة أكاديمية، أليس كذلك؟ ما كان لهم أن يحرموك من هذا».

عقد ذراعيه فوق صدره، وقال: «بعد إصابتي، تشاجرتُ مع فتى من أفراد فريقتي. كولين، ذلك الفتى الذي تردد على هاربيز طوال الصيف».

- علامَ كان الشجار؟

هز رأسه، وابتسم مستهزئًا، ثم قال: «ما يتشاجر عليه كل الفتیان! فتاة، بالطبع».

صار الهواء ثقيلًا في شاحنته، وكان بإمكانه أن أشعر بثقل الهواء والاختناق يُبَيِّس عظامي. سألتُه: «هذه الفتاة التي كانت برفقته؟».

- أمبر. لقد تواعدنا لعامين كامِلين، ولكنني كنتُ حقيرًا معها.

وددتُ لو سألتُه المزيد من التفاصيل، كيف كان حقيرًا معها. غير أنني لم أكن أدري إن كنتُ أرغب في معرفة الجواب بعد أم لا.

تابع بوو موضعا: «كسرتُ عظمة ترقوة كولين، وكسر هو أنفي. وعندما ذهبنا للتسجيل من أجل العام القادم، أخبرونا أن صناديق التبرعات قد نفدت، وأنه كان على المتبرع سحب جميع تبرعاته. والآن، بات أخي الصغير يكرهني».

- هل يفتقد المدرسة؟

نذتُ عن ثغره ابتسامة لاذعة، ثم قال: «أجل، هذا الفتى كان ملكًا مُتَوَجًّا في هذه المدرسة. وكان يُواعد الفتاة نفسها منذ الصف السابع. مَنْ يصمد كل هذه المدة؟».

هز رأسه في غير تصديق، وكان لا يزال مبتسمًا. كان بإمكانه أن أقرأ في عينيه ما لم ينطق به لسانه: أنه يحب شقيقه الأصغر حبًّا مَرْضِيًّا، وربما كان سيعود إلى اللعب بركبة مصابة حتى يجعله سعيدًا مجددًا.

تابع بوو: «إنه في الصف الأول الثانوي الآن، وكان تقبله للأمر أسوأ كثيرًا مما فعلته أنا. وها هو الآن قد بلغ الخامسة عشرة، وبما أن كل شيء يصير بائسًا وخربًا عندما تكون في الخامسة عشرة، انفصلت عنه صديقه الحميمة. وقالت إنها عاجزة عن الاستمرار في علاقة تفصل بينهما مسافات بعيدة».

سألتُ في دهشة: «مسافات بعيدة؟!».

فأجاب: «أجل، تبعد المدرسة عن منزلنا مسافة عشر دقائق سيرًا على الأقدام».

- يا إلهي!

كانت يدي تحوم باحثَةً عن مقبض الباب في تلك اللحظة، فقال بـو: «دعيني أوصلك حتى الباب الأمامي».

- كلا، لا عليك.

لكنه بدا مُصِرّاً على التّرجل من السيارة برفقتي، فقال: «بل أعني ما أقوله».

- حسناً، في الحقيقة، نحن نستخدم الباب الخلفي.

- لماذا؟

- إن الباب الأمامي عالقٌ بعض الشيء. وكان على هذا الحال منذ وقتٍ طويل.

فسأل مستغرباً: «إذن، ولماذا لا تُصلحونه؟».

- لا أدري. أعتقد أنه واحدٌ من تلك الأمور التي لا نتطرق إليها أبداً. والآن، وقد اعتدنا عدم استخدامه، فلم يعد الأمر مهماً.

اختلج جانب فمه قليلاً، وكأنه على وشك أن ينطق بشيء ما، لكنه عدل عن النطق به، وظل صامتاً.

ترجلتُ من الشاحنة، وقبضتُ على الباب ليظل مفتوحاً هنيئاً، حينما طرقت رأسي فكرةً، فسألته: «لماذا كنتَ تجلس إلى جانبي اليومين الماضيين؟ في الصف. تعلم أنه يمكنكَ التحدث إليّ في العمل».

كرر لازمته مجدداً، حين يحكُّ برأجه بذقنه، ثم قال: «أعتقد أنني أفضل الحديث إليك في كل مكان».

وخلف السياج، في الفناء الداخلي خاصتي بعيداً عن الأنظار، ارتسمت على وجهي ابتسامة خجلة.

\*\*\*

أفرغتُ محتويات حقيبة ظهري على الفراش، آملّة أن أنهي بعضاً من واجباتي المدرسية على الأقل قبل أن أغط في النوم. ألقيتُ نظرة فاحصة على المحتويات، قبل أن أجده ممدداً بين كتبي المدرسية، بغلافٍ مطويٍّ، ذاك الكتاب الذي منحني إياه ميتش، كُتِب تعليمات الخدع السحرية. جذبتُ الكتاب محتضنةً إياه، وجلست مسترخية على الأرض. كنتُ قد نسيتُ تماماً ما كان عليّ إعداده بشأن موهبتي -أو المسابقة بأكملها- طوال الأيام القليلة

الماضية. فقد فصلتني عودة بوو إلى عالمي مجدداً، ولو حتى بأقل قدر ممكن من التأثير، عن العالم الخارجي وتأثيره، وأحالت عقلي إلى فراغ دامس، فلا يمكن لأي شيء آخر أن يلتصق به، لأنني -وبكل بساطة- مستنفدة القوى. غير أنني لا أرغب في ذلك، ولا يسعني أن أتمنى شيئاً كهذا.

مررتُ أصابعي بين صفحات الكتاب متصفّحة، فوجدتُ العديد من الخدع المختلفة، غير أن شيئاً منها لم يجذب انتباهي. وفي تلك الأثناء، انزلقت ملاحظة صغيرة من بين الصفحات، فأزلتُ طيتها، وقرأت: «ويل، عندما كنتُ طفلاً صغيراً، مررتُ بمرحلة الساحر، فكنتُ أرتدي العباءات السوداء الطويلة وأعتمر القبعات بارزة الرأس في كل مكان. وفكرتُ أنه ربما يمكنكُ أن تصنعي من تلك الحيل شيئاً خاصاً بك... ميتش».

دسستُ الملاحظة مرة أخرى بين الصفحات، وزفرتُ تنهيدةً مُثقلة. ما هذا السخف! أن أؤدي أنا خُدعاً سحرية ساذجة. ولكن ماذا هناك أيضاً عدا هذا لأفعله؟ فأنا لا أمتلك موهبةً تُعرّف عن ذاتي، مثل بيكا، ولم ألتزم شيئاً ما لفترة طويلة حتى يتسنى لي العودة إليه مجدداً.

أسندتُ ظهري إلى جانب فراشي، ووضعتُ الكتاب في حجري، ثم بدأتُ أتدرب على حركات خدعة العُملة المخفية. أشعر أن ما أفعله هو تسوية، ورضا عن الواقع البائس. أشعر أن المسابقة بأكملها باتت فرصة ضائعة. ولكنني لا أعتقد أن هذا يجعل ما أفعله خاطئاً.

حاولتُ استمداد بارقة الأمل التي حملتني على المشاركة في المسابقة في المقام الأول، غير أن دَفعة السحر البسيطة تلك تأبى أن أعثر عليها في غياهب روحي.

\*\*\*

## الفصل الخامس والأربعون

في اليوم التالي، توقفتُ أمام مقر عمل أمي منتظرةً إياها، فجاءت إليَّ حاملةً حافظة فستان قماشية تتدلى من فوق ذراعها. رفعت يديها إلى أعلى حينما دلفت إلى السيارة، وقالت: «قبل أن تقولي أي شيء، اسمعيني أولاً».

- حسنًا.

هكذا أجبْتُ، غير أنني عجزتُ عن إخفاء ما اعتري صوتي من قلقٍ واضطراب.

- لقد زرتُ أنا وديبي بعضًا من متاجر البضائع المستعملة في أثناء استراحة غدائنا، وأعلم أنك لم توفري فستانًا بعد. وبما أنك ستضطرين إلى تقديم الفستان للموافقة عليه في غضون أسابيع قليلة، إذن فليس لديك الوقت الكافي للتسوق. ربما لا تدركين جدية الأمر، ولكن لا يمكنك أن تشتري فستانًا جاهزًا للاستعمال على الفور. إن الأمر لا يسير على تلك الوتيرة أبدًا.

أعلم أنني بحاجة إلى فستان، وأعلم أنني متأخرة عن الجميع في هذا الأمر. ولكن ليس ثمة وصف لكارثة محققة، كأن تتسوق أمي الملابس من أجلي. لقد مررنا بهذا من قبل... لقد فعلناه معًا... وما زلنا نعاني تبعات ما حدث.

- إنه يميل إلى البساطة قليلًا، ولكن هذا يعني أن بإمكاننا أن نُضيف لمساتنا الخاصة. وكأنه فستانٌ قد صُنِعَ خصوصًا لأجلك.

قطعتُ على نفسي عهدًا في تلك اللحظة، أن أسمح بتجربة الفستان على الأقل. وسأمنحها قرينة الشك. وهكذا سمحت لي أمي أن أجرب الفستان في غرفتها الخاصة، حتى يتسنى لي استعمال المرأة الكبيرة. انغلق الباب من

خلفها وقد استقر الريقان في موضعه، وأدركت مدى الغرابة التي خيَّمت على الحدث حين آثرت عدم البقاء في الغرفة. إنها تجول المنزل طوال الوقت في أشكال مختلفة من عُري الملابس، تبحث عن جوربٍ ضائع، أو تكوي زي التمريض الرسمي. ليس الأمر وكأنها قد زرعت الحياء والاحتشام بداخلي، ولكن ثمة لحظة، ربما كانت في الوقت الذي بلغت فيه الحادية عشرة أو الثانية عشرة، حين توقفت أُمِّي عن البقاء برفقتي في عُرف القياس أو تفرّيش أسنانها حينما أغتسل. أظن أن ما فعلته كان بدافع الحدس بشأن احتياجات الخصوصية التي فكرت أنني ربما أكون في حاجة إليها. غير أن أفكارًا أخرى تعبت برأسي، تقول إنها ليست مهتمة على الإطلاق بأي شيء يُذكرها بالشاكلة التي عليها جسدي. سواء أكان ما أفكر فيه صحيحًا أم لا، لا يزال فعلها مؤلمًا.

حسنًا، عليّ أن أعترف بهذا: الفستان ليس مريعًا على الإطلاق. إن لونه أحمر -الدرجة المثالية من الحمرة التي لا تليق سوى بطلاء أظفار مثير وسيارات فارهة مسرعة- ذو رقبة عارية، وشرائط تنزلق عمدًا عن كتفيّ. بالطبع لم تمنحني كتفائي البروزات الحادة التي أراها على أجساد الممثلات وعارضات الأزياء، بل تبدو الحواف مثل منحدرٍ مائل إلى أعلى الذراع. الأهم هو أن الفستان قد أعجبني. حتى قررتُ إغلاق السحاب. لقد أغلق السحاب، لكن هذا لا يعني أن مقاسه يُناسبني.

يا إلهي، إن تلك الحقيقة الواضحة تمامًا بأنني قادرةٌ على جذب السحاب متخفيةً جانبيّ، هي درسٌ في القصور الذاتي أو قوة الإرادة فحسب. كلما أمعنتُ في إغلاق السحاب، شدَّ القماش عنوةً في الاتجاه الآخر، مُهددًا بتفكك الخيوط والتمزق إذا تطلعتُ إلى أي شيء حتى بزاوية خاطئة. غير أن مقدمة الفستان ضخمة للغاية، حتى إنه يمكنني أن أدس ذراعي بداخلها. (إن هاجمتني برودة الجو أو شيء كهذا).

ناديتُ أُمِّي: «حسنًا، هيا ادخلي!».

وقفت أُمِّي من خلفي، فكان بإمكانني أن أرى انعكاسينا معًا في المرآة. شاهدتُ نظراتها تتفحصني من رأسي حتى أخمص قدمي، وعبست شفاتها قليلًا حينما رأت الكيفية التي أحكم فيها القماش قبضته على جانبيّ. التقت أعيننا، فتداركتُ تعبيرات وجهها. وفتر ثغرها عن ابتسامة مُشجعة، ثم قالت: «اطمئني، يمكننا توسعة المقاس عند الجانبين بضعة سنتيمترات، وتضييق المقاس عند المقدمة».

كانت نبرة صوتها قوية، وابتسامتها عريضة، لكنني لا آبه لأبي من هذا. يمكنني تجاهل تلك الأمور، فها هي تبذل جهودها لتدخل إلى عالمي. سألت أمي، وهي تجذب مقدمة الفستان من الخلف، مُكورةً القماش الزائد في قبضتيها: «ما رأيكِ؟».

يمكنني أن أتخيل صورة شبه تقريبية لما سيبدو عليه هذا الفستان... وأعجبني ما تخيلته في ذهني.

- إنه جيد. بالإضافة إلى أنني لن أُضطر إلى ارتدائه إلا لعشرين دقيقة فحسب، أليس كذلك؟ يمكننا التكيف على هذا وإنجاح الأمر.

\*\*\*

جلستُ في الصف الثالث من مسرح المدرسة. وجلست ميلي بجانبني، تقرأ في إحدى الروايات الرومانسية، وبجانبها جلست أماندا، تثب قدمها على الأرض بينما كانت أصابعها تنقر على فخذاها في قلق.

حُدّ اليوم للموافقة على جميع مواهبنا من أجل المسابقة. وكل ما أملكه من موهبة هو خدعة سحرية واحدة تعلمتها من الكتاب الذي منحني إياه ميتش. تنص القواعد على أنه على كل متسابقة أن تُعد عينة من موهبتها، ولهذا أتمنى أن تكون خدعة سحرية واحدة كافية اليوم.

عبرت هانا الممر الذي جلسنا فيه، حاشرةً جسدها بين الجالسات جميعهن، متخطيةً كلاً من أماندا وميلي. ثم قالت: «سأغادر هذا المكان، بمجرد أن يمنحوني الموافقة».

فسألت ميلي: «ألا تعتقدين أنه من الذوق البقاء حتى تنتهي مواهب الأخريات جميعهن؟».

ارتمت هانا بجسدها على المقعد بجانبني، ولم تُزعج نفسها بجواب ما طُرح عليها من سؤال. بدأ صبرُ ميلي على عجرفة هانا بالنفاد، غير أن هذا الأمر قد منحني شعوراً خبيثاً بالبهجة. كم أود لو أرى ميلي اللطيفة تفقد أعصابها صافعةً مؤخرة هانا المزعجة.

حينما جلس الجميع على مقاعدهن، بدأت أمي خطابها وقالت إن أزياء عرض المواهب ستحتاج إلى الخضوع إلى الموافقة عليها في الوقت ذاته الذي تخضع فيه بقية أزيائنا للموافقة.

قالت أمي، قبل أن يبدأ عرض المواهب: «سنحتفظ بالمفاجآت للجمهور». صعدت بيكا كوتر على المسرح أولاً، التي كانت -يا للعجب!- تُدير هراوة مثلما يفعل بشريٌّ خارق غريب الأطوار. أما هذه المرة، فلم نجد اسم بوو مطبوعاً على أردافها مثل المرة السابقة. إن مدى كراهيتي لوجودها ليس منصفاً، ربما لم تخاطبني الفتاة بما يزيد على عشرين كلمة، غير أن مجرد تصوُّر بوو، وهو يرتدي بزةً أنيقة، ويرافقها إلى حفل المسابقة، قد أحالني إلى فتاةٍ أخرى تشتعل عيناها غضباً وغيرة، حتى تكاد تحرق من ينظر إليها. ثم جاء دور خمس فتياتٍ أخريات متتاليات قد اخترن أداء أغنياتٍ إما من المسرحية الغنائية «البؤساء» وإما من «شيكاجو». رأت اللجنة أداء كارن ألفاريز لأغنية «شيكاجو» مثيرةً للغاية، وقد مُنحت أسبوعاً واحداً لاختيار أغنية أخرى. انسَلَّت مغادرة خشبة المسرح، تحتضن كُتيب أغنياتها بذراعيها. يمكنني القول إنها تشعر بالخزي والحر، ولكنها رائحة فضائح المسابقة التي أعشقها.

نادت مالوري بوكلي: «أماندا لومبارد؟».

رَبَّتْ ميلي على ظهر أماندا، بينما كانت الأخيرة تمُدُّ يدها أسفل مقعدها لتجذب حقيبة من الصوف الخشن. وبمجرد أن صعدت أماندا على خشبة المسرح، لاحظت أنها قد تخلت عن حذاء فرانكنشتاين خاصتها لتقويم العظام. ما أعنيه هو أنه رغم ما يمنحه هذا الحذاء من كعبٍ سميك على أحد الجانبين، فإن مظهره رياضيٌّ عما ترتديه الآن.

قالت أماندا بصوتٍ مرتعش: «أظن أن موهبتي ليست تقليدية، ولكن هذا ما أجيده حقاً».

جلست أماندا القرفصاء، وفتحت حقيبتها الرياضية، لتُخرج منها كرة قدم أمريكية. ودون أي مقدمات، بدأت أماندا في درجة الكرة يميناً ويساراً بين ركبتيها. كان أداؤها أقرب ما يكون إلى الروعة. ضربت الكرة برأسها عدة مرات، حتى إنها ركلتها أيضاً لتقفز من فوق رأسها، غير أن الكرة لم ترتطم بالأرض قط.

ها هي أماندا تفعل شيئاً لم أحلم قط في حياتي أن أفعله، وأنا على ما أنا عليه ذات ساقين متساويتي الطول. وبعد المزيد من الألاعيب، حشرت أماندا الكرة أسفل ذراعها، وجذبت حقيبتها، ثم ترجلت عن خشبة المسرح:

دَوَّى سَيْلٌ مِنَ التَّصْفِيقِ الْحَارِّ مِنْ جَانِبِ مِيلِي وَمِنْ جَانِبِي، كَمَا لَوْ أَنَا نِسَاءُ مَجَانِينِ، بَيْنَمَا ظَلَّ بَقِيَّةُ الْحُضُورِ فِي الْمَسْرَحِ عَلَى حَالِهِمْ مِنَ الصَّمْتِ حِينَ كَانَتْ اللِّجْنَةُ تَتَخَذُ قَرَارَهَا بِشَأْنِ الْمَوْهَبَةِ. تَضَاعَفَ الْوَقْتُ الْمُسْتَغْرَقُ لِاتِّخَاذِ الْقَرَارِ عَمَّا اسْتَغْرَقَهُ الْقَرَارُ لِأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، وَلَكِنْ فِي النِّهَايَةِ، بِنَبْرَةٍ لَا تَتَشَى بِالْإِعْجَابِ، قَالَتْ أُمِّي: «حَسَنًا، هَذَا لَمْ يَكُنْ ضَمْنِ اهْتِمَامَاتِنَا الْمَعْتَادَةِ، وَلَكِنَّهُ سَيَفِي بِالْغَرَضِ».

سَأَلْتُ أَمَانْدَا: «إِذَنْ، فَقَدْ تَمَّتِ الْمَوَافَقَةُ عَلَى مَوْهَبَتِي؟».

أَوَّمَاتُ أُمِّي بِإِيجَابٍ. عَادَتْ أَمَانْدَا إِلَى مَقْعِدِهَا مَبْتَسِمَةً، وَقَدْ عَلَا وَجْهَهَا نَظَرَاتُ بِلْهَاءٍ، وَغَمَرَهَا الْارْتِيَاخُ وَالطَّمَأْنِينَةُ.

كَانَتِ الْمَوْهَبَةُ التَّالِيَةُ هِيَ مَشْهَدُ مَنَاجَاةٍ مِنْ مَسْرَحِيَّةٍ «ضَبْجَةٌ فَارِغَةٌ»<sup>(1)</sup>، وَقَدْ كَانَ عَرْضًا رَائِعًا حَقًّا، غَيْرَ أَنَّهُ سَيَفْقِدُ اهْتِمَامَ الْمُحْكِّمِينَ.

- وَلِيلُودِينَ دِيكْسُون؟

مَدَدْتُ يَدِي دَاخِلَ حَقِيبَةِ ظَهْرِي، لِأَخْرِجَ عِتَادِي، وَعَبَرْتُ الْمَمْرَ الَّذِي يَفْصِلُنَا عَنْ خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ.

عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلَةً صَغِيرَةً، أَتَذَكَّرُ وَقُوفِي عَلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ، فِي أَثْنَاءِ الْعُرُوضِ الْمَسْرَحِيَّةِ الْمَدْرَسِيَّةِ. وَدَائِمًا مَا كَانَتْ الْأَضْوَاءُ السَّاطِعَةُ تَقِفُ حَائِلًا بَيْنِي وَبَيْنَ رُؤْيَا الْجَمَاهِيرِ، وَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الْحِيلُولَةُ أَمْرَ الْوُقُوفِ أَمَامَ الْجَمَاهِيرِ مُحْتَمَلًا. أَمَّا الْيَوْمَ، فَأَضْوَاءُ صَالَةِ الْمَسْرَحِ مُشْتَغَلَةٌ، وَأَضْوَاءُ خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ خَافِتَةٌ.

سَأَلْتُ: «هَلْ لِي أَنْ أَبْدَأَ الْآنَ؟».

وَحَاوَلْتُ أَنْ أَشْغَلَ زَهْنِي بِإِحْصَاءِ جَمِيعِ الْفَتَيَاتِ الْجَالِسَاتِ عَلَى مَقَاعِدِ الْجَمَاهِيرِ، فَمَا إِنْ أَبْدَأَ الْإِحْصَاءَ، رُبَمَا لَنْ أَتَوَقَّفَ أَبَدًا مَهْمَا يَحْدُثُ.

أَوَّمَاتُ السَّيِّدَةِ كَلَاوْسُونِ -الَّتِي كَانَتْ تَجْلِسُ إِلَى جَانِبِ أُمِّي- بِالْمَوَافَقَةِ. أَمْسَكْتُ بِزَجَاجَةِ مِيَاهِ فَارِغَةٍ، وَأَخْرَجْتُ قِطْعَةً مَعْدِنِيَّةً بِقِيَمَةِ رُبْعِ دُولَارٍ مِنْ جَيْبِي، ثُمَّ قُلْتُ: «سَأَقْدِمُ إِلَيْكُمْ خُدْعَةً سَحَرِيَّةً».

كَانَ وَجْهُ أُمِّي جَامِدًا، لَا يَنْضَبُ بِأَيِّ تَعَابِيرٍ.

(1) مَسْرَحِيَّةٌ هَزْلِيَّةٌ، إِحْدَى مَسْرَحِيَّاتِ شَكْسْبِيرِ. (الْمُتَرَجِمَةُ).

- أخطط أيضًا لعرض المزيد من الخدع، ولكن هذه مجرد بداية وعينة مما سأقدمه.

انتظرتُ حتى يخبرني أحدهم أنه لا مشكلة، أو أنه لا حاجة لي إلى القلق، غير أنني لم أتلّق سوى ضجيج الصمت.

إنّ إليكم كيف تُنفّذ هذه الخدعة في سرعةٍ ودهاء: أخذتُ زجاجة مياه فارغة، وكنتُ قد شققتُ مدخلًا خفيًا في جدارها. ومن ثم أمسكُ بزجاجة المياه بطريقة تحجب عن الجماهير رؤية الشق الذي أحدثته في الجانب. وبعد إحداث عدة طرقات على الزجاجة، وأثبت للجميع أنها مجرد زجاجة عادية، أمسكُ بالعملة المعدنية وألقي بها خفية عبر الشق الصغير في زجاجة المياه. وجلا، وجلا!

- أمامكم هنا، هذه زجاجة مياه عادية تمامًا. تجرعتها هذا الصباح لتناول بعض الفيتامينات.

لو كان بإمكانني فقط أن أجعل نبرة صوتي تبدو مثل نبرة أحد السحرة، ربما لن يلاحظ أحدٌ أي تافهةٍ أكون. عدتُ إلى الخدعة، ونقرتُ على زجاجة المياه عدة مرات، ثم علّقتُ مجددًا: «زجاجة مياه عادية تمامًا».

أمسكتُ بالعملة المعدنية بين أصابعي. ومن مقعدها في الصف الأول، كانت أُمي تُحدّق إليّ شزرًا. نزعَتُ الغطاء عن الزجاجة، فيظهر للجميع استحالة اتساع فوهتها لتلك العملة المعدنية. كان الهدوء القاتل مُخيّمًا على القاعة. ألّهذا السبب دائمًا ما يُلقى السحرة بالنكات؟ أو يطلبون عزف موسيقى حادة تبدو مثل أشعة ليزر قاطعة؟ رفعتُ يدي، مُظهرَةً العملة المعدنية بين إصبعيّ مرةٍ أخيرة، قبل أن أُحكم أصابعي عليها كما جاء في الكتاب، وألقي بها داخل الزجاجة من الجانب، عبر الشق الذي أحدثته سابقًا.

- انظرون!

هكذا قلتُ أخيرًا. ربما كان تعبيرًا لطيفًا أنطق به، عدا أنني قد نطقتُ به باكرًا عن توقيته. هزرتُ زجاجة المياه في يدي، ولكن عدا قطرات الماء القليلة المتبقية من هذا الصباح، كانت الزجاجة فارغة. وأدركتُ أنني لم أفحص الزجاجة جيدًا لأتأكد أنني كنتُ ألقي بالعملة المعدنية من الجانب الأيمن لزجاجة المياه.

صاحت كالي، التي كانت تجلس في الصف الثالث، بجانب إيلين: «على الأرض».

إيلين. لقد عضت على شفرتها السفلى خجلاً.

في تلك اللحظة، حينما تطلعتُ من حولي، جلوس إيلين ضمن الجماهير. موهبتي الرديئة السخيفة. وهذا المسرح المضاء عن آخره، أدركتُ أنني أضيع وقتي حينما اشتركتُ في مسابقة الجمال تلك. لا أعتقد أن هذا ما توقعته لوسي، حين أخفت استمارة التقديم القديمة بعيداً في غرفتها. ولم يكن هذا خطأً أحدٍ سواي. أجهشت الدموع على جانبي عيني، لكنني أجبرت نفسي على إجمامها حتى آخر لحظة.

أطرقتُ برأسي إلى الأسفل، هناك إلى جانب قدمي تقبع عُملتي المعدنية. انحنيتُ في سرعةٍ والتقطتها قبل أن أقذف بها خلال الجانب الآخر من الزجاجاة. كانت هذه أسوأ خدعة سحرية قد ترونها في حياتكم على الإطلاق. وكان التصفيق الوحيد الذي صدح في أرجاء القاعة، قد جاء من ميلي، بالطبع. قلتُ: «ما زلتُ أتعلم».

وقفتُ على حافة المسرح، بينما كان أعضاء اللجنة -وعلى رأسهم أمي- يتشاورون ويتحاورون. وفي نهاية المطاف، نطقت أمي: «مُوافقة». غير أن تعابير وجهها التي تُكشِّر عن أنيابها قد نطقت بما لم يُقل بالكلمات. إحباط! خيبة أمل!

قطعتُ الممر الذي استقرت فيه مقاعدنا، وحشرت نفسي متجاوزةً هانا وميلي، لأصل إلى مقعدي، فسمعتُ هانا تهمس: «رمية سيئة». أجبتُ على الفور في هجومٍ واجم: «أوه، كما لو أنك قد خططتِ لشيء أفضل من هذا».

قاطعتنا أمي، مناديةً: «هانا بريز».

أحدثتُ هانا طرقاتٍ على خشبة المسرح، وهي تسير في حذاء سلاح البحرية ذي الرقبة، الذي كانت تنتعله. ثم بدأت موسيقاها في إخفاء ضجيج الحذاء، والفضل يعود إلى الفتى الجالس في مقصورة الهندسة الصوتية. كانت الموسيقى التي تصدح في الأرجاء، تعود إلى أغنية أذكر أنني قد سمعتها من جهاز التسجيل الصوتي الذي كانت تمتلكه لوسي: «Send in the Clowns»

كانت من هذا النوع من الأغنيات التي تغزو روحك، وتنخر عظامك، وتجعلك حزيناً دون أي سببٍ يمكنك تحديده.

لم يكن صوت هانا مُطرباً شجياً، كما يُخيل للبعض، غير أنها ألقت الأغنية بأداء جيد. كما لو أنها قد عملت على تأليفها بنفسها. وكلما تصاعدت وتيرة الموسيقى، تصاعدت وتيرة صوتها هي الأخرى. وفي هذه اللحظة، لم أعد أرى هانا بوجهها العبوس المعتاد وأسنانها البارزة، وملابسها السوداء القاتمة. وبات كل ما أراه هو هذه الفتاة التي تُلقي على مسامعنا أغنية تفسر القلوب، فقد كانت تملك زمام أمورها في الوقت الذي كان بقيتنا يتخبط فيما يريده.

خفتت وتيرة الموسيقى، ثم توقفت نهائياً، وكان ثمة لحظات وجيزة من الصمت، قبل أن يُصَفَّق كل فردٍ جالسٍ في صالة المسرح بحرارة. وبعدما تلاشى التصفيق، قالت أمي: «هانا، كان هذا رائعاً».

كانت نبرة صوتها تقول عبارات أخرى: «والآن، هكذا تختارين مهاراتكِ، دمبلين».

أومأت هانا، وقفزت سلالم الدرج اثنتين اثنتين. لم تتلفظ حتى بكلمة شكرٍ واحدة، بل جذبت حقيبة ظهرها من موضعها بجانب قدميها، ثم غادرت. شاهدتُ جميع المواهب من كُثب. واختارت كالي، مثلاً، أداء أغنية «تيتانك» بلغة الإشارة، مما أصابني ببعض الدهشة. عليّ الاعتراف بذلك. أما ميلي، فقد عزفت أغنية «Somewhere Over the Rainbow» على آلة الأكسليفون الخشبية، لم يكن عرضاً باهراً للغاية، لكنه لا يزال مناسباً لها. ثم جاء دور إيلين، التي اختارت أن ترقص رقصة القبقاب على بعض أنغام موسيقى الفلكلور الألمانية. كانت إيلين قد التحقت بفريق رقصة القبقاب منذ طفولتنا وحتى الصف السابع، وكان أداؤها هذا اليوم بالسوء نفسه الذي كانت عليه في طفولتها. أثار أداؤها ضحكي وسخريتي، وفضلاً عن أنها قد رأنتني أضحك، لم تتعرف أن الفتاة التي تضحك هي أنا. وعندما انتهت، صفقتُ في حرارة، حتى استدارت أمي إلى الخلف لترى من صاحب التصفيق المزعج.

بينما كنتُ برفقة أمي في طريقنا إلى المنزل، خفضت من صوت المذياع، حين توقفنا عند لافتة الوقوف الإجباري، قبل أن نصل إلى المنزل، وقالت: «كان اعتماد الموهبة هذا هو الصنيع الوحيد الذي سأسديه إليك».

أخذت نفساً عميقاً من بين أسنانها المطبقة في حنق، ثم قالت: «أعلم أنك لا تأخذين هذه المسابقة على محمل الجد، ولكن ربما كان بإمكانك التظاهر بالاهتمام على الأقل».

كانت على حق. ما حدث لم يكن منصفاً لها أو لأماندا أو ميلي أو حتى هانا. وعندما وصلتُ إلى المنزل، كان أول شيء فعلته هو الجلوس إلى طاولة الحاسوب، وقد تكوّر ريوت على نفسه حول قدمي، حين شرعتُ في كتابة رسالة بريدية. كان عنوان هذه الرسالة يقول: «النجدة!».

\*\*\*

## الفصل السادس والأربعون

في ضوء النهار، وتحت أشعة الشمس الفاضحة، لم يظهر «هايداواي» سوى بناء مُقشَّر الطلاء ذي أرضياتٍ لزجة.

وقفت هانا إلى جانبي، تترنح يمينًا ويسارًا في حذاء ارتفاعه سبعة سنتيمترات. قالت: «لن أنتعل هذا الحذاء في المسابقة».

حملتنا ليبي وي على الاصطفاف على خشبة المسرح، ننتعل نعالًا عالية، بينما جلس دالي، الحارس/المالك إلى طاولة الحانة يرتشف زجاجة كبيرة من الجعة. كانت الرسالة البريدية التي أرسلتها إليه واضحة تمامًا، كما هو الحال الذي كنتُ عليه لوقتٍ طويل، فأخبرته عن إيجادي لاستمارة التسجيل القديمة في خزانة لوسي، وأخبرته أيضًا بشأن ميلي وأماندا وهانا.

قلتُ له: «لقد ورَّطتُ نفسي في هذا الأمر حتى لم يعد مجال للهرب. ولم أقتصر على أن أجعل من نفسي أضحوكة للجميع، بل أوقعتُ بهؤلاء الفتيات في طريقي أيضًا. إننا بحاجة إلى المساعدة. هذا النوع من المساعدة الذي لا يتعذر أن تجده في كلوفر سيتي».

الحقيقة هي أننا ليس لدينا فكرة عما نفعله. لا ندري كيف نسير أو نقف أو نُقدِّم أنفسنا مثل العارضات. لا أريد أن أقف على خشبة هذا المسرح، وأكون الفتاة البدينة التي ستسقط على مؤخرتها من الارتباك والهرج، وتتحمس طريقها من خلال بعض الخدع السحرية. لستُ فتاةً ساذجة، فأنا أعلم جيدًا أنني لن أفوز في تلك المسابقة. لا أرغب حتى في شيء كهذا، ولكني أريد أن أقف على خشبة هذا المسرح وأثبت أنه ليس ثمة أسبابٌ تُعجزني عن المشاركة في مسابقات الجمال أو قواعد تمنعني من ذلك.

على الجانب الآخر مني، التزمت ميلي بصمتٍ مُقلق، وقد تسمَّرت ركبَّاتها في موضعهما. همستُ لها: «هل أنتِ بخير؟».

كانت عيناها مثبتتين على بقعة الضوء القاتمة أعلاها، لكنها أجابت: «أحاول التركيز على ألا أسقط».

قاطعتنا ليبي وهي تصيح: «اثنين ركبتيكن!». رفعت هانا إصبعًا وصوبتها نحو أماندا، ثم قالت: «لا أدري لماذا لا تنتعلين أحذية التعذيب العالية تلك».

ضحكت أماندا في براءةٍ دون اكتراث. فصاحت ميلي: «هانا، تعلمين أن...».

قاطعتهما ليبي وقالت بنبرةٍ جدية: «لأن الحياة ليست مثل نهرٍ جارٍ، ولأننا جميعاً لن نقصد الاتجاه نفسه».

قلَّبت هانا عينيها في استخفاف، لكن ليبي لم تُمهلهما فرصة للتذمر، فأضافت: «عزيزتي، إن سلوككِ يحتاج إلى تغيير جذري».

كنتُ قد طلبتُ من ليبي ودالي التضحية بفترة الظهيرة في يوم الجمعة، وها نحن الآن ننوح على ما أقحمنا أنفسنا فيه.

- بحقكن يا فتيات!

قالت هانا: «دعونا ننهي هذا الأمر».

نظَّفت ليبي حلقتها، وقالت: «الأمر الأول الذي عليكن إتقانه هو طريقة المشي، فطريقة مشيتكِ هي ما تجعلكِ ملكة. لأنه، يا أنساتي، ليس كل ما يخرج من فمكِ يمكننا أن نعتبره انطباعاً أولياً. بل كل شيء...».

راوحت ليبي بين فخذيهما يميناً ويساراً، ثم تابعت: «يتعلق بدواخلكِ، وما يُكنه قلبكِ من سمات».

لمحتُ ميلي، من طرف عيني، تقضم أظفارها بلا هوادة.

أمرتنا ليبي أن نجلس قليلاً، لترينا ما تعنيه تماماً. صدرت عنا تنهيدة ارتياح في اللحظة التي لامست فيها مؤخراتنا أسطح الكراسي. اعتلت خشبة المسرح، وراحت تسير ذهاباً وإياباً في تبختر، ويُصدر كعباها العاليان نقرات متميزة مع كل خطوة تخطوها.

قالت: «أترون كيف أسير وإحدى قدميَّ تسبق الأخرى؟ تظاهرن بأنكن تخضعن إلى اختبار نسبة الكحول...».

نخر دالي، مُقاطِعًا: «إنهن في المدرسة الثانوية».

- إذن، لا بد أنهن يعلمن تمامًا ما أتحدث عنه، صحيحٌ يا فتيات؟

كانت الوحيدة من بيننا التي أومأت برأيها في إيجاب هي هانا.

تابعت ليبي: «إذن تصرفن وكأنكن تِسرُن على خطِّ أصفر. ولا أقصد بذلك تلك الخطوات الأولى البطيئة، بل يجب أن تكون خطواتك الواحدة بطول ذراعك من الأعلى، على الأقل».

أنهت حديثها وأخذت دورة أخرى على خشبة المسرح. كانت الطريقة التي تتحرك بها، مرتديةً رداءها الحريري، ونعلها العاليتين دون حدود، قد بدلًا هيئتها من امرأة قصيرة بدينة، إلى امرأة فارعة فاتنة ممشوقة القوام. ربما تخدعني عيناها فأرى ما أود رؤيته فحسب، غير أنه من العسير أن تفكر في أنها أي شيء آخر أقل من هذا.

- لا يمكنكن تحميل جميع أوزانكن على الكعبين. ليس منصفًا أن تُحمَلن

تلك العصي الرفيعة المسكينة أوزانكن بمفردها. بل عليكم توزيع

الوزن على بقية القدم أيضًا. والآن، حان وقت التجربة، هل من متطوع؟

رفعتُ يدي، مُعلنةً استعدادي للتجربة، أستطيع إنجاز الأمر. أستطيع ذلك حقًا. أصدر دالي صفيرً تشجيع مكرّرًا. وبحرص شديد، أخذتُ خطواتي الأولى. مدّت ليبي ذراعها إليّ، توجّهني عبر خشبة المسرح. ثم قالت: «امنح الفتاة بعض الموسيقى، دالي!».

أخذتُ نفسًا عميقًا. وأطرقتُ مستمعةً إلى الأغنية، غير أنني لم أتعرفها. ما يهم حقًا هو الضجيج الذي أحدثته الموسيقى، فحملني على تجاهل وخزات أصابعي، واحترق أمشاط قدمي أَلَمًا. كانت خطواتي القليلة الأولى واسعة المدى، مثلما قالت ليبي، لكنها بطيئة مؤقتة. كانت ليبي مُحقة بشأن نظريتها في المشي، وهي أن يُلامس كعبك الأرض أولًا، ثم يأتي دور أصابع قدميك، حيث تتقدم إحدى قدميك على الأخرى. فتجعل جانبيك وأردافك تتأرجح، مما يدع جسدك بأكمله في حالة من الحركة المستمرة، مثل دراجة مائلة المقعد. وبمجرد شروعه في الحركة، لا يمكنك التوقف. وحينما استدرتُ عند الطرف الآخر من خشبة المسرح لأعود أدراجي، أصدر دالي صفير تشجيع آخر. كنتُ

أمشي بثقة، عالمةً بأنه لو كانت تلك الصالة مكتظة بالمتفرجين، لتسلطت الأعين جميعها عليّ دون غيري.

صفقت لي، وحاوطت خصري بذراعيها، فلامس رأسها نهديّ، وهنيئةً وجيزة، تمنيتُ، في تلك اللحظة، لو أن كل يوم في حياتي كان بهذا القدر من العبث واللاجدوى. كم رغبتُ أن تراني لوسي الآن، أن ترى ما آلت إليه حياتي حينما شرعتُ في وصل نقاطها المُفككة ببعضها بعضًا، وهأنذا الآن.

انتهى دوري، وجاء دور هانا، التي اتخذت طريقها عبر خشبة المسرح في مشقة، متعثرةً في خطواتها، ليس مرة واحدة بل مرتين. وفي منتصف طريق عودتها عبر خشبة المسرح، مزقت حذاءها ذا الكعب العالي، وألقت به في وجه مقاعد الجمهور الخالية. اعترتها ضحكاتٌ جنونية طوال الوقت، وقد كان شيئاً لا يمكنني الجزم أنني رأيتها كثيرًا تفعله.

كانت مشية ميلي متقنة ومتأنية. وقد أعادت لي تذكيرها مرارًا وتكرارًا، بأن تُبقي عينيها مثبتتين إلى الأفق، وألا تنظر إلى قدميها قط. وفضلًا عن تلك المرات القليلة التي أمسكت فيها لي بيدي ميلي لتحافظ على توازنها، نجحت أخيرًا في التجربة. أما أماندا، فكانت شديدة الارتياح في حذاءها الخاص، حتى إنها قلما احتاجت إلى أي توجيهات.

وقبل أن نعود أدراجنا إلى منازلنا، جلسنا إلى طاولة الحانة، متطلعاتٍ إلى دالي وهو يسكب لنا مشروبًا عذريًا خاليًا من الكحول، بينما يسكب مشروبًا غير عذريٍّ مُشبّعًا بالكحول من أجل لي.

حدثتنا لي كثيرًا عن زينة الوجه التي تُناسب خشبة المسرح، وأنواع الملابس التي تترك انطباعًا وتأثيرًا واضحًا في الجمهور، حتى هبط رأسها مستندًا إلى طاولة الحانة من أثر الثمالة. ثم قالت: «ليتني قابلتُ فتياتٍ مثلكن عندما كنتُ في المدرسة الثانوية».

فسألتها هانا: «لماذا؟ هل تحبين أن تتعرضي للسخرية من الجميع؟». هزت لي رأسها، وأجابت: «كلا. كلا، بل كنتُ أتمنى لو أحظى بأصدقاء يحاولون الوصول إلى أشياء ليس من المفترض لهم أن يحصلوا عليها. لقد كنتُ شديدة الخوف من نفسي في هذه السن. كنتُ أرعد خوفًا من أن جميع الأحلام الكبيرة التي أردتُ تحقيقها لن تزيد على كونها أحلامًا فحسب».

ترك دالي موضعه خلف طاولة الحانة، واستدار إلى الجانب الآخر منها، ثم قال، موجهاً حديثه إلى ليبي: «من الأفضل أن أوصلك إلى المنزل قبل أن أعود إلى افتتاح الملهى الليلة».

استقامت ليبي في جلستها، وتابعت حديثها: «لقد صار الوضع أفضل. انظرن إليّ الآن، أعيش حُلْم حياتي. أنا سعيدة، وغارقة في الحب. لكني انتظرتُ طويلاً حتى تحدث لي تلك السعادة من تلقاء نفسها. أما أنتن، فتحاولن الحصول عليها الآن، وتبذلن الجهود لتحقيق ما تحلمن به».

ارتشفنا مشروباتنا هنيهةً خيّم الصمتُ فيها على الجميع. لم أُجر جواباً على ما قالتها، لكن كلماتها قد أعادت إلى الحياة شعوراً قد دُفن في قلبي. كما لو أنني أعيد ريّ نبتةٍ نسيْتُ الاهتمام بها منذ فترة.

قالت أماندا، قاطعةً لحظات الصمت: «شكراً لك على مساعدتنا اليوم. حتى لو عجزتُ عن انتعال الحذاء ذي الكعب العالي».

ترجلت ليبي عن مقعد الحانة خاصتها، بمساعدة دالي، ثم قالت: «يا صغيرتي، أنتِ لا تحتاجين إلى حذاءٍ ذي كعبٍ عالٍ لتكوني واثقة بنفسك. أنتِ قوية بما في داخلك».

سارت بمحاذاة مقاعدنا، وطبعت قبلاًتٍ حانية على خديّ كل واحدة منا. وحين مدّت ميلي ذراعها لتمنحها عناقاً، لم تنسحب ليبي متأففة. خرج دالي برفقتها إلى السيارة، فجمعنا حاجياتنا، واستقللنا شاحنة والدّة أماندا.

كانت أجواء العودة إلى كلوفر سيتي هادئة، حتى إن هانا - ذات التعليقات اللاذعة - لم يكن لديها تعليق ساخر لتلقي به على مسامعنا. ثم حملتنا ميلي على التوقف أمام أحد متاجر البقالة، لشراء بطاقة شكر وامتنان. مهرت كل واحدة منا باسمها على البطاقة، وقطعت ميلي وعداً بأن تُرسلها عبر البريد قريباً.

كان ثمة شيء مختلف قد اعتمل بداخلنا، وكان بإمكانني تلمّس هذا الاختلاف. لم يكن مقتصرًا على طريقة مشي قد تعلمناها، أو نصيحة بشأن زينة الوجه قد وقعنا عليها. لم يكن شيئاً يمكنك تحديده، أو التقاط صورة له، غير أنني أشعر بهذا الاختلاف وكأنه أشبه باحتفالك بعيد ميلادك، لا شيء يمكنك رؤيته، لكنه شيءٌ تستشعره بحدسك.

\*\*\*

## الفصل السابع والأربعون

- دمبلين! هناك ضيفٌ من أجلك!

اندفعتُ هابطةً درجات السلم. كان بوو قد تطوع لتوصيلي إلى العمل ومنه، ولكنني أخبرته تحديداً أن يرأسني إذا وصل أمام المنزل. أما الآن، فأظن أنه ليس من الأشخاص الذين يتبعون القواعد.

في الليلة الماضية، حين كنتُ على وشك الغطيط في النوم، اهتز هاتفي. كان ينبغي أن يكون الأمر مقبولا لي الآن، غير أنني للحظة، اعتقدتُ أنه ثمة احتمالية أن تكون إيلين هي المرسل.

بوو: «مرحباً، هل ترغبين في الاستذكار معاً لاختبار التاريخ العالمي في عطلة هذا الأسبوع؟».

أجبتُ بالموافقة دون حتى أن أتوقف للحظات، مُفكرةً ما إذا كان هذا مقبولا أم لا.

والآن، يقف بوو في حجرة مطبخي إلى جانب أُمي، التي كانت لا تزال تحتسي قهوتها. وعلى حين غفلةٍ، تظاهرت أُمي بإحضار شيءٍ ما، حين أدارت ظهرها إليه، وتطلعت إليّ رافعةً حاجبها في مكر.

- سأذهب إلى منزل بوو للمذاكرة يا أُمي.

اتشحت وجنتاها بالحُمرة، حتى بدت وكأنها مخمورة. ثم قالت: «أحسننا التصرف أنتما الاثنان».

دفع بوو الباب الجرار جانبًا فانفتحت، ثم تراجع مُفسِّحًا لي المجال لأخرج أولًا. صاحت أُمِّي، مُحدِّثةً بوو بصوتٍ غنائيٍّ رثان: «لا تنسَ أن تُحضر لي عرض السعر ذاك من والدك يا عزيزي!».

عبرنا الزاوية حتى وصلنا إلى ممر السيارة، ثم سألتُه: «ما الذي تقصده أُمِّي؟».

- ماذا؟ أجل. إننا نتحدث عن هذا الباب الأماميِّ.

وأشار إلى الباب الأماميِّ لمنزلي، ثم تابع: «إن أبي صانع أقفال، لكنه يُصلح الأبواب أيضًا».

استقللنا الشاحنة، ومكثنا في صمتٍ قاتم هنيهةً، قبل أن أقول: «إن أُمِّي غريبة الأطوار تمامًا. أعتذر لك عما قالت».

- في الحقيقة، أنتما تُشبهان بعضكما بعضًا.

حاولتُ ابتلاعٍ لعابي، غير أن فمي الجاف حال دون ذلك. لم أسمع أحدًا من قبل قد قال شيئًا كهذا عني وعن أُمِّي. بل دائمًا ما كان الشبه بيني وبين لوسي: «أنتِ تُشبهين خالتكِ تمامًا». ليس الأمر وكأنني أخجل من أمر كهذا، بل على العكس، يُعجبني مجرد التفكير في أنني أشبه والدتي. تابع بوو: «في كثير من الصفات الجميلة».

\*\*\*

بالنظر إلى ما أخبرني به بوو بشأنٍ منحتِه الدراسية، توقعتُ أنه لا يعيش في ضاحية حديثة البناء، غير أنني لم أتوقع ما رأيته. كان منزله -بمرجه المُشدَّب بعناية- يقع في شارع يضم منازل ذات أسقفٍ مائلة، وطلاءٍ مُقشرة، وباحات خلفية ذات أشجار مهملة.

دلف بوو بالسيارة إلى الممر المتداعي، ثم قال: «هذا هو منزلي».

تبعتهُ عبر الممشى، حتى وصلنا إلى الباب الأماميِّ، الذي كان يحمل لافتة يدوية الطلاء تتدلى منه، كُتب عليها: «يُمنع البيع هنا، من فضلك، ما لم تكن تباع رقائق البسكويت».

كان منزل بوو دافئًا، لكن دفئه كان مُريحًا للغاية. هو بناءٌ من طابق واحد، ولذلك يمكننا اعتباره أصغر حجمًا من منزلي، مؤثثٌ بأثاثٍ جيد، ورغم ما مرَّ

عليه من مدة تزيد على عقدين من الزمن، فإنه متناسق الطراز. وتساءلت كيف تشعر زوجة أبيه، وهي تعيش في هذا المنزل الذي أسسته والدته الراحلة. تفوح من المكان روائح طيبة عبقّة، لا تتسق مطلقاً مع أي شيء آخر. وتساءلت أيضاً ما إذا كان بوو قد شعر أن منزلي تفوح منه روائح تشبهني. خلاصة الحديث هي أنني لا أدري كينونة المكان الذي توقعت أن يعيش به بوو، غير أن هذا المكان لم يكن ما جال بخاطري قط.

- دعيني أعرفكِ إلى زوجة أبي.

تبعته، قاطعين المسافة القصيرة بين الباب الأمامي إلى المكان الذي تفوح منه الرائحة الزكية في المطبخ. كانت زوجة أبيه تسب وتلعن صانعة المكعبات الثلجية في المُبرد. بركة من الماء وقطعٌ شاردة من الثلج الذائب تحوم حول قدميها. لم تكن مهتمة كما رأيتها تلك المرة عندما التقينا في المركز التجاري، لكنها لا تزال محتفظةً بجمالها، مقارنةً بأمي. أعني أنها في حالة الفوضى وعدم الاستعداد، لا تزال جميلة، دون طلاء الأظفار وزينة الوجه والرداذ مُثبتٌ الشعر.

قال بوو: «لورين، هذه ويلودين».

استدارت حول نفسها، ممسكةً بسكين تقطيع كبيرة في يدها، وقالت ضاحكة: «أوه!».

وأسقطت ذراعها إلى جانبها، ثم تابعت: «الفتاة ذات الاسمين. أجل، أتذكرك».

أوما لها بوو في إيجاب.

كان وجهها باسمًا ورحيبًا، ثم منحتني عناقًا وقد أحاطتني بذراعٍ واحدة. بالتأكيد، ليست الذراع التي تحمل السكين.

سعل بوو خفيًا، كأنما يبتلع لعابه، ثم سأل: «هل كل شيء على ما يُرام مع صانعة المكعبات الثلجية؟».

رفعت السكين مجددًا، كما لو أنها على وشك أن تطعن أحدهم. ثم قالت: «أوه، إنها مُجمدة من الداخل، ليس إلا. وأحاول تكسير بعض الثلج الذي يُغطيها، حتى لا يضطر والدك إلى التعامل معه عند عودته. لقد اتصلوا به من أجل مهمة عمل في أثناء الفطور».

قال بوو: «سندهب للاستذكار في غرفتي».

ارتدت عينا لورين جيئة وإياباً بين بوو وبينني. ووقفتُ منتظرةً إياها لتقول شيئاً مثل: «ربما من الأفضل أن تستذكروا دروسكم هنا، أو اتركوا باب الغرفة مفتوحاً عن آخره».

غير أنها قالت بدلاً عن ذلك: «أخبراني إن احتجتما إلى أي شيء».

لم تكن غرفته قدرة، بل أشبه بغرفةٍ يعيش فيها أحدهم. تعج بالكثير من التفاصيل التي تتبع مسار حياته في كل فترةٍ منها، ملصقات لفرق موسيقية أدهشني أنه قد سمع بها من الأصل، كرة سلة مُثَبَّتة على مكتبه تغطيها توقيعاتٌ قليلة، وإناء من حلوى المصاصة الحمراء، وأرجوحة تتدلى من زاوية السقف، مكتظة بالدمى المحشوة، وقميص رياضي لفريق سان أنطونيو مُعلّق في إطار على الحائط.

بعدما دلفنا إلى الغرفة، أغلق الباب من ورائنا، وشعرتُ أن جميع ذرات الهواء المتبقية على الكرة الأرضية، قد حُبست معنا في هذه الغرفة. وحين تنفد، هكذا ينتهي الأمر، وسأقضي نحبي في غرفة نوم بوو لارسون.

جلسنا على وسائل مُلقاة على الأرض، وافترشنا كُتُبنا ودفاترنا من حولنا. قضينا بعض الوقت نتحدث فيما يمكن أن يُطرح في الاختبار من أسئلة، غير أن كل ما أمكنني التفكير فيه هو: «بوو - بوو - بوو - غرفة نوم بوو! إنه ينام هنا! بوو - بوو - بوو - بوو! هنا حيث يخلع ملابسه!».

من وراء رأس بوو، لمحتُ سلسلة مفاتيح عملاقة تتدلى من مقبض باب غرفته. فسألته: «ما قصة مفاتيح الحارس تلك؟».

استرق نظرةً من خلف كتفيه، ثم أجاب: «أوه، إنها من أبي».

استدار في جلسته، وأولى ظهره إلى الفراش، ثم استند إليه، فتبعته مُقلّدة. تابع حديثه: «كنتُ قد بدأتُ تجميعها عندما كنتُ صغيراً. كان أبي يدفعني إلى مساعدته في تنظيف شاحنته، فيخبرني أن بإمكانني الاحتفاظ بأي مفاتيح إضافية أجدها. معظمها مفاتيح من توالف التصنيع أو مفاتيح قديمة لم يعد أصحابها يستخدمونها».

بُسِطت أيدينا على السجاد، ولم يفصل بين أطراف أناملنا سوى سنتيمترات قليلة. قلتُ: «هل ما زلتَ تساعده؟».

هز رأسه نفياً، وقال: «تغيرت الكثير من الأمور عندما التحقتُ بمدرسة هولي كروس. فكنتُ دائم الانشغال بلعب كرة السلة. والأصدقاء أيضاً، حسب ما أعتقد. لا أدري حقاً. شعرتُ أن الحياة قد أصبحت ذات أهمية عن مفاتيحه الحمقاء. تعلمين كيف يبدأ بك الحال، فترسمين خططاً وأحلاماً كبيرة لحياتك، وفجأةً يصير كل الجهد الذي يبذله والداك -في نظرك- تافهاً بلا معنى؟ أظن أيضاً أنني كنتُ خجلاً من مهنته. فقد اعتدتُ رؤية جميع الآباء في هولي كروس يرتدون قمصان بولو وسراويل كاكية، حتى بدأتُ أتوسل إلى أبي ألا يُقلني في شاحنته».

هز رأسه في استنكارٍ، وأضاف: «لقد كنتُ فتى أحمق، وما زلتُ أحياناً».

- أظن أن الشعور بالخرج من والديك جزءٌ من عملية التقدم في العمر، تماماً مثل زيادة الطول.

فتر ثغره عن ابتسامة مقتضبة، ثم أجاب: «اعتدتُ أن أستمتع بمشاهدته يجمع الأقفال، وبطريقته المعهودة يُنصت إلى صوت الأقفال كما لو أنها أغنيته المفضلة، حتى يأتيه صوت قرقعة القفل في الرتاج».

قلتُ: «لا أدري إن كان رأيي مهماً لك، ولكن لا أظن أنك فتى أحمق... في أغلب الأحيان».

- لم أكن أحمق مع والدي، بل كانت صديقتي السابقة، أمبر. كانت معاملتي لها غاية في الجفاء والبشاعة، وكانت هي غاية في اللطف معي. لطالما رغبتُ بشدة في أن تظل بجواري وتدعمني. كانت تحضر كل مباراة ألعب فيها، حتى تلك المباريات التي تُلعب في مدن بعيدة، إن تمكنت من المجيء. وكل ما أمكنني فعله لرد صنيعها هو أن أصحبها إلى قاعات السينما المظلمة لأعيب معها أو أقضي معظم الوقت في غرفة التلفاز الخاصة بوالدها وأشاهد مباريات كرة السلة. أظن أنها كانت تستخدمني كوني نوعاً من رموز المكانة أو التذكارات الاجتماعية، ولذلك اعتقدتُ أن الأمر لم يكن مهماً لهذه الدرجة. لم أكن أُنحها شيئاً، تعجز هي عن الحصول عليه من أي مكانٍ آخر.

جفَّ لعابي واشتدت مرارة فمي، بدا هذا المشهد مألوفاً للغاية، ولم يكن شيئاً أود الحديث عنه أو إحياء شعوري تجاهه مجدداً. فآثرتُ تغيير دفة الحديث.

- ماذا تعمل لورين؟

احمرّ جسده خجلًا، وغطى وجهه بكلتا يديه، فبالكاد استطعتُ رؤيته. وأجاب بصوت خفيض: «إنها تُقيم حفلاتٍ غرامية».

حاولتُ جاهدةً ألا أضحك، وأنا أجيب مشدوهة: «مهلاً. معذرةً، ماذا قلت؟». ألقى برأسه إلى الخلف مستندًا إلى الفراش، وكرر جوابه: «حفلات غرامية».

- أتعني... مم... حفلات منحرفة؟

احمرّ خجلًا، حتى بات وجهه أشبه بثمرة بندورة مستديرة. فحاولتُ تخفيف ما يعانیه من خجل، حتى لو كان خجله هو ألطف ما رأيْتُ في هذا الوجود. قلتُ: «إن أُمي تعمل في دارٍ لرعاية العجائز».

استدار إليّ لمواجهتي، وقد كانت حُمرته تنقشع شيئًا فشيئًا، ثم تساءل: «كنتُ أعتقد أنها المسؤولة عن مسابقة الجمال».

- هي كذلك، المسؤولة عن مسابقة الجمال، التي تنظف مؤخرات جدّاتكم في أثناء النهار.

فاستطرد مُجيبًا: «يا إلهي! لم أكن لأفكر في هذا أبدًا».

تنهدتُ طويلًا، قبل أن أعلّق: «إنها فتنة حياة المشاهير».

- إذن هل اشتركتِ حقًا في مسابقة الجمال؟

أومأت مؤكدة: «أجل، لماذا؟».

يبدو أن لدى الجميع ما يُعلّق به على مشاركتي في مسابقة الجمال، وكنتُ على يقين بأن بوو لا يختلف كثيرًا عن الجميع.

- حسنًا، لطالما كان رأيي في مسابقات الجمال أنها تافهة وسخيفة، ولكن هذا ما اعتقدتُ أيضًا بشأن دوللي بارتون.

تطلعتُ إليه باسمه، ثم قلتُ: «إجابة صحيحة».

سأل مجددًا: «ماذا عن خالتكِ؟ تلك التي تُوفيت».

ابتلعتُ لعابي بصعوبة، ثم أجبتُ بأنفاسٍ متهدجة: «كانت عاطلة عن العمل، تعيش على المعاش الحكوميّ بسبب الإعاقة».

- أوه، إذن كانت وفاتها متوقَّعة بعض الشيء؟ أعني أن وفاتها لم تجعل الأمر أفضل. أعني أن....  
- كلا. لم تكن وفاتها متوقَّعة.  
كان صوتي خافتًا نديًا، لكنه مسموع. صمْتُ هنيهةً، فانتظرني لأوضح المزيد.

- كانت بدينة. ولا أعني بدينة مثلي، بل كانت تزن ما يزيد على مئتي كيلوجرام. وانتابتها نوبةٌ قلبية توفيت على إثرها. ورغم كل هذا، كانت شديدة الاعتناء بي، كما لو كانت أُمي الثانية.  
- أتمنى لو توجد كلماتٌ أخرى أشدَّ تعبيرًا وعزاءً من «أنا آسفُ لخسارتك». جلسنا في صمْتٍ بضع دقائق، نراقب الظلال التي أحدثتها فروع الشجرة المتلاطمة بفعل الريح، خارج ستائر نافذته البلاستيكية.  
ثم استطرَد: «أعتقد أنه كان سعيدًا بطريقة أو بأخرى عندما فقدتُ منحتي الدراسية».

- لمَ قد يكون سعيدًا بشيء كهذا؟  
حين سألتُ، كنتُ عالمةً بلا أدنى شكٍ مَنْ يقصد بكلامه. عقد ذراعيه فوق صدره، وحين فعل، تلامست أيدينا. كانت كل التفاصيل البسيطة -تلامس الأيدي وانغلاق الأبواب علينا- ترسل موجاتٍ بالقشعريرة والدفء التي تضرب عمودي الفقري فتغمر جسدي بأكمله.

- لا أعني سعيدًا بالمعنى الحرفي للكلمة، بل شيئًا أقرب للشعور بالارتياح. مال برأسه إلى الخلف مجددًا، وتطلع إلى كُرَيَات السلة الصغيرة التي تتدلى من سلاسل مروحة السقف في منتصف الغرفة. أتخيل مدى الألم والغربة اللذين يعتريانه، أن يعيش في هذا الضريح المُعبَّد بكل ما يتعلق برياضة بات عاجزًا عن ممارستها بعد الآن.

- أعتقد أنني اتخذتُ هذه الطريق لأرحل عن البلدة، فقد كنتُ ماهرًا في كرة السلة. تلك المهارة التي يمكن أن تلاحظها بعض الجامعات الصغيرة، وربما اعتقد ذلك هو الآخر. لكن ما كان من المفترض بي قط أن أرحل عن كلوفر سيتي. فقبل أن ألتحق بمدرسة هولي كروس، كان

من المفترض بي أن أعيش هنا وأموت هنا، وما بينهما أقضي حياتي عاملاً في مهنة أبي.

بدت كل كلمة نطق بها مألوفة لي، تلك الحقيقة التي ارتسمت عليها حياته هي حقيقتي أنا الأخرى. ثمة رواية للمستقبل في رأسي، حيث أقضي بقية حياتي هنا، أشاهد أُمِّي تعمل حتى يوم مماتها. ثم لا يبقى أحدٌ سواي في هذا البيت ذي الباب الأمامي العالق، الذي يعج بمستلزمات مسابقة الجمال وشرائط تسجيلية لأغنيات دوللي بارتون. رواية موحشة كئيبة... أعلم ذلك. ولكن لا يزال بعض من الشعور بالارتياح يغمرني لعلمي بالكيفية التي ستسير عليها حياتي حتى نهايتها. فمن خلال تجربتي، لم أحظَ بأي تحول مُفاجئٍ لصالحٍ قط.

استطرد بوو: «لا ألومه، بل ألوم الشعور الذي يغمر أحدهم إذا غادر شخصٌ عزيز عليك. إنه شعورٌ مخيف». - أجل، أدرك تمامًا ما تعنيه.

ربما كان كلانا يتحدث عن نوعٍ مختلف من الفقد، الفقد الذي لا يمكن تعويضه بذاكرة طيران. قاطعتنا طرقاتٌ على باب غرفته. - تفضل!

- مرحباً يا بُني. كانت المرة الأولى التي أرى فيها والد بوو، وكان نسخة أكبر سنًا، وأقصر قامَةً من بوو. قوي البنية، عريض المنكبين. وحين لاحظ وجودي، أومأ لي في ترحاب. قال بوو: «أبي، هذه ويلودين. إننا نرتاد المدرسة نفسها، ونعمل في هاربيز معاً أيضاً».

نهضتُ عن جلستي، وقلتُ: «تُسعدني مقابلتك، سيد لارسون». أشار إليّ بيده أن لا تفعل، ثم قال: «ناديني ببيلي». ثم التفت إلى بوو، وقال: «أحتاج إلى مساعدتك في تبديل إطار الشاحنة بسرعة».

- بالتأكيد.

قفز بوو من موضعه على عجلٍ، ووعدني أن يعود على الفور.

وقفتُ في موضعي هنيهةً، بمفردي في غرفة بوو لارسون. تطلعتُ إلى الغرفة مجددًا، فوقعت عيني على مكتبه، بجانب كرة السلة المغطاة بالتوقيعات، كان ثمة ثلاثة أطرٍ للصور. يضم الأول منها صورةً لبوو منذ عدة سنوات، مرتدياً قميص هولي كروس الرياضي، متأبطاً كرة سلة أسفل ذراعه. بدا وجهه أصغر سنًا بشعره القصير، ووجهه الخالي من زغب اللحية، غير أن عضلات ذراعه تُنبئ بما سيكون عليه في السنوات القليلة القادمة، وعدًا بمظهر بوو الذي أعرفه الآن. أما الإطار الثاني، فكان يضم صورة قديمة مشوشة بعض الشيء، كما لو أنها قد التُقطت بهاتف جوال، تجمع بين بوو ووالده وشقيقه سامي. بدا وكأن بوو لم يتجاوز التاسعة من عمره في هذه الصورة، وكان ثلاثتهم يقفون على أحد الشواطئ قذرة المنظر -ليس ثمة مجالٌ للشك بأنه أحد شواطئ تكساس- ومن خلفهم تظهر مياه المحيط. يقف بوو إلى جانب والده، بذراعين معقودتين وساقين منفرجتين. كان السيد لارسون يحمل سامي فوق رأسه، مثلما يحمل أثقال الحديد. أما الإطار الأخير، فكان صورة لزفاف والديه. والآن بِتُ أعرف من أين جاء بوو بهذا الطول الفاره. كانت السيدة لارسون تزيد بعشرة سنتيمتراتٍ طولاً على الأقل على زوجها. وكانت ترتدي فستاناً بلونٍ أصفر باهت يصل طول تنورتها إلى الركبة، وتنتعل حذاءً صيفياً بلونٍ ذهبيٍّ، وشعر منسدلٍ على كتفها. بدت لقطة عفوية، فقد ظهرت السيدة لارسون وقد أَلقت برأسها إلى الخلف من شدة الضحك، بينما ارتسمت على وجه السيد لارسون تلك الابتسامة الحية التي لطالما رأيتُ مثلتها على وجه بوو.

- كانت غاية في الجمال. والعقل والحكمة أيضاً.

التفتُ، فإذا بلورين تقف عند مدخل الباب، وقد علت وجهها ابتسامة هادئة.

- أنا آسفة للغاية.

لم أكن أدري علامَ أعتذر حقًا، ولكنني تابعتُ: «كنتُ أنتظر عودة بوو».

- ليس هناك ما تعتذرين بشأنه.

عضضتُ على شفتي هنيهةً، قبل أن أسألها: «هل قابلتها من قبل؟».

- كانت معرفة عابرة لا أكثر، ولكن مما سمعته، كانت من الشخصيات التي تودين أن تتعرفي عليها.  
تطلعت إلى الصورة مرةً أخيرة، قبل أن تقاطعني لورين قائلةً: «هيا، تعالي لنتناول بعض الشاي المُثلَّج».

تعتز الكثير من نساء الجنوب بالشاي المُثلَّج خاصتهن ويفخرن به، وتُمرّر وصفاته من جيلٍ إلى جيل. لكن لورين ليست ككثيرٍ من النساء، فهي تخلط الشاي بنوع من المسحوق تحتفظ به في علبة معدنية. وفي نظر أمي، هذا الشاي المُثلَّج المُجفف لا يقل سوءًا عن احتمالية تخلفكِ عن الركب عشية ليلة حافلة بالمسرات.

سألت لورين: «هل ترغبين في بعض الليمون؟».

- أجل، سيكون هذا رائعًا.

اعتصرتُ ليمونتين قبل أن أرتشف الرشفة الأولى.

«إنه لذيذ!».

هكذا قلتُ في قرارة نفسي. كان أشبه بطبق من اللازانيا المجمدة. أينما تكن أمي الآن، فقد كذبت بشأن هذا الشاي المُثلَّج.

جلست لورين قبّالتي، وقد أعدت كوبًا من الشاي لنفسها أيضًا. كانت واحدة من هؤلاء الأشخاص الذين يمكن أن تكون أعمارهم إما خمسة وعشرين وإما خمسة وأربعين، ولن تستطيع أبدًا الإتيان بفارق في مظهرهم.

قالت لورين: «ما هو بُرجكِ، ويلودين؟».

- معذرة؟

- بُرجكِ؟ في علم التنجيم؟

- أنا... حسنًا، في الحقيقة، لا أدري.

وفقًا لمعتقدات أمي، الإيمان بعلم التنجيم هو أقرب مرحلة قد تصل إليها قبل المسّ الشيطانيّ.

تابعتُ: «لم أهتم بهذا الأمر من قبل».

هزت رأسها في استغراب، وتأففت في ضيق، ثم قالت: «لن أفهم أبدًا كيف يعيش البشر حياتهم بأكملها دون أن يعلموا أبراجهم. أخبريني، ما هو يوم ميلادك؟».

- الحادي والعشرون من أغسطس.

- أجل، برج الأسد، تقريبًا.

انحنيتُ مُقلَّصةً المسافة التي تفصل بيننا، وسألتُ: «ماذا يعني هذا؟».

كنتُ أشبه بطفلٍ يتعلم لغة جديدة كُليًا للمرة الأولى في حياته.

أجابت: «أنتِ يا عزيزتي، تمتلكين شخصية أسد».

كان جوابها مصحوبًا بتأثير دراميٍّ مسرحيٍّ، لكنني لم أفهم ما قالتها ولم

ألاحظ ما أحدثته من تأثير. تنهدت لورين طويلاً، ثم تابعت: «أنتِ ملك الغابة،

يا طفلفتي. تعيشين في هذه الحياة واثقةً بنفسكِ ثقةً عمياء».

حسنًا، هذا هو الهراء بعينه.

رفعت لورين إصبعها في وجهي، وقالت: «لا تفقدي الاهتمام بحديثي بهذه

السرعة، فهناك المزيد. أنتِ برجُ نارٍ. عندما تحبين، يكون حبكِ عميقًا، ولكن

جرحكِ أعمق. غير أنكِ لا تسمحين دائمًا لهذا الجرح أن يظهر أمام الجميع،

لأنه يُشعركِ بالضعف. أنتِ الشمس في حياة الجميع، دائمًا ما توجدین من

أجلهم. حتى لو لم يروكِ».

كان إيمانها بهذا الأمر راسخًا، حتى كان من العسير عليَّ ألا أقتنع به أنا

أيضًا في نهاية الأمر. وقد أعجبتني تلك الفكرة التي طرأت على رأسي، فأنا ما

أنا عليه بطريقةٍ أو بأخرى، لأن هذا ما كان مُقدَّرًا لي.

- ولكن...

ها هو ذا، الوجه الكارثي الآخر على وشك الظهور: «ولكنكِ تحتاجين إلى

الموافقة من الآخرين أيضًا. وهذا العيب يشغل جزءًا كبيرًا من شخصيتكِ يكفي

لإيقافكِ عما تريدین فعله. ولذلك، فأهم ما تتذكرينه دائمًا - بصرف النظر عن

أبراجنا - هو أننا ما زلنا نصنع أقدارنا بأنفسنا».

كان من العسير ألا ألاحظ مدى صدق كلماتها. سألتها: «من أين تعلمتِ كل

هذه الأمور؟».

أجابت: «الكل يدين بدينه الخاص».

ورفعت كتفَيها في استسلام، وتابعت: «حتى لو كان دينهم هذا هو

اللادين».

- وماذا عنكِ؟

ابتسمت في اهتمام، وأجابت: «برج القوس. ولكن أتدريين ما هو أكثر إثارة؟ أن برج بوو يوافق برجك!».

وقعتُ في شباكها. لقد تمكنت مني، وتعلم هذا جيدًا.

تابعتُ: «إن بوو يتبع برج الدلو، مثل والده تمامًا. يتمتع بشخصية مستقلة تميل إلى التفكير والعزلة، لكنه يحمل قلبًا طيبًا».

استغرق الأمر مني بضع ثوانٍ لأدرك أنني أومئُ بالموافقة على حديثها. ارتشفت لورين من كأس الشاي خاصتها، قبل أن تتابع: «ووفقًا للأبراج، أنتما الاثنان تُشكلان زوجين».

ثم غمزت بإحدى عينيها.

أعلم أن كلمة «زوجين» قد تعني أي شيء في الوجود، أصدقاء، أو رفقاء، أو شركاء. غير أن هذا الافتراض لم يكن كافيًا ليوَقِف سيل الدفء والحُمرة الذي غزا وجنتي.

رَبَّتْ لورين على رُكبتي، وقالت: «يا إلهي، عزيزتي، هل أنت بخير؟».

أومأت إيماءً سريعة وجيزة، قبل أن أسأل: «هل... أين دورة المياه؟».

كان وجهي مشتعلًا بالحرارة حقيقةً ومجازًا.

قَطَبْتُ حاجبيها في قلق، وقالت: «بعد غرفة بوو بغرفتين على اليسار».

نهضتُ عن كُرسيّ، واستدردتُ نحوها بينما كنتُ أقف على العتبة الفاصلة بين المطبخ وغرفة الطعام، ثم قلتُ: «أسعدني الحديث إليك كثيرًا».

سمعتُ أبواب المرائب تُفتح، مما يعني أن بوو ووالده قد انتهيا.

- أَنْتِ مُرَحَّبٌ بِكِ دَائِمًا لقضاء بعض الوقت والحديث.

في دورة المياه، صفعتُ وجهي بالمياه عدة مرات، ثم تطلعتُ إلى المرأة. كم وددتُ لو أستيقظ كل يوم، كما في هذا الفيلم القديم «يوم جراوند هوج»، وأعيش هذا اليوم مرة وراء أخرى. ومع ذلك، وأنا أقف هنا بمفردي، كان من العسير عليّ ألا أتساءل إن كان دعا بيكا إلى منزله من قبل، أو أن أمبر قد اندمجت في الحديث مع زوجة أبيه مثلما فعلتُ أنا وهي.

جلس بوو منتظرًا إياي في غرفته. كان قد بدَّل ملابسه، ونقل الكتب والدفاتر إلى فراشه. إلى. فراشه!

لكن باب الغرفة كان مفتوحًا، وشعرتُ بشيءٍ من الامتنان لهذا الفعل أيضًا. لا أدري حقًا كيف يتعايش الناس وهم على هذه الحالة! أعني، كيف يحمل الناس أنفسهم على ممارسة أنشطتهم اليومية، من ملء الوقود أو دفع الفواتير أو ربط أحذيتهم، وهم عاشقون؟ أو غارقون في الحب. أو عاشقون. أو شعور بين هذا وذاك.

اهتز هاتفي في جيبي، معلنًا وصول رسالة جديدة.

**ميتش:** «ماذا تفعلين الليلة؟ هل تودين الذهاب لتناول بعض فطائر التاكو؟ أو مشاهدة فيلم؟».

تركتُ الرسالة دون جواب، وأغلقتُ الهاتف.

سأل بوبو: «مَن كان هذا؟».

أجبتُ: «لا شيء، إنها أُمِّي فحسب».

استذكرنا دروسنا لساعاتٍ قليلة حتى حان وقت إشعال مصباح فراشه الجانبي. كنا قد زهدنا في أوضاع الجلوس المتعددة، ولجأنا إلى توسيد رؤوسنا بالوسائد غارقين في بحرٍ من الورق.

حينما كنا في طريق العودة إلى منزلي، استشعرتُ في نفسي الولع بشعور الارتياح الذي يغمرني في صُحبته. لقد قضيتُ اليوم بأكمله على طبيعتي دون تجمل. لم أكن ابنةً لإحداهن، أو ابنة أختٍ، أو حتى فتاةً بدينة مميزة، بل كنتُ أنا، وِيلودين فحسب. حملني هذا الشعور على افتقاد إيل، لكنني سئمتُ من تكرار هذا، أن أدع الآخرين يمنحونني الشعور بالارتياح. بِتُّ على استعدادٍ الآن أن أمنح نفسي هذا الشعور.

قلتُ: «لقد أحببتُ لورين».

- إنها تتمتع بطرقٍ خاصة تحمل الآخرين على محبتها. دائمًا ما يقول أبي إن حُبها مُعَدٍ. لقد حاولتُ جاهدًا ألا أحبها، ولكن كلما اجتهدتُ في محاولاتٍ، ازدادت رغبتِي في محبتها شيئًا فشيئًا. ما يُعجبني حقًا هو أنها لم تحاول أن تكون أُمًّا لي، مثلما ستفعل بقية السيدات الأخريات لو كُنَّ في موضعها. بل شعوري نحوها مختلف عن كل هذا. ليست صديقة، وليست أُمًّا. لا أدري حقًا.

تلك الكلمات البسيطة التي عَبَّرَ بها بوو عن حقيقة شعوره نحو لورين، هي شعوري أنا الأخرى نحو لوسي. ليس ثمة مصطلحٌ يضم جوانب تلك العلاقة، وأحيانًا ما أعتقد أن هذا السبب خصوصًا هو ما يجعل أَلَمَ فقدانها عَصِيًّا على أي عزاء.

بعدما صفَّ سيارته أمام منزلي، سألتُ: «إذن هل هذا ما تفعله عادةً في أيام السبت؟ مذاكرة دروسك في المنزل؟».

وددتُ أن أعرف كل شيء يحدث في كل لحظةٍ من حياته.

- أجل، ما لم يكن أبي بحاجةٍ إليّ.

- وماذا عن أيام الآحاد؟

إننا نحظى بإجازة أسبوعية كل يوم أحد، مما يعني أنه اليوم الوحيد في الأسبوع، الذي أجهل كيف يقضيه بوو.

- أذهب إلى الكنيسة. القُدَّاس. أحضر القُدَّاس.

- مهلاً، هل أنتَ كاثوليكيٌّ حقًّا؟

اندمج في رسم أشكالٍ مختلفة على عجلة القيادة أمامه بطرفٍ إصبعه، ثم أجاب: «لا أدري».

- كيف لك ألا تدري بشيء كهذا؟

انعكست أضواء الشارع على القلادة الفضية التي تختلس النظر من خلف ياقة سترته، وحين انشغل ذهني بتلك القلادة، أجاب بوو: «اعتاد مُدرب الفريق دائمًا أن يصحبنا إلى القُدَّاس في أثناء موسم المباريات، ولذلك أعتقد أنه قد نمت لدي العادة للذهاب».

- يا للعجب!

فتر جانب شفثيه عن ابتسامة مقتضبة، ثم قال: «يمكنك القول إنني أحب المواظبة على تلك العادة».

- هل تحضر عائلتك أيضًا؟

ضحك بملء رئتيه، ثم أجاب: «مستحيل».

تسرب هدوء الشارع إلى الشاحنة، وخيَّم على حديثنا هنيهةً. ثم همستُ: «من الأفضل أن أذهب الآن».

مال بجذعه نحوي، ولاطف ما خلف أذني بأطرافه أنامله، قبل أن يجذبني نحوه. تلامست شفاهنا، لمسات رقيقة حتى غمر جسدي القشعريرة، لكنها لم تكن قُبلة بالمعنى الحرفي للكلمة.

- أود لو أُقبِّلِكَ. أود أن أُقبِّلِكَ الآن.

كانت كلماته تنساب من بين شفتيه إلى شفتيّ.

- لكنني لن أفسد ما بيننا هذه المرة.

كان ثمة الكثير من التساؤلات التي تعصف بذهني، لكنني أظن أنني قد اكتفيت اليوم بما حصلتُ عليه من أجوبة. ترك يديه تسقطان عن أذني، يُمرّر أطراف أنامله على وجنتيّ، ثم قال: «هلاً تأتين إلى القدّاس برفقتي غداً».

عضضتُ على شفتي، ثم أجبتُ: «أجل».

\*\*\*

## الفصل الثامن والأربعون

في اللحظة التي دلفتُ فيها إلى منزلي، صُدمتُ بالواقع الحقيقي من حولي. كانت أُمِّي عاكفة على إصلاح فستانِي، تشاهد فيلمًا عائليًا، وكان صوت التلفاز مرتفعًا عن آخره.

كم وددتُ أن أهااتف إيل، وأخبرها تفاصيل كل ما حدث طوال اليومين الماضيين، وكل مَنْ قابلتهم: لِي وَي، ودالي، وبوو، ولورين. كل شيء عن كل شيء. أَلقيتُ بجسدي على الكرسي أمام طاولة المطبخ، واستعرضتُ محتويات هاتفي، حتى وجدتُ رسائلنا الأخيرة، التي مضى عليها ما يقرب من شهرين. فضغطتُ زر «إنشاء رسالة جديدة».

أنا: «لقد قضيتُ اليوم في منزل بوو، فتي المدرسة الخاصة. إنه مُعجَبٌ بي كثيرًا. وقد تحدثنا عن كل شيء ولا شيء. وكاد يُقبِّلني، إنها أكثر محاولات التقبيل روعةً على الإطلاق. أحاول ألا أفكر في ميتش الآن، فقد تجاهلتُ جميع رسائله طوال العطلة الأسبوعية. لا أدري كيف يحملني قضاء يوم رائع بهذا الشكل على الشعور بأنني شخصٌ حقير إلى هذا الحد؟ كم أفتقد لوسي! وأفتقدكِ كثيرًا. أنا آسفة، آسفة على كل خطأ قد ارتكبته في حقك. أعتذر من قلبي عن كل شيء».

حدّقتُ إلى الكلمات، أتساءل عما يمكن أن يحدث لو ضغطتُ زر «إرسال» غير أنني على النقيض، أثرت زر «الحذف»، فقد كان الخوف الذي اعتراني من عدم ردها على الرسالة أعظم من أن يسمح لي بالمخاطرة.

\*\*\*

راسلني بوو عندما وصل أمام منزلي. كان توقيت وصوله رائعًا، فقد كانت أُمِّي تستعد للاستحمام.  
قلتُ هابطةً السلم: «سأعود بعد قليل!».

وإن سألتني إلى أين أنتِ ذاهبة، فلن أسمع صوتها الذي لن يعلو على صوت المياه. هذه ليست محاولة لإخفاء أنني ذاهبة في مكان ما برفقة بوو. بل الأمر كله يتمحور حول ذهابي إلى الكنيسة برفقة بوو، لأن أُمِّي ستُفضِّل ألا أذهب إلى الكنيسة مطلقًا عن ذهابي إلى كنيسة كاثوليكية. وهذا ما لا أفهمه حقًا. سواء أكانت كنيسة كاثوليكية أم بروتستانتية أم مسيحية أم معمدانية... تجمعهم المعتقدات ذاتها، حسبما أظن! غير أن طرق عباداتهم مختلفة فحسب. أعتقد أننا ننتمي إلى الكنيسة المعمدانية. أعني أن أُمِّي تذهب إلى كنيسة كلوفر سيتي المعمدانية الأولى، وكذلك أفعل في أيام الإجازات.

وقف بوو -مرتديًا سروالًا كاكيا مهندمًا وقميص بولو أسود- يستند إلى باب مقعد الراكب، منتظرًا إياي. خالجنِي شعورٌ بالمبالغة في التأني حين ارتديتُ فستاني الأسود، الفستان ذاته الذي ارتديته في أثناء جنازة لوسي، ولكنه القطعة الوحيدة التي أمتلكها مناسبةً للذهاب إلى الكنيسة.

فتح الباب بجانبه من أجلي، حتى أدلف إلى الشاحنة، ثم انطلقنا في طريقنا. قضينا الطريق بأكملها، وقد استندت أيدينا إلى مسند الكرسي الفاصل بيننا. لم تتلامس سوى خناصرنا، ومع ذلك، شعرتُ بشرارة بيننا على حافة الاشتعال.

لم تخطُ قدماي من قبل كنيسة كاثوليكية. وتوقعْتُ أن تكون جميعها تضم تلك المباني العتيقة ذات الأبراج الكنائسية، والنوافذ ذات الزجاج المُلوّن، ومقاعد الجلوس تلك التي تُشبه ما تراه في الأفلام. غير أن كنيسة هولي كروس كانت أحدث طرازًا من غيرها. لا يزال صحن الكنيسة يضم مقاعد الجلوس الطويلة («بيو») والنوافذ ذات الزجاج المُلوّن. بدت الأجواء أميل إلى الهدوء والسلام عما هي عليه في كنيسة أُمِّي. ليس ثمة موظفو استقبال مزعجون أو مُعلِّمو مدارس الآحاد المُحبون للنميّة.

كانت الأجواء لطيفة. وعلى جانبي ممر الكنيسة، اصطفت الشموع النذرية بلونها الأحمر الهادئ، ورغم أن جميعها لم يكن مُضاءً، فإنها أضفت أجواءً خاصة على المكان.

همستُ إلى بوو بعدما وجدنا مقعدًا مناسبًا لنا في منتصف صحن الكنيسة: «ما الغرض من تلك الشموع؟».

- من المفترض أن تتبرعي بدولار أو بأي مبلغ وتضعيه في صندوق العشور، ثم تُشعلي شمعة تائبينًا لأي أحد يُهمك أمره، ثم تتلي صلاة إن رغبت في ذلك.

بدأت خدمة الكورال، وبعد القليل من الإعلانات وإلقاء بعض التراتيل، مرَّ صندوق التبرع على جميع الحضور. أخرج بوو من محفظته ورقة مُكومة بقيمة عشرة دولارات، وأسقطها داخل الصندوق، قبل أن يُمرره إلى البقية. ثم ألقى الأب مايك على مسامعنا موعظته. كان توقعي أن تُلقي علينا موعظة باللغة اللاتينية أو بأي لغةٍ أخرى غير الإنجليزية، لكن هذا لم يحدث. كانت كل الكلمات منظومة موزونة، حتى شعرتُ أن الموعظة بأكملها أشبه باحتفال، أشبه باحتفال فريق الكشفة للفتيات، حين انتقلتُ من المستوى الأول إلى المستوى الثاني.

بعدما انتهت خدمات الكورال، تبعْتُ بوو إلى منصة الشموع، حيث تجمع القليل من الحضور. وضع بضعة دولارات في الصندوق المغلق، ومنحني عود ثقاب طويلًا لأشعل واحدة من تلك الشمعات الكبيرة. أشعلنا شمعتين، غير أن أيًا منا لم يقل لمن أشعل الشمعة، فلم يكن أيُّ منا بحاجة إلى النطق بها. غزت رأسي بعض التخييلات، وتساءلتُ عما سيكون عليه شعوري إن كررتُ فعل هذا كل أحدٍ برفقة بوو. وحتى لو لم تكن لدي أي فكرة عما إذا كان ما نفعله هذا هو شيء أود الإيمان به، بدا لي من اللطيف أن أكون جزءًا من شيء كهذا. برفقته!

غادرنا صحن الكنيسة وتوجهنا إلى ساحة انتظار السيارات، حيث يختلط الجميع في تنشئة اجتماعية. لوَّح بوو تحيةً لبعض الأشخاص. ثم أشار إلى رجل يرتدي سُترَةً زرقاء داكنة وسروالًا كاكياً، ثم قال: «هذا هو مُدربي».

انفطر قلبي حين سمعته يتحدث عن هذا الرجل بصيغة الحاضر في ثبات، كما لو أنه لا يزال مُدربه.

- بوو!

استغرقت بضع لحظاتٍ لأتعرّف على المنادي. وقد كان كولين، الشاب ذاته الذي أتى لزيارة بوو في مطعم هاربيز. حين توقفنا، ركض مسرعًا نحونا. قال: «مرحبًا!».

ثم أشار نحوي، متابعًا: «أنا أعرفكِ».

شعرتُ برجفةٍ أجبرت جسدي على التراجع قليلًا.

أخرج بوو يده من جيب سرواله، وتبادل الشابان تحيةً رجولية، بدت لي وكأنها أشبه باستعراضٍ للقوة. لكن الأهم هو اختفاء ذلك التوتر الخانق الذي كان يشتعل من عيني بوو، مثلما كان الحال في المرة الأخيرة التي التقى فيها هذا الشابان.

سأل كولين: «ما أخبارك يا صديقي؟».

رفع بوو كتفيه في غير اكتراث، وأجاب: «العمل والدراسة، كما تعلم».

لاحظتُ بعضًا من الشباب الآخرين من فريقه يتوجهون نحونا الآن، فشعرتُ كما لو أنني قد صرْتُ المشكلة الكبرى التي لن يتحدث عنها أحد في الحشد، أو ربما أقول ساحة انتظار السيارات. وأعني ذلك حقيقةً ومجازًا.

صافح بوو الجميع، ثم كرروا سؤالهم عن أحواله، عن الدراسة وعن إصابة رُكبته، وما إذا كان قد قرر محاولة الخضوع لأحد برامج إعادة التأهيل الرياضية ليعود قريبًا إلى الملاعب. هداً توترتي قليلًا، واسترخت حدة كتفي حين شعرتُ أنني لم أعد مرئية للجميع.

غير أن اللحظات الهادئة لا تكتمل، فقد أشار كولين نحوي، وقال: «وماذا عنها؟ هل هي صديقتك الحميمة الآن؟».

اختلف بوو نظرةً إليّ، وقال: «هذه ويلودين».

ثم التفت عائدًا إلى أصدقائه، وتابع: «وأنا أنوي أن تكون صديقتي الحميمة».

ثم احتضن يدي بيده، لقد أمسك بيدي، هنا... أمام الجميع. كان قلبي ممزقًا بين شعورٍ بالفرحة وشعورٍ بالخزي.

بعد هنيهة، أعلن بوو رغبته في الرحيل، فأصدر القليل من أصدقائه صافرات الوداع، بينما كنا نشق طريقنا نحو شاحنته. نسير جنبًا إلى جنب

متشابكي الأيدي. قضينا بعض الوقت في سيارته، ننتظر دورنا لنستدير مغادرين ساحة انتظار السيارات.

- ماذا كان هذا الذي قلته؟

حكَّ براجم أصابعه بذقنه، ثم أجاب: «لقد أخبرتك من قبل، أود أن تبدأ علاقتنا في مسارٍ صحيح. وقد سئمتُ من أن أبقى علاقتنا سرًا. لم أُرِدْ قبلاً أن أجعلك تشعرين أنكِ سرٌّ أعمل على إخفائه من الأصل. لقد كنتُ... حسنًا، لا أدري. أحيانًا ما تُصادفك أجمل الأشياء وأنت تعيش أسوأ فترات حياتك مطلقًا. وكنتِ أنتِ أجمل الأشياء، ويلودين».

- وماذا عن بيكا؟

- ماذا عنها؟

- أليستما تتواعدان؟

ندت عنه ضحكة ساخرة، ثم أجاب: «بالكاد نتواعد. لقد خرجنا معًا بضع مراتٍ فحسب».

ثم توقف عن الحديث قليلًا، قبل أن يستأنف: «حسنًا، أعتقد أنها كانت مواعدة. ولكنها كانت محاولة لنسيانك، أو ربما لجعلك تغارين. لا أدري حقًا. ولم أتوقع منك أن تهتمي لأمر هذا اللاعب، ولذلك أظن أنني أنا الشخص الغيور في هذه الحكاية».

- ميتش. اسمه هو ميتش، وليس مجرد شاب. إنه صديقي.

ظل صامتًا هنيهة، ثم سأل: «هل تشعرين نحوه بما يجعله أكثر من مجرد صديق؟».

- كلا.

كان جوابي حادًا، كما لو أن صدمةً أصابتني لمجرد التفكير في الأمر. غير أنني شعرتُ بنظرته الحادة تنخر صندوق أسراري.

تابعتُ: «حسنًا، لا أدري».

يا إلهي! بالتأكيد، ميتش وأنا يربطنا ما هو أكثر من صداقة مجردة. على الأقل، هذا ما يعتقدُه هو. وربما كان هذا ما أعتقدُه أنا أحيانًا.

أوضحتُ تلك القنبلة التي ألقىتها عليه قبل ثمانية: «واقعيًا، لا يربطنا شيءٌ على الإطلاق، لكنه يرغب فيما هو أكثر من صداقة مجردة».

- وهل ترغبين أنتِ أن يربطكما ما هو أكثر من صداقة؟
- أنا... أنا لا أدري. غالبًا ما يُخالجني الشعور برفض المزيد، لكنني لم أصرحه بهذا حقيقةً.
- أمسكتُ بإحدى خصلات شعري، أمسدها وألوكها بين أصابعي. ثم تابعتُ: «ولكن ماذا تقول عما يربطكما، أنتِ وبيكا؟».
- صمتُ هنيهةً، وهزرتُ رأسي في أسفٍ، ثم قلتُ: «لن نحظى أبدًا بهذا الوقت المثاليّ لبدء علاقتنا، بوو».
- لم أخبر بيكا أننا لسنا متواعدين، إن كان هذا ما تسألين عنه.
- إذن، ماذا؟ أستتركها مُعلقةً هكذا؟
- ليس الأمر وكأن ما يجمعني بها هو علاقة متحابين.
- فأجبتُ على الفور: «حسنًا، ولا نحن أيضًا».
- ارتجتُ عجلة القيادة، فأطفأتُ المُحرك في جادة عشوائية، وصفَّ الشاحنة في موضعها. ثم حلَّ حزام القيادة، ومال بجذعه مواجهًا إياي.
- أريد ما هو أكثر من صداقة. أريد أن أبنى حياة كاملة برفقتك. أريد أن أمسك بيدك أمام الجميع، وأن أوصلك إلى المنزل، وأمنحك قُبلةً ثم أتمنى لك ليلة سعيدة. أريد أن أتحدث إليك في الهاتف، حتى أغط في النوم على صوتك.
- عضضتُ على شفتي السفلى، حتى لا يلحظ ارتعاشها. كان ثمة الكثير من الأسباب التي تحملني على التصديق بأن إقامة علاقة تجمع بيننا هي أسوأ فكرة على الإطلاق. إن بيننا سجلًا حافلًا، برهانًا واضحًا لا يخفى على أحد. لو أمكنني أن ألتمس النصح من كُرة التنبؤ السحرية، لضمنتُ أنها ستقول: «احتمالات مُخيبة للأمال».
- لكن بوو لا يُبالي. واستطرد قائلاً: «أنتِ لم تُقابليني العام الماضي، ويلودين، وهذا أمرٌ يسعدني. لقد كنتُ فتى أحمق، وكل ما كان يهمني هو أن أغادر هذه المدينة. أعلم أنني أفسدتُ الأمور بيننا الصيف الماضي، لكنني لن أسمح بتكرار الأمر، لن أدعكِ تنسليْن من بين أصابعي مجددًا. سأتحدث إلى بيكا، وسأكون واضحًا تمامًا معها بشأن كل شيء. لن يقف في طريقنا أي سوء فهم أبدًا».

- الأمور ليست بهذه البساطة، بوو. ربما تراها بسيطة في حالتك، لكنها ليست بسيطة في حالتي.

ضاق بؤبؤا عينيه، وأكمل موضحًا: «إليك ما أريده: أريدك أن تكوني حبيبتي. أريد أن أضع مسمى لعلاقتنا. وأريد أن يعرف الجميع تمامًا ما أشعر به نحوك، ويلودين. أعتقد أن هذا أمر غاية في البساطة».

ما كان من المفترض بي أن أفعل ذلك، ولكنني تحركت نحوه لأقبله. شعرت بأزيز القلق وهمهمات التخبط تغمرني. إنها تلك اللحظة، هذه الحالة حين تعبت بجسدي أمواج الشهوة واليقين، هذا تحديدًا هو ما كنت أفقده برفقة ميتش.

تراجع بوو بجسده إلى الوراء، ثم قال: «أريد أن أسمع جوابك أولًا».

أشحت بنظري عن وجهه، مختلسة النظرات إلى كل شيء حولي عدا وجهه. لا أدري إن كان بإمكانني تحمّل النظرات والهمسات التي ستلاحقنا. وحتى لو استطعت التغلب على شعور النفور من النفس الذي يجتاحني حين يلمسني -يتحسس جسدي- لا أعتقد أن بإمكانني التعامل مع الآخرين حين يتساءلون في دهشة واستغراب كيف انتهى بنا المطاف معًا، كما لو أننا أشبه بمعجزة اجتماع ما لا يُفترض أن يجتمعا أبدًا.

والآن بت أعلم جيدًا ما شعرت به لوسي حين قررت عدم الصعود على متن تلك الطائرة إلى عالم دوللي (دولليوود). طوال كل تلك السنوات، اعتقدت أنها وحدها من كانت تتقف في طريق سعادتها، والآن أدرك أنها لم تكن تملك من الخيار شيئًا. فعندما تقتصر خيارات حياتك على اثنين لا ثالث لهما: إما الشقاء سرًا وإما الخزي علانية، فليس ثمة خيار في شيء كهذا. لا يمكنني اللحاق بما حلمت به.

إن أمني على حق. لن أحظى بالسعادة مطلقًا ما دمتُ حبيسة هذا الجسد. حسنًا، ليس تمامًا. أعلم أنها على حق، لكنني لن أعترف بهذا أبدًا ما حييت. وددتُ لو أثبت لها خطأ افتراضها، حتى كدتُ أوافق بوو على ما طرحه، لكنني بدلًا عن ذلك، قضمت الجلد الزائد حول إبهامي في توتر، وأجبتُ أخيرًا: «أحتاج إلى التفكير في الأمر».

لم أتحمّل فكرة الرفض مطلقًا. ليس الآن، بل وددتُ أن أبقى على أمل أن ينتهي بنا الحال معًا... حتى لو صمد هذا الأمل لبضعة أيام فحسب.

\*\*\*

## الفصل التاسع والأربعون

عانيتُ آثارَ الثمالة لمرّةٍ واحدةٍ في حياتي، كنتُ قد ذهبتُ برفقة إيلين إلى حفلٍ مبيتٍ أقيم في الكنيسة التي ترتادها والدّة تيم. ولأنّ تيم صديق حميم جيد بطبيعته، فقد أحضر لنا نبيذًا باردًا كان قد سرقه من خزانة والدّه. سكبنا النبيذ في أكواب من ماركة سونيك، وظللنا نعيد ملأها طوال الليل، حتى حضرت والدتها لاصطحابنا في الصباح التالي. دلفنا في هدوءٍ إلى المقعد الخلفيّ للسيارة، وغططنا في النوم مستندتين إلى أكتاف بعضنا بعضًا على الفور. قضينا النهار بأكمله نائمتين، وعندما استيقظنا، شعرْتُ وكأنّي كنتُ نائمةً لسنواتٍ طويلة. كان كل شيءٍ من حولي شديد السطوع، واعتصر الجوع أمعائي، فكان الشيء الوحيد الذي رغبت فيه في تلك اللحظة هو أن ألتهم طعامًا دسمًا قبل أن أخلد مجددًا للنوم.

\*\*\*

في صباح يوم الاثنين، كنتُ أعاني آثارَ الثمالة جرّاء تلك العطلة الأسبوعية التي قضيتها برفقة بوو. شعرْتُ بالخلد يزحف متملّكًا جسدي بأكمله، وانقسمت عملية مغادرتي للفراش على مراحل متعددة. أحمل كل عضوٍ على مغادرة الفراش على حدة.

كنا قد قضينا ما يقرب من ثماني ساعات نستذكر دروسنا من أجل اختبار مادة «التاريخ العالمي» ولكنني بالكاد أتذكر أسئلة المراجعة، فضلًا عن الإجابات ذاتها. وبدأت فترة ما بعد ظهيرة يوم الجمعة التي قضيتها

في «هايداواي» ذكرى بعيدة، أشبه بصورٍ قد ذابت في أعماق الماضي من ذكرياتي.

حينما دلف ميتش إلى حجرة الدراسة قبل بدء الفترة الثانية، كنتُ أراجع ملحوظاتي، محاولةً استرجاع بعض مما استذكرته. وبدا وكأن عقلي قد قرر إفراغ المعلومات مُفسِّحًا المجال لأحداث اليومين الماضيين. وعندما اقتحم ميتش مدخل الباب الضيق بهيكله الضخم، اجتاحتني ذكراه على الفور، فارتج رأسي على أثرها. إن العلاقة التي تجمع بيني وبين ميتش تقع في منطقة رمادية غير محددة، غير أنني أظن أن الحيرة تملكني أشد مما تملكه. بدأ ميتش حديثه حينما جلس إلى جوارِي: «مرحبًا! لقد راسلتكِ عدة مرات في أثناء هذه العطلة».

- أجل، صحيح، أنا آسفة. لقد كنتُ غارقة في دفاتر مادة «التاريخ العالمي». تعلم كيف يسير الأمر، عندما تقرأ رسالة أحدهم، ثم تقول سأراسله حينما أنتهي من قراءة ما أدرسه الآن، ثم تنسى مراسلته. وحركتُ يدي مفتعلةً إيماة الجنون تلك. كانت ملامح وجهه فاترة، لكن عينيه تلمعان في قلق وانتباه شديدين.

- لم يبقَ على بدء المسابقة سوى أسبوعين. وكنتُ أفكر...

توقف عن حديثه فجأة، ليمسح بعض حبات العرق المتراكمة على جبينه بظهر يده، ثم تابع: «ربما يمكنني أن أكون رفيقك في المسابقة. لقد ذهبتُ إلى احتفالات المسابقة منذ بضع سنوات، وأعلم أنه على الفتيات أن يذهبن شبابًا لمرافقتهن في المسابقة. يمكنني استئجار بزة سهرة رسمية. هل أبدو معنوهما فيما قلته؟ من المفترض أن تسأليني أنتِ مرافقتكِ إلى الحفل، ولكن في المرة السابقة، كتبتِ على وجهكِ لمرافقتكِ إلى سادي هاوكنز، لا أدري، ربما أثرتُ تقلدُ زمام الأمور هذه المرة. ما رأيكِ؟».

- أنا... أنا... أجل. سيكون هذا لطيفًا. رائعًا.

كم وددتُ لو لم أنطق بتلك الكلمات. هذه لفظة تشي بما هو أكثر من مجرد صداقة. ومع ذلك، أحتاج حقًا إلى مرافق في هذه المسابقة، وأعلم أن هذا تصرفٌ أنانيٌّ، لكن بوو لم يعرض مرافقتي صراحة. لا يسعني تقبلُ فكرة السير بجانبه في ردهات المدرسة، فكيف يسعني أن أتقبل مرافقته إياي أمام المدينة بأكملها؟

- حسنًا، رائع. هل عليّ أن أرتدي شيئًا يلائم فستانك، كما في حفلات التخرج أو ما يشبهها؟
- أعتقد أن الأسود سيكون مناسبًا تمامًا. ويمكنك ارتداء بزة عادية. لست مضطرًا إلى استئجار بزة سهرة رسمية.
- هز رأسه نفياً، وقال: «إنها فكرة أُمي. إنها على وفاق مع هذا الأمر».
- «يا إلهي! والدته!».
- هكذا قلتُ في قرارة نفسي، قبل أن أجيب بصوتٍ مسموع: «رائع».
- تعلمين، إن أُمي معجبة بما تفعلينه. ودائمًا ما تقول إنها خطوة شجاعة وجريئة منك.
- ارتسمت على شفتي ابتسامة امتنان. غير أنني لا أود أن أكون فتاةً شجاعة، بل أود أن أكون فتاةً عادية.

\*\*\*

- بعد انتهاء اليوم الدراسي، تبعته ميللي إلى ساحة انتظار السيارات، وهذا ليس بالأمر الصعب، فقد كنتُ أقف بالقرب في سكون، على أمل أن ألمح إيلين تتسكع بمفردها.
- كانت ميللي اليوم أشبه بكرة متحركة من الأخضر العشبي، حتى إن حقيبة ظهرها لم تسلم من الصبغة الخضراء التي تلونت بها. وعقدت شعرها في ذيل حصان برابطة شعرٍ ملائمة. حسنًا، ربما تكون ميللي هي الفتاة الوحيدة التي أعرفها لم تزل تعقد شعرها برابطات شعر.
- ابتدأت ميللي حديثها: «مرحبًا!».
- ثم تابعت: «إذن، كان يوم الجمعة رائعًا للغاية».
- أجل، كان رائعًا.

- تمايلت إلى الأمام والخلف على قدميها، واعتصرت كلتا يديها ببعضهما بعضًا في توتر.
- أنا... إن عائلتي متدينة بعض الشيء. لا، في الحقيقة، إن عائلتي متدينة للغاية. ووالداي، حسنًا، لن يكونا سعيدين تمامًا إن علما أين كنتُ، ومع مَنْ قضيتُ وقتي.

شعرتُ بانحسارِ كَتَفَيَّ في رهبة، فقلتُ: «إذن؟».

- إنني أقول ما أقوله لأن... لأنني دائماً ما اعتقدتُ أن أناساً مثل ليبي ودالي مخطئون في نمط حياتهم.

يمكنني الآن القول إنني أبغض تلك العبارات، التي كانت تطلق عليها إيل عادةً «كلمات المسيح». تلك العبارات التي تتعلمها في الكنيسة وتغرق فيها حد الثمالة، حتى تصير عبارات عادية تتوقع أن يعرف الجميع ما تقصده حين تنطق بها، حتى أولئك الذين لا يذهبون إلى الكنيسة.

هزت ميلي رأسها في أسفٍ وقالت: «لا أدري لِمَ أنطق بالكلمات الخاطئة، ما أحاول قوله هو إنني أحببتُ ليبي ودالي، واستمتعتُ كثيرًا تلك الليلة في «هايداواي». وظللتُ أفكر فيما فعلاه معنا ذلك اليوم، وأدركتُ أنهما أناس طيبون. أتمنى لو أن بإمكان الجميع أن يرى ما رأيته منهما».

ابتسمت ميلي في خجلٍ، ثم أضافت: «وددتُ لو تعرفين شعوري هذا نحوهما فحسب».

ازدهر شعورٌ ما بداخلي لا يسعني وصفه سوى بالفخر ينبت داخل قلبي. قبضتُ على كتفيها في حنوٍّ، وقلتُ: «أنا سعيدةٌ بما قلته».

- يا خنازير المسابقة! خنخن! خنخن!

صاح أحدهم من الجانب الآخر من ساحة انتظار السيارات، مُفسدًا تلك اللحظة اللطيفة التي مررنا بها.

- كُلُّ خراء!

صحتُ أنا الأخرى على الفور. ثم التفتُ مجددًا إلى ميلي معذرة. دَسَّتْ خصلةً ضالة من شعرها خلف أذنها، وتراجعت خطوةً إلى الخلف، ثم قالت: «لا يهم. لا عليك».

أعلم أن حدوث شيء كهذا كان حتميًا في نهاية المطاف. ومع اقتراب مسابقة الجمال، فلم يعد يفصلنا عن الاحتفال سوى أسبوعين فحسب، انصب اهتمام المدينة بأكملها على الفتيات المشاركات. وفي حالتنا، قد لا يأتي هذا الاهتمام بنتائج جيدة على الإطلاق.

جذبت ميلي حاملات حقيبة الظهر في توتر، وقالت: «كنتُ أفكر في دعوة أماندا وهانا وأنتِ إلى حفل مبيتٍ في منزلي. ستأتي أماندا بالتأكيد، ولكن لا أعتقد أن هانا ستأتي إذا لم تحضري أنتِ أيضًا. إذن... هل تأتين؟».

ثمة قاعدةٌ غير مُفصَّح عنها، ألتزم بها: أنا لا أذهب إلى حفلات المبيت، ما لم تعن أن أقضي الليلة في منزل إيل. وباتت فكرة المبيت في منزل ميلي بملابس نوم شبه عارية بينما يطمئن علينا والداها كل عدة ساعات، لا تروق لي. لكنني لم أمتلك الشجاعة لأرفض عرضها الآن. فأجبتُ: «أجل. بالتأكيد. سأحضر».

\*\*\*

في الليلة التالية، بعدما أقلتُ أُمي من عملها، أخبرتني أنها قد أجرت بعض التعديلات على فستاني، وسألت إن كنتُ لا أمانع تجربته أمامها. وحين عدنا إلى المنزل، تركتني في غرفتها بمفردي مجددًا لأغَيِّر ملابسِي. كان النصف العلويُّ من الفستان ملائمًا ومثاليًا للغاية. ولا يسعني تخيُّل مقدار الوقت الذي استغرقه هذا التعديل منها، لكي تضبط المقاس. غير أن النصف السفليُّ منه، كان شيئًا مختلفًا تمامًا. كانت قد أخبرتني بأنها ستجعل القماش فضفاضًا قدر ما تستطيع، لكنه لا يزال ضيقًا. ومع ذلك، غمرني شعورٌ جيد حياله، فلا أشعر بالحرج أو شيء من هذا. غير أن عبوس وجهها قد وشى بكل شيء.

قلتُ: «إن صدار الفستان رائع. أعني مثاليًا تمامًا».

ضغطت براحة يدها على ظهري، وقالت: «حاولي أن تقفي مستقيمة قليلًا».

ففعلتُ ما أملتُه عليَّ. صدر عن شفتيها صوت يشي بالاعتراض، فكانت نبرة الإحباط تلك أشبه بوخزات إبرٍ في جسدي.

- أُمي، لا بأس، حسنًا؟ يُعجبني على تلك الحالة.

- دمبلين! إنه يحتضن أردافك مثل سُترة تقييد المجانيين.

ثم مررت أصابعها على امتداد غرز الخياطة، وتابعت: «لا يمكنني فعل ما هو أكثر من ذلك دون المخاطرة بتمزقه».

- أمي، إنه رائع. ولست مضطرة إلى ارتدائه ما يزيد على عشر دقائق مثلاً.

ارتعشت شفتاها في ضيق، فسألتها: «ماذا هناك؟».

استدرت لمواجهتها دون أن تعوق انعكاساتنا في المرآة مجرى حديثنا. ثم قلت: «قولي ما تريدين فحسب يا أمي. مهما يكن ما تفكرين فيه، قولي ما تريدين».

أشاحت بنظرها عني، وهي تضرب الهواء بيدها في غير اكتراثٍ، وبدأت في حزم صندوق أدوات الخياطة خاصتها في الخزانة. ثم قالت أخيراً: «فكرت... مجرد تفكير... أنه ربما يمكنك بذل القليل من الجهد لفقدان بعض الوزن من أجل المسابقة».

استدارت نحوي مجدداً، وأكملت: «أعني أنني أتساءل، هل تأخذين تلك المسابقة على محمل الجد حقاً؟ لأنك تعلمين أن الأمر ليس مزحة البتة. فقد سمحت لك بالتسجيل، لأنني أتوقع منك أن تأخذي الأمر على محمل الجد».

أصابتني كلماتها بالتخبط، حتى تعثرت كلماتي في حلقي.

- إذن تقولين إن الفستان ليس ملائماً لأنك توقعت مني أن أفقد بعض الوزن؟

وأشرت بكلتا يديَّ إلى جسدي من أعلاه إلى أسفله، ثم تابعت: «أمي، هذه أنا. وهذا هو جسدي».

هزت رأسها أسفاً، وقالت: «كنت أعلم أنك ستفسرين كلماتي على محمل خاطئ. فدائماً ما تُصرين على التفسير الأسوأ لكل شيء أنطق به. والآن لا يسعني استكمال هذا الحديث بعد الآن. لست أنا الشخص المسيء هنا».

- إذن فمن يكون؟

عكفت أمي على الصمت، وظلت الكلمات التي لم تنطق بها مُعلقةً بيننا، مثل كتلة ثلجية على حافة الانهيار.

نطقت أخيراً: «إنه ضيقٌ للغاية. ولن أوافق على هذا الفستان في لجنة اعتماد أزياء المسابقة. ولا يتعلق الأمر بكونك ابنتي. سأفعل الأمر ذاته مع أي شخص آخر. هذا الفستان غير مناسب بتاتاً».

- أمي، إنه يمنحني شعوراً جيداً.

كانت نبرة صوتي قد عادت إلى هدوئها وسكينتها، فتابعْتُ: «يجلني هذا  
الفسان أشعر كما لو أني شخص آخر، لم أعلم قط أن بإمكانني أن أصير عليه  
ذات يوم. لم أملك يوماً شيئاً كهذا قط. ولكن إذا نظرت إلى هذا -إذا نظرت  
إليّ- واعتقدت أنه لأمر مؤسف، أنه لأمر مخز أني لم أفقد بضعة كيلوجرامات،  
إذن فاللعنة عليك يا أمي. ابذلي جهداً أكبر من ذلك».

خيّمت علينا لحظة باردة، لم أسمع فيها ضجيج عقارب الزمن، ووقفتُ  
منتظرةً إياها لتغادر، حين أدركت أنني أنا من يقف في غرفتها. التقطتُ ذيل  
فستاني، فلا أتعثّر في طرفه، ثم تركتها هناك وحيدة تقف في تلك الغرفة  
الصغيرة، حيث ستعيش ما تبقى من حياتها برفقة وشاحها الحريري وتاجها،  
وفستانها بلون زبد البحر.

\*\*\*

مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)

## الفصل الخمسون

استقلتُ الشاحنة برفقة بوو بعد العمل ليلة الجمعة، مثلما اعتاد أن يفعل طوال الأسبوعين الماضيين، غير أنه لن يوصلني إلى منزلي هذه المرة. دلفنا بالسيارة إلى نقطة وقوف أمام منزل ميلي. كان رون قد أطلق سراحنا مبكرًا بعض الشيء، حتى يمكنني الوصول إلى منزل ميلي قبل منتصف الليل. جذبتُ حقيبة مبيتي إلى حجري، وشحذتُ عقلي استعدادًا لقضاء بعض الوقت «للترباط بين الأصدقاء».

باتت مسابقة الجمال برُمتها تأتي في الصفوف الأخيرة من اهتماماتي هذه الأيام. أظن أن السبب الأولي الذي حملني على التسجيل في المسابقة هو يقيني بأنني في حاجة إلى إثبات جدارتي في شيء ما. لا أدري لمن وددتُ أن أثبت جدارتي: لنفسي أم لأمي أم للجميع، غير أنه بمرور الأيام، ازداد شعوري بأنه لم يعد لدي ما يُقال.

سأل بوو: «إذن ستجتمعون معًا للتدرب على أشياء من أجل المسابقة؟». فهزرتُ رأسي نفيًا، وأجبتُ: «ليس تمامًا. أعتقد أن حفل المبيت هذا أشبه بتخطيط اللعب، ولذلك علينا أن نتكاتف».

قطَّب حاجبيه في حيرة، ثم سأل مجددًا: «إذن، هل اشتركتن أنتن الأربعة في المسابقة معًا؟». أومأتُ في إيجاب.

- أنا أتفق تمامًا مع حقيقة أنه متى رغب أي شخص في المشاركة في المسابقة، فعليه أن يفعل ذلك دون شك، ولكن لماذا يجب أن يجعلوا من المسابقة شيئاً ذا أهمية؟

ندت عني ضحكة هادئة، واستدرتُ إليه مُجيبَةً: «إن الأمر أشبه بمواصلتك الذهاب إلى القُدَّاس، رغم أنك لم تعد تترتد مدرسة هولي كروس. إنها عادة اعتاد أفراد الفريق أن يمارسوها معاً، أليس كذلك؟ ولكن حقيقة أنك لم تعد فرداً من الفريق، لا تعني أن عليك التوقف عن الذهاب. وبالمثل، فإن حقيقة أننا لا نشبه ملكات الجمال في شيء، لا تعني أنه لا يمكننا المشاركة في مسابقة الجمال».

- هل تعتقدين أنني سأبدو مبتذلاً وسخيفاً إن قلتُ إنكِ فتاةٌ أشدُّ إثارةً وأحدُ ذكاءٍ من أي ملكة جمال أخرى بعشرة أضعاف أو يزيد.

احمرَّت وجنتاي خجلاً، وأجبتُ: «أجل، سخيْفٌ للغاية».

- لم أكن أدري أن هناك مَنْ لا يزال يقيم حفلات المبيت تلك.

أجبتُ: «حسنًا، أعتقد أن هناك مَنْ لم يزل يفعل. اعتدتُ أنا وإيل دائماً أن نبني الليلة في منزل إحدانا، ولكننا لم نطلق عليها حفل مبيت قط».

في تلك الأيام الأخيرة، كنتُ قد أخبرْتُ بوو بكل ما حدث بيني وبين إيل، وكيف آل بنا المطاف إلى انقطاع حديثنا طوال هذا الوقت. بدا وكأنه يظن أن بمقدورنا تجاوز الأمر يوماً، غير أنه لا يسعني أن أشاركه الرؤية ذاتها.

فتحتُ باب الشاحنة، وقبل أن أترجل منها، مدَّ يده ملامساً يدي، وقال: «ويلودين؟ هل فكرتِ فيما تحدثنا فيه من قبل؟ تعلمين أنني لم أكن أمزح في أي شيء، أليس كذلك؟».

بدا من المستحيل ألا أوافقه. أن أخبره كم أود أن أكون حبيبته وصديقتها الحميمة. غير أنني قلتُ: «أحتاج إلى المزيد من الوقت».

أوماً موافقاً، ثم قال: «حسنًا، لكِ ما تشائين من الوقت».

\*\*\*

وقفت أماندا أمام الباب، فاغرةً فاها حتى كاد يصل إلى مقدمة صدرها. ومن خلفها ميلي تشرُتب بعنقها، لتراقب من كُتب هي الأخرى.

قالت أماندا: «يا.. إلهي!».

ثم أضافت: «إنه صاحب المؤخرة الخوخية».

أسكتُهما بإيماءة من يدي، وأشرتُ إليهما بالدخول، ثم تبعتهما. كان أول ما هالني في منزل ميلي هو اتساق ذوقه، وأن كل شيء -بدءاً من الزهور الصناعية، مروراً بطلاء الحوائط، إلى الوسائد الأرضية- يُلائم بعضه بعضاً ويُطابق ذوقه. بدت ميلي أشبه بكُرة قطنية بلون الخُزامى في بزتها الرياضية وجواربها وعصابة رأسها، التي تحمل جميعها لون الخُزامى ذاته. وبدا لي وكأنها كتبت في مُحرك البحث «أزياء من أجل حفلات المبيت» فاستقر بها الرأي على تلك التحفة الفنية التي حصلت عليها من غلاف كتاب «نادي جليسات الأطفال» أو شيء كهذا.

على الجانب الآخر، لم تُغير أماندا من طبيعتها، فارتدت سروالاً رياضياً قصيراً وقميصاً متناسقاً، لكنها ظلت عارية القدمين. كانت هذه هي المرة الأولى التي أراها دون حذائها التصحيحي، وبما أنني لم أرغب قط في أن أكون الوقحة التي تُحملك فيما تراه، آثرتُ التحديق إلى وجهها، مما جعل الأمر بادياً تماماً للعيان رغم ذلك.

قالت أماندا: «حسنًا، لننتحدث بجدية. لقد أَقَلَّكِ! إلى هنا! لقد كنتِ برفقته في سيارته الخاصة! أخبرينا الآن بكل شيء!».

جذبتنا ميلي معاً عابرين الردهة، ثم مررنا بحجرة التلفاز، حيث يجلس والداها يشاهدان أحد مسلسلات قناة بي بي إس، سمعنا أناساً يتحدثون بلكنة بريطانية وأصوات خافتة حول أشياء شائنة فاضحة، كَمَن منهم سيقدم حساء البازلاء إلى السيد والسيدة أصحاب المقام الرفيع.

أجبتُهما أخيراً: «انتظرا حتى تسمعا ما أود أن أحكيه عن الفشل الذريع لفستان المسابقة خاصتي. أتمنى لو حالفكن حظٌ أوفر من حظي».

هزت ميلي رأسها نفياً، وأمسكت بيدي، حاملةً إياي على الوقوف أمام باب غرفة نومها، وكان الشيء الذي أوضح إلَيَّ تلك المعلومة هو قلبٌ خشبيٌّ، مُعلَّقٌ على الباب، يحمل اسمها المنقوش بخط متشابك.

حجبت أماندا عنا رؤية فمها الضاحك، محاولةً إخماد رنين قهقهتها. فسألتُ: «ماذا هناك؟».

التقت عيناي عيني ميلي، فوجدتُ اليأس في ملامحها بقدرٍ لم أره من قبل. فتحت باب غرفة نومها، وعلى وسادة إسفنجية بلون الخُزامى -أيضاً- جلست هانا مُنشحةً بالسواد كعادتها، حتى إنها لم تُزعج نفسها بالتطلع إلينا.

أخذت ميلي بحقيبتى ووضعتهما على حافة فراشها. ثم قالت: «حسنًا، اجلسن». فجلستُ في موضعي على الأرض. وجلست ميلي على كرسيٍّ خشبيٍّ ضخم مُنْجَد عند زاوية الغرفة. بدا الكرسي وكأنه مصنوع لأجل إحدى دور العجائز، ولكن ما زاد الأمر غرابة هو أنه يناسبها. وددتُ لو كان بإمكانى التقاط صورة لها، وهي تجلس على هذا الكرسي الضخم، بزيِّها المتناسق وخصلات شعرها المُجعدة وأنفها المعقوف.

قالت: «لا يمكنكِ الحديث عن المسابقة أمام والديَّ».

فسألتُ: «لماذا؟».

أجابت هانا مُقاطعةً: «لأنهما لا يعلمان أنها قد اشتركت في المسابقة». ارتمت أماندا جالسةً على الأرض أمام كرسي ميلي، وقد التصقت بوجهها ابتسامة واسعة غريبة الأطوار.

- ولكن ماذا عن استمارة موافقة الأبوين!

كان سؤالاً بلاغيًّا أكثر منه سؤالاً استفهاميًّا، لأنني أعلم الجواب سابقًا، ولم يخطر ببالي قط أن ميلي قادرة على هذا النوع من الخداع. لعقت شفتيها بمقدمة لسانها، وأجابت: «لقد زِيَّفْتُ توقيع أمي».

في تلك الأثناء، عكفت هانا على تصفُّح هاتفها بغمٍ مغلق، إلا من ابتسامة تظهر على مُحيائها من آنٍ لآخر. تقطَّب وجه ميلي المستدير قليلًا، وتصبَّغت وجنتاها بمسحة قاتمة من الحُمرة عما هو معتاد. ثم أضافت: «لقد سألتُهما الرأي، في بداية الأمر عندما اكتشفتُ أنكِ عازمة على المشاركة في المسابقة». أومأت برأسي تأمينًا على حديثها، مُشجعةً إياها على الاستزادة، فقالت: «واستغرقت أمي بضعة أيام لكي تفكر في الأمر. ولكنهما رفضا في نهاية المطاف، وقالا إنهما يعجزان حتى عن تخيُّل الأمر، وإنني سأعرِّض نفسي للسخرية، وإن مسابقة كهذه لا تبدو طريقة مثلى يرضى عنها المسيح لقضاء وقتي».

ضحكت هانا مستهزئة. فقلَّبتُ عينيَّ صوبها في استنكار، غير أن الالتفات إليها بدا دون أهمية، فلم تُضع هانا ثانيةً واحدة لتتطلع بعيدًا عن هاتفها.

قلتُ موجهةً حديثي إلى ميلي: «ولكن ماذا ستفعلين؟ إن احتفاليات المسابقة ستبدأ الأسبوع القادم. أعني أن صورتكِ ستُنشر في الجريدة. وسيعرف الجميع - بما في ذلك والداكِ - بأمر مشاركتكِ».

لقد تعرضنا للإهانة والسخرية بالفعل، ولكن بمجرد أن تذهب تلك الجريدة إلى المطبعة، فليس ثمة مجالٌ للتراجع. وسيحظى أناسٌ أمثال باتريك توماس بفرصٍ لا متناهية من السخرية مني طوال ما تبقى من حياتنا.

- ل... لا أدري حقًا.

أجابت ميلي، وراحت تقضم ما يحيط بظفرها من جلدٍ زائد، متطلعةً إلى وجهي، تبحث عن جواب أو أي شيء يمنحها القليل من الطمأنينة بأن كل شيء سيكون على ما يُرام.

لقد اتضح لي الأمر الآن. وبِتُّ أرى مخاطر ما أَلقت بنفسها فيه، وأدركت أنها لا ترغب في شيء أشد من رغبتها في الهروب من الشرقة الواهية التي أحاطها بها والداها.

قلتُ: «لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يُرام».

قالت أماندا: «أعتقد أن الأمر سيئ للغاية. لم أكن لأظن أبدًا أنك قد تفعلين شيئًا كهذا».

همهمت هانا قائلةً: «أوه، لديها قابلية لفعل أكثر من ذلك».

لقد طفح الكيل، وملتُ من تصرفاتها المتجاوزة. أجبتها على عجلٍ: «ما مشكلتك؟ لماذا أنتِ هنا من الأصل؟ ألا يُمكنك أن تنثري كراهيتكِ هذه في منزلك؟».

صاحت ميلي: «ويل!».

غير أنني تابعتُ دون اكتراث: «أعلم أن ميلي قد دعتكِ للمجيء إلى منزلها، وكل ما فعلته منذ أن وصلتُ إلى هنا هو الحملقة في هاتفكِ والصمت المُطبق».

رفعت هانا رأسها أخيرًا، وغرق وجهها بأكمله في متعة لا تتوافق مع حديثي الحاد، ثم قالت: «حقًا، وكأنكِ تأبهين لهاتين الاثنتين. بل أنتِ هنا حتى تشعري بالرضا عن نفسك. وما نفعله الآن ليس سوى حفلٍ تعيس للاستمتاع بأنفسنا».

شعرتُ بنخير أنفي يعلو اعتراضًا. لكنها أضافت قبل أن تسنح لي فرصة الجواب: «هذا صحيح، إنه السبب الوحيد الذي يحملكِ على الالتزام بهذه المجموعة غريبة الأطوار. لقد تعاملت بحقارة مع صديقتكِ المُقرَّبة، والآن لم يعد لديكِ سوانا».

- توقف!

صاحت ميلي، مُقاطعةً فتيل المشاحنة بيننا، ثم أضافت: «دعونا نتحدث عن أسئلة المقابلة الشخصية. لقد جمعتُ بعضًا من الأسئلة التي طُرحت منذ بضع سنوات، لنتدرب عليها».

قلتُ مُوجهةً حديثي إلى هانا: «لا تتحدثي إليّ بنبرة مَنْ يعلم القصة بأكملها، لأنك لا تعلمين شيئًا على الإطلاق».

ثم التفتُ نحو ميلي، وسألتُ: «هل هناك مكانٌ يمكنني فيه تغيير ملابسي؟».

أشارت ميلي إلى دورة المياه على الجانب الآخر من الردهة. كانت تفاصيل المنزل متناسقة للغاية، تخضع جميعها إلى اللون البنفسجيّ، بما في ذلك الرف الخشبي المصنوع على شكل منزل، الذي يحمل ورق المرحاض الاحتياطي. وكما هو الحال في غرفة ميلي، علّقتُ إطاراتٌ تضم اقتباسات مُلهمة مبتذلة. غير أن مفضلتي الشخصية من تلك الاقتباسات كانت تقول: «الابتسامة زورقٌ حالم يسعى نحو شاطئ الأمان».

حين عدتُ، كانت ميلي لا تزال جالسةً على كرسي العرش خاصتها، فقالت: «حسنًا إذن، فكما تقول ملفاتنا، سيكون هناك مقابلة شخصية في يوم الخميس الذي يسبق المسابقة. وسيضع المُحكّمون تقديراتهم بناءً على تلك المقابلة، ثم يُضيفونها إلى مقابلتنا الشخصية المباشرة في أثناء المسابقة. أعتقد أن الأمر لا يزيد على سؤالٍ واحد أو سؤالين».

سألت أماندا: «ونحن لا نعلم شيئًا عن تلك الأسئلة سابقًا، صحيح؟».

فأجبتُ: «أجل. وهذه هي نقطة قوتهم، حتى يسعهم إرباكك».

غمرتني ذكرياتٌ خاملةٌ من طفولتي التي قضيتها خلف الكواليس، وعادت للظهور مجددًا.

قالت ميلي: «إن المقابلة الشخصية هي أعلى خطوات المسابقة في قيمة النقاط، ولذلك إذا...».

قاطعت طرقات هادئة على الباب حديث ميلي، ثم انفتح الباب. طلّت والدتها من خلفه، بشعرٍ طويلٍ قد يحمل بين طياته الكثير من أسرار العائلة وعينين تلتمعان كما لو أنها ستجشش بالبكاء.

قالت: «سنذهب إلى النوم الآن».

- حسنًا.

عَضَّتْ ميلي على شفتيها حتى صارتا خطأً مستقيماً غائراً في مؤخرة وجهها. تابعت والدتها: «سأعِدُّ الفطور من أجلكن يا فتيات في الصباح، فلا تذهبن. إننا سعداء للغاية بدعوة ميلي لصديقاتها إلى المبيت».

قالت هانا بصوتٍ فاتر: «إننا سعداء بوجودنا هنا أيضاً».

كانت ابتسامة ميلي مقتضبة، فأنهت زيارة والدتها، قائلة: «تصبحين على خير يا أمي».

- تصبحين على خير يا حلوتي.

بعدما أغلق الباب، عادت أجواء المسابقة إلى سابق عهدها، وناقشنا توزيع النقاط، ومدى السخف الذي يُظهره هذا التوزيع حين يُحسب عرض ثوب السباحة بما يزيد على نقاط الموهبة. وحين تأكدت ميلي من غطيط والديها في النوم، توجهنا جميعاً إلى حجرة التلفاز، وشاهدنا بضعة مقاطع فيديو لاحتفالات المسابقات السابقة، التي كنتُ قد سرقتها من خزانة أمي.

كلما ازداد عدد المتسابقات اللاتي يُشرفن الشاشة بظهورهن، اتضح لنا شيئاً فشيئاً مقدار عدم ملاءمتنا لتلك المسابقة. بالتأكيد ثمة فتاةٌ منبوزة غريبة الأطوار هنا وهناك، لكن لا شيء يُشبه أربعتنا قط. اجتاحني شعورٌ بالضالة، كما لو أنني ومضةٌ في تلك المسابقة المحلية. وماذا عن العام القادم؟ والعام الذي يليه؟ عاجلاً، سينسى الجميع أمرنا، وعندئذٍ ما جدوى الأشياء؟

سعت ميلي حثيثاً لتدوين الملاحظات طوال الليل، بينما كانت أماندا تطرح أسئلة من قبيل: «ماذا لو علقت سراويلنا الداخلية في مؤخرتنا في أثناء عرض ثوب السباحة؟» أو «هل تعتقدين أنه قد حدث في أحد الأعوام كوارث كبرى تتعلق بالملابس المختارة، كالكشف جزء من الجسد مثلاً؟ هل سيمنحوننا فترات استراحة من أجل قضاء الحاجة؟».

تطلعت هانا من هاتفها ذات مرة لتُعلق: «هذا أمرٌ مُحبط بعض الشيء. أعني أن هذه المسابقة هي أبرز ما حققته هؤلاء الفتيات في حياتهن. لقد صارت تلك الفتيات الآن أمهاتٍ أو حتى جدّات، وباتت تلك المسابقة هي أفضل شيء قد فعلنه في حياتهن على الإطلاق».

أجابت ميلي بصوتٍ رخيم هادئ: «ما تقولينه ليس منصفًا. إن افتراضية بقاء هؤلاء السيدات هنا في كلوفر سيتي أو أنهن قد أصبحن ربّات منزل أو أمينات خزينة، لا يعني بالضرورة أن بإمكانك اعتبار حياتهن بأكملها خارج المسابقة، مجرد وقتٍ ضائع».

لم تُجرِ هانا جوابًا، لكنني لمحتُ شفيتها ترتجفان في حلق. تابعت ميلي: «اسمعي هانا، أعلم أن كثيرين قد أسأؤوا معاملتك، ولكن...». قاطعتها هانا قائلةً: «سأذهب إلى النوم».

ودسّت وسادتها أسفل ذراعها، واتجهت إلى غرفة ميلي. بعدما غادرتنا هانا، انتظرتُ أن تقول ميلي شيئًا عن بشاعة ما قالته هانا، لكنها احتفظت بأي أفكارٍ قد تقتنع بها في هذا الشأن لنفسها.

ظل ثلاثتنا مستيقظات لوقتٍ طويل. وأخبرتنا ميلي في أثناء سهرتنا أنها قد استخدمت الأموال التي احتفظت بها في حصالتها الصغيرة على شكل خنزير، التي كانت تمتلكها منذ أن كانت في الصف الأول، لطلب فستانٍ جديد من متاجر سيندي.

- لقد أضفتُ أكمامًا طويلة إلى الفستان، ولكن في اللحظة الأخيرة، قررتُ اختيار قماش الأورجانزا الشفاف، بدلًا عن الحرير المعتم، ولهذا ستكون أكمام الفستان شفافة تقريبًا. أشعر بقلقٍ يعتصر أحشائي خوفًا مما سيبدو عليه الفستان.

قلتُ: «أنا واثقةٌ من أنك ستبدين في مظهرٍ رائع».

فأومأت ميل مبتسمة.

كانت الغرفة مُغلّفةً بالظلام، ولهذا لستُ على يقين مما رأيته، ولكن عينيها بدتا دامعتين. وددتُ حينها لو أيقظتُ والديها وأخبرتُهما أن ابنتهما تُنافس في إحدى مسابقات الجمال، وأنها ستفوز بتلك المسابقة. على الأقل كانت لتفوز، لو كان الأمر منوطًا بي.

\*\*\*

## الفصل الحادي والخمسون

اتخذتُ الأريكة فراشاً للنوم هذه الليلة، لكي أوتر نفسي ببعض الهدوء. اختبرتُ في تلك الليلة حالة من النوم المتقطع، تلك التي تنتابك حين تنام في منزلٍ غير منزلك، وعلى فراشٍ ليس بفراشك. عدا فراش إيل، كنتُ دائماً ما أغط في النوم على الفور.

ربما مضى ثلاثون دقيقة أو ساعتان، لا أدري، كنتُ قد فقدتُ الإحساس بالوقت، ولكن أحدهم كسر الصمت المطبق على المنزل، بوقع خطواته في الردهة. استدرتُ في الفراش، حتى يمكنني اختلاس نظرة على هذا المتسلل. كانت هانا تتسلل منيرةً طريقها بقبسٍ من ضوء القمر، تشق طريقها نحو المطبخ. ودون تفكير، جذبتُ غطائي وتبعتها.

وقفتُ هناك أمام المبرد، وقد أحالها الضوء الأبيض إلى خيال أسود حالك. فأشعلتُ المصباح فوق رأسينا. قفزتُ هانا مرتعدة، واستدارت على عقبيها، لكن القلق الذي تلبس جسدها قد بات إلى زوال حين رأنتني.

قالت: «أنا أبحث عن زجاجة مياه».

فسألتُ: «إذن، وماذا عن زجاجة الجعة تلك؟».

مشيرةً إلى زجاجة من جعة ميلر تستقر في قبضتها.

- لقد وجدتها في مُبرد المرأب. وفكرتُ في البحث، ربما أجد المزيد منها هنا.

وفتحت باب المُبرّد على اتساعه لثُريني ما بداخلها، غير أنني لم أجد سوى زجاجات مياه وعلب معدنية من شراب «دايت دكتور بيبير». ثم قالت: «لا أعتقد أن أحدًا سيلاحظ اختفاء هذه العلب».

وأشارت إلى عدة علب معدنية على الطاولة. ثم سألت: «هل تودين واحدة منها؟».

قلتُ وقد أدهشني جوابي: «أجل، بالطبع».

أُراهُنُ أنا والدة ميلي ليست سعيدة بوجود الجعة في منزلها، ولذلك، فمن الناحية العملية، أرى أننا نصنع معروفًا لأجل السيد والسيدة ميشيلشوك.

جلسنا على الأريكة متسحتتين بالظلام، نرتشف الجعة. وكان ضوء القمر يسطع منعكسًا على زجاج النافذة، مُلقيًا بظلاله على سجاد الغرفة.

سألت هانا: «إذن، أخبريني عن هذا الشاب الذي أوصلك إلى هنا الليلة».

- أي شاب؟

- اسمعي، أنا أحاول أن أكون لطيفة، اتفقنا؟

كان هذا حقيقيًا، ففي الظلام بدت هانا نسخة أخف عداً من نفسها. ربما كانت تشعر بالمزيد من الارتياح حينما لا يراها أحد.

استطردت: «لقد سمعتُ أماندا وميلي تثرثران بشأنه عندما أتينا إلى النوم في الغرفة. ذو المؤخرة الخوخية، أليس كذلك؟».

حسنًا، إن قررت التخلي عن لسانها اللاذع ومخالبتها الفتّاكة، عندئذ لا مانع لدي من أن أمنحها جزءًا من حقيقة الأمر.

- اسمه بوو. بوو لارسون. إننا نعمل معًا. ويمكنك القول إننا، ممم، أصدقاء.

- أجل.

ارتشفتُ جرعةً كبيرة من علبة الجعة خاصتها، ثم تابعت: «فتى دورة المياه، أجل، أتذكره الآن. رأيته قد التحق بقاعة الدراسة خاصتي. يمكنني القول إن مقدار وسامته ثمانية من عشرة. ثمانية لا شك في ذلك».

بحثتُ عنها في الظلام من حولي.

- أجل، إنه شاب وسيم ومثير.

وتقييم وسامته! أعتقد أنها عشرة من عشرة.

قالت: «تقولين أصدقاء، صحيح؟ لم يبدُ لي صديقاً عندما رأيتهما. في دورة مياه الفتيات».

كان بإمكانني سماع ضحكتها تتخلل تلك الأحرف والكلمات.

رفعت كتفي في غير اكتراث، ثم أدركتُ مدى بلاهتي، لأنها لن تتمكن من رؤيتي في الظلام. فأجبتُ: «صديقان يتغازلان أحياناً».

أصدرت صفيراً خافتاً، وقد اعترتها الدهشة. فشعرتُ بنيران تشتعل في وجنتيَّ وصدري، وتمنيتُ حينها لو أن هذا الدفء المفاجئ هو أثر الثمالة لا الخجل.

تناولت هانا علبة معدنية أخرى من الجعة، فسمعتُ قرقرة فتحها، ثم قالت: «كيف حدث ذلك؟».

- أعتقد أنها لم تكن علاقة مستقرة. لا أدري، ولكن الآن باتت في تقدُّم، ثم أخبرني أنه يرغب في التصريح بعلاقتنا. وهي رغبة حمقاء لا محالة، فرغم أن هذا هو كل ما أريده بالتأكيد، فإن...

- فإن فتياناً مثل بوو لا يواعدون فتياتٍ مثلنا.

تلك النبذة التي نطقت بها هانا هذه الكلمات، لم تكن وضيعة، ولم تكن عن قصد سوء، بل الحقيقة بعينها.

أومأتُ في إيجاب، أكملتُ: «بالضبط. أعجز عن فهم السبب الذي دفعه للإعجاب بي، ولكنني أُصدِّق حقاً أنه معجبٌ بي، وأومن بذلك من أعماق قلبي. كل ما في الأمر هو أنني لا أعتقد أن الآخرين سيفهمون ما قد رآه فيَّ من محاسن».

- هذا قاسٍ وموجع. تعلمين أن الناس لا ينطقون إلاَّ الخراء. انظري إلى أناس أمثال باتريك توماس، سيتخذ من مواعديكِ لشابٍ مثل بوو نشاطاً حافلاً يتغنى به لوقتٍ طويل.

بدا من اللطيف أن أتحدث إلى أحدٍ يفهم ما أعانيه. قد لا تتفهم هانا ما أشعر به حينما أرى كرسيّاً مزوداً بمسند ذراع، وأتساءل ما إن كان سيلائم حجم جسدي أم لا، أو عن تلك المرات التي تُقرقع فيها الأرض من وطأة

خطواتي ووزني عليها، فيتطلع الجميع إليّ كما لو أنني على وشك هدم المبنى بأكمله. وربما لا تتفهم ما أشعر به عندما أدلف إلى أحد المراكز التجارية، وأنا على يقين بأن 90 بالمئة من الملابس لن تلائم جسدي، أو حتى مجرد التفكير في الذهاب إلى مأدبة هو فكرة سيئة لا محالة، فوجود شخص بدين في مأدبة هو مزحة الليلة بأكملها. ولكنها لا تُربّت على ظهري، ولا تنصحني باختيار ما يجعلني سعيدة، وهذا ما يجعل الحديث معها مريحًا.

استطردت: «أتمنى لو كان هناك كون مواز يمكننا العيش فيه، فيكون حبيبي وصديقي».

كانت تلك المرة الأولى التي نطقتُ بها الكلمة بصوتٍ مسموع، حتى شعرتُ بالخدل ينتشر في جسدي حتى أخمص قدمي. ثم أضفت: «ولا حاجة لأحد أن يعرف بهذا».

- ولكن أليس هذا تحديدًا هو الغرض من إطلاق مسمياتٍ مثل صديق حميم وصديقة حميمة؟ أن نُسهّل الأمور على الآخرين!

ارتشفت من علبة الجعة، ثم تابعت: «أليس هذا مُحزنًا؟ كما لو أن الجميع مضطرون إلى تعليق بطاقة تعريفية على صدورهم، حتى نشعر جميعًا بالارتياح والاسترخاء. أعتقد أن الأشياء تصبح أقل ترويعًا إذا أدركنا ما سنطلقه عليها من مسميات؟».

تجرعنا ما تبقى من علب الجعة المعدنية في صمتٍ مُطبق. بدت كلماتها تحمل شيئًا من الصحة، لكن قلبي يُحدثني أن ثمة شيئًا خاطئًا في نظريتها. أعلم جيدًا أن المسميات تجعل الأمور أسهل على الآخرين ليفهموا طبيعتك، ولكنني أفضّل اللجوء إلى شعور الأمان الذي تمنحني إياه المعرفة. وبخاصة عندما يكون الأمر متعلقًا ببوو. ولهذا السبب تحديدًا، لم أمنحه جوابًا بعد. لا يسعني أن أتحمّل رفض علاقتي به.

- هانا، أود أن أسألك سؤالًا. أعلم أنه سؤالٌ وقح، ولكنني لا أسأل لأكون وقحة معكِ.

بعدما أنهيتُ كلماتي، أدركتُ أن ما قلته لم يُحسّن من الأمر في شيء على الإطلاق.

أجابت: «هاتي ما عندكِ».

- لماذا لم تلجئي لمختص لتصليح أسنانك؟

أجابت على الفور دون تفكير، دون تردد: «ولماذا عليّ أن أفعل؟».

ثم أضافت بصوتٍ هادئٍ رخيم: «إلى جانب أن الأمر مُكَلَّفٌ للغاية. إن أُمي تعمل مُصَفِّفة شعر، وأبي عامل صيانة للسيارات. ولا يبدو الأمر وكأننا نمتلك تأمينًا صحيًّا سخياً أو شيئاً من هذا».

- أنتِ على حق. لست مضطرة إلى فعل ذلك.

نظّفت حلقها وقالت: «لا أقصد أن أكون وقحة معكِ».

- لا بأس.

ضحكت ثم تابعت: «لم أكن أعذر. ولكن بات من العسير ألا أشحذ مخالبي طوال الوقت. فليس لدي من الأصدقاء مثلك، ليس هناك من سيرافقني الطريق طوال الوقت دون سبب».

- لا تكوني حمقاء، بل تملكين أصدقاء.

غير أنه كان بإمكانني إغلاق عينيّ، واستحضار إحدى ذكريات المدرسة، حيث ترتدي هانا الأسود من مقدمة رأسها إلى أخمص قدميها، وقد برزت أسنانها العليا، فتمددت شفتها على أثرها لتغطيها، فربما ينسى الآخرون بروز أسنانها.

- لقد أردتُ إفساد مسابقة الجمال تلك برُمتها. وكان هذا السبب الوحيد الذي حملني على المشاركة، فلن أكون الفتاة ذات الأسنان الناتئة، بل سأكون الفتاة التي أفستت المسابقة بأكملها.

توقفت عن الحديث لبعض الوقت، ثم أكملت: «ثم اكتشفت أُمي أمر مشاركتي في المسابقة، فقد رأت مظروف الترحيب. وكانت شديدة الفخر بمشاركتي في المسابقة. والآن...».

- أنتِ عالقة حقاً في إنجاز الأمر حتى النهاية.

هذا منطقيّ تمامًا، فلو كان الناس يعاملونني بنصف ما تلقاه هانا من سوء معاملة ومهانة، لرغبتُ في تخريب المسابقة بأكملها أيضًا.

قالت بعد هنيهة: «سأذهب إلى النوم. أعطيني العلب الفارغة، سأحتفظ بها حتى ألقها في صندوق القمامة في منزلي».

أنهيتُ الرشقات الأخيرة من علبة الجعة خاصتي. مدتُ يدها، فمررتُ إليها  
علبتيَّ الفارغتين. ثم شعرتُ بالأريكة تتحرك من أسفلي حين نهضت عن  
جلستها. لا أدري إن كانت تقف، أو ما إذا كان وجهها قبالة وجهي، ولكني  
قلتُ: «أنا صديقتك. ولا أعني صداقة وهمية سخيفة، وليس لأنك قلتَ ما قلتَه  
عن عدم وجود أصدقاء حولك. ولكن لأنك تروقين لي، ويروق لي الحديث  
إليك».

بدأت الأجواء هادئة هنيئة، حتى ظننتُ أنها قد غادرت الغرفة بالفعل. غير  
أن صوتاً هامساً صدر عنها حين قالت: «حسن».

كم أشتاق إلى إيلين وأفقددها، ولن أتوقف عن اشتياقي إليها يوماً. ولكن  
ثمة شعوراً بالارتياح يغمرك حين تحظى بصديق آخر، يمكنك الحديث معه  
عما هو أعمق أثراً من مسابقة الجمال السخيفة تلك. حتى لو كان حديثاً لا  
يجري سوى في الظلام فحسب.



في الصباح التالي حين عدتُ إلى المنزل، وجدتُ أمي واقفةً في غرفة  
لوسي في الطابق العلوي. لم تقوَ أيُّ منا حقاً على البقاء طويلاً في تلك الغرفة  
منذ أن بدأت أمي مشروعها في تحويل الغرفة إلى غرفة خياطة. فقد انشغلت  
أمي في أمور المسابقة، وغرقتُ أنا في أحوال نفسي، وظلت غرفة لوسي على  
حالتها طوال هذا الوقت. وسريعاً تساءلتُ إن كانت أمي تتسلل إلى هذه الغرفة  
-مثلي- للحظاتٍ معدودة على فتراتٍ متلاحقة، لترى لوسي في أشياءها،  
لتكون بالقرب منها.

أما اليوم، فقد ارتدت أمي سُترتها الرياضية من ماركة جوسي كوچر،  
وأودعت أمامها صناديق موسومة بعبارة «للتبرع». إذن، فهي لم تأتِ إلى هنا  
لزيارة لوسي كما كنتُ أفعل أنا، بل أتت إلى هنا للتخلص منها.

عندما تعتري أمي خيبة الأمل والإحباط، تلجأ إلى التنظيف، وسيلةً  
للتخلص من القلق. غير أن تنظيفها لغرفة لوسي يُصيبني أنا بخيبة الأمل  
والإحباط. وهذان الشعوران السلبيان لا ينتج عنهما شيءٌ إيجابي. فما زلنا  
نحن الاثنتين نعيش علاقة متوترة منذ حادثة الفستان. وصدقاً، إذا لم تسمح  
لي أمي بارتداء هذا الفستان، فقد انتهى أمري، ليس ثمة خيارٌ آخر أمامي. فلا

يمكن لفتاةٍ بدينة أن تدلف إلى أحد متاجر الملابس المستعملة وفجأةً تجد فستاناً أنيقاً محتشماً يلائم جسدها السمين.

وهذا بالتحديد ما يُزعجني حقاً من أمر الفستان بأكمله. إنها المسؤولية الأولى، السيدة التي تتخذ القرارات النهائية. كل ما عليها فعله هو أن تقول «موافقة». لقد مررتُ بأوقاتٍ عسيرة حتى أجد سروالاً من الجينز يحتوي أردافي، ولهذا ستظن أنها ستطلق مدافع القصاصات الملونة الزاهية احتفاءً بي لمقدرتي على إيجاد فستان أنيق/ لا يُظهر ثنيات جسدي، ويغلق سحابه بسهولة. حسناً، إن سحاب الفستان يغلق منزلقاً!

ولكن ماذا عن الغرفة! إنها لا تكفُّ عن البحث –والتنقيب– في أغراض لوسي، وباتت كل حركة تصدر عنها تُشعِرني وكأنني قد لمستُ أنابيب موقِدٍ ساخن عن طريق الخطأ.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

كانت نبرة صوتي عالية وحادة. فتطلعت إليّ من خلف كتفها، وقالت: «لم أشعر بدخولكِ إلى الغرفة».

ثم أجابت عن سؤالِي: «لا يمكن لهذه الأغراض أن تظل هنا إلى الأبد. أتعلمين، أتمنى عندما أموت، ألا تتركي متعلقاتي تتكدس فوق بعضها بعضاً حتى يغشاها التراب لأشهرٍ طويلة كما هو الحال هنا».

- هذه «أغراض» لوسي يا أمي، هذه الأغراض ملكٌ لها.

تداركتني: «عزيزتي، تقصدين «كانت». هذه الأغراض كانت ملكاً لها. ستأتي ذكرى رحيلها الأولى في ديسمبر القادم، ولن أدع كل هذه الأغراض قابعةً هنا كما لو أنها مزارٌ أو ضريحٍ لذكرائها».

هزرتُ رأسي في غير تصديق، وانهمرت الدموع من عينيّ تترك الأخاديد على وجنتيّ. عامٌ! عامٌ كامل!

- توقفِي! أرجوكِ توقفِي!

استدارت إليّ الآن، وكانت بوارد الفزع تعبر ملامح وجهها. أعتقد أنني ربما أقضي الأبدية بأكملها أعاتبها على ما تفعله وما تقوله في هذه اللحظة تحديداً. فلم تكن تجمعنا تلك العلاقة، تلك التي ألجأ فيها لأمي لكي أبكي

في أحضانها. بل تجمعنا علاقة من نوع آخر، أشبه بمجسمين يدوران حول بعضهما بعضاً، لكنهما لا يتقاطعان أبداً.

أصدر حذاؤها المنزلي طرقاً على الأرض الخشبية، حين تقدمت خطوات قليلة تجاهي. طأطأت رأسي إلى الأمام قليلاً، وملتُ بجذعي متوقعةً منها أن تعانقني. ولا أقصد بذلك أن تُحاوطني بذراعيها حول خصري، ثم تُعقب موضحةً كيف أن أصابعها كادت تلامسني. بل أعني عناقاً حقيقياً، ذلك العناق الذي تغرق فيه فلا تشعر بشيء آخر من حولك. غير أن هذا لم يحدث.

- سأخذ كل هذه الأغراض إلى مأوى المحتاجين في عطلة هذا الأسبوع. وإن كان هناك شيءٌ تحتاجين إليه من أغراضها، فالآن هو الوقت المناسب لخُرْجي ما ترغبين فيه.

رَبَّتْ على كتفي، ثم تابعت: «سأذهب لإعداد الغداء، فتأكلي قبل أن تذهبي إلى العمل».

أغلقت الباب من خلفها، وتركتني غارقةً وحدي في الغرفة. أُلقيتُ بجسدي على فراش لوسي، فهاجمتني ذكريات الأسابيع القليلة الماضية ومآسيها. أولاً: ليس لدي فستان من أجل المسابقة. وثانياً: صديقي الحميم الذي ليس صديقي الحميم بعد، الذي لا أُطيق الظهور بجواره أمام العامة، فهذا يثير نفير الاشمئزاز بداخلي كلما تخيلتُ صورتنا نقف جنباً إلى جنب. وثالثاً: ميتش، الذي عاملته بمنتهى البشاعة والجفاء. وأمي! وإيلين! وغياب لوسي! أنا بحاجة إلى لوسي الآن. كان من المفترض بها أن تكون إلى جوارِي الآن، وتخبرني عما أفعل بشأن كل هذا الضجيج. أن تُلهمني ببعض الحلول التي لم تكن لتخطر لي على بالٍ لولاها.

فكرتُ في الأمور التي يسعني تغييرها. وكان هذا هو عنصر الفستان. يمكنني تناول الخس حتى يوم المسابقة، وربما سيلأئمني الفستان حينها مثلما تخيلتُ أمي. ولكن ماذا بعد؟ إنها دائرة الحمية الغذائية المفرغة، تلك التي اختبرتها حينما كنتُ صغيرة. سأفقد بعض الوزن حتى يسعني ارتداء الفستان، ثم ماذا؟ سأعود إلى تناول الطعام -الذي لن يكون خساً بالتأكيد- وأكتسب ما خسرتَه من وزنٍ مجدداً، وربما كان ثمة المزيد من الكيلوجرامات. عادت إلى ذاكرتي كل تلك الحميات الغذائية الخاصة بموسم المسابقة التي اتبعتها أنا وأمي من قبل، مثل البطاقات المفهرسة. قوالب البروتين

التي عكفتُ عليها في الصف الرابع، مراكز متابعة خسارة الوزن التي ذهبتُ إليها في الصف الخامس، وتناول السلطة الخضراء في الصف السادس. وفي النهاية، لم يُجدِ أيُّ من هذا قط.

لقد فازت. لقد فازت أُمِّي. لم أكن أدري أن ثمة منافسة بيننا حتى تلك اللحظة، ولكن ما أعلمه جيدًا هو أنني أقف على حافة الخسارة: ليس لدي فستان، وبالكاد أمتلك موهبة ذات قيمة، ومُرافقًا حطمتُ قلبه دون أن يدري حتى ما فعلتُ به.

حسنًا، إذا كنتُ سأخوض تلك المسابقة حتى النهاية، فسأحرز تقدمًا لا محالة. كل ما في الأمر هو أنني سأفعل ما لا أود أن يتذكرني به الجميع.

\*\*\*

## الفصل الثاني والخمسون

حين جلستُ في غرفة الاستراحة لاحقًا تلك الليلة، تطلعتُ إلى مرآة صغيرة، وفحصتُ الحلقة الخضراء حول رقبتِي في انعكاسها. ثم صفعتُ دفتِي المرأة كما لو أنني أصفع دفتِي محارة صدفية، وخلعتُ القلادة الذهبية المزيفة ووضعتها على الطاولة. كانت السلسلة الذهبية من نوع السلاسل الذي يتغير لونه بمرور الزمن، وتُباع في الأكشاك التجارية الرديئة. وكانت الحلية المُعلَّقة في السلسلة قد حُفِر عليها اسم «دوللي» بحروفٍ إنجليزية بخط مائل متشابك.

وانتهى بي المطاف بأن كدستُ من مقتنيات لوسي ما أستطيع تكديسه في خزانتي الخاصة. وبذلتُ قصارى جهدي لأحصل على جميع مقتنياتِها من عالم دوللي بارتون، بما في ذلك الحذاء المُرصَّع بلمعةٍ بَرَّاقة، الذي انتعلته دوللي في أحد عروضها في فيجاس. وكان نعل الحذاء مُوقَّعَين بتوقيعها المتشابك كبير الحجم، مما يُثبت أصالة الحذاء.

ارتَمى بوو على الكرسي المجاور لي، وسأل في حيرة: «ما هذا؟». جذبتُ السلسلة نحوي بإصبع السبابة، حتى يتسنى له رؤيتها، ثم أجبْتُ: «كانتِ ملكًا لخالتي».

أومأ مُشجعًا إياي على الاستزادة، فأضفتُ: «عادت أُمي لتنظيف غرفة خالتي. مجددًا. كانت تتعهد بتنظيفها على فترات قصيرة طوال الشهور القليلة الماضية، ولكن هذا المرة باتت عازمة على إنهاؤها».

- يؤسفني هذا.

وجذب بإصبعه هو الآخر سلسلة القلادة، ثم قال: «عندما كانت أُمِّي على فراش الموت، قررت أن تُنظّف غرفتها بنفسها من أجلنا. كما لو أنها حين اكتشفت أن أوضاعها الصحية باتت غاية في السوء، بدأت في دعوة الناس إلى منزلنا لقضاء الوقت، ولم يغادر أحدهم خاوي اليدين. وعندما حان وقت رحيلها، كان كل ما تركته هو بضعة من ملابس النوم وبعض الأحذية».

رمى القلادة بنظراتٍ مُطوّلة، فارتعش ذقنه، قبل أن يستأنف حديثه قائلاً: «كنتُ شديد الغضب منها على ما فعلته. ولكني لا أظن أنني كنتُ سأمتلك الشجاعة لفعلها بنفسِي. ولو كان الأمر عائداً لأبِّي، لظللنا نستخدم عطرها الخاص معطرًا للهواء».

تطلع إلَيَّ بوو هنيئَةً، قبل أن يُمسك بساق الكرسي الذي أجلس عليه، ويجذبه مُقَرَّبًا إياي منه. أحاطني بذراعه، فهدأت أوصالي في أحضانه. تصاعدت أنفاسي في حدة قليلاً، غير أن ذلك الصوت في رأسي الذي يتوسل إلَيَّ ألا أدعه يلمسني، لم يعد كونه همهمات لا طائل منها. عانقت شفاته خصلات شعري، تَبَّتْ إشارات الهدوء في أذني لتغمرنِي.

- هل أقاطعكما؟

وقف ميتش عند مدخل الباب، قابضاً على حقيبة تسوّق ورقية، حتى كاد يمزقها.

رفعتُ رأسي عاليًا على الفور، فاصطدمتُ بفك بوو السفليّ، ثم قلتُ: «آسفة».

ولكن إلى أيهما؟ لم أكن واثقةً من جوابي. اجتاحتني نوبة من الهلع من مقدمة رأسي حتى أخمص قدمي، فتشنج جسدي في موضعه دون حراك. قلتُ موجهةً حديثي إلى ميتش: «مرحبًا! ما الذي تفعله هنا؟».

نهض بوو عن كرسيه، يتحسس البقعة التي اصطدم بها رأسه برأسي، ثم قال بصوتٍ مُتجهّم أجش: «من الأفضل أن أعود إلى العمل».

تطايرت ذبذبات التوتر بينهما مثل سياج كهربائيّ. لم يتحرك ميتش من موضعه مُفسِّحًا الطريق، وهكذا مرَّ بوو بجانبه معتصراً جسده. وقبل أن يعبر ميتش عتبة الباب، رمق بوو بنظرة تحدُّ كارهة.

- أخبرني الشاب الذي يعمل في صالة الطعام أنك هنا.

ألقى بالحقيبة على الطاولة، ومهما كان ما بداخلها، فقد أصدر صوت خشخشة لثانية قبل أن يهدأ: «لقد أحضرتُ بعضًا من مستلزمات الخدع السحرية. من أجل موهبتك».

حاولتُ جاهدةً أن أحافظ على نبرة صوتي هادئة وخافتة، فقلتُ: «حسنًا، اجلس».

لكنه لم يفعل، وسأل دون أن يُلقي بالآ: «من كان هذا الشاب؟».

- بوو. إننا نعمل هنا معًا.

تقطَّب حاجباه، حتى صارا واحدًا، وسأل: «هل أنتِ معجبةٌ به؟».

- ماذا؟ ميتش، لقد كنا نتحدث فحسب.

بدت نبرة صوتي دفاعية، وقد كانت هذه هي عين الحقيقة. أعلم أنني وميتش قد تبادلنا القُبْلَ لمرة واحدة، وأحيانًا ما تتشابك أيدينا، لكن هذا لا يجعل ما يجمعنا هو علاقة جدية. ومع ذلك، ربما كان هذا حقيقيًا. ليس الأمر وكأنه قد ضبطننا نتغزل في بعضنا بعضًا أو في وضعٍ عارٍ، ولكنني أشعر أنني مذنبٌ في حقه.

عاود السؤال مجددًا: «هل أنتِ معجبةٌ به؟».

دسستُ خصلات شعري الأمامية المتطايرة خلف أذني، واستغرقتُ وقتًا طويلًا قبل أن أجيب: «أجل».

هز رأسه أسفًا، وجذب مقدمة قبعته الرياضية ليُخفي نصف وجهه العلوي، ثم قال: «حظًا موفقًا في المسابقة، ويل!».

واستدار على عقبه، وغادر من أقرب بابٍ رآه في وجهه، الذي صادف أن يكون هو مخرج الموظفين.

انفطر قلبي حزنًا على خسارة واحدٍ من أصدقائي المقربين القلائل، عالمةً تمام العلم أنه لو كان لأحدٍ أن يُلام على هذا الخطأ، فسيكون أنا.

\*\*\*

في تلك الليلة، أوصلني بوو إلى المنزل وقد خيم الصمتُ الواجم علينا طوال الطريق.

كنتُ قد قطعْتُ المسافةَ عبرَ ممرِ السيارةِ أمامَ منزلنا عندما سمعتُ بابَ شاحنته يُصَفَع، ثم قال: «أتمنى لو تمنحيني جوابًا».

واستدار حول مقدمة شاحنته، فسرتُ عائدةً نحوه، وقلتُ: «ماذا؟ أعليقًا الحديث في هذا الأمر الليلة؟».

- أود البقاء معكِ، ولكني أعجز عن ذلك إن لم تسمح لي.

- لماذا؟

قلتُ، مُلقيةً بحقيبتَي على أرضية الممر، وتابعْتُ: «لماذا تود البقاء برفقة هذا؟».

كانت كلتا ذراعَيَّ تتحركان من أعلى إلى أسفل مشيرتين إلى جسدي بأكمله. وعلى الفور، كرهتُ نفسي لما فعلته، فلم يكن ثمة شخصٌ يجعل الأمر بُرْمته يدور حول جسدي إلا أنا.

- لأنني معجبٌ بك. وأظن أنني أكنُّ لك ما هو أكثر من الإعجاب، ويلودين. لماذا يصعب عليك تصديق الأمر؟ عندما يُجافيني النوم ليلاً، ليس هذا بسبب العمل أو المدرسة أو أمبر أو بيكا. بل بسببك أنت. أفكر فيكِ أنتِ، حتى أكاد أجنُّ من فرط التفكير.

هزرتُ رأسي إنكارًا، فلم يكن ما قاله منطقيًا بتاتًا. سألتُ: «هل خطر ببالك من قبل ما الذي سيظنه الناس، وما الذي سيقولونه عندما يروننا معًا متشابكي الأيدي؟».

- لم تعهدينني قط من هذا النوع الذي يهتم لما يظنه أي شخص آخر. انتفض فكه السفلي في غيظٍ، قبل أن يخفض من صوته، ويتابع: «أود لو أذهب إلى كل الأماكن برفقتك. أود لو أتباهى بك أمام الجميع. أود لو أرتدي بزة رخيصة وأرافقكِ إلى تلك المسابقة السخيفة».

اصطكت أسناني خوفًا وفرحًا ورهبةً وإنكارًا. كنتُ أبذل قصارى جهدي لأمنع انهماك دموعي، كل شيء رغبتُ فيه قد صار ملكي الآن. إنه يُعجبني، وأنا أعجبه. غير أن هناك ما هو أكثر من ذلك. لا يسعني أن أصدق أن أمرًا كهذا قد يستحوذ على اهتمامي، ولكني لن أصير فتاةً نحيفة رشيقة في أي وقتٍ قريب، ولا يُفترض بي أن أهتم لشيء كهذا. وها هو الاستياء يملكني، لأنني لم أُلْقِ بنفسي بين ذراعيه هنا في تلك اللحظة، في وسط ممر السيارة.

رفضتُ أن يكون بوو سبباً آخر يحمل الآخرين على الخوض في سيرتي.

- لا يمكنني. قد يجعل مني الرفض فتاةً جبانة، ولكن...

صار الدمع المتفرق في عينيّ أكثر من مجرد شعور الآن، فتحرك بوو تجاهي حتى وقف أمامي مباشرةً، وبسبب زاوية انحدار الممر، صرنا متواجهين متساويي الأطوال تماماً.

- ويلودين أوبال ديكسون، أنتِ فتاةٌ جميلة. اللعنة على كل من جعلكِ تشعرين بأي شيء أقل مما تستحقين.

انتفخ صدره حين أخذ نفساً عميقاً، ثم استطرد: «حين أغلق عينيّ، لا أرى سواكِ. أستطيع التحدث معكِ بطريقة لم أحظ بها مع أي شخص آخر».

«جميلة» هذا قوله. «بدينة» هذا قولي. ولكن ألا يسعني أن أكون كليهما في الآن ذاته؟ رفعتُ يدي أتحمس خده، فهدأت حدة التوتر والغضب التي كانت تعتمل بداخله. طبعْتُ قبلةً أخيرة على شفتيه، وطال بي المكوث عند شفتيه هنيهةً، أستحضر إلى ذهني تفاصيل كل الأشياء التي لا يُفترض بي أن أفكر فيها. ثم همستُ: «لا يمكنني».

عالمَةٌ تمام العلم أنني أتحدث عن شيء يتجاوز مجرد علاقة تربط بيني وبين بوو. استدرتُ مُلتقطَةً حقيبتني من موضعها، ودلفتُ إلى المنزل.

أما بوو، فظل واقفاً في الممر، حتى أطفأتُ الأضواء في غرفة نومي، وحال المنزل بأكمله إلى قوقعةٍ كالحة الظلام.

\*\*\*

## الفصل الثالث والخمسون

جاء يوم الاثنين، وحين كنتُ أشق طريقي خارج حجرة الدراسة، مدَّ ميتش يده ليمسك بمرفقي. كان الأستاذ كريسن قد أسرع بالفعل إلى حجرة المدرسين، وخرج جميع طلاب الصف من الحجرة، فلم يبقَ أحدٌ سوانا. قال ميتش: «لقد أردتُ أن أخبرك أنني لا أظن أنني الشخص المناسب لمرافقتك في حفل مسابقة الجمال».

فتطلعتُ إليه، غير أنه لم يسمح بدوام التقاء أعيننا سوى لثانية واحدة، قبل أن يشيح بنظره عني.

- لن أشارك في مسابقة الجمال على أي حال.

لم أكن قد تلفظتُ هذا القرار بصوتٍ مرتفع حتى هذه اللحظة، ولكنني اتخذتُ قراري ليلة السبت، حين كنتُ أقف متحدثَةً إلى بوو في ممر سيارتنا. كانت ملامح وجه ميتش تشي بما يدور في عقله من أفكار. أفكار تجول في خاطره محاولةً إقناعي بالعدول عن قراري، تخبرني أن أتطلع إلى الجانب المشرق. غير أنه لم يُجر جواباً.

ثم أضفتُ: «أنا آسفةٌ للغاية، لم أقصد أن أجرحك قط».

كان أسفي متأخراً بعد فوات الأوان، لكنه لازم.

سألني ميتش: «ولكن هل تحبينه؟».

فأومأتُ في إيجاب.

قال بعد هنيهة: «إن اعتذارك لم يُحسِّن من الأمر شيئاً. لو كنتِ منحتني فرصةً، لأحسنْتُ معاملتكِ وحبكِ حقاً».

- إِنَّكَ أَكْثَرُ مِمَّا أُسْتَحَقُّ.

وددتُ لو أخبرتهُ كم بات قريباً مني، وأنني لو لم أقابل بوو في حياتي قط، لاختاره قلبي على الفور. غير أنني كنتُ قد قابلتُ بوو، والآن بتُ أعرف جيداً شعور أن يُحطمك مجرد ذكر اسم أحدهم.

دسّ ميتش يده في جيب سترته وسار مبتعداً إلى خارج حجرة الدراسة. قررتُ انتظار بضع ثوانٍ ليتقدم عني، قبل أن أغادر الحجرة، أشق طريقي إلى صفي الدراسي التالي على الجانب الآخر من المبنى الدراسي.

لم أسرع الخطى، وآثرتُ أن أستغرق جُل وقتي، أفضل التأخر عن الصف على انقطاع أنفاسي من الركض. فلا أحد يرغب في رؤية فتاة سمينية تحوص وتلوص. وصل إلى مسامعي رنين الجرس الأخير، وها هي الردهة قد خلت تماماً من الطلاب. غير أنني لمحتُ إيلين تتسلل خارجةً من حجرة الدراسة الأخيرة على الجانب الأيمن.

لم تلحظ وجودي في البداية، فقد كانت تفرك عينيها، بل كانت تبكي! ربما كان بكاؤها لأي سبب. ولكن مهما كان هذا الأمر، فأنا لا أدري شيئاً حياله.

ألقت إيلين نظرةً خاطفةً من وراء كتفها، فرأتني متخلفةً عنها ببضع خطوات. توقفت في موضعها، دون أن تلقى بالاً لتزيح عن وجهها ما انهمر عليه من دموع تتسلل على وجنتيها. ربما انفصلت عن تيم، أو ربما تشاجرت مع أصدقائها الجدد، أو ربما أخفقت في أحد الاختبارات. لا أدري حقاً، لا أدري سوى أن هذه فرصتي وعليّ انتهازها. عليّ أن أسألها عن حالها، وأعتذر عن كل شيء قد حدث بيننا. لكنها استدارت، وأسرعت مندفعةً إلى دورة المياه. حسناً، لقد ولّت الفرصة.

لم أحضر بقية صفوفي لهذا اليوم، فقد ساء اليوم بالفعل بما يكفي، حتى بات من الخطر أن أظل مُحاطةً بأي شخص. وحين وصلتُ إلى المنزل، تلقيتُ رسالةً من ميلي تسألني إن كان علينا جميعاً أن نلتقي لممارسة عروض مواهبنا. مسابقة الجمال تلك، لم تعد تهمني الآن على الإطلاق. فحينما اشتركتُ في تلك المسابقة، كان ذلك لأجل لوسي. وبوجود إيلين بجانبني. غير أن لوسي ماتت، وإيلين باتت بعيدة من أي وقتٍ مضى.

بعثتُ برسالةٍ إلى ميلي وهانا وأماندا.

أنا: «لا يمكنني خوض المسابقة. أعلم أن الوقت ضيق، ولكنني أراجع نهائياً. ستكُن جميعاً رائعات. فأنتن تستحقن أن تخُصن المسابقة. وسأهتف لتشجيعكن من مقاعد الجماهير».

بعدما اتصلتُ للتغيب عن العمل محتجةً بالمرض هذه الليلة، أغلقتُ هاتفي، وقررتُ أن أظل على تلك الحالة طوال المساء.

\*\*\*

## الفصل الرابع والخمسون

قضيتُ يومَي الثلاثاء والأربعاء أدَّعي المَصَاب بالحمى، وأُطبِّب نفسي بحقيبة من رقائق الشوكولاتة الصغيرة، كنتُ قد وجدتُها في خزانة الطعام منذ بضع عطلات أسبوعية مضت. لسنا من هذا النوع من العائلات التي تحتفظ بالحلوى بين أيديها (مفاجأة، أليس كذلك!)، وبخاصة في ظل التزام أُمي بمهمة «اعتصار جسدها ليناسب فستان المسابقة».

عندما أخبرتها أنني أشعر باعتلال صحي، أغلقت باب غرفتي خلفها دون أي أسئلة، ثم قالت من خلف الباب: «اعذريني يا حلوتي. لا يمكنني المخاطرة بإصابتي بالمرض الآن. يمكنك أن تأخذي اليوم عطلة».

في رأي أُمي، إن كل لحظة من حياتها لا تقضيها إما على جهاز التمرين الإهليجي في النادي الصحيّ وإما في العمل، تقع ضمن نطاق طوارئ الخياطة. لقد بات منزلنا منطقة حربية تعج بالأقمشة والإكسسوارات والخيوط اللامعة، لكن الفوضى التي تُحدثها تلك الأشياء تمنحني أنا بعضًا من الهدوء.

أريد -كلا، بل أحتاج إلى- بضعة أيام أكون فيها شخصًا أخرق لا يهتم بشيء. لم أستحم منذ الأحد الماضي، غير أن هذا قد منحني شعورًا غريبًا بالارتياح، أن أكون على يقين بأن مظهري مُريعٌ مثل شعوري تمامًا. وعندما منحني رون أسبوع المسابقة بأكمله عطلةً من العمل، لا أعتقد أن هذا المشهد هو ما جال بخاطره حينئذ.

جاءت ليلة الأربعاء، وتلاشى معها الشعور بالحرية الذي كان يغمرني، ووجدتُ نفسي أستلقي على الفراش ملقاةً على وجهي، أستمتع إلى واحد من الشرائط التسجيلية التي احتفظت بها لوسي، واتضح لي أنها كانت تسجيلًا

لواحدة من أسوأ أغنيات دوللي بارتون. واحدة من تلك الأغنيات التي أتمنى لو أمكنني أن أنسى أنها قد غنتها حقًا، مثل: «Me and Little Andy». ما أقصده هو، أنني لا أدري ما خطب هذه الأغنية، دوللي؟ إنها تحكي عن فتاة صغيرة يرقد جروها على فراش الموت. مَنْ سيود الاستماع إلى شيء كهذا؟

دَقَّ جرس الباب الأمامي، مُقاطِعًا ثرثرتي الداخلية. ابتسمتُ من أسفل غطائي، وقررتُ أنني عاجزةٌ عن إجابة الطارق حتى لو أردتُ ذلك. عاد طنين الجرس يصدع الأرجاء مجددًا، وهذا يعني أن أمي ليست بالمنزل. بيد أن الطارق لا يمل، وعاد يدق الجرس من جديد.

دفعْتُ بجسدي خارج الفراش، واستغرقتُ وقتًا طويلًا هابطةً درجات السلم. وقفتُ على أطراف أناملي، متلصصةً عبر ثقب الباب. وبتنهيدةٍ مُثقلة، صفقتُ وجهي بالباب في عنف. صَحْتُ قائلة: «ماذا تريدن؟».

فأجابت هانا: «دعيني أدخل، هيا!».

وأعادت دَقَّ الجرس مرة تلو الأخرى، حتى بلغت تسع مراتٍ، أو ربما عشر مرات.

صَحْتُ أخيرًا في يأس: «استديري إلى الباب الخلفي».

فعلت هانا ما أخبرتها إياه حتى دون سؤال. وقفتُ ممسكةً بالباب الخلفي منفتحًا، فعبرت من جانبي مباشرةً. حام ريوت حولها يتشممها هنيهة قبل أن يركض مبتعدًا إلى أحد أركان المنزل.

- لقد اتصلتُ بك ما يزيد على خمسٍ وثمانين مرة هذه العطلة. ولا أطيق حتى التحدث عبر الهاتف.

ألقت هانا بكلماتها، ثم مدت يدها إليّ بعلبة طعام بلاستيكية مملوءة بطعام مطهو، وقالت: «أرادت مني أمي أن أحضر إليك بعضًا من حساء الدجاج والخضراوات خاصتها».

- أمكِ؟ أنا لم أقابل أمكِ من قبل.

نطقْتُ بكلماتي، ثم فتحتُ باب المُبرِّد، وحشرتُ بالحاوية البلاستيكية بين علبة اللبن وإبريقٍ من عصير البرتقال.

- حسنًا، أنتِ بمنزلة شخصها المفضل على الإطلاق بسبب مسابقة الجمال السخيفة تلك، ولذلك أتمنى أن تكوني راضية عن نفسك.

جلست هانا إلى طاولة المطبخ، مرتميةً بجسدها على مقعد أُمي. وجدت أن هانا من نوع الأشخاص الذين يشعرون بالارتياح في أي منزل يدخلونه. ولا تُبالي بشدة الحرص الزائدة التي يُبديها الآخرون حين يكونون في منزل جديد للمرة الأولى. مالت بجذعها إلى الطاولة، واستندت إليها بكلا مرفقيها، ثم قالت: «لا يمكنك ترك المساب... مهلاً، هل تستمعين إلى دوللي بارتون؟». رفعتُ كتفيَّ في غير اكتراث، فدفعها الفضول إلى التطلع إليَّ من كتب، وكوّنت الكثير من الملاحظات حول وضعي الحاليّ.

- هناك خطبٌ ما في كل ما أراه الآن.

سكبتُ كوبًا من القهوة، ودفعْتُ به إلى داخل الميكروويف، ثم استدردتُ إليها مُجيبَةً: «أظن لو كنتِ تعنين بكلمة «خطب» معنى إيجابياً، فأجل أنتِ على حق».

- متى كانت آخر مرة استحمتِ؟

دقُّ إنذار الميكروويف، فأخرجتُ ما فيه، ثم أجبتُ: «تعلمين أن الاستحمام أمرٌ موضوعيٌّ».

ورفعتُ كتفي في غير اكتراث مجدداً، ثم أضفتُ: «دعينا نصعد إلى الطابق العلويّ».

- حسناً، فقط إذا أطفأتِ تلك الموسيقى البشعة.

بعدما دلفنا إلى غرفتي في الطابق العلويّ، رفعتُ مؤشر جهاز التسجيل مغلقةً إياه، بينما استلقت هانا في ارتياح على فراشي. أخذتُ بكُرة التنبؤ السحرية عن طاولتي الجانبية، ومنحتها بعض الاهتزازات، وهي تسأل: «هل فقدت ويل عقلها تماماً؟».

ثم قرأتُ الجواب: «يمكنك قول ذلك».

جلستُ عند حافة الفراش، ثم استلقيتُ على ظهري بامتداد الفراش. ربما كان الأمر أيسر مما هو عليه، لو أمكنني أن أُحرق إلى السقف طوال الوقت.

- حسنٌ إذن، أعتقد أن شيئاً ما قد حدث بشأن فتى المرحاض، صحيح؟

أجبتُ: «الفتيان ومشكلاتهم! حسناً، هناك اثنان منهم. ولا أدري حتى السبب الذي حملني على فعل ذلك في المقام الأول».

تركتُ المجال لذرَاعِيَّ تتمددان على حافة الفراش. ثم تابعتُ: «ربما اعتقدتُ أنني أستحق الأشياء نفسها التي تستحقها الفتيات الأخريات. لا أدري حقًا، ولكنني مختلفة عن الفتيات الأخريات، وحتى وإن كنتُ أستحق ما يستحقه، لا يعني هذا أنني سأحصل على ما أستحقه. حتى إن مجرد تفكيري في الأمر، ومنافستهن على ما يستحقه، لن يثبت سوى هذه الحقيقة».

قاطعتني هانا قائلة: «كلا، هذا هراء سخيف. أنتِ لا تستحقين الفوز بأي شيء، أو البقاء في أي مسابقة جمال، ما لم تبدلي جهدًا مضيئًا وتعملين بجد. ربما الفتيات البدينات أو الفتيات ذوات الأطراف غير المتناسقة أو الفتيات ذوات الأسنان النابتة، لا يفُزن عادةً بمسابقات الجمال. ربما لا يكون هذا الفوز معتادًا ومألوفًا، ولكن الطريق الوحيدة لتغيير هذا العُرف هي الوجود. لا يمكننا توقع الأمور ذاتها التي نتوقعها الفتيات الأخريات، حتى نطالب بذلك. لأنه لا أحد يحشد الصفوف من أجلنا، ويل».

- يسهل عليك القول. عندما أدلف إلى قاعة تضم حشدًا من الناس، يكون الشيء الأول الذي يلاحظه الجميع هو مدى ضخامة جسدي اللعين مقارنةً بأجسادهم. غير أن الأمر مختلفٌ معكِ، فكل ما عليك فعله هو إغلاق فمكِ، ولن يلحظ أحدٌ نتوء أسنانكِ.

- واو! ضربة تحت الحزام. أجل، يمكنني أن أغلق فمي، حتى يتعين عليّ الحديث. هل حاولتِ من قبل أن تكوني فتاةً مُنعزلة نصف دومينيكانية ذات أسنانٍ نابتة في هذه المدينة؟ حاولي أولاً وسنرى، حسنًا؟

هزرتُ رأسي في أسف، وقلتُ معذرةً: «أنا آسفة حقًا. ترين أنني في حالة من الفوضى و...».

- وما زلتِ تُخططين لهذا الأمر. هذا هراء، وسيظل. ولكن إن لم تستمري في تلك المسابقة من أجل نفسك، فعلى الأقل افعلي ذلك من أجل أماندا وميلي.

عضت على شفرتها السفلى، وحدّقت من خلفي إلى المرأة أمام فراشي، ثم قالت: «ومن أجلي أنا أيضًا. حسبما أعتقد».

- ستكُنَّ بخيرِ دوني يا رفاق.

- كلا، في الحقيقة، لن نكون بخيرِ دونكِ، ويل. إن ميلي ستعجز عن التنافس في المسابقة ما لم تكوني إلى جانبها.

اعتدلتُ في جلستي، وسألتُ مستفهما: «ماذا تعنين؟ ما الذي تتحدثين عنه؟».

فأجابت دون اكتراث: «لقد اكتشف والداها كل شيء بشأن المسابقة، فتوسَّلت إليهما ميلي مرارًا وتكرارًا. وأخبرتُهما أن والدتك هي من تُدير المسابقة، ولذلك كان جوابهما أنه إذا كنتِ واحدة من المتنافسات، إذن يمكن لميلي أن تُنافس أيضًا».

توقفت هانا عن الحديث لتُحدِّث أثرًا دراميًّا، قبل أن تستأنف: «ثم انسحبت أنتِ من المسابقة».

وخزني الشعور بالذنب، فلعلقتُ شفتي المتأكلتين، وشيئًا فشيئًا، هالني الأمر حين أدركته. صرتُ مُدركةً لمدى بشاعتي حين مضيتُ عطلة أسبوعية كاملة دون استحمام.

- اسمعيني، هانا، أعلم أن هذا أمرٌ سيئٌ للغاية، ولكن...

- ولكن ماذا؟ أرجوكِ أخبريني أنكِ لستِ بهذه الأنانية.

إن هانا على حق، فالمشاركة في مسابقة الجمال ليست مزحة في رأي ميلي. لقد أمضت الفتاة حياتها بأكملها تتأمل في جمال المتسابقات وتدرس كل شيء عنهن، وأخيرًا حان الوقت لتصبح واحدة منهن. ارتجفت ساقِي وارتدت عن الأرض لأعلى ولأسفل في قلق، بينما غرقتُ في التفكير. لا أدري إن كان هذا سيعود عليَّ بأي نفع ذات يوم، ربما كنتُ شديدة التشاؤم حيال هذا الأمر، غير أنني أدين لميلي بهذا الدعم. وإذا كنتُ قد قررتُ ألا أقتنص من الحياة الفرص بالقوة مثلما تفعل ميلي، يتحتم عليَّ ألا أقف عائقًا في طريقها، مجاملةً لها على الأقل.

ربَّتْ هانا بيدها على ساقِي المتوترة لتهدأ. فاستدرتُ إليها قائلة: «ستكون هذه المسابقة كارثة مُحققة».

ابتسمت هانا بغمٍ بالكاد يُظهر أيًّا من أسنانها، ثم أجابت: «أنا أعتمد على ذلك».

\*\*\*

## الفصل الخامس والخمسون

يتغيب الفتیان عن المدرسة من أجل السفر لمباريات كرة القدم، ولذلك أظن أنه لا داعي للدهشة حين يُحدد يوم الجمعة الذي يسبق مسابقة الجمال إجازة مدرسية لكل متسابقة. تقضي الفتیات هذا اليوم الإضافي في المقابلات الشخصية وبروفة الفساتين الشاقة، ومعاناة أخرى تتضمن البثور والشرائط اللاصقة من الجانبين ودموع القلق التي تُغرق المكان بأسره. فهذه المسابقة ليست مجرد عرض موسيقيٍّ مسرحيٍّ ترعاه المدرسة الثانوية بميزانية ضئيلة، هذه مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت لمدينة كلوفر سيتي.

في الليلة الماضية، صحبتني هانا إلى المسرح المحلي، حيث كانت أُمي تستعد للموافقة على أزياء المسابقة بأكملها. ونظرًا لأنني عجزتُ عن ارتداء بزتي الرسمية، كان عليَّ أن أكتفي بارتداء ثوب أسود لامع يُشبه ما ترتديه والدة العروس في زفاف ابنتها، كنتُ قد وجدتُ هذا الثوب ضمن واحدٍ من الأكوام التي أعدتها أُمي للتبرع في غرفة لوسي. ورغم أن الثوب كان جديدًا يحمل بطاقة الشراء، غير أنه بفعل الإهمال ترك مُجعَّدًا. ولذلك حملتني أُمي ومالوري بوكلي والسيدة كلاوسون على قطع وعدٍ بأُني سأبعث بالثوب إلى المغسلة، حتى يُكوى بالبخار قبل يوم السبت. أما فيما يتعلق بثوب السباحة، فكانت خياراتي محدودة في هذا الشأن، واقتصرت على ثوب السباحة الأسود من قطعة واحدة خاصتي، وثوب سباحة آخر أحمر مُنقَط بنقاطٍ بيضاء، كنتُ قد اشتريتهُ الصيف الماضي، لكنني لم أجروُ على ارتدائه قط. وهكذا اخترتُ ثوب السباحة الأحمر، تعلمون هذا المثل الشهير القائل: «اضرب بقوة أو عُد جبانًا»، لقد اخترتُ أن أضرب بقوة، بالإضافة إلى أنه ثمة كُتل صغيرة من نسيج ثوب السباحة الأسود قد تجمعت حول مؤخرتي.

أما عن زي عرض المواهب خاصتي، فهذا شيء آخر. كنتُ قد قلبتُ غرفتي رأسًا على عقب حتى وجدتُ عصابة رأس زعفرانية كنتُ قد ارتديتها في الهالوين، وأضفتُ إليها فستانِي الأسود الذي ارتديته في جنازة لوسي، وكانت أُمي قد وافقت على إقراضي قفازاتها الحريرية السوداء إذا أعدتهما قبل أن تضطر هي إلى ارتدائهما من أجل فقرة الملابس الرسمية.

وفي صباح الخميس، بينما كنتُ أَسْتَعِدُّ لمهام اليوم، جاءت أُمي إلى غرفتي لتُلقي نظرة على ما سأرتديه من أجل المقابلة الشخصية. قالت: «تُعجبني هذه التنورة. ولكن ربما تُضيفين إليها السُترة الرسمية الفيروزية الداكنة التي كنتُ قد ابتعتها من أجلك في عيد مولدك».

تطلعتُ إلى المرأة، مُفكرةً فيما اقترحته للتو، ثم أومأتُ لها في إيجاب. اتجهتُ برفقة أُمي في سيارتنا إلى قاعة الولايم سيلفر دولار، حيث ستُعقد المقابلات الشخصية، ثم ستُقام مأدبة الغداء الصغيرة اليوم. أصدر مُكيف الهواء في السيارة أزيزًا علا صوته عن صوت المذياع الحاد. فمع اقتراب عيد الشكر الأسبوع القادم، بات الطقس أشد برودة من ذي قبل، ولكن أُمي لا تأبه لتلك الحقيقة، وتُصر على تشغيل مُكيف الهواء.

صففنا السيارة، وعكفت أُمي على هندمة سُترتها الرسمية ذات اللون الوردِيّ الباهت. ثم قالت: «أحبكِ، دمبلين. وأتمنى أن تجعليني فخورة بك».

شعرتُ بتقلصات معدتي، وأمعائي تتلوى من الألم. لا أريد أن أَسبب لها في حرج، لا أريد ذلك حقًا.

سكتت هنيهة قبل أن تُضيف: «ولكن لا يمكنني أن أُمْنَح أحدًا سببًا ليعتقد أنني أعاملُك معاملةً خاصة، ولذلك ستكون معاملتنا رسمية طوال هذا الوقت حتى ليلة السبت بعد انتهاء المسابقة».

همهمتُ: «أجل، صحيح. معاملة رسمية».

\*\*\*

حسنًا، أرى هذا المكان جدًّا تمامًا. لقد صفوا المتسابقات جميعهن خارج قاعة الولايم. ولا يُسمح لأحدٍ أن يتحدث إلى الآخر حتى تنتهي المقابلات الشخصية جميعها. وقد بدا لي أمرًا غير منطقيٍّ، فلم تكن المقابلة الشخصية

تلك من الأشياء التي يمكن لأحدهم الغش فيها. ما أقصده هو أنهم يسحبون الأسئلة جميعها من قارورة زجاجية ضخمة، ولا تُسأل فتاتان الأسئلة ذاتها.

بعد انتهاء المقابلات الشخصية، يأتي موعد مأدبة الغداء الصغيرة، وبعد ذلك يُسمح للمتسابقات باتخاذ المساحات المحددة لهن من أجل ترتيب غرفة ملابسهن. وفي هذه الأثناء، بدأت الأمور تأخذ طابعًا جدّيًا مخيفًا، فغداً هو يوم بروفات الفساتين، وأفرد يوم السبت من أجل التدريب المستمر من بزوغ الشمس قبل العرض، الذي سيبدأ في تمام الساعة مساءً.

بدونا جميعًا في مظهرٍ سخيف، كما لو أننا قد أتينا إلى هنا من أجل مقابلة شخصية لوظيفةٍ ما، والمُتطلب الوحيد لتلك الوظيفة هو أن ترتدي واحدة من بزّات والدتك الرسمية ذات الألياف الصناعية.

جلستُ أراقب الفتيات اللاتي تبدأ أسماؤهن الأخيرة بحروف الألف والباء والتاء وما إلى ذلك، يدلفن ويخرجن من غرفة المقابلة. كانت بعضهن قد خرجن وقد علت وجوههن ابتساماتٌ عريضة، والقليل منهن أُصبن بصدمة شديدة، والبعض قد غلبتهن الدموع. يبدو -حين تراه- وكأنه مشهدٌ مريع، أعلم ذلك تمام العلم، ولكن جزءًا ما بداخلي يرى الفتيات الباقيات وكأنهن قطع شطرنج سقطت من المنافسة. أعلم أنني لا أرغب في الفوز حتى، ولكنني أعتقد أن فطرة النجاة بداخلنا جميعًا تجد طريقها إلى قلوبنا وعقولنا عندما نرى الآخرين يتساقطون من حولنا. ورغم ما يمنحني إياه هذا المشهد من شعورٍ بالفضاظة، فإنه استجابة بشرية لا مثيل لها.

بما أن جميع المتسابقات مصطفات بترتيب أبجديّ، كنتُ أنا وإيلين -حيث تبدأ أسماؤنا الأخيرة بحرف (الدال) ذاته- نجلس إلى جوار بعضنا بعضًا. وفي كل مرة يتصادف فيها تلامُس أكتافنا، تتحرك منزعة بعيدًا عني، كما لو أنها قد تعرضت لشحنة كهربية.

- ديكسون؟ ويلودين ديكسون؟

أجفلتُ قليلًا، ودون أن أشعر وجدتني أنظر إلى إيل. تلاقت أعيننا هنيهة، لمحتُ خلالها شبح ابتسامة تشق طريقها إلى شفثيها قبل أن تتدارك نفسها وتشيح ببصرها عني.

سأخفق لا محالة.

أمسكت مالوري الباب مفتوحًا من أجلي، وقالت هامسة: «تذكري، لن تحظي بفرصة أخرى عندما يتعلق الأمر بالانطباع الأولي». فتمتمت: «حسنًا، كم هذا مُشجع!».

جلس المُحكّمون الأربعة، الذين كانوا أشخاصًا مجهولي الهوية حتى الآن، متجاورين في صفٍّ واحد في مقدمة الغرفة خلف طاولة طويلة. وبدؤوا جميعًا في تقديم أنفسهم واحدًا تلو الآخر، غير أن هويتهم لم تخفَ عليّ بلا شك.

تابيثا هيرارا، هي مالكةٌ لاثنتين من صالونات التجميل في كلوفر سيتي، وليس واحدًا فحسب: تابيثاس والآخر الذي أطلقت عليه بذكاءٍ لا مثيل له اسم تابيثاس رقم 2. وداخل صالوناتها تُقدم تابيثا كل الخدمات الممكنة بدءًا من صبغة الشعر إلى علاج التجاعيد. تتمتع تابيثا بمهارات مصففة الشعر التي تتمتع بعقلٍ مدبر، يمكنك أن تجلس على الكرسي أمامها، وتُقسم إنك ما جئت إلا من أجل غُرّة شعر، ولكنك تغادر بتسريحة شعرٍ جديدة تمامًا. ما يهم في الأمر هو أن تابيثا تجعلك تعتقد أن الأمر برُمته كان فكرتك منذ البداية، وهذا هو موطن جاذبيتها. أما جسدها فليس بمنأى عن تلك الجاذبية أيضًا، فهي تمتلك ثديين كبيرين وشعرًا كثيفًا يتماشى معهما. عندما يفكر سكان الشمال فيما يمكن أن يجذوه في ولاية تكساس، إنها تابيثا هي كل ما يفكرون فيه.

دكتور مينديز، لا أعلم الكثير عنه، عدا أنه اختصاصي تقويم الأسنان الوحيد في المدينة. أتى إلينا من فيلادلفيا أو بوسطن أو واحدة من تلك المدن التي يواظب سكانها على الصراخ دائمًا، ودائمًا ما يظهر على محياه شعورٌ طفيفٌ بالنفور من كل شيء. ما أقصده هو أنني إذا انتقلتُ إلى هذه المدينة الصغيرة من فيلادلفيا أو بوسطن، فسيصيبني شعورٌ طفيف بالاستياء أيضًا.

بيرجندي ماككول، أنا لا أمزح. هذا هو اسمها الحقيقي. وإذا كنتم تتساءلون، فالجواب هو: كلا، إنها ليست إحدى نجوم الأفلام السافرة، أو الممثلة الرئيسية في أحد المسلسلات التلفزيونية الاجتماعية. تخرّج والداها في جامعة تكساس آيه & إم، (إذا نظرنا إلى الأمر بصورة عملية، نجد أن ألوان بشرتهما هي أحمر داكن وأبيض). ولكنني أظن أن «بيرجندي»<sup>(1)</sup> سعيدة بهذا

(1) بيرجندي هي لفظة إنجليزية لأحد أسماء الألوان، وهو لون القرمزي، لون النبيذ الأحمر. وتشير المؤلفة هنا إلى أن ويلودين قد رأت أن اللون القرمزي هو مزيج من الأبيض والأحمر الداكن، وعليه رأت أن الفتاة «بيرجندي» هي نتاج مزيج من أبوين أحدهما أبيض والآخر أحمر داكن. (المترجمة)

الاسم. الأهم هو أن بيرجندي واحدة من الحائزات للقب ملكة جمال المراهقات بلوبونيت، ثم تحولت إلى معلمة روضة. ثم استكملت طريقها حتى وصلت إلى مسابقة ملكة جمال المراهقات بلوبونيت على مستوى الولاية، وحصلت على المركز الثاني برتبة الوصيفة الثانية. على الصعيد الآخر، لم تنافس أُمِّي سوى في مسابقة الجمال المحلية هذه لأنها أنجبتني، ورغم ذلك لم تُصرِّح أُمِّي من قبل قط أنها تمقت بيرجندي، ولكن متى ذكرت أُمِّي اسمها، يبدو وكأنها قد تناولت طعامًا حارًّا للغاية وفمها يتلوى ليبصقه.

كلاي دوولي، كلاي دوولي فوردي. يمكننا أن نعتبره أثري أثرياء مدينة كلوفر سيتي. دائمًا ما يظهر بشعر كثيفٍ مهندم، وسروال ضيق أشبه في ضيقه بضماطةٍ مُحكمة على القدم. يفضل انتعال أحزمة ذات أباريم ذهبية كبيرة، وربما كانت تكلفتها أغلى من رهننا العقاري. كلاي دوولي هو الصورة المثلى التي تُعبر عن تكساس، الأفكار والقوالب النمطية التي يُحذِّر منها أناس أمثال والدي دكتور مينديز في فيلادلفيا أو بوسطن. في الواقع، كلاي دوولي هو رجلٌ ثريٌّ ثراءً فاحشًا، يمنحه الوقت ليكون مُحكَّمًا لشيء كهذه المسابقة مثلًا، لأنه لا يحتاج إلى جني المال. فقد عيَّن الكثيرين ليؤدوا هذا الدور بدلًا عنه.

جلستُ أمام لجنة التحكيم، فلم يرفع أيٌّ منهم ناظريه، عدا الدكتور مينديز. وغرق الثلاثة الآخرون في تقليب الأوراق جيئةً وإيابًا، والتمتمة بشيء حول تهرب المتسابقة السابقة من الإجابة عن الأسئلة ومراوغتها.

تطلعت بيرجندي إلى أعلى أخيرًا، وحين وقعت بناظريها عليَّ، ارتفع أحد حاجبيها المشذَّبين بعناية في دهشة. لم تختلف ردة فعل كل من كلاي وتابيثا، غير أنهما كانا أسرع نجاحًا في إخفاء دهشتهم. وحينها أدركتُ أنني الأولى من... حسنًا، سأطلق علينا لفظة «المشاركات المستبعدات».

في هذه اللحظة، حاول عقلي استحضار جميع النصائح الجيدة التي أُلقيت على مسامعي ذات يوم، وكان جميعها قد جاء من لوسي بالمناسبة، غير أن شيئًا منها لم يحضر، ولم يُؤهلني لهذه اللحظة. ولذلك وجَّهْتُ عقلي للتفكير في أُمِّي. إذا كانت أُمِّي تقف في هذه الغرفة الآن، ماذا عساها ستقول؟ إذا لم تكن أُمِّي تُدير هذا العرض بأكمله، واكتفت بدورها كونها أُمًّا لي فحسب، ماذا عساها ستدفعني لفعله؟

س تقول: «اب تسمي، وإياك أن تجرئي على التئهد».

وهكذا، ابتسمت. ابتسامة واسعة، لدرجة أن وجنتي باتتا تؤلمانني. وبذلتُ قصارى جهدي لئلا أتنهد.

سألت تابيثا: «ويلودين ديكسون؟».

فأومأت في إيجاب. وابتسمتُ في ترحاب. ولم. أتوقف. عن. الابتسام.

قالت بيرجندي: «ديكسون؟ أنتِ لستِ ابنة روزي، أليس كذلك؟».

أجبتُ: «بلى».

ثم سمعتُ صوت أُمي في رأسي يقول: «تحري قواعد الذوق!».

فأضفتُ: «بلى، سيدتي».

نظفُ كلاي حلقه، ثم قال: «حسنًا، دعينا نبدأ الآن، ويلودين».

وحمل بين يديه ورقة نقدية مُجعدة بقيمة دولار واحد، وأكمل: «لو أعطيتكِ هذه الورقة النقدية، ماذا ستفعلين بها؟».

هذا سؤال مخادع. ما زال وجهي محافظًا على ابتسامته. دولارٌ واحد. مم، ماذا يمكنني أن أفعل بدولار واحد؟ حسنًا، يمكنني أن أتبرع به لمتسول. يمكنني أن أشتري فطيرة مُحلّاة. أجل، سيدي، من فضلك، أود شراء فطيرة مُحلّاة بالدولار خاصتك. كلا، كلا! عليّ أن أفكر فيما هو أثنى وأعمق من هذا. يبدو التبرع به لجمعية خيرية أمرًا غاية في الوضوح والسهولة.

- سأذهب إلى أحد المتاجر التي تبيع كل شيء بدولارٍ واحد، وسأشتري علبة من أقلام الرصاص. وفي صباح أيام اختبارات التقييم القياسية، سأتجول في الردهات، وأبيعهم إلى الكسالى، أعني الطلاب الذين نسوا إحضار أقلامهم الرصاص. بثلاثة دولاراتٍ للقلم الواحد.

خيّم الهدوء على القاعة هنيهة، ثم أطلق كلاي نعيقًا ساخرًا أشبه بالضحك. وعلى الجانب الآخر، تغضنت شفتا بيرجندي، ثم سألت: «وماذا ستفعلين بهذا المال؟».

أجبتُ: «سأشتري المزيد من الأقلام الرصاص».

رأيتها تخط شيئًا على صحيفة التقييم، فتابعْتُ جوابي: «وحين أجنبي قدرًا سيرًا من المال، سأتبرع به إلى جمعية خيرية. أو ربما أستخدمه لشراء وليمة عطلة من أجل عائلة محتاجة».

ابتكار؟ تحقق. فطنة؟ تحقق. إيثار؟ تحقق.

ابتسمت تابيثا خفيةً، وأظن أنني ربما لمحتّها تغمز لي بإحدى عينيها.  
بعدما انتهى المُحكّمون من كتابة تعليقاتهم، تطلعت تابيثا إليّ، وسألت:  
«لدينا سؤال آخر لك، كيف تُعرّفين الوفاء؟».

شعرتُ بانسحاب الأدرينالين من جسدي دفعةً واحدة، حتى بدا لي ما  
بداخلي أجوف. وتلاشت ابتسامتي رويدًا.  
- الوفاء.

استغرقتُ وقتًا في نطق كل حرفٍ من حروف هذه الكلمة، أُمِنح لنفسي  
المزيد من الوقت لأفكر قبل أن أضطر إلى الجواب: «الوفاء هو... الوفاء هو أن  
توجد من أجل أحدهم. الوفاء يعني الإيثار، أن تؤثر غيرك على نفسك، أن تقف  
إلى جوار أحدهم حتى لو لم ترغب في ذلك. لأنك تُحبه».  
إيلين. كل ما رأيته عيناى في تلك اللحظة هو إيلين.

تلك الليلة حين استلقينا على فراشها، نتحدث عن ممارستها للحب أول  
مرة. كان استماعي لتلك التجربة مؤلمًا، وكأن أظفارًا تغرز في أحشائي،  
ولكني مكثتُ برفقتها تلك الليلة من أجلها. استمعتُ إلى كل شيء تفصيلًا،  
لأن هذا ما ستفعله من أجل صديقك المُقرَّب. ينتابني شعورٌ بأنها جالسةٌ في  
الردهة، تُفكر فيّ. وبمقدار حنقها عليّ، أعلم أنها تجلس في الخارج متسائلةً  
عما أفعله أمام هؤلاء المُحكّمين.

تابعتُ: «مرآة الوفاء عمياء كمرآة الحُب. (حتى لو تمنيتُ أن يكون كذلك)  
الوفاء هو أن تُخبر أحدهم حين يُخطئ، ويتراجع الجميع عن إخباره».

كم أشعر بالحرَج من نفسي، حين أخبرتُ إيل برفضى لمشاركتها في  
المسابقة. كما لو أن تنافسنا إلى جانب بعضنا بعضًا سيُفسد كل شيء كنتُ  
أحاول إثباته بمشاركتي. غير أن الحقيقة هي أنني، برفقتها، دائمًا ما أشعر  
بالقوة، وأكون على أفضل صورة ممكنة من نفسي.

أعتقد أن عالمي بأكمله قد صار إلى حُطام، وباتت الطريقة الوحيدة  
لإصلاحه هي أن أضمد شذرات هذا الحُطام، كل شذرة على حدة. وداخل  
عالمي، دائمًا ما تكون الشذرة الأولى هي إيلين.

\*\*\*

## الفصل السادس والخمسون

كانت مآدبة الغداء تضم لحمًا مشويًا بصلصة الباربيكيو، ولهذا ظننتُ أن تلك المآدبة ربما كانت عنصرًا خفيًا من تقييمنا النهائي، فليس ثمة إنجاز يمكن لامرأة جنوبية أن تحققه أفضل من القدرة على تناول اللحم المشوي دون أن تُلطخ ثيابها ببقعة واحدة. بعدما أنهينا الغداء، كان علينا جميعًا أن نحضر خطابًا رسميًا تلقّيه علينا روث بيركنز حتى آخره. فهي واحدة من ملكات جمال المراهقات بلوبونيت السابقات، تبلغ من العمر ثمانية وسبعين عامًا. وقررت في أثناء خطابها ألا تستخدم مُكبر الصوت، لأنه يُحدث صدى صوتٍ في سماعتَي أذنها، مما يعني أننا جميعًا حافظنا على ابتساماتنا وإيماءاتنا بالإنصات، بينما هي تتحدث إلينا بنبرة صوتٍ أقرب إلى الهمس.

مضى الوقت وكان ثمة لحظة مُربكة، حين انتظرت روث التصفيق من الجمهور، ولكن لم يكن لأحد منا أن يتيقن من إنهائها للحديث. انتهى بنا الحال إلى التصفيق، ثم صعدت السيدة كلاوسون إلى المنصة لتُعرب لها عن شكرها وتُقدم إليها باقةً من الزهور.

قالت السيدة كلاوسون: «حسنًا يا أنساتي. لن يتسنى لأيٍّ منكن المغادرة دون أن تُلتقط صورة لها من أجل الجريدة الرسمية. ستجدن الكراسي متراصة على امتداد الحائط، اجلسن بالترتيب الأبجديّ نفسه الذي كنتن عليه منذ الصباح. أمامكن خمس دقائق لتزيين وجهكن».

استدرتُ نحو هانا، التي كانت تجلس إلى جانبي بالمناسبة، وكشفتُ لها عن أسناني، ثم سألتُ: «هل هناك شيءٌ عالق في أسناني؟». هزت رأسها نفيًا، ثم قالت: «ماذا عني؟».

- كلا.

افترقنا واتخذت كلُّ منا طريقها صوب الكرسي المُحدد لها، بينما اندفع الجميع كالعاصفة الرعدية نحو دورة المياه. بقيتُ منتظرةً إيل لتجلس بجانبني كما كان الحال سابقًا، وعجزتُ عن حمل ذهني المشتت على التركيز على ما أريد قوله، ولكنني عزمْتُ على التحدث إليها. وعليَّ أن أفعل لا محالة. ارتمت إيل على الكرسي المجاور لي، تعلق إبهامها لتُزيل بقعة من صوص الباربيكيو عن ياقة سُترتها الرسمية.

- أراهن أن بإمكانهم التقاط الصورة دون أن تظهر البقعة داخل الإطار. أو ربما تُزال البقعة ببرنامج تعديل الصور.

تابعت إيل ما تفعله، وبدت لي أنها تعمل بجدٍّ لزيادة الطين بلة، لكنها لم تُجر جوابًا.

بدؤوا ينادون المتسابقاتِ واحدةً تلو الأخرى، فتنقل الواحدة منا إلى الكرسي السابق لها مع كل نداء. وحين لم يبقَ أمامي سوى فتاتين، قلتُ: «لا أريد أن نظل حانقتين على بعضنا بعضًا بعد الآن».

انتظرتُ جوابها، فلم تُجر واحدًا. والآن بتُّ على بُعد كرسيٍّ واحد من آلة التصوير.

- لقد كنتُ مخطئة.

انتقلنا محاذاة كرسيٍّ آخر.

أكملتُ: «كنتُ مخطئة تمامًا فيما قلت، ولا يسعني الاستمرار على هذا الحال. لا يسعني ألا أتحدث إليك كل يوم. أرجوك لا تغضبي مني».

- ويلودين؟

كان هذا نداء مالوري.

اختلستُ نظرةً إلى إيلين قبل أن أنهض عن كرسيٍّ. حسنًا، ستنهار دفاعاتها قريبًا. حتمًا هذا ما سيحدث.

- ويلودين؟

نداء آخر.

- ليس الأمر بهذه البساطة.

كان صوت إيل أجش، كما لو أنها لم تتحدث لأيام طويلة. أكملت: «إننا نحول إلى أشخاص مختلفين عما كنا عليه».

- هذا لا يعني أننا أصدقاء سيئون في حياة بعضنا بعضاً.

أعتقد أن تلك القطع بداخلي التي يتألف منها كياني، تلك التي بُنيت على الذكريات التي جمعتني وإيلين، هي أقرب ما في نفسي إلى نفسي. تابعت: «أنا آسفة. كنت عنيدة مُكابرة».

اتخذتُ جلستي على كرسيٍّ مرتفع صغير أمام تأثيرات الخلفية. ووقفت أُمي خلف المُصور، تشير إليَّ بسبابتيها، كما لو أنها ترسم ابتسامة على وجهها. فأخذتُ نفساً عميقاً، وتوسلتُ إلى نفسي أن تحملني على ابتسامة أخيرة. ابتسمي. ابتسمي. ابتسمي.

جلستُ إيلين في موضعي الأخير، مستندةً إلى الحائط، دون أن تكف عن فرك بقعة الباربيكيو في دوائر. وأنا لم أبتسم.

\*\*\*

بعدما انتهت فقرة التقاط الصور، انطلقنا جميعاً لترتيب مساحات خلع الملابس وراء كواليس المسرح. كان المسرح المحليُّ في منتصف المدينة قد صُمِّم وفقاً لمتطلبات مسابقة الجمال، مما يعني مساحات خلع الملابس المخصصة للسيدات تزيد على مساحة خلع الملابس المخصصة للرجال بأربعة أضعاف المساحة.

كان كل مقعد موسوماً باسم صاحبه. وجدتُ اسمي وقد خُطَّ على قصاصة ورقية مُلصقة على زاوية صغيرة من المرأة، عدا أنني وجدتُ فوق اسمي، خُطَّ بقلم تحديد أسود بحروفٍ بارزة، ما يلي: «دمبلين». بدت الكتابة أشبه بخربشة سريعة، كما لو أنه قد حُمِل على النطق باسمي، وعجز عن المقاومة. اختلستُ نظرةً عن يميني ثم أخرى عن يساري لأرى إن كان بإمكانني معرفة المُجرم.

ألقتُ إيلين بجميع مقتنياتهما إلى المساحة المخصصة بجانبني، فرأيتُ اسمها مُلصقاً على المرأة هو الآخر، ويبدو أننا مُرتبان ترتيباً أبجدياً للمرة الثالثة هذا اليوم.

التقت نظراتنا في انعكاس المرأة. ثم أشاحت بناظرها عني لتغوص داخل حقيبتها قليلاً قبل أن تُخرج قلمًا. اشرأبت إيلين بجذعها متجاوزة إياي، ومدت يدها إلى قصاصة الورق التي تحمل اسمي. راقبتها تُخربش حروف اسمي دون أن تأتي على ذكر كلمة «دمبلين» على ظهر الورقة، ممزقة قطعة من الشريط اللاصق، ثم أعادتها مجددًا قبل أن تُلصق الاسم مجددًا إلى المرأة. قلت: «شكرًا لك».

جلست إيلين على الكرسي المرتفع بجانبني، ثم قالت: «إنها مجرد كلمة، لا تعني أي شيء على الإطلاق ما لم تسمحي أنتِ بذلك». ثم استدارت برأسها إليّ، غير أن أعيننا لم تلتق في تلك اللحظة، وأكملت: «ولكن إن كانت تُزعجك، فإنها تزعجني أيضًا».

شعرتُ باسترخاء جسدي لأول مرة منذ وقتٍ طويل، لكن عضلات وجهي لم تشارك جسدي هذا الحدث، وآثرت أن ترتجف في توتر، قبل أن أنطق: «أنا آسفة للغاية». قالت: «أنا آسفة أيضًا».

هزرتُ رأسي نفيًا، واستطردتُ: «كلا. كلا، بل أنا المخطئة». تطلعت إليّ في تلك اللحظة، وأدركت ما اعترى عضلات وجهي من رجفة، فأخذت يدي بين يديها. كانت الغرفة قد بدأت تعج بالمزيد من الفتيات من كل حدبٍ وصوب.

فقالت إيلين: «تعالى معي».

تبعتها، وهي لا تزال قابضة على يدي، تقودني إلى أريكة جلدية صغيرة متهالكة، تبعد بضع أقدام عن مكتب مدير المسرح. غاصت أجسادنا في الأريكة، ودون أن تفتعل من الأمر ضجة كبرى، أراحت إيلين ساقها فوق ساقِي، ثم قالت: «حسنًا، تحدّثي الآن».

- حسنٌ. لقد جنّ جنوني حين اشتركت في المسابقة. ثم تملكني الغضب مرة أخرى حين اعتراني الغضب منك. ولم أتخلّ عن شعوري بالغضب قط، وكذلك فعلتِ أيضًا.

هزرتُ رأسي في يأس واستطردتُ: «أعلم أنه قد مضى وقتٌ طويل على هذا. ولكننا انجرفنا مع الغضب، وابتعدنا عن بعضنا بعضًا».

أومات إيلين موافقةً. فتابعت: «يُرعبني ما يحدث بيننا. ولا أريد أن أشعر بالانفصال عنك. ولكن ربما لا يفترض بنا أن نفعل كل شيء معًا كما كان الحال سابقًا. ربما يُفترض بنا أن نحظى كل واحدة منا ببعض الحرية».

ارتجف جسدي، باحثةً عن الكلمات المناسبة لاتباع حديثي: «كان من الصعب قبول أمر كهذا، لكن ما أريده حقًا هو أن أراك سعيدة، تكونين صداقاتٍ جديدة. حتى لو كانت صداقات مع أشخاص من أمثال كالي. كل ما أريده هو ألا أشعر بالغيرة منك».

لم أتحلّ بالجرأة يومًا لأعترف بشيء كهذا. وأظن أن أشد ما أخافني في هذا الأمر هو أن أسمح لنفسي بالتفكير فيه، ولكنني أدركت أنها الحقيقة في اللحظة التي نطقْتُ بها تلك الكلمات.

تابعت: «لا أقصد بالغيرة تلك المطاردة المريبة، ولكن أحيانًا ما أشعر أن حيواتنا تتقدم في سرعاتٍ مختلفة، حتى بات من العسير ألا أخشى أن خطواتك قد تسبقني، فأظل في المؤخرة».

اجتاحها نوبةٌ من الضحك ملء رئتيها، ضحكة أشبه بحازوقة. قالت أخيرًا: «لن أسبقك إلى أي شيء في أي وقتٍ قريب. وإن كنت تقصدين ممارسة الحب... أنا أحب تيم، حسنًا؟ ولكن عليك أن تعلمي أن هناك منحنى لما نمر به».

انحسرت كتفاهما قليلًا، حين تابعت مُضيفةً: «ربما أنا أيضًا أغارُ منك أحيانًا. أنتِ لا تهتمين لأناس أمثال كالي أو أيٍّ من الفتيات اللاتي أعمل معهن. ولكنني أحتاج إلي أن يتقبلنني بينهن. وهذا ما يطرد النوم من عيني كل ليلة حتى الصباح. أخبركِ أمرًا؟ أنا لا أراهن صديقات جيدات حتى. لكن عقلي لا ينفك يحتفظ بهذا الصوت الذي يطاردني كل ليلة ليسألني: كم من الناس يتقبلونكِ، وأنا أهتم لهذه الأمور، حتى لو كنتُ لا أرغب في ذلك».

علت وجهي ابتسامة هادئة، وتراخت القبضة المُحكمة على قلبي شيئًا فشيئًا. قلتُ: «أنتِ صديقتي المُقرّبة، إيلين. واحتفظتِ بمكانتكِ في قلبي طوال الشهرين الماضيين. لطالما كنتِ أنتِ أقرب الناس إليّ. ولم تختلف معاملةكِ لي قط، ليس كما يفعل الآخرون أحيانًا. وأعلم كم أنا جيدة في إظهار حقيقتي، أن أقول دائمًا: «هذه أنا، إما أن تتقبلني وإما تغرب عن وجهي»، ولكن...».

ما هذا بحق المسيح! ثمة الكثير والكثير مما لم أخبرها به، ولهذا قررتُ أن أحكي لها كل شيء منذ البداية.

- ولكنني التقيتُ شابًا هذا الصيف. إنه بوو، طالب المدرسة الخاصة، الذي يعمل برفقتي في هاربيز. وتبادلنا القبل.

- ولم تُخبريني؟ يا للهول، ويل، هل هذا صحيح؟

وصفعت ذراعي بيدها. هزرتُ رأسي نفيًا. وأجبتُ: «أعلم ما تفكرين فيه. أنا آسفة حقًا. ظللنا نتبادل القبل. وهكذا استمر حالنا طوال الصيف».

- يا إلهي! لقد مارستما الحب. هل كان رائعًا؟ يا إلهي، كم أنا حانقة عليك لأنكِ لم تُخبريني بشيء.

ضحكتُ في ارتياح، ثم أجبتُ: «كلا. كلا. لم نفعل. لم نمارس الحب. ولكنني أحببتُ ذاك الشعور الذي يغمرنني حين أكون برفقته».

شعرتُ وكأن لفائف عقلي تُشبه كُرّة من الخيط تنفك خيوطها رويدًا رويدًا.

- ولكن بعد ذلك... هل انتابكِ الفزع من قبل حين يتحسس تيم جسدكِ؟ أعني في بداية علاقتكما.

أراحتُ رأسها على كتفي. وأطلقت زفيرًا طويلًا، ثم أجابت: «تَبًّا! أجل، انتابني هذا الشعور، تيم يتحسس خصري أو بشرّة على ذقني أو أي شيء، وكنتُ ألتزم الصمت كما لو كنتُ شخصًا معتوهاً».

تغمدني شعورٌ بالإدراك وانشرح صدري لما ألفتَه فيه من ارتياح.

- هذا ما يحدث لي تمامًا عندما يتحسس بوو جسدي. في البدء، عندما نتبادل القبل أشعر وكأنني غارقة في الثمالة، وحين يُحرك يديه يتحسس دهون ظهري الزائدة أو فخذَي البدينتين، أفقد أي شعورٍ بالإثارة في تلك اللحظة.

- لا أصدّق أنكِ أخفيتِ عني شيئًا كهذا. يحق لي أن أكون غاضبة منك.

كان صوتها هادئًا، رغم ما في كلماتها من حق.

- أعلم، أعلم ما تقولينه. وأنا آسفة حقًا لهذا. ولكن أتعلمين، كان كل هذا يحدث معي، ثم أتيتِ أنتِ لتُخبريني أنكِ وتيم ستمارسان الحب. وحينها شعرتُ أنني على وشك الانفجار. لم يكن شعورًا كُليًا بالغيرة،

بل شعرتُ وكأنني فتاةٌ صغيرةٌ عديمةُ الخبرة في أمور الحب. وعجزتُ -وما زلتُ عاجزة- عن تصور أنني قد أدع أحداً يراني على تلك الحالة. - أوه، ويل!

- وهذا ما أزعجني حقاً، شعرتُ وكأنني سأخسرُك. ولكن شعرتُ بالتقزز من نفسي في الوقت ذاته. ثم حملتني تلك المشاعر المتنافرة بأكملها على أن أغضب من نفسي، لأنني لم أرِد أن أكون واحدة من تلك الفتيات التي تشعر بالسوء حيال نفسها بسبب شاب.

اعتدلت إيلين في جلستها، فاستلقيتُ برأسي على حجرها، وشرعتُ تُخلل خصلات شعري بأناملها. قصصتُ عليها كل شيء إجمالاً وتفصيلاً، كل شيء يتعلق ببوو حين التقيناه في المركز التجاري، حين لم يُخبرني أنه قد انتقل إلى مدرستنا، وميتش أيضاً، والحفل الراقص، وليلة الهالوين، والعودة إلى العمل مجدداً في هاربيز. وعُدنا إلى ببو مجدداً، قصصتُ عليها كل شيء عن ببو. أخبرتها كم سُنُحِب شخصيته حين تلتقيه، وكم يود هو أن يكون صديقي الحميم.

استطردتُ قائلةً: «يريد أن يضع مسمى لعلاقتنا، وأنتِ تعلمين جيداً أننا لن نتخطى يوماً واحداً في المدرسة دون أن نتعرض للسخرية. أما هو فلا يدرك تلك الحقيقة».

- حسناً، اسمعيني. الكثير من الناس حمقى وأغبياء، اتفقنا؟ لن أخدعك في شيء كهذا، ولكن انظري إليّ وإلى تيم. تعلمين أن قامته أقصر من قامتي. أعتقدين أن الآخرين لا يسخرون منا؟ حسناً، إنهم يسخرون ويقولون ما يشاؤون.

ما قالته إيل صحيح، ولكن حتى هذه اللحظة، لم أسمعها يوماً تذكر شيئاً كهذا قط.

تابعت إيل: «ولكنك لا تحظين دائماً بفرصة اختيار الشخص الذي سيقع قلبك في حُبه. وحتى لو أُتيحت لنا دائماً فرصة الاختيار، حينها سأختار تيم أيضاً. سيكون هو خيارى الأول في كل وقت. ولذلك عليك أن تفكري في أن هذه العلاقة لا تدور سوى بين اثنين فحسب. أما هؤلاء الحمقى، فما هم إلا مُتفرجون ملولون. أما أنتِ وبوو وقُبلاتكما خلف صندوق القمامة قُرب هاربيز، فهذا هو كل ما يفكر فيه قلبك. أما مواعدتكما، علاقتكما الحصرية،

فهذا هو كل ما يفكر فيه عقلك. إن قلبك واقع في الحب لا محالة، ولكن هذا لا يعني أنه لا يسعك الاختيار. ومما يبدو عليه الأمر، أرى أن بوو قد اتخذ قراره بالفعل».

كم هو سهل أن أعترف بذلك في قرارة نفسي، وحتى بصوتٍ مسموع، ولكن الفعل نفسه، أن آخذ بيده وأقول: «أنا أستحق هذه السعادة. نحن نستحق هذه السعادة»، فهذا هو ما يُرعب أوصالي.

قلتُ: «كنتُ خائفة من أن تكونا قد انفصلتما، أنتِ وتيم. لقد رأيتكِ تبكين في الردهة ذلك اليوم».

توقفت يدها عن مداعبة شعري هنيئةً، وأخذت نفساً عميقاً، قبل أن تجيب: «إن والدي يتشاجران ثانية. وذهب أبي للمبيت على أريكة الخدم. لقد عاد الآن، ولكن أشعر أن ما سيحدث ربما كان النهاية. لا أدري حقاً».

- يا إلهي، إيل! أنا آسفة حقاً.

- لقد أردتُ أن أخبركِ كثيراً، ولكنني كنتُ مُكابرة. وحمقاء أيضاً.

- كلا، بل كان ينبغي لي أن أذهب وراءكِ إلى دورة المياه حين رأيتكِ في هذا اليوم.

قالت: «لا عليك. هذه ليست المرة الأولى كما تعلمين. بعض الأمور تجدونها مستعصية على الإصلاح، ولن تستمر إلى الأبد».

أجفل قلبي حين تداركتُ هذه الحقيقة. فاعتدلتُ في جلستي أنا الأخرى، والتزمنا الصمت في أماكننا لبعض الوقت، متعانقتين مثل زوجين من القطط.

\*\*\*

## الفصل السابع والخمسون

انتهى بي الحال مُمضيةً فترة ما بعد الظهيرة بأكملها برفقة إيلين وتيم. وحين وصلنا إلى منزلي، لاحظتُ أن شاحنة بوو مصطفة أمام المنزل. سألت إيل: «مم، أهذا من أفكر فيه؟».

وقف بوو منتظرًا أمام الباب الأمامي لمنزلي، واستقر بجانب قدميه على الأرض صندوق أدوات معدني كبير.

تحرك تيم بالسيارة على امتداد الممر أمام منزلي، وقفزت إيل مترجلةً من السيارة، حتى يمكنني التمرُّج من المقعد الخلفي لسيارة الجيب. ثم سرْتُ عابرةً الردهة الأمامية، وكنتُ أشعر بإيلين في إثري. فالتفتُ إليها إن فجأةً، وسألْتُها: «ماذا تفعلين؟».

- أريد أن أتابع المشهد.

- كلا. لن يحدث، بل ستذهبين إلى منزلك.

فقلت: «اتصلي بي».

ثم تابعت بصوتٍ مرتفع: «لا. تنسي. أبدًا».

- حسنًا.

منحتني إيل عناقًا، فتشبَّثُ بها هنيهةً طالت قليلًا، علَّ جزءًا من إرادتها يتسلل إلى قلبي، فيطمئنني. عادت إيل أدراجها، وانتظرتُ قليلًا لكي يخرج تيم بسيارته من الممر، قبل أن أخطو الخطوات القليلة التي تفصلني عن بوو. قلتُ: «هل هذا غزوٌ لمنزلي أم ماذا؟».

استدار متفاجئاً وكأنه لم يسمع مُحرك سيارة تيم الذي أعلن وصولي للتو. فلاحظت طوق الأدوات البُنِّي من الجلد الصناعي الذي يتدلى من خصره، ثم أجاب: «أقسم لك إن الأمر ليس مخيفاً كما يبدو لك».

- بل يبدو مخيفاً للغاية.

ظلت ابتسامته مشرقة على حالها، رغم ما طرأ عليها من توتر، لكنه استطرد أخيراً: «كنتُ أساعد والدي في قضاء بعض الأعمال، حينما التقينا مصادفةً والدتك في محطة الوقود. أعتقد أنهما قد تواعدا لفترة قصيرة في أثناء المدرسة الثانوية».

انطلقت ضحكة من أعماق قلبي، قبل أن أجيب: «لستُ مدهوشة على الإطلاق».

- لقد ذكرت لنا الباب الأمامي مجدداً. والدي... حسناً، في الحقيقة، لقد تطوعتُ لإصلاحه. وأتمنى ألا يكون هذا غريباً أو مُحرجاً.

جلستُ على بسطة المنزل، فجلس إلى جوارِي كما فعلت. ثم قلتُ: «غريب بعض الشيء».

ألجمت كلمات لم تُنطق -ولم أكن أدري كيف أصيغها- أنفاسي. فلم أجد سوى أن أسأله: «وهل أصلحته؟».

- في الحقيقة، كانت المشكلة غاية في البساطة. ولا يمكنني أن أصدق أنكم قد تركتم هذه المشكلة دون إصلاح كل هذا الوقت الطويل.

جذبتُ ركبتيَّ إلى صدري محتضنةً إياهما، قبل أن أجيب: «لستُ مضطراً إلى الاستجابة إلى طرقاتٍ على بابٍ أمامي مُعطل».

مدَّ يده من خلفي، وأدار مقبض الباب، فانفتح الباب على مصراعيه، وقال: «لا مزيد من الأعذار الآن».

- أجل.

ثم أشرتُ إلى رقبته، وأضفتُ سائلةً: «ما حكاية هذه القلادة؟».

جذب القلادة من أسفل قميصه، ليكشف عن ميدالية صغيرة، وأجاب: «القديس أنطوني. من المفترض لها أن تساعدك في إيجاد الأشياء الضائعة».

- وما الذي تبحث عنه؟

فأجاب: «لا أدري».

دسّ القلادة مجدداً أسفل ياقة قميصه، ثم تابع: «أحياناً ما أظن أنني قد وجدتُ ما أبحث عنه، ثم تأتي أيام أشعر فيها أن ما أبحث عنه قد وجد الطريق إليّ».

أومأتُ له في تفهّم. ثمة شعورٌ بالسكينة يغمر المرء، حين يعلم أن لكل شخصٍ ينتظر رفيق روحه، هناك شخصٌ آخر في مكانٍ ما لم يزل يبحث عنه.

- ويلودين؟

- أجل؟

نهض واقفاً ومدّ يده حاملاً صندوق أدواته المعدنيّ، ثم قال: «تبدّين مثل مسؤولة في إحدى شركات التأمين».

\*\*\*

## الفصل الثامن والخمسون

استيقظتُ من النوم لأجد أن أُمي قد دَسَّت نسخةً من جريدة اليوم من أسفل باب غرفتي. أفردتُ طيتها، لأجد وجهي يستقبلني على الصفحة الأولى، في منتصف طية الجريدة. ومن أعلاها يقول العنوان الرئيسي: «ملكة جمال المراهقات بلوبونيت لمدينة كلوفر سيتي: حان وقت الكشف عن أوجه المتسابقات».

كانت الصفحة الأمامية بأكملها مُغطاة بصورنا الفوتوغرافية التي التقطت في اليوم السابق، ومن أسفل صورنا، حُطَّت أسماؤنا وأعمارنا وأطعمتنا المفضلة، وتعريف كل واحدةٍ منا لمدينة كلوفر سيتي في كلمة واحدة. أظن أن أُمي لم تحظَ بفرصة الاطلاع على هذه الجريدة قبل أن تشق طريقها إلى المطبعة، ولكن على أي حال، ها أنا هنا، بوجهي غير المبتسم، وتعبيرات وجهي القائمة.

كان اليوم هو يوم البروفة، وعليه فقد جلسنا جميعًا في قاعة المسرح لوقتٍ طويل، ننتظر الانتهاء من إعدادات الإضاءة. وفي هذه الأثناء، استدارت إلينا ميراندا سولومان، الهبة التي أنعم بها على المسرح المحلي لمدينة كلوفر سيتي، في مقعدها وشرعت توضح لي وإيل وهانا وأماندا وميلي أن العادة تقتضي قضاء نصف البروفات النهائية في الجلوس وانتظار ضبط المُعدات. رفعت كتفيها في غير اكتراث وقالت: «هذه هي طبيعة الحال».

وعندما نهضت ميراندا لتلحق بدورة المياه، استدارت إيلين نحوي بكتفين محدبتين، ونبرة صوتٍ مرتفعة، كمن تُقلدُ ميراندا، ثم قالت: «هذه هي طبيعة الحال».

كانت كالي تجلس على بُعد بضعة صفوفٍ من خلفنا، برفقة فتاة أخرى تعمل في متجر سويت 16 كنتُ قد تعرّفتُ على ملامحها. لا أنكر أنني بذلتُ جهدًا جهيدًا حتى لا أبدو فتاة متعجرفة، ولكن هذا ليس بالأمر اليسير. وعدا ذلك، كان كل شيءٍ من حولنا هادئًا على نحو يُثير الفزع. فمن المتعارف عليه أن مسابقات الجمال هي كوارث مُحققة في طبيعتها. عليك أن تبدو فاتنًا، أن تكون مثاليًا، والأهم من أن تكون مثاليًا فاتنًا، هو أن تكون الأفضل في تحقيق هذه المثالية. نوبات التوتر والقلق تسيطر على المكان، ولا يخلج أحدٌ هنا من إظهارها. وبخاصة ميلي، التي تُمنطق ساقها بقوة لدرجة أنني شعرتُ باهتزاز كرسيٍّ وأنا على بُعد ثلاثة مقاعد منها.

التفتت إليَّ إيل مجدداً، وسألت: «إذن، هل ستؤدين حقاً تلك الخدع السحرية؟ تعلمين كم أحبكِ، ولكنها كانت مشهداً هزلياً».

- حسناً، ليس لدي خيارٌ آخر الآن.

- لا أدري، ربما كان هذا صحيحاً لو كنتِ مهتمةً لأن تصبحي غير مؤهلة، ولكنكِ لا تهتمين.

لم تكن فكرة تغيير الموهبة إلى شيءٍ مختلفٍ تماماً، قد خطرت ببالي حتى الآن. أجبتُ: «ليس لدي موهبةٌ يمكنني الاعتماد عليها حقاً».

التزمت الصمت هنيئاً، غارقة في أفكارها وتلوك خصلات شعرها بين شفتيها. ثم شهقت حين وانتهت فكرةٌ ما، وهمست بها في أذني. لم أكن بحاجة إلى ما يزيد على ثلاث كلمات حتى تتبلور الفكرة في رأسي. وبعدما انتهت، استكانت بظهرها على الكرسي، منتظرةً جوابي.

يمكنني تخيلُ المشهد بأسره تماماً. أعلم أنه لا مجال لي للفوز بهذه المسابقة، ولهذا ربما تسنح لي الفرص بألا أخرج خالية الوفاض، وأحقق شيئاً من المجد.

- يمكنني أن...

جاء صوتٌ من النعيق الصادر من مؤخرة المسرح: «ميلي رانيه ميشيلشوك!».

كانت هذه الاهتزازات التي شعرتُ بها طوال نصف الساعة الماضية قد توقفت، حين استحال جسد ميلي بأكمله إلى كتلة جليدية. رفعتُ رأسي، متطلعةً من خلف كتفي، لأرى والدتها تندفع على امتداد الممر بين المقاعد. أما والدها فلم يكن ببعيدٍ عن هذا المشهد.

استدرتُ مسرعةً ولكزتُ هانا في جنبها، ثم صحتُ بصوتٍ هامس: «ما الذي يحدث؟».

عبرت ميلي من بيننا جميعاً حتى تلتقي والدتها في منتصف الممر. ورفعت ذقنها لأعلى في شموخ، تأخذ شهيقاً وزفيراً هادئاً.

استغرقت عينا هانا ثانية واحدة لتستوعب الأمر، ثم قالت: «أوه!». وندت عنها ضحكةٌ خافتة استترت خلف قبضتها.

- ماذا؟

- لقد كذبتُ. لقد كذبتُ بالتأكيد.

صار الجميع يتطلعون الآن، بما في ذلك فنيو الصيانة والتكنولوجيا. قلتُ: «هل تُمازحينني؟».

على الجانب الآخر، قالت السيدة ميشيلشوك، موجهةً حديثها إلى ابنتها: «ميليسنت، لقد كذبتِ علينا. دون أن تخجلي».

أجهشت عينا السيدة بالبكاء، وصار من الواضح تماماً للعيان أنها لا تضع مستحضرات تجميل مضادة للماء. أما والد ميلي، فقد وقف خلف زوجته، عاقدًا ذراعيه: «لقد تلاعبت بنا من وراء ظهورنا، بعد أن قررنا رفض التوقيع على الاستثمار. لماذا... لماذا تفعلين شيئاً كهذا؟».

- هل هذا صحيح؟

كان هذا تساؤل أمي، التي وقفت على خشبة المسرح، متأبطةً حافظة الأوراق أسفل ذراعها. استدارت ميلي نحو أمي، وكانت قد قبضت براحتها على جانبي خصرها، ثم قالت: «لقد زوّرتُ توقيع أمي».

تقطّبت ملامحها لوهلة كما لو أنها على وشك البكاء، ثم استدارت متطلعةً إلى والديها مجدداً، وقالت بصوتٍ غلبه الهدوء: «لكنكما مخطئان. أعلم أنكما تريدان حمايتي. أعلم هذا جيداً، ولكن... ولكن أحياناً كل ما أحتاج إليه منكما هو أن تدعماني».

عبس وجه أُمي إثر هذا الموقف، وقالت: «دعونا نناقش الأمر في الردهة الخارجية».

قطعت ميلي الممر بين صفوف المقاعد، وتبعته أُمي على مقربة منها. وعلى الجانب الآخر، نهضت عن مقعدي، وقفزت من فوق ساقَي إيل الطويلتين. سألت إيل: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

- عليّ أن أساعدها.

ركضتُ عبر الممر، ودفعْتُ الباب لينفتح على مصراعيه، بالقدر الذي جعل كل من في القاعة يسمع أُمي حين قالت: «أنا آسفة، ولكن لا يمكننا السماح لك بالمنافسة دون موافقة الأبوين».

صُفِع الباب منغلِقاً خلفي، ولم أَتَوَّانَ لحظة قبل أن أقول: «يجب أن تنافس ميلي في المسابقة».

استدار والدا ميلي نحوي، فوجهتُ حديثي إليهما: «لقد عملتُ بجدٍّ حتى تصل إلى هذه المرحلة. إنها ليست فتاة هشة. ليست كذلك على الإطلاق، بل تمتلك قدرة تحمُّل تفوق ما يمكن أن تتوقعاه منها. الجميع في هذه الغرفة، حتى هذه الفتاة ذات الساقين الطويلتين والشعر الحريريِّ الناعم، يُدركن جيداً شعور أن تتعرض للتنمر. أنا وميلي ندرك هذا الشعور أيضاً، وكذلك أماندا وهانا وإيلين».

أشرتُ نحو أُمي، ثم تابعتُ: «حتى إن أُمي تدرك هذا الشعور أيضاً. ولكن لا يمكننا أن نعيش حياتنا مختبئين في الظلمات من الخوف طوال الوقت، هذه ليست الطريق المناسبة لنُحقق شيئاً في حياتنا».

مدَّت ميلي يديها تحتضنان يدي وتربَّتان عليها في حنو، ثم قالت: «أريد خوض هذه المسابقة. لقد حلمتُ بالمشاركة في هذه المسابقة لوقتٍ طويل، حتى نسيْتُ متى بدأ هذا الحُلم. ولا يوجد قاعدة تمنع مشاركة الفتيات البدينات».

أجفلت والدتها حين سمعت بالكلمات الأخيرة، وأطاحت دمعاً قد وجدت طريقها إلى وجنتيها في تحفظ.

تابعت ميلي: «إن الشيء الوحيد الذي يمنعني من ملاحقة حلمي هو أنتِ يا أُمي».

تطلعت السيدة ميشيلشوك إلى لافتة المسابقة الضخمة، التي علقت فوق أبواب القاعة، ثم نكست ناظرها متطلعة إلى أمي، التي قابلت نظرتها بابتسامة فاترة. واحتضنت يداها يدي زوجها، ثم استدارت نحو ميلي وأومات لها في إيجاب.

سرنا عائدين أدرجنا جنباً إلى جنب إلى القاعة، حيث يبدو أن جميع الفتيات الأخريات قد جلسن يسترقن السمع لما يحدث. استدار القليل من المتسابقات، ليمنحن ميلي ابتسامة مُشجعة، حين دلفنا إلى الممر الخاص بمقاعدنا. أمسكت إيلين بيدي، ثم يد ميلي، التي تشابكت أصابعها بأصابع أماندا. ثم التفتُ إلى الجانب الآخر مني لأواجه هانا، رافعةً كفي. أخذت هانا نفساً عميقاً قبل أن تُمسك بيدي هي الأخرى.

سرت بيننا نحن الخمس ذبذبات رابطة أقوى من أي تاج قد يغني عنها، وللمرة الأولى منذ بدء مسابقة الجمال، أدرك أنه أنا من له اليد العليا.

\*\*\*

عندما حان الوقت أخيراً لأداء البروفة، كان الوضع فوضوياً تماماً. لم تُؤدَّ أي واحدة منا عرض موهبتها، فلم يكن ثمة وقت يتسع. وانزلت كالي عن المنحدر في أثناء أداء الرقصة الافتتاحية. وفشلت جميع إشارات البدء الخاصة بنا في تنظيم الأمر. كان ثمة العديد من السقطات، والدموع كذلك. وبعض قطرات الدماء أيضاً إذا أردنا الاعتناء بالتفاصيل. في نهاية الأمر، كان هذا ما توقعته تماماً. مكتبة ياسمين

حين عدنا إلى المنزل، غاصت أمي بجسدها في أعماق الأريكة، تقبض على زجاجة من الشامبانيا الرخيصة، كما هو حالها كل عام في هذا التوقيت تحديداً. فعند الوصول إلى هذه النقطة، لم يبقَ شيء آخر يمكنها إنقاذ الموقف به، وإذا كان ثمة شيء، فقد فات الأوان الآن على بذل أي جهد. وكل ما يمكنها فعله هو أن تدع الأمور تسير كما يمكن لها أن تسير. (هذه كلمات أمي، وليست كلماتي).

جلستُ إلى طاولة المطبخ، ووضعتُ بجانبني صندوقاً كبيراً من الورق المقوى، وبضع زجاجات من الطلاء الصناعي ومقصاً. وبطريقة ما تعين علي أن أصنع لافتة دعائية من أجل الرقصة الافتتاحية. نادراً ما أمعنتُ التفكير في أي شيء يتعلق بالمعلم السياحي البارز الذي كُفِّتُ به، وهو كاديلاك رانش،

منذ ذلك اليوم في بروفة الرقص. في العادة، كنتُ سأتجاهل مثل هذه المهمة، وأتخلص منها كما أتخلص من أبهة هذه المسابقة الغبية، غير أن الأمر بدا مُمتعاً في حقيقته. لا شك في أن تكساس تمتلك جميع المعالم السياحية الشهيرة التي سمع بها الجميع، ولكننا نمتلك الكثير من النفائس المغمورة أيضاً، مثل أضواء مارفا أو بئر يعقوب أو وادي الديناصورات أو حتى تمثال برادا الذي يبعد بضع ساعاتٍ قليلة من كلوفر سيتي. أعتقد أن كاديلاك رانش تقع ضمن هذه الفئة من المعالم غريبة الأطوار. إنها تتميز بطابع تكساس في أدق تفاصيلها، ومع ذلك تبعد تمامًا عن الصورة النمطية للمعالم السياحية.

إن كاديلاك رانش هي تلك المنشأة الفنية العامة التي تقع في مدينة أماريلو، وتجمع بين دفتيها كل هذه المركبات القديمة التي دُفنت مقدماتها في الأرض، وتحتل الصفوف الأولى على جانب الطريق السريعة. ومع مرور الزمن، بهتت ألوان طلائها، ونُشرت حملاتٌ دعائية تُشجع الزوّار على طلاء السيارات برذاذ الطلاء. ولذلك، وبكل وضوح، ليس لدي أي فكرة عما يمكنني أن أفعله لتنفيذ لافتة دعائية لائقة، تقول: «أنا كاديلاك رانش طبعاً».

هامت أُمي على وجهها في المنزل، باحثةً عن بعض قطع الثلج. أجل، إن أُمي تتجرع الشامبانيا مضافةً إليها قطع الثلج.

- أهذا ما تفعلينه من أجل مشروعٍ مدرسيٍّ؟ إن أمامك يومًا حافلًا غدًا، وعليك أن تأخذي قسطًا من النوم الهادئ هذه الليلة، دمبلين. حسنًا، ستقتلني أُمي لأنني لم أنهِ هذا المشروع في وقتٍ مبكر. - إنها من أجل... مم.. اللافتة الدعائية للرقصة الافتتاحية.

جلست إلى جانبي، وقالت: «يا إلهي!».

فأومأت لها بإشارة تعني أنها على حق.

- حسنًا، حسنًا، يمكننا إنهاؤها.

وتطلعت إلى قصاصة الورق التي تحمل تفاصيل المهمة، ثم قالت: «كاديلاك رانش».

راقبتها حين نهضت عن مقعدها، وأحضرت كأسًا بلاستيكية من خزانة الأطباق، وسكبت بضع رشقاتٍ من الشامبانيا، ثم مدّت إليَّ يدها بالكأس.

أخذتُ كأس الشامبانيا، ولم أجر جوابًا، فلم أُرِد أن أغير رأيها لأي سببٍ مهما كان.

قالت: «هل تعتقدين أن هذا الصندوق سيناسب مقاس خصركِ؟».

أمعنتُ النظر في الصندوق هنيهةً، وارتشفتُ رشفةً من كأس الشامبانيا، حتى شعرتُ بغرغرتها في صدري. ثم أجبتُ: «أجل».

- حسنًا، اركضي إلى المرآب، وأحضري لفيفة من المطاط العريض، ومسدس الشمع وصندوق رذاذ الطلاء خاصتي.

عدتُ إلى المطبخ مجددًا وبحوزتي جميع الأدوات المطلوبة، فوجدتها وقد بدأت العمل على الصندوق. أحدثتُ شِقًا في المنتصف باستخدام سكينٍ من طراز إكس-أكتو، فقالت: «دمبلين، ستحظين بأفضل لافتة دعائية في الرقصة الافتتاحية تلك».

سمعتُ كلماتها، فارتشفتُ رشفةً أخرى من الكأس، وشعرتُ معها وكأنني تجرعتُ الرضا حد الثمالة. بعد عدة ساعات، وزجاجة واحدة من الشامبانيا، قلتُ: «أمي؟».

فأجابت: «أجل، دمبلين؟».

- كان هذا لطفًا منك أن تدعي ميلي تستكمل المسابقة. رغم كذبتها. أنهت أمي كأسها، ثم أجابت: «إنها فتاةٌ جيدة. ورائعة أيضًا. وتمتلك ابتسامةً مُحببة».

انتظرتُ أن تُعلّق أمي بشيءٍ عن حجم جسدها، الموضع المُجحف الذي وضعت نفسها فيه، غير أن كل ما فعلته هو أن فتحت زجاجة شامبانيا أخرى. أنهينا طلاء الطبقة البيضاء الأولى في صمت، وعندما أوشك الطلاء على الجفاف، شعرتُ بشيءٍ بارد يُنثر على خدي. تحسستُ خدي بطرف إصبعي، ثم قلتُ: «أوه، كلا، لم تفعليني!».

وبحركةٍ سريعة نفضتُ ما التصق بإصبعي على أنفها. غرقنا في الضحك، وعلت نوباتٌ من الضحك الجنوني في خلجات صدورنا. هذا النوع من الضحك الذي تعجز معه عن التوقف، الضحك الذي يؤلم صدرك، ومع هذا لا تكف عنه. أعتقد أنني غارقة في الثمالة، وأعلم أن أمي هي الأخرى غارقة معي. ولكنني

أحببتُ ما خالجنِي من شعور، فَمَن يحتاجُ إلى نومٍ هادئٍ حينما يكون في جعبته زجاجة من الشامبانيا؟

عندما أنهينا المشروع في الواحدة صباحًا، غادرنا المطبخ، وتركنا الطاولة مُغطاةً بصفحاتٍ من الجرائد المُلطخة عشوائيًا بالطلاء، وقطع متناثرة من الورق المُقوى. قفز ريوت إلى سطح الطاولة، وتشمم مشروعنا الذي أنهيناه للتو. كان فراء ذيله يضرب مُجسم الكاديلاك من الورق المقوى المغطى برذاذ الطلاء، ويتلمس المُجسم. ارتديتُ المُجسم للتجربة، فاستقر متدليًا من كتفَيَّ بشرائط مطاطية مرنة، عالقًا حول خصري مباشرةً. بدا مظهره سخيًا للغاية، غير أنه هذا السخف الذي يجعل الأمر مثاليًا للغاية.

قبل أن نذهب إلى النوم، فتحتُ الباب الأماميَّ لمنزلنا. كان الشارع من أمامنا هاديًا تُخيم عليه ظلمة الليل. ومن موقع المراقبة المتميز هذا حيث وقفت، شعرتُ أن منزلي قد استحال إلى منزلٍ آخر يحمل فرصًا جديدة. أطفالُ أُمِّي أضواء الردهة من ورائي، فأغلقتُ البابَ الأماميَّ، وأحكمتُ قفل المزلج.

حين استلقيتُ على الفراش، بعثتُ برسالةٍ إلى إيلين تحمل قائمةً بجميع الأشياء التي سأحتاج إليها من أجل موهبتي غدًا. فأجابت بخطٍ عريض: «باهر!».

كانت قطرات الشامبانيا لا تزال تُبحر في عروقي، فهددت أفكارِي حتى النوم. وهذا أمرٌ باهر لا محالة!

\*\*\*

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

## الفصل التاسع والخمسون

إيلين: «إنه يوم العرض النهائي يا أصحاب. إنه. يوم. العرض. النهائي!». كانت رسالة إيل هي أول شيء يحملني على البسمة في هذا الصباح. غير أنني استيقظتُ من النوم أعاني نوبة من الشكوك. هل ما حدث ليلة أمس قد حدث حقًا؟ نكستُ رأسي ناظرةً إلى كلتا يديَّ، لأجد قشورًا مُلطخة من الطلاء الجاف منتشرة على يديَّ.

لا يزال أمامنا بضع ساعات أخرى قبل أن نغادر المنزل، ولذلك استغرقتُ وقتي في تنظيف جسدي بأكمله، وزينتُ شعري بدبابيس شعر معدنية مموجة، حتى ابتكرتُ تسريحة شعرٍ أشبه بلملمة شعري إلى الخلف، تاركةً غرّة شعري منسدلة على جبهتي. وبحرصٍ شديد، طليتُ أظفاري بلون البنفسج الداكن.

فتحتُ خزانة ملابسِي، لأؤكد أن لا شيء آخر قد أحتاج إليه. فرأيتُ الفستان الأحمر الذي ابتاعته أُمي من أجلي مُعلّقًا في منتصف الخزانة إلى الأمام. دفعتُ بالغطاء البلاستيكي عن الفستان نازعةً إياه، ثم أمسكتُ به من حاشيته، أتأمل بريق نسيجه.

طرقتُ أُمي الباب، قبل أن تدلف إلى الغرفة. فألقيتُ بالفستان داخل الخزانة، وصفتُ بابها مغلقةً إياه. كانت تقف أمامي متأنقة، على أتم الاستعداد لتلعب دور المُضيفة اللامعة لهذا اليوم. قالت: «لقد حان وقت الذهاب، سأنتظرك في السيارة». ثم مالت برأسها قليلًا إلى الجانب، وأضافت: «تسريحة شعرك. تبدو لطيفة». وأغلقت الباب من خلفها، قبل أن تسنح لي الفرصة لأشكرها على مجاملتها.

جثمتُ على حافة فراشي هنيهة، ومددتُ يدي أُمسك بِكُرَّةِ التنبؤِ السحرية، ثم هزّزْتُها بقوة في قبضتي. جاء الجواب: «لقد قُضي الأمر». ففتحتُ خزانتي مجددًا.

\*\*\*

كانت غرفة الملابس مُعبأةً برذاذ مُثبَّت الشعر. أنا لا أُمزح، فقد تحتم عليّ أن ألتقط أنفاسًا من أنفي، وإلا خاطرتُ بابتلاع كل هذا الكم من الغازات. اكتست الطاولات جميعها بمستحضرات التجميل وأدواته، والزهور والدمى المحشوة ومرطبات الجسم ومشروبات الطاقة.

فتياتُ هنا تُجري البروفة النهائية لعروض مواهبها، وأخريات يغنين لأنفسهن في المرآة بينما يضعن أحمر الشفاه، وآخر يحصين حركات الرقص خاصتهن شيئًا فشيئًا بينما ينثرن الرذاذ على شعورهن، وجماعة يُرددن حوارات الذات ومناجاة النفس بينما يضعن طبقة من مُجمل الرموش على أهدابهن.

لم يكن أمامي وقتٌ يكفي لاستيعاب كل ما يدور حولي. وفي خضم أحداث خلية النحل هذه، لمحتُ ميلي في مؤخرة غرفة الملابس. حسنًا، لمحتُ شعرها. كان كثيفًا ضخماً، تلك الضخامة التي تجعله جديرًا بأن يحظى بنظامه الشمسي الخاص. في الحقيقة أنا لا أبالغ فيما أقول، فقد ازداد طولها ما يزيد على عشرة سنتيمترات على الأقل، دون أن أحتسب الكعب العالي بالطبع. وحين لمحتني هي الأخرى، ابتسمت إليّ، ولوّحت بيدها في تحية.

وأمام مرآتي، قبعَت باقة صغيرة من زهور عباد الشمس مُغلّفة بمناديل ورقية وخيوط من الخيش، وزهرة حمراء منفردة، وزجاجة من عصير التفاح الفوّار. مددتُ يدي إلى البطاقة المُثبتة داخل باقة الزهور أولاً. «حظًا طيبًا! - بوو & لورين». وعلى ساق الزهرة الحمراء المنفردة، لُصقت ورقة ملاحظة صغيرة خُطَّ عليها: «قُبلاتي وأحضانِي - أُمك».

وأخيرًا فتحتُ المظروف الذي أُلصق على زجاجة عصير التفاح الفوّار. فقرأتُ: «وددتُ لو أهديك شيئًا مفيدًا، ولكن دالي رفض. تعلمين كم هو هادئ للذات. اسحقي هؤلاء المتسابقات جميعهن. مع حُبي. (ليي & دالي)».

تمنيتُ لو أن لوسي كانت حاضرة معي الآن. ليس لتشهد منافستي في مسابقة الجمال، ولكن لتشهد هذه الهدايا. لأن هذه اللحظة تحديدًا تبدو خاصةً بها كما هي خاصة بي.

كنتُ قد أنهيتُ زينة وجهي فحسب، حين انفتح الباب على مصراعيه، ودلفت السيدة كلاوسون، تقول: «عشر دقائق يا أنساتي!».

جلست إيلين إلى جوارِي ثمسك بهاتفها بين يديها. وعلى وجنتيها انطبعت حمرة مثالية اللون، وعلى شفتيها أحمر شفاه لامع، كان قد ترك بقعة على أسنانها الأمامية.

قالت: «تيم، هذا الأحمق! لقد أصيب بتسمم طعام. ويل، ليس لدي مرافق في الحفل».

بدا أمر مسابقة الجمال بأكملها ميؤوساً منه، حتى إنه لم يخطر ببالي أن أهتم لحقيقة أنني أيضاً لم أحظُ بمرافق. هزئتُ رأسي بغير اكتراث، وقلتُ: «ليس لدي مرافق أيضاً».

تسارعت أنفاسها، وعلت وتيرة صدرها. كنتُ قد نسيتُ مدى القلق الذي تشعر به حيال هذه الأمور. فقلتُ: «حسنًا، اسمعيني، لا تقلقي بشأن المرافقين، اتفقنا؟».

ثم أضفتُ بصوتٍ خفيض: «يمكننا أن نرافق بعضنا بعضًا على المسرح. هكذا كان ينبغي أن يصير الأمر على أي حال، أليس كذلك؟».

عضت على شفتها السفلى هنيهةً قبل أن تومئ في إيجاب.

- خمس دقائق! اصطففن يا آنسات!

كان هذا النداء الثاني للسيدة كلاوسون.

\*\*\*

لو أن ثمة دورًا للمصادفة، فأنا على يقين بأنها قد اختارتني وإيلين من بين صفوف من الأجنة، وقالت: «هاتان!».

ديكسون. درايفر. ما كان للمصادفات أن تكون أكثر مثالية مما هي عليه الآن.

اصطففنا خلف الكواليس وفق الترتيب الأبجديّ، ننتظر إشارات البدء خاصتنا. كانت إيل قد كُلفت بمشروع دالاس كاوبويز، ولذلك تقف بجانبني الآن حاملّة زوجين من كُريات التشجيع من الفراء بلونَي الأزرق والفضي، وتعتمر قبعة رعاة البقر بالألوان ذاتها. أما أنا فأرتدي تصميم كاديلاك خاصتي. تعانقت أيدينا بقوة حتى شعرتُ بانسحاب الدم من أطرافي.

في أثناء فترة انتظارنا، حاولتُ حمل نفسي على تذكر الرقصة الافتتاحية التي تدربنا عليها مرارًا وتكرارًا، ولكن ذاكرتي قد خانتني في هذه اللحظة. فقد كان رأسي أشبه بمتاهة مُعقدة، وأنا أطارِدُ شبحًا بين أروقِتها.

مررتُ بيكا كوبر إلى إيل علبةً من مرطب الفازلين، وقالت: «ضعي بعضًا منها على أسنانك ولثتك. ستساعدكِ على الابتسام بأريحية».

تطلعنا أنا وإيلين إلى بعضنا بعضًا، ورفعنا كتفينا في استسلام، قبل أن نغمس أصابعنا في العلبة، ونُلطِّخ الفازلين حول أسناننا لتظهر ابتسامتنا. وكان مذاقه يُثير التقزز في النفس.

قلتُ موجهةً حديثي إلى بيكا: «شكرًا لك».

وقفتُ مالوري على بُعد خطواتٍ بسيطةٍ أمامنا، مرتديةً سماعة رأسٍ سوداء. وقالت: «اهبين، اذهبن، اذهبن».

اندفعنا جميعًا مارًّا من أمامها، وفي اللحظة التي ضربتُ بها أضواء المسرح كياني، شعرتُ بعودة الذاكرة إليّ مجددًا. تناوبنا الأدوار في دوائر، حتى إن الواحدة منا لم تحظَ سوى بثانيتين ونصف لتقول اسمها.

انتهت كلمات الأغنية، وانقطعت أضواء المسرح. كنتُ في هذه المرحلة قد عجزتُ عن استيعاب مدى السرعة التي يسير بها الأمر. وشعرتُ كما لو أن السرعة التي تسير بها وتيرة الحياة قد تضاعفتُ إلى ثلاثة أضعاف، وباتت أصوات الجميع من حولي تُشبه تغريدات السناجب.

كانت الفقرة الثانية هي عرض ثوب السباحة.

لم يخطر ببالي من قبل أنني لن أحظى بأي خصوصية عندما أحتاج إلى تبديل ملابسِي وارتداء ثوب السباحة. ولكن ها نحن أولاء، دون أي خصوصية على الإطلاق. حاولتُ خلع ملابسِي على نحوٍ استراتيجيٍّ قدر ما أستطيع. وعندما كان ثوب السباحة خاصتي مرفوعًا إلى منتصف فخذي، وتنورتِي مرفوعة حول خصري، سمحتُ لنفسي، هنيهةً، باختلاس نظرات حول الغرفة. فوجدتُ أنني الفتاة الوحيدة في الغرفة التي لا تهتم بشؤونها في صمت. حسنًا، سأحدثكم بكل صدق، وأقول إن ثمة أجسادًا عارية في كل مكان، ولا أحد يهتم حتى بما يراه.

قررتُ تقبُّل المحتوم، وخلع قميصي في نهاية الأمر. وبعدما حشرتُ جسدي في ثوب السباحة، تمنطقُ بالنظارة الشمسية قلبية الشكل التي

منحني إياها بوو منذ شهورٍ طويلة. لم تخطر هذه النظارة على ذهني من قبل حتى بدأتُ بتنظيف الأغراض في خزانتي الأسبوع الماضي.

دلفنا إلى جانبَي المسرح في صفوف متراصة، وسارت السيدة كلاوسون عبر الصفوف، تُطلق رذاذ مُنَبَّث الشعر على أردافنا، وتقول: «لا يمكنني أن أدع ثياب السباحة تلك ترتفع عن أردافكن».

راقبتُ إيلين وهي تشق طريقها إلى خشبة المسرح. كنتُ أعلم جيدًا أن الخوف والفرع يتملكانها تمامًا، ولكنها تسير بخطى واثقة، مرتدية ثوب السباحة الأخضر خاصتها ذا القطعتين ومنتعلة حذاءها القماشي.

كنتُ أعلم أنه ما كان من المفترض بي أن أقدم على هذا التصرف، ولكني أُلقيتُ نظرةً خاطفة على صندلي الأسود، وبزّة السباحة خاصتي ذات اللون الأحمر التي يتمدد نسيجها حول بطني المستدير. ولم يكن هذا شيئًا يُزعجني في جسدي على أي حال. يعاني الجميع شيئًا واحدًا على الأقل يبغيضونه حول أنفسهم. ويمكنني أن أكون فتاةً تقليدية وأقول إنني أبغض جسدي بأكمله، ولكن الأمر كله ينتهي إلى فحذي: فحذي السمينتين، الجُبْن المنزلي، الساقين المصابتين بعلامات التمدد الغائرة، مفصل لحم الخنزير، قَلَابَات الوحل، أطلق عليهما ما تشاء. إن ساقِي حتى لا تُشبهان السيقان البشرية. في الظروف العادية، أراني متسامحة تمامًا مع وجود هذا الكم من الدهون في جسدي، ولكن في اللحظات النادرة التي أقضيها أمام المرأة لا أحرق إلى شيء سوى بشرتي، كل ما يمكنني رؤيته هو ساقان، عمودان من علامات التمدد البيضاء، ينقلانني من مكان إلى آخر ويحتكان ببعضهما بعضًا، مُحدثين شيئًا أشبه بالجحيم من احتكاك البشرة المترهلة المشبعة بالدهن ببعضها بعضًا. (بالمناسبة، احتكاك البشرة المترهلة هي كلمات لا تنطق بها سوى الفتيات البدينات، وتُعبّر عن احتكاك الفخذين الداخليتين البائستين طوال الوقت).

رَبَّتْ السيدة كلاوسون على كتفي، مُعلنةً بذلك أنه قد حان دوري. أخذتُ نفسًا عميقًا، ورسمتُ على وجهي ابتسامة رقيقة. تردد صوتُ أُمي في رأسي قائلاً: «ابتسمي دمبلين!».

ربما كان ما ينتابني من شعور هو عدم الراحة، ولكنني أرفض أن أشعر بالخجل من جسدي. وربما كان السبب وراء هذا الرفض هو عجزني عن رؤية الجمهور، أو ربما لأنه لم يصرخ أحدهم مُعلنًا رفضه لوجودي على خشبة

المسرح. الأهم أنه في نهاية الأمر، صمدت فخذاي طوال الفترة التي تعرّضتَ فيها إلى أضواء الجماهير. لم أهرول في مشيتي كما فعلتُ ذلك اليوم في المسبح. لم يستهجن أحدهم ما رأى، ولم ينته العالم حين عرضتُ فخذَيّ، ولم يُصَبّ الجمهور بالعمى.

إن ثمة شيئاً يتعلق بثياب السباحة، يجعلك تعتقد أنك مُطالبٌ باكتساب الحق في ارتدائها، وهذا هو لبُّ الخطأ. في الحقيقة، إن معايير ارتداء ثياب السباحة غاية في البساطة. هل تمتلك جسداً؟ إذن يمكنك ارتداء ثوب السباحة. كانت أماندا بانتظاري على الجانب الآخر من المسرح. قالت: «بدوتِ غاية في الهدوء على خشبة المسرح!».

ربّتُ على ذراعها، وأجبتُ: «شكراً لك. هل أنتِ مستعدة لعرض كرة القدم خاصتك؟».

أومأت أماندا في إيجاب، واكتست وجنتاها بلونٍ وردّي باهت، قبل أن تستطرد: «لقد انضمتُ إلى فريق كرة القدم».

- حقاً؟

ضحكت أماندا، ثم أجابت: «أدركتُ أنه لو كان بوسعي تجاوز هذه المسابقة، فإن بوسعي أن أشق طريقي إلى فريق كرة القدم».

قلتُ موجهةً حديثي إلى أماندا، حين أقبلت علينا إيلين لتقف بجانبنا: «هذا رائعٌ حقاً!».

ومن جانب خشبة المسرح، شاهدنا ميلي تستقبل المسرح في ثوب سباحةٍ قطنيّ بنقشةٍ مُربعة، وتلحقه تنورة قصيرة، وحذاءٌ ذو كعبٍ عالٍ سميكٍ يحمل النقشة المربعة ذاتها. ووضعت نظارة شمسية كبيرة، وأحمر شفاه لامعاً، حتى إنها تأبطت كرة شاطئ وحشرتها أسفل ذراعها.

علّقت إيلين: «يا إلهي! لقد وُلدت هذه الفتاة لأجل هذا. هناك ملكة جمال حقيقية بداخل هذه الفتاة اللطيفة التي تشوبها السمنة».

تلاشت ابتسامة الرضا التي علت وجهي رويداً رويداً، ثم قلتُ: «كلا، بل هذه الفتاة اللطيفة التي تشوبها السمنة هي ملكة جمال حقيقية».

\*\*\*

## الفصل الستون

- أوه، اللعنة!

شعرتُ وكأن رأسي قد زُجَّ به في مُحضرة الطعام.

- هل تؤلم جميع قبعات الشعر المستعار إلى هذا الحد؟

أجابت إيلين: «ربما كان المقاس صغيرًا بعض الشيء. لا أدري حقًا، لقد أخذتُ أول شيء قابلته في غرفة ملابس أُمي».

كنا قد استولينا على دورة المياه ذات المقصورة الوحيدة خلف الكواليس، حتى أستعد من أجل موهبتي. كان شعر إيلين منفرجًا من المنتصف إلى ضفيرتين جانبيتين، واستطاعت أن تحشر جسدها داخل زي رقصة القبقاب، الذي يتكون من صدارة مُحكمة المقاس على الصدر والجذع، وتنورة تتماوج مع الحركة. كانت إيلين تمتلكه منذ أن كانت في الصف السابع. (رغم أن والدتها قد اضطرت إلى حياكة نسيج مرن حول خصرها لمنحها الاتساع المطلوب).

- حسنًا، حسنًا.

أخذتُ نفسًا عميقًا خلال أنفي، محاولةً تخفيف بعض من الحدة والضغط اللذين يعتملان في رأسي الكبير، وأغلقتُ عينيَّ، ثم قلتُ: «ضعي الشعر المستعار على رأسي».

جذبت إيلين الشعر المستعار فوق رأسي، وأحكمت تثبيته، ثم قالت بعدما أنهت تثبيت جميع دبابيس الشعر السوداء المموجة: «حسنًا، انتهينا. ألقى نظرةً على النتيجة».

رفعتُ رأسي. فوجدتها تُحْدَقُ إليَّ على الجانب الآخر من المرأة. دوللي بارتون. النسخة البدينة المراهقة من دوللي بارتون. علقتُ إيل: «يا إلهي! أعتقد أنك قد تكونين مُرشدتي الروحانية!».

\*\*\*

انتظرتُ خلف الكواليس. كانت إيلين تتراقص مُتخلفةً عن أنغام الموسيقى، وظلت تدور بعينها طوال الوقت. لولا ما خيم عليّ من قلق وما اعتري أحشائي من اضطراب، لضحكتُ ملء رئتي على ما تفعله.

كنا شديدي الحذر حين تسللنا حول مؤخرة المسرح، حتى لا يراني أحد، وأخص بالذكر، أُمي أو السيدة كلاوسون أو مالوري.

اختتمت أنغام الموسيقى قبل ثوان قليلة من انتهاء رقصة إيلين، ولكنها أنهت عرضها في سلاسة وانحنّت تحيةً للجمهور، قبل أن تركض مُغادرةً خشبة المسرح.

- حسنًا، يمكنك فعل ذلك.

هكذا قالت إيلين.

كنا قد دفعنا بعشرين دولارًا إلى فنيّ الصوت ليمتثل إلى ما طلبناه منه، فقال: «رائع. إذن هذا لشراء المشروب».

خرجت أُمي من جانب المسرح الأقرب إلى الجمهور على الجانب الآخر من خشبة المسرح، وقالت متقلدةً الميكروفون: «كان هذا لطيفًا، إيلين. يا له من تدريب رائع أراهن أنك تمارسينه!».

دوت ضحكات خافتة بين الجمهور، قبل أن تُعاود تقلد الميكروفون، مُعلنة: «المتسابقة التالية هي ويلودين ديكسون، التي ستؤدي لنا بعض الخدع السحرية».

أجل، إن اعتمار قبعة الشعر المستعار تلك كان ضربًا من الخدع السحرية المؤثرة دون شك.

خرجتُ من خلف الكواليس إلى خشبة المسرح أسفل بقعة الضوء، ومع كل خطوة أخطوها كان حذائي ذو الرقبة يُحدث فرقعات على الأرضية الخشبية. وكان طيفي المرافق الذي اتخذ شكل معطف مطر مصنوع من الوبر المُهدَّب قد تمدد خارج رقعة الضوء إلى الظلمة الحالكة من حولها.

وقفت أُمي على حافة المسرح، وقد تدلَّى الميكروفون من بين أصابعها. اتسعت عيناها وبدا جسدها مكلومًا بالقلق. شرعت أنغام الموسيقى في البدء، وكانت تلك النوتات الموسيقية التي يعرفها جيدًا كل شخص جالس في القاعة. كان بإمكانني أن أرى المُحَكِّمين يتهايمسون يمينًا ويسارًا خلف طاولتهم، بجانب المصابيح المكتبية المضاءة.

استدرتُ نحو أُمي، وأمسكتُ بالميكروفون المُزَيَّف بالقرب من شفتيّ. صدح صوتٌ دوللي قائلًا: «جولين،

جولين،

جولين،

جولين،

أتوسل إليك،

أرجوكِ لا تأخذي مني حبيبي».

وتحركات شفتاي تزامنًا مع كل كلمة تنطق بها دوللي. أغلقتُ عينيَّ واستحضرتُ كل لحظةٍ سمعتُ بها هذه الأغنية. رحلتنا عبر الطريق السريعة مع أُمي ولوسي وجدتي. نوافذ السيارة المنسدلة. أيادينا نحن الأربع تضرب الريح خارج النوافذ. الجلوس برفقة لوسي في غرفتها، بينما تصدح أغنية «جولين» من مُشغل الموسيقى. الاستلقاء على البلاط البارد في مطبخ إيلين، ووالدتها تُدندن بنغمات خافتة وتطهو لنا المعكرونة. جنازة لوسي. في شاحنة بوو. في ملهى هايداواي، حين شاهدتُ ليبي تؤدي عرضها. وهنا الآن على خشبة المسرح هذه.

ربما كان هذا من صُنع خيالي، ولكنني كنتُ أقول «جولين» فأسمع القليل من الأصوات الآتية من الجمهور يغنونها برفقتي. إنها أغنية أيقونية بعض الشيء، لا تخضع لحدود الزمان أو المكان أو اللسان أو الدين. إنها «جولين». خفتت الأنغام حتى تلاشت، وصفَّق الجمهور. ولوهلة، أظن أنني سمعتُ خنخنة خنزير! غير أنها سريعًا ما خفتت وسط هُتاف الجمهور.

في اللحظة التي اختفيتُ فيها عن خشبة المسرح، جذبتني أُمي من ذراعي، وقالت: «ماذا كان ذلك؟».

غير أنها لم تمنحني وقتًا كافيًا لأجيب عن سؤالها، واندفعت مسرعةً لتُعلن المتسابقة التالية. صدح صوتُ أُمِّي قائلاً: «حسنًا، ألم يكن هذا العرض مفاجأة؟».

مررتُ بكالي حين كنتُ في طريقي إلى غرفة القياس، فعَلَّقتُ قائلة: «تعلمين أنهم سيعلمون عدم تأهلكِ، لأنكِ لم تلتزمي بموهبتكِ التي حصلت على الموافقة، صحيح؟».

ودون أن أتكبد عناء التوقف خطوةً واحدةً لأجيب، قلتُ: «كان الأمر يستحق المجازفة».

في غرفة القياس، ارتميتُ على الأريكة بجانب إيلين. فلا يزال أمامنا بعض الوقت للاسترخاء قبل انتهاء عروض المواهب.

مرّت بنا هانا في طريقها إلى خشبة المسرح، فرفعت يدها لتمنحني مصافحة، دون أن تنبس ببنت شفة.

بعدما انتهت عروض المواهب، كان ثمة فاصل استراحة قبل العودة إلى فقرة الأزياء الرسمية. ساعدتُ إيلين على ارتداء فستانها، فستان مرجاني اللون مثلث الرقبة، تُزينه ماسات زائفة. وساعدتني في إعادة شعري إلى حجمه الطبيعي بعد ما أحدثته قبعة الشعر المستعار به من أضرار.

طلّت علينا السيدة كلاوسون برأسها، وقالت: «كل شيء جيد حتى الآن يا أنساتي! أمامكن عشر دقائق! ... ويلودين، إن والدتك تطلب الحديث معكِ».

اكتسى وجهي بحُمرة الخجل، وصاحت بعض الفتيات في دهشة، حين تبعّت السيدة كلاوسون إلى غرفة ملابس أُمِّي الخاصة. طرقتُ الباب، وقبل أن أجذب قبضتي عن مقبض الباب، انفتح الباب أمامي على مصراعيه.

هزت رأسها نفياً، وقالت: «كنتُ أعلم أنكِ تنوين خداعي».

- كلا يا أُمِّي، هذا ليس صحيحًا. لم أخطط لخداعكِ أو أيٍّ من هذا.

حسنًا، ليس قبل الأُمس على الأقل.

أمسكت بصدارة فستان التتويج خاصتها التي استقرت على صدرها دون أن يُغلق السحاب، وقالت: «أنتِ غير مؤهلة لاستكمال المسابقة. لا يمكنني أن أدعكِ تُنهين المسابقة. هذا ليس منصفًا للفتيات الأخريات».

- ليس الأمر وكأنني سأفوز بالمسابقة يا أمي. لماذا لا يمكنني استكمال الفقرة الأخيرة فحسب؟

أجابت: «لقد انتهكت القواعد. إنها المعايير ذاتها التي سأطبقها على أي فتاة أخرى. أنا آسفة حقًا، ولكن هذا أقصى ما يمكنك تحقيقه في هذه المسابقة».

أعلم مدى حماقة ما أشعر به، أعلم مدى بلاهته، ولكنني أشعر بانفطار جزء من قلبي، لحقيقة أنني سأعجز عن إنهاء ما بداته، بعد كل ما حدث طوال الأسابيع الماضية، وحين لم يتبق سوى أقل من ساعة واحدة على إنهاء المسابقة. لم يدهشني العقاب، أو على الأقل لا يتعين علي الشعور بالدهشة. فقد كنت أعلم تمامًا أنني مُقَدِّمة على فعلٍ سيجعل مني متسابقة غير مؤهلة، ولكنني لشيء ما ظننت أن تأخذها بي رافة.

استدارت إليّ، وأولتني ظهرها، ثم قالت: «هل لك أن تغلقي السحاب؟». لم يرتفع السحاب عن موضعه الذي كان عليه في المرة السابقة، ولكن... - أمي، هذا أقصى ما يمكنني الوصول إليه.

نطقت كلماتي بصوتٍ حاسم. كان لا يزال أمامها أكثر من عشرة سنتيمترات، ليُغلق السحاب. يمكنني أن أسحبه بأقصى قدرتي، ولكن هذا السحاب لن يتحرك من موضعه مهما حدث. هذا ما يُثبت العلم.

استدارت لتتطلع إلى ظهرها عبر المرأة من خلف كتفها.

- هذا غير ممكن. كلا، كلا! لقد جربتُ ارتداء الفستان في وقتٍ مبكر هذا الأسبوع. لقد التزمتُ بصفوف البيلاتس والدراجات.

أعتقد أن أعصابها على وشك الانهيار، وإذا انهارت أمي، ستتداعى هذه المسابقة بأكملها. قلتُ: «حسنًا، أمي. اسمعيني جيدًا، سترتدين هذا الفستان وسينجح الأمر».

وعلى الجانب الآخر من الباب، نادى السيدة كلاوسون: «دقيقتان فحسب!». ندت قطرات العرق على جبينها، حتى كادت تكتسح وجهها بالكامل. قلتُ: «لا تتحركي، سأعود سريعًا».

ركضتُ مسرعةً عبر الكواليس، حتى وصلتُ إلى ورشة الأثاث حيث يصنعون مقصورات التجهيز الخشبية. وجدتُ أدوات النشارة، والحفارات،

والمسامير، والمطارق، والبراغي، والسلالم النقالة، ومفاتيح الربط، والملاقط المعدنية. ودون تفكير، ملأتُ ذراعيَّ بكل شيء بدا وكأنه قد يساعدني فيما أود فعله.

حينما ركضتُ عائدةً إلى غرفة الملابس، كانت أُمي على وشك الشروع في نوبة جنونية. قالت: «دمبلين، يجب أن أرتدي هذا الفستان، لقد ارتديته كل عام منذ تتويجي. الجميع يتوقع مني ارتداء هذا الفستان. لقد بات تقليدًا من تقاليد المسابقة».

ألقيتُ بكل ما في جعبتي على الطاولة، وقلتُ: «استديري».

- سيعلم الجميع أن الفستان لم يعد ملائمًا.

كانت أُمي في هذه اللحظة على وشك أن تجهش بالبكاء. فقلتُ: «كلا، لا. لن تبكي. حسنًا، لم يعد مقاسك مناسبًا لهذا الفستان، اتفقنا؟ هذا لن يحدث». ندت عنها أنفاسٌ متسارعة تشي بنوبة بكاءٍ جديدة، لكنني تابعتُ: «ولكن هذا لا يعني أنه لا يمكننا تعديل الفستان ليبدو وكأنه يلائم مقاسك».

جذبتُ عن الطاولة ملقطين كبيرين ذوي مقدمة تُشبه رأس التمساح، كنتُ قد رأيتُ الفنيين يضعونها على جانب سراويلهم، مثلما يفعل مصففو الشعر بدبابيس الشعر. كنتُ قد رأيتهم يستخدمون هذه الملاقط في أشياء غريبة، كأن يجمعون الأسلاك معًا، أو يُثبتون القضبان الخشبية في موضعها حتى تجف المادة اللاصقة بينها.

- أُمي، اسمعيني جيدًا. لا يمكنكِ الاستدارة أو الالتفاف على خشبة المسرح، اتفقنا؟ يجب أن تظلي في موضع ثابت.

أومأت إليَّ في إيجاب. أما أنا، فدسستُ أحد الملقطين خلف صدريتها دون الحمالات، وحشرتُ نسيج الفستان أسفل منها. وكررتُ الفعل ذاته على الجانب الآخر. هدأت أنفاسها هنيهة، حين لاحظت الاختلاف الذي أحدثته الملاقط في المرأة.

- أرايتِ؟ يبدو جيدًا.

أخذت أُمي نفسًا عميقًا، ودفعت بتاجها على شعرها المُصفّف بعناية.

- حسنًا، دمبلين.

استدارت إليّ، وقد بدا التردد على صفحة وجهها، ثم تابعت: «أنتِ تكرهين هذا الاسم المستعار، أليس كذلك؟».

ارتسمت على وجهي ابتسامة، قبل أن أجيب: «ليس بقدر ما اعتدته».

- يمكنني التوقف عن مناداتك...

قاطعتها: «كلا، أعتقد أنني تقبلت الأمر بعض الشيء».

أحياناً قد يحملك اكتشاف ذاك الحقيقية على تفهّم حقيقة أننا لوحة فسيفساء تضم تجاربنا الحياتية. أنا ودمبلين. وويل. وويلودين أيضاً. أنا فتاة بدينة. أنا سعيدة. أعاني القلق، وأختبر مشاعر التزعزع. وأتحلى بالشجاعة. صاحت السيدة كلاوسون: «ستُرفع الستائر!».

استدارت أُمي تتطلع إلى المرأة مرة أخيرة، قبل أن تقول: «شكراً لك. شكراً لك. شكراً لك. أحبك كثيراً، وويلودين. (وطبعت شفيتها الحمراء على جبهتي) أحبك كثيراً، جميلتي دمبلين».

وركضت مسرعةً خارج الباب، وبينما كانت هي تقف على خشبة المسرح تُعلن المتسابقات الأوائل في الترتيب الأبجديّ ومرافقيهن، أُسرعتُ إلى غرفة الملابس خاصتنا.

أسفل الطاولة تقبع حقيبتَي القماشية، وملفوف بداخلها فستاني الأحمر الذي ابتاعته أُمي من أجلي. حشرتُ الفستان من رأسي، ووضعتُ طبقة أخرى من أحمر الشفاه. وتمنطقْتُ بحذائي ذي الكعب العالي، وأحكمتُ إغلاق أشرطته على مؤخرة قدمي. حاولتُ جذب السحاب وأنا في طريقي، فلم يُجدِ نفعاً، حتى وصلتُ إلى حيث تقف إيلين في الصف، تسبقها بيكا كوتر.

قلتُ من بين أنفاسي المتقطعة: «أغلقِي السحاب».

ففعلت ما أمليته عليها دون تردد، وقالت: «تبدِين رائعة الجمال».

ابتسمتُ من بين أنفاسي اللاهثة، وأجبتُها: «أعلم ذلك».

قاطعنا صوتُ مالوري، تنادي، وهي تُعيد فحص حافظة الأوراق في يدها: «إيلين، أين مرافقكِ؟».

ثم وجَّهت حديثها إليّ قائلةً: «ويل، أنتِ غير مؤه...».

- أنا مرافقها.

هكذا أجبتُ، قبل أن تُنادي أُمي من فوق خشبة المسرح: «إيلين درايفر».

اتسعت عينا مالوري حين تأبطت ذراع إيلين، وسرتُ بها عبر خشبة المسرح.

تابعت أُمي: «ويرافقها تيموثي...».

تأنقنا في سيرنا عبر الجزء المُنحدر حتى وصلنا إلى مقدمة خشبة المسرح. وسرتُ بقدمين تتقدم إحداهما الأخرى في مثالية لم يسبق لي أن شهدتها في نفسي، كما علمتنا لي.

علقت شهقة في حلق أُمي، ثم تلاشت إلى ابتسامة رقيقة، قبل أن تُعيد عبارتها: «وترافقها ويلودين ديكسون».

تركتُ ذراع إيلين، وتنحيتُ جانبًا لأسمح لها باستعراض مشيتها وفستانها أمام الجمهور في مشية دائرية على حافة المسرح، قبل أن تعود خلف الكواليس مجددًا.

وقفنا نراقب الجميع يأخذ أدواره، أماندا برفقة شقيقها الأكبر. كانت الأشرطة التي تُزين حذاءها الرياضي عالي الكعب تُلائم فستانها، أظن أنها فكرة ميلي بلا شك. بدا مالك رجلًا نبيلًا حين رأيته عابرًا خشبة المسرح متأبطًا ذراع ميلي. ولا ننسى هانا بالتأكيد. هانا برفقة كورتنى جازن. أظن أن صديقتها، كورتنى، فتاةٌ تعيش خارج المدينة، فلم أكن رأيتها من قبل. كان شعرها الأشقر الأملس معقوصًا إلى الخلف في شكل كعكة أنيقة، وبدا متناسقًا مع بزتها الرسمية حتى اكتملت إطلالتها اللطيفة. وأفضل ما في الأمر، هو حين رأيته هانا بفستانها الحريري الأسود الذي يُشبه القميص التحتي، وحذاءها العسكري، ووجهها الذي يخلو من الزينة، دون أن تخرق قاعدة واحدة من قواعد المسابقة.

تأنقنا المسير جميعًا، ورؤوس أحذيتنا تقود مؤخراتنا من جنبٍ إلى جنب، تمامًا كما علمتنا لي.

غادرت هانا خشبة المسرح إلى حيث كنا جميعًا بانتظارها.

وفي اللحظة التي ابتعدت فيها كورتنى عن أنظارنا، ضحكت إيلين بملء رئتيها، قبل أن تلتزم ظهر هانا، قائلة: «أنتِ أيتها الشيطانة الرائعة!».

وقفْتُ بين المتفرجين، أتابع بقية فقرات المسابقة. تابعتُ فقرة الأسئلة والأجوبة، حين أدهشني بعض الفتيات بأجوبتهن العميقة واسعة الإدراك، غير أن فتيات أخريات قد تلعن من في كلماتهن. وألقت أماندا على الحضور مزحة

تلاعب بالألفاظ رائعة، جعلت المُحكِّمين يضجون بالضحك. وميلي الرقيقة الجميلة بضحكاتها التي تحمل من يتطلع إلى ضحكاتها يغرق هو الآخر في الضحك. حافظت هانا على جفائها المعتاد، لكنها تركت الجمهور غارقاً في التفكير.

تخلَّت دوناً لوفكين عن حذاء البستنة خاصتها، وارتدت بزة رسمية باللون الخوخي. كانت تقف منتظرةً على جانب المسرح، قُبالتى مباشرةً، تحرس التيجان التي ستُمنح للمتسابقات.

وعلى خشبة المسرح، وقفت أُمِّي في رقعة الضوء الصغيرة خاصتها، دون أن تُحرك ساكناً، كما لو أنها تعاني تصلُّب الرقبة. بدت جميلة رغم كل شيء. ولا أعني بذلك طللتها الأمامية فحسب، بل بدت جميلة مع كل هذه الأدوات التي تُمسك بجماح فستانها من الخلف، بدت رائعة.

هذه اللحظة. هذه اللحظة هي أصدق صورة رأيتُ عليها أُمِّي طوال حياتي. أعتقد أن الكمال الذي نراه في الآخرين أحياناً، ليس سوى مجموعة كبيرة من الشوائب والعيوب الصغيرة، فقد تأتي علينا بعض الأيام، لا تسير أبسط الأمور كما ينبغي.

\*\*\*

## الفصل الحادي والستون

انتظرتُ في حفل التتويج وقتًا طويلًا، حتى رأيتُ ميلي -صغيرتنا ميليسنت!- قد تُوِّجت بلقب الوصيفة الثانية، أمسكت بباقة زهورها، ورفعت كفها لتحية الجمهور بتحية تليق بملكة جمال. غير أنني لم أنتظر مزيدًا من الوقت، لأرى مَنْ مِنَ الفتيات قد تُوِّجت الفائزة بلقب ملكة الجمال، فلم أكن بحاجة إلى معرفة النتيجة.

بينما كنتُ في طريقي إلى البهو، وقد أحكمتُ قبضتي على زجاجة عصير التفاح الفوّار التي منحني إياها ليبي ودالي، رأيتُ ميتش يقف مثرثرًا برفقة مجموعة من شباب فريقه. كان فريقهم قد فاز بالمباراة ليلة أمس، ولذلك فقد خططوا للاحتفاء بفوزهم في عيد الفصح.

كان باتريك توماس هو أول من لاحظ وجودي. فسأل قائلاً: «هل عدتِ من أجل المزيد؟ ألم تستطعي تحمّل الهجران؟».

هز ميتش رأسه، وقد امتلأ وجهه بالتقبل فضلًا عن أي تذمر، ثم قال: «ليست هي مَنْ....».

رفعتُ كفي موقفَةً إياه قبل أن يسترسل، ثم قلتُ موجهةً حديثي إلى باتريك: «لا أحد يظن أنك مضحك، باتريك. ألم تفهم ذلك بعد؟ لا أحد يضحك على ما تقوله. ولا حتى أصدقاؤك».

قطَّب باتريك حاجبيه، وعبس وجهه هنيهةً، ثم رفع كتفيه في غير اكتراث، قبل أن يستدير موليًا لي ظهره.

أوماً إليّ ميتش إيماءة مقتضبة، فتباطأت حركتي، لأمنحه ابتسامة رقيقة. وفي الداخل، اشتعل الجمهور في قاعة المسرح بحرارة التصفيق، حينما استدرتُ لأغادر المبنى.

\*\*\*

قطعتُ الشوارع الثلاثة سيرًا بفستاني وكعب حذائي العالي. كم أحب هذا الفستان، وكم أطلع إلى التحديق إليه طوال الوقت، مُعلِّقًا في خزانتي، لأتذكر هذه الليلة في شهر نوفمبر، حينما خرجتُ من ظلمتي إلى النور. كانت الريح تعبث بي، وتَشْكَلُ من قماش فستاني موجات متتالية، وتغمرني بالحرية بينما كنتُ أسير عابرةً شوارع مدينتي الصغيرة.

دَقَّ الجرس فوق رأسي حين دفعتُ الباب، لأجد مطعم هاربيز فارغًا إلا من الأشخاص العشرة في كلوفر سيتي بأكملها الذين لم يحضروا حفل تتويج ملكة الجمال.

قال ماركوس، وهو يمد يده لأحد الزبائن بإيصال السداد: «واو، تبدين أنيقة للغاية، ويل!».

هرول بوو منعطفًا حول الزاوية، استجابةً لوقع اسمي على آذانه، وقد تدلَّت من بين شفثيه المُلطختين بزرقة التوت، حلوى مصاصة حمراء.

وضعتُ زجاجة عصير التفاح الفوّار على الطاولة. وأسدل بوو رباط مئزره من حول رقبته، ليتدلى من خصره فحسب. انفرجت شفثاه بابتسامة عريضة. قال بوو: «ويلودين!».

فتنفستُ الصعداء.

\*\*\*

## شكر وعرفان

أنا محظوظة للغاية، لأن بإمكانني أن أستيقظ كل صباح لأمارس المهنة التي أحب وأؤمن بها. لكنني لم أكن لأصل إلى هذه المكانة اليوم دون الدعم والإرشاد الذي حصلت عليه من بعض الأشخاص الرائعين من حولي.

إلى أليساندرا بليزر، أنتِ واحدة من المحررين الذين يحلم الكتاب بالعمل معهم، وأنا دائمة الامتنان لأن عملي معك كان عملاً حقيقياً. شكراً لك لاستثمارك في «ويلودين»، ولأنك تعرفين ما أرغب في قوله قبل أن أعرف كيف أصيغه.

إلى مولي جافا، أنا على يقين بأنكِ قد تحركين جبلاً بأكمله من أجلي. شكراً لأنك تستمرين في دفع حياتي إلى الأمام، وبالأخص تلك الدفعة الإضافية التي أعطيتني إياها مع هذا الكتاب عندما كنتُ أشعر باليأس. أنتِ وكيّلتي وصديقتي، ولكلا الأمرين، أنا غاية في الامتنان.

إلى كارولين صن، أنتِ البطلة الحقيقية وراء الكواليس. شكراً لكل شيء تفعلينه من أجلي.

إلى فريق عمل قسم التسويق بـ (سكول وليبيراري) باتي روستاي ومولي موتش، أنا دائماً وأبداً ممتنة لوجودكم جميعاً في فريق عملي.

إلى آرورا بارلجريسو وأليسون دونالتي، لم أكن لأحلم بغلاف أفضل من هذا، حبي لهذا التصميم يفوق الوصف، وإلى روكيو توكوناغا، شكراً لأنك حولت هذا التصميم إلى غلاف حقيقي.

هناك العديد من الأشخاص في (بلازر+ براي) و(هاربر كولينز) و(إيبك ريدز) و(إتش سي فرينز) الذين أدين لهم بجزيل الشكر: سوزان كاتز،

كيت جاكسون، أندريا بابينهيمير، كيري مونيا، هيدر دوس، دونا براي، كيلسي مورفي، نيل كورتزمان، بوكي فيفات، مارجوت وود، أليكي سي إسكوف، سومان سيبوات، أوبري باركرز فريد، جينيفر شيريدان، كاثير فاير، وكل الأشخاص الذين غفلت عن ذكرهم (لأنني واثقة أنني فعلت!)، إن طبيبتكم وإيمانكم بعملتي لا يُقدّران بثمن. وأشعر بالفخر لعملتي مع أشخاص مخلصين مثلكم.

إلى جيسكا تايلور، شكرًا لقراءتك الدائمة ولأنك تتركين لي المجال لأكون على سجلي وطبيعتي البشعة، لن تكفيني حلوى العالم لشكر.

إلى جيرامي كراتز، شكرًا لكونك شريكي في الجريمة دائمًا، ولسفرك معي عبر الولايات لرؤية دولي بارتون، لن أنسى هذا اليوم ما حييت أبدًا.

إلى ناتلي باركر، بالطبع أنا شاكرة لصدقك وصراحتك، لكن ما أنا ممتنة حقًا له هو صداقتك، تترك المجال لي لمرافقتك دائمًا.

إلى كوري ويلي، شكرًا لكل الساعات التي قضيتها في القراءة عبر اسكايب، ولكل الساعات التي قضيناها نتحدث حول كل شيء واللاشيء.

إلى تيسا جراتون، شكرًا لإنقاذك لي عندما عجزتُ مرتين عن تحريك الأحداث في هذا في الكتاب، ولأنك قضيت أسبوعين معي داخل سيارة وما زلت تحببني حتى النهاية.

إلى كريستين تريفيانو (وكل العاملين بمكتبة إيرفينج العامة)، إن ما تفعلونه هو أمر عظيم، وأنا شاكرة للغاية على كل الفرص التي منحتهموني إياها.

إلى جيني مارتين، عزيزتي من البلدة ذاتها، شكرًا لدعمك الدائم لي.

كما قال جو كوكير: «أنا أنجو بقليل من المساعدة من رفقائي».

إلى كاتي كوتوجنو، آدام سيلفيرا، باثاني هين، جينيفر ماثيو، كريستين راي، سارا كومس، كريستا ديزير، ميشيل كريس، آيمي تينتيرا، كاري أولسون، جين بيجهات، كارون إيرفين، بريتي تشيبير، ستيف هوفرمان، كورتنى ستيفينز، أشلي ميريديث، جون ستيكني، هايلي هاريس، جيفري كومارومي، آشر ريتشاردسون.

إلى كل مدوّن، وأمين مكتبة، ومدرس وقارئ. إلى أعضاء مجتمع (ماي لون ستار)، (ون فور كيد ليت)، (#لوفكين6)، (ذا فورتينييري) و(ذا هانجينج جاردن)، شكرًا لكم جميعًا.

إلى أمي، وأبي وجيل، شكرًا لكونكم ملاذي الآمن دائمًا وإيمانكم بي وبأحلامي الجامحة.

إلى دوللي بارتون شكرًا لكونك أنتِ دون تكليف أو تصنع، وشكرًا لكل أغنياتكِ، فقد كانت الدافع الذي يحتاج إليه هذا الكتاب تمامًا.

إلى إيان، لحبك الدائم لي.

إلى الأطفال السُّمان والنحفاء، إلى طوال القامة وقصيريهما، ولكل ما هو بين هذا وذاك، أنا ممنونة لأن أحدها لا يشبه الآخر، فلولا هذا، لغدا العالم مُملًا للغاية!

\*\*\*

مكتبة ياسمين

[t.me/yasmeenbook](https://t.me/yasmeenbook)